

شبكة مشكاة الإسلامية

السيرة النبوية

للامام أبى الفداء إسماعيل بن كثير

701 - 774 هـ

تحقيق مصطفى عبدالواحد

الجزء الاول

1396 هـ 1976 م

ذكر أخبار العرب (1 / 1 السيرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

قيل : إن جميع العرب ينتسبون إلى إسماعيل بن إبراهيم
عليهما السلام

والتحية والاكرام .

والصحيح المشهور أن العرب العاربة قبل إسماعيل ،
ومنهم عاد وثمود وطسم وجديس

وأميم وجرهم والعماليق ، وأمم آخرون لا يعلمهم إلا الله ،
كانوا قبل الخليل عليه الصلاة

والسلام وفى زمانه أيضا .

فأما العرب المستعربة ، وهم عرب الحجاز ، فمن ذرية
إسماعيل بن إبراهيم

عليهما السلام .

وأما عرب اليمن وهم حمير فالمشهور أنهم من قحطان ،
واسمه مهزم . قاله ابن ماكولا .

وذكروا أنهم كانوا أربعة إخوة : قحطان وقاحط ومقحط
وفالغ .

وقحطان بن هود ، وقيل هو هود . وقيل هود أخوه . وقيل
من ذريته . وقيل إن

قحطان من سلالة إسماعيل ، حكاه ابن إسحاق وغيره .
فقال بعضهم : هو قحطان

(ابن الهميسع (1) - بن تيمن بن قيذر (بن نبت (1))
بن إسماعيل . وقيل غير ذلك في

نسبه إلى إسماعيل والله أعلم .

وقد ترجم البخاري في صحيحه على ذلك فقال : (باب
نسبة اليمن إلى إسماعيل عليه

السلام) حدثنا مسدد ، حدثنا يحيى ، عن يزيد بن أبي
عبيد ، حدثنا سلمة رضى الله عنه

* (هامش) * (1) من المخطوطة (*)

- 4 -

قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم
من أسلم يتناضلون بالسيوف فقال :

(ارموا بني إسماعيل وأنا مع بني فلان) لآحد الفريقين ،
فأمسكوا بأيديهم ، فقال : مالكم ؟ قالوا : وكيف نرمى
وأنت مع بني فلان ، فقال : (ارموا وأنا

معكم كلكم (1) .

تفرد به البخاري . وفي بعض ألفاظه : (ارموا بني
إسماعيل فإن أباكم كان

راميا ، ارموا وأنا مع ابن الأدرع) فأمسك القوم فقال
ارموا وأنا معكم كلكم .

قال البخاري : وأسلم (2)

بن أفضى بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة . يعنى :

وخزاعة فرقة ممن كان تمزق من قبائل سبأ حين أرسل الله عليهم سيل العرم . كما سيأتى

بيانه . وكانت الاوس والخزرج منهم ، وقد قال لهم عليه الصلاة والسلام : (ارموا بنى

إسماعيل) فدل على أنهم من سلالة . وتأوله آخرون على أن المراد بذلك جنس العرب ،

لكنه تأويل بعيد إذ هو خلاف الظاهر بلا دليل .

لكن الجمهور على أن العرب القحطانية من عرب اليمن وغيرهم ليسوا من

سلالة إسماعيل .

وعندهم أن جميع العرب ينقسمون إلى قسمين : قحطانية وعدنانية . ف القحطانية

شعبان : سبأ وحضر موت . و العدنانية شعبان أيضا : ربيعة ومضر ، ابنا نزار بن معد

بن عدنان ، والشعب الخامس وهم قضاة مختلف فيهم ، ف قيل إنهم عدنانيون قال ابن عبد

البر : وعليه الاكثرون . ويروى هذا عن ابن عباس وابن عمر وجبير بن مطعم ، وهو

اختيار الزبير بن بكار وعمه مصعب الزبيرى وابن هشام . وقد ورد في حديث :

(قضاة بن معد) ولكنه لا يصح . قاله ابن عبد البر وغيره .

.

* (هاشم) * (1) صحيح البخارى ج 2 ص 133 . (2)
البخارى ومنهم أسلمهم . (*)

- 5 -

ويقال : إنهم لم (1) يزالوا في جاهليتهم و صدر من
الاسلام ينتسبون إلى عدنان ، فلما

كان في زمن خالد بن يزيد بن معاوية ، وكانو أخواله ،
انتسبوا إلى قحطان ، فقال في ذلك

أعشى بن ثعلبة في قصيدة له :

- أبلغ قضاة في القرطاس أنهم * لولا خلائف آل الله ما
عنقوا

قالت قضاة إنا من ذوى يمن * والله يعلم ما بروا ولا (2)
صدقوا

قد ادعوا والدا ما نال امهم * قد يعلمون ولكن ذلك الفرق
وقد ذكر ابو عمرو السهيلي أيضا من شعر العرب ما فيه
إبداع في تعبير (3) قضاة في

في انتسابهم إلى اليمن . والله أعلم .

والقول الثانى أنهم من قحطان ، وهو قول ابن إسحاق
والكلبي وطائفة من

أهل النسب .

قال ابن إسحاق : وهو قضاة بن مالك بن حمير بن سبأ
بن يشجب بن يعرب بن

قحطان . وقد قال بعض شعرائهم وهو عمرو بن مرة ،
صحابى له حديثان :

- يا أيها الداعى ادعنا وأبشر * وكن قضايا ولاتنزر

- نحن بنو الشيخ الهجان الازهر (4) * قضاة بن مالك بن
حمير -

- النسب المعروف غير المنكر * في الحجر المنقوش تحت المنبر

قال بعض أهل النسب : هو قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن حمير .

وقال ابن لهيعة : عن معروف بن سويد ، عن أبي عشابة (5) محمد بن موسى ، عن عقبة بن

عامر ، قال : قلت يا رسول الله أما نحن من معد ؟ قال لا . قلت : فمن نحن ؟ قال :

أنتم من قضاة بن مالك بن حمير .

* (هامش) * (1) في الاصل : لن ، وهو خطأ * (2) المطبوعة : وما * (3) المطبوعة : تفسير . وهو خطأ

(4) الهجان : الرجل الحسيب . والازهر : المشرق الوجه .

(5) كذا بالمطبوعة وفي المخطوطة :

مشابة ولا وجود لهما ولعله أبوعشانة حى بن يؤمن (*)

- 6 -

قال أبوعمر بن عبدالبر : ولايختلفون أن جهينة بن زيد بن أسود بن أسلم بن

عمران بن الحاف بن قضاة قبيلة عقبة بن عامر الجهنى ، فعلى هذا قضاة في اليمن في

حمير بن سبأ .

وقد جمع بعضهم بين هذين القولين بما ذكره الزبير بن بكار وغيره من أن قضاة

امرأة من جرهم تزوجها مالك بن حمير فولدت له قضاة ، ثم خلف عليها معد بن

عدنان ، وابنها صغير ، وزعم بعضهم أنه كان حملا فنسب إلى زوج أمه ، كما كانت عادة

كثير منهم ينسبون الرجل إلى زوج أمه (1) والله أعلم .
وقال محمد بن سلام البصرى النسابة : العرب ثلاثة جراثيم
: العدنانية و القحطانية

وقضاعة . قيل له : فأيهما أكثر العدنانية أو القحطانية ؟
فقال : ما شاءت قضاعة ، إن تيامنت

ف القحطانية أكثر وإن تعدنت ف العدنانية أكثر .

وهذا يدل على أنهم يتلونون في نسبهم ، فإن صح حديث
ابن لهيعة المتقدم فهو دليل

على أنهم من القحطانية والله أعلم . وقد قال الله تعالى
(يا أيها الناس إنا خلقناكم من

ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند
الله

أتقاكم (2) .

قال علماء النسب : يقال شعوب ، ثم قبائل ، ثم عمائر ،
ثم بطون ، ثم أفخاذ ، ثم

فصائل ، ثم عشائر ، والعشيرة أقرب الناس إلى الرجل
وليس بعدها شئ .

ولنبداً أولاً بذكر القحطانية ، ثم نذكر بعدهم عرب الحجاز
وهم العدنانية وما كان

من أمر الجاهلية ، ليكون ذلك متصلاً بسيرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم إن شاء الله

تعالى وبه الثقة .

* (هامش) * (1) قال الجوانى في كتابه أصول الاحساب
: (فجاءت بقضاعة على فراش مالك بن مرة ، فنسبته
العرب

إلى زوج أمه مالك بن مرة ، وهى عادة للعرب فيمن يولد على فراش زوج أمه . وقيل إن اسم الجرهمية .

قضاة ، فلما جاءت بولدها سمته باسمها ، وقيل : بل كان اسمه عمرا ، فلما تقض عن قومه أى بعد

سمى قضاة) (2) سورة الحجرات 13 . (*)

- 7 -

وقد قال البخارى (باب ذكر قحطان) حدثنا عبدالعزيز بن عبدالله ، حدثنا سليمان

ابن بلال ، عن ثور بن زيد ، عن أبى الغيث ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه

وسلم قال : (لاتقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه) (1)

وكذا رواه مسلم ، عن قتبية عن الدراوردى ، عن ثور بن زيد به .

قال السهيلي : وقحطان أول من قيل له (أبيت اللعن) وأول من قيل له

(أنعم صباحا) .

وقال الامام أحمد : حدثنا أبوالمغيرة ، عن جرير حدثنى راشد بن سعد المقرئى عن

أبى حى ، عن ذى فجر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (كان هذا الامر في حمير

فنزعه الله منهم فجعله في قريش) وسى ع ود إ ل
سى ه م) قال عبدالله : كان هذا في

كتاب أبى وحيث حدثنا به تكلم به على الاستواء ، يعنى :
(وسيعود إليهم) .

* (هامش) * (1) صحيح البخارى 135 / 2 (*)

- 8 -

قصة سبأ

قال الله تعالى (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن
يمين وشمال كلوا

من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور .
فاعرضوا فأرسلنا عليهم

سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خبط وأثل
وشئ من سدر

قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور .
وجعلنا بينهم وبين

القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير
سيروا فيها ليالى وأياما

آمنين . فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم
فجعلناهم أحاديث ومزقناهم

كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور . (1)

قال علماء النسب منهم محمد بن إسحاق : اسم سبأ عبد
شمس بن يشجب بن يعرب

ابن قحطان . قالوا : وكان أول من سبى من العرب
فسمى سبأ لذلك . وكان يقال له

الرائش ، لانه كان يعطى الناس الاموال من متاعه . قال
السهيلي : ويقال إنه أول من

تتوج . وذكر بعضهم أنه كان مسلما ، وكان له شعر بشر
فيه بوجود رسول الله صلى الله

عليه وسلم فمن ذلك قوله :

- سيملك بعدنا ملكا عظيما * نبى لايرخص في الحرام -

- ويملك بعده منهم ملوك * يدينون العباد بغير ذام
- ويملك بعدهم منا ملوك * يصير الملك فينا باقتسام
- ويملك بعد قحطان نبى * تقى ، مخبت (2) خيرا لانام -
- يسمى أحما يا ليت أنى * أعمر بعد مبعثه بعام
- * (هامش) * (1) سورة سبأ 15 - 19 * (2) الاصل :
- جيبه . وما أثبتته من التفسير . (*)

- 9 -

فأعضده وأحبوه بنصرى * بكل مدجج وبكل رامى
متى يظهر فكونوا ناصره * ومن يلقاه يبلغه سلامى
حكاه ابن دحية في كتابه (التنوير في مولد البشير النذير
(.

وقال الامام أحمد : حدثنا أبو عبدالرحمن ، حدثنا عبدالله
بن لهيعة ، عن عبدالله

- بن هبيرة السبائى عن عبدالرحمن بن وعلة قال (1) -
سمعت عبدالله بن عباس يقول :

إن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن سبأ ما هو
؟ أرجل أم امرأة أم أرض ؟ قال :

(بل هو رجل ولد عشرة ، فسكن اليمن منهم ستة ،
وبالشام منهم أربعة . فأما اليمانيون

فمدحج وكندة والازد والاشعريون وأثمار وحمير (عربا كلها
(2) - وأما الشامية فلخم

وجذام وعاملة وغسان (3) .

وقد ذكرنا في التفسير أن فروة بن مسيك الغطيفى هو
السائل عن ذلك ، كما استقصينا

طرق هذا الحديث وألفاظه هناك ولله الحمد .

والمقصود أن سبأ يجمع هذه القبائل كلها ، وقد كان فيهم
التبابعة بأرض اليمن واحدهم

تبع ، وكان لملوكهم تيجان يلبسونها وقت الحكم ، كما
كانت الاكاسرة ملوك الفرس

يفعلون ذلك ، وكانت العرب تسمى كل من ملك اليمن
مع الشحر وحضرموت تبعاً ،

كما يسمون من ملك الشام مع الجزيرة قيصر ، ومن
ملك الفرس كسرى ، ومن ملك

مصر فرعون ، ومن ملك الحبشة النجاشي ، ومن ملك
الهند بطليموس ، وقد كان من

جملة ملوك حمير بأرض اليمن بلقيس . وقد كانوا في
غبطة عظيمة وأرزاق دارة وثمار

وزروع كثيرة ، وكانوا مع ذلك على الاستقامة والسداد
وطريق الرشاد ، فلما بدلوا نعمة

الله كفروا أحلوا قومهم دار البوار .

* (هامش) * (1) سقط من المطبوعة ! وكان فيها :
حدثنا ابن لهيعة عن عبدالله بن دعلة . (2) من المسند *
(3) المسند حديث رقم 2900 (*)

- 10 -

قال محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه : أرسل الله
إليهم ثلاثة عشر نبيا . وزعم

السدي أنه أرسل إليهم اثني عشر ألف نبي ! فالله أعلم .

والمقصود أنهم عدلوا عن الهدى إلى الضلال وسجدوا
للشمس من دون الله وكان

ذلك في زمان بلقيس وقبلها أيضا ، واستمر ذلك فيهم
حتى أرسل الله عليهم سيل العرم

كما قال تعالى (فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم
وبدلناهم بجنّتهم جنّتين ذواتى

أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما
كفروا وهل نجازى

إلا الكفور) .

ذكر غير واحد من علماء السلف والخلف من المفسرين
وغيرهم أن سد مأرب كان صنعته

أن المياه تجرى من بين جبلين ، فعمدوا في قديم الزمان
فسدوا ما بينهما ببناء محكم جدا ،

حتى ارتفع الماء فحكم على أعالي الجبلين ، وغرسوا
فيهما البساتين والأشجار المثمرة الأنيقة ،

وزرعوا الزروع الكثيرة ، ويقال كان أول من بناه سبأ بن
يعرب وسلط إليه سبعين واديا

يفد إليه وجعل له ثلاثين فرضة يخرج منها الماء ، ومات
ولم يكمل بناؤه ، فكلمته حمير

بعده ، وكان اتساعه فرسخا في فرسخ ، وكانوا في غبطة
عظيمة وعيش رغيد وأيام طيبة ،

حتى ذكر قتادة وغيره أن المرأة كانت تمر بالمكتل على
رأسها فيمتلئ من الثمار مما يتساقط

فيه من نضجه وكثرته ، وذكروا أنه لم يكن في بلادهم
شئ من البراغيث ولا الدواب

المؤذية ، لصحة هوائهم وطيب فنائهم كما قال تعالى (لقد
كان لسبا في مسكنهم آية

جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم ، واشكروا له
بلدة طيبة ورب

غفور)

وكما قال تعالى : (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم
ولئن

كفرتم إن عذابي لشديد) .

فلما عبدوا غير الله وبطروا نعمته ، وسألوا بعد تقارب ما
بين قراهم وطيب ما بينها

من البساتين وأمن الطرقات ، سألوا أن يباعد بين
أسفارهم وأن يكون سفرهم في مشاق

- 11 -

وتعب ، وطلبوا أن يبدلوا بالخير شرا ، كما سأل بنو
إسرائيل بدل المن والسلوى

.....
- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 11 سطر 1 الى ص 20
سطر 22

وتعب ، وطلبوا أن يبدلوا بالخير شرا ، كما سأل بنو
إسرائيل بدل المن والسلوى

البقول والقثاء والفوم والعدس والبصل ، فسلبوا تلك
النعمة العظيمة والحسنة العميمة

بتخريب البلاد والشتات على وجوه العباد ، كما قال تعالى
(فأعرضوا فأرسلنا عليهم

سيل العرم) .

قال غير واحد : أرسل الله على أصل السد الفأر وهو
الجرذ ويقال له الخلد ، فلما فطنوا

لذلك أرسدوا عندها السنانير فلم تغن شيئا ، إذ قد حم
القدر ولم ينفع الحذر كلا لاوزر ،

فلما تحكم في أصله الفساد سقط وانهار ، فسلك الماء
القرار ، فقطعت تلك الجداول والانهار

وانقطعت تلك الثمار ، وبادت تلك الزروع والاشجار ،
وتبدلوا بعدها بردئ الاشجار

والاثمار ، كما قال العزيز الجبار (وبدلناهم بجنتيهم جنتين
ذواتى أكل خمط وأثل)

قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : هو الاراك وثمره
البربر ، وأثل وهو الطرفاء . وقيل

يشبهه ، وهو حطب لاثمرله (وشئ من سدر قليل) وذلك
لانه لما كان يثمر النبق

كان قليلا مع أنه ذو شوك كثير وثمره بالسنبه إليه ، كما
يقال في المثل : لحم جمل غث

على رأس جبل وعر ، لاسهل فيرتقى ولاسمين فينتقى .
ولهذا قال تعالى (ذلك جزيناهم

بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور) أى إنما نعاقب هذه
العقوبة الشديدة من كفر

بنا وكذب رسلنا وخالف أمرنا وانتهك محارمنا .

وقال تعالى : (فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق)
وذلك أنهم لما هلكت

أموالهم وخربت بلادهم احتاجوا أن يرحلوا منها وينتقلوا
عنها ، فتفرقوا في غور البلاد

ونجدها أيدى سبأ شذر مذر ، فنزلت طوائف منهم الحجاز
، ومنهم خزاعة ، نزلوا ظاهر

مكة ، وكان من أمرهم ما سنذكره ، ومنهم المدينة
المنورة اليوم ، فكانوا أول من

سكنها ، ثم نزلت عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع
وبنو قريظة و بنوالنضير ،

فحالفوا الاوس والخزرج وأقاموا عندهم ، وكان من أمرهم
ما سنذكره ، ونزلت طائفة

أخرى منهم الشام وهم الذين تنصروا فيما بعد ، وهم
غسان وعاملة وبهراء ولخم وجذام

وتنوخ وتغلب وغيرهم .

قال محمد بن إسحاق : حدثني أبو عبيدة قال : قال الاعشى
بن قيس بن ثعلبة ، وهو

ميمون بن قيس :

- وفى ذاك للمؤتسى أسوة * ومأرب (1) عفى عليها
العرم

رخام بنته لهم حمير * إذا جاء مواره (2) لم يرم

فأروى الزروع (3) وأعنابها * على سعة ماؤهم إذ قسم

فصاروا أيادي (4) لا يقدرون * على شرب طفل إذا مافطم

وقد ذكر محمد بن إسحاق في كتاب السيرة أن أول من
خرج من اليمن قبل سيل

العرم عمرو بن عامر اللخمى ، ولخم هو ابن عدى بن
الحارث بن مرة بن أدد (5) بن

زيد بن هميسع (6) بن عمرو بن عريب بن يشجب بن
زيد بن كهلان بن سبأ . ويقال

لخم بن عدى بن عمرو بن سبأ . قاله ابن هشام .

قال ابن إسحاق : وكان سبب خروجه من اليمن فميا
حدثني أبو زيد الانصارى ،

أنه رأى جرذا يحفر في سد مأرب الذى كان يحبس عليهم
الماء فيصرفونه حيث شاءوا

من أرضهم ، فعلم أنه لابقاء للسد على ذلك ، فاعتزم
على النقلة عن اليمن فكاد قومه ،

فأمر أصغر ولده إذا أغلظ عليه ولطمه أن يقوم إليه
فيلطمه ، ففعل ابنه ما أمره به ، فقال

عمرو : لأقيم ببلد لطم وجهي فيه أصغر ولدي . وعرض
أمواله . فقال أشرف من

* (هامش) * (1) المطبوعة : ومأرم . وهو خطأ * (2)
مواره : ماؤه الذي يضطرب ويتموج .

(3) المطبوعة : الزرع ، وهو خطأ * (4) ابن هشام : ما
يقدرون

(5) المطبوعة : أزد ، وهو تحريف * (6) المطبوعة : مع
، وهو تحريف . (*)

- 13 -

أشرف اليمن : اغتتموا غضبة عمرو فاشتروا منه أمواله .
وانتقل في ولده وولد ولده .

وقالت الازد لانتخلف عن عمرو بن عامر . فباعوا أموالهم
وخرجوا معه ، فساروا حتى

نزلوا بلاد عك مجتازين يرتادون البلدان ، فحاربتهم عك ،
فكانت حربهم سجالا ، ففى

ذلك قال عباس بن مرداس :

وعك بن عدنان الذين تلعبوا (1) * بغسان حتى طردوا
كل مطرد

قال : فارتحلوا عنهم فتفرقوا في البلاد ، فنزل آل جفنة
بن عمرو بن عامر الشام ،

ونزل الاوس والخزرج يثرب ، ونزلت خزاعة مرا (2) ،
ونزلت أزد السراة السراة ،

ونزلت أزد عمان عمان . ثم أرسل الله تعالى على السد
السييل فهدمه ، وفى ذلك أنزل الله

هذه الآيات . وقد روى عن السدى قريب من هذا .
وعن محمد بن إسحاق في روايته أن عمرو بن عامر كان
كاهنا . وقال غيره : كانت

امراته طريفة بنت الخير الحميرية كاهنة فأخبرت بقرب
هلاك بلادهم ، وكانهم رأوا شاهد

ذلك في الفأر الذى سلب على سدهم ففعلوا ما فعلوا
والله أعلم .

وقد ذكرت قصته مطولة عن عكرمة فيما رواه ابن أبى
حاتم في التفسير .

فصل :

وليس جميع سبأ خرجوا من اليمن لما أصيبوا بسيل العرم
، بل أقام أكثرهم بها ،

وذهب أهل مأرب الذين كان لهم السد فتفرقوا في البلاد
، وهو مقتضى الحديث المتقدم

عن ابن عباس أن جميع قبائل سبأ لم يخرجوا من اليمن
، بل إنما تشاءم ومنهم أربعة وبقى

* (هامش) * (1) في أصول الاحساب للجوانى ص 111 :
تلقبوا

(2) هو الذى يعرف بمر الظهران ، على مرحلة من مكة
(*) .

- 14 -

باليمن ستة ، وهم مذحج وكندة وأنمار والاشعريون . وأنمار
هو أبوختعم وبجيلة

وحمير ، فهؤلاء ست قبائل من سبأ أقاموا باليمن ،
واستمر فيهم الملك والتبابعة ، حتى سلبهم

ذلك ملك الحبشة بالجيش الذي بعثه صحبة أميره أبرهة وأرباط نحو من سبعين سنة ،

ثم استرجعه سيف بن ذى يزن الحميرى ، وكان ذلك قبل مولد رسول الله صلى الله عليه

وسلم بقليل ، كما سنذكره مفصلا قريبا إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان .

ثم أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل اليمن عليا وخالد بن الوليد ، ثم

أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل ، وكانوا يدعون إلى الله تعالى ويبينون لهم الحجج ، ثم

تغلب على اليمن الأسود العنسى وأخرج نواب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ، فلما

قتل الأسود استقرت اليد الإسلامية عليها في أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

قصة ربيعة بن نصر بن أبى حارثة بن عمرو بن عامر

المتقدم ذكره اللخمي . كذا ذكره ابن اسحاق . وقال السهيلي : ونساب اليمن

تقول : نصر بن ربيعة (1) . وهو ربيعة بن نصر بن الحارث بن نمارة بن لخم . وقال الزبير

ابن بكار : ربيعة بن نصر بن مالك بن شعوذ بن ملك بن عجم بن عمرو بن نمارة بن لخم .

ولخم أخو جذام ، وسمى لخما لانه لخم أخاه على خده أى لطمه فعضه الآخر في يده

فجذمها ، فسمى جذاما .

وكان ربيعة أحد ملوك حمير التابعة وخبره (2) مع شق وسطيح الكاهنين وإنذارهما

بوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أما سطيح فاسمه ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن
ذئب بن عدى بن مازن

* (هامش) * (1) الذى فى السهلى : وبعضهم يقول فىه
نصر بن ربيعة وهو فى قول نساب اليمن ربيعة بن نصر

(1) عطفا على قوله : قصة ربيعة . (*)

- 15 -

غسان . وأما شق فهو ابن صعب بن يشكر بن رهم بن
أفرك بن قيس (1) بن عبقر

ابن أنمار بن نزار . ومنهم من يقول أنمار بن إراش بن
لحيان بن عمرو بن الغوث بن

نابت (2) بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ . ويقال إن
سطيحا كان لا أعضاء له ،

وإنما كان مثل السطيحة ، ووجهه فى صدره ، وكان إذا
غضب انتفخ وجلس . وكان شق

نصف إنسان ، ويقال إن خالد بن عبدالله القسرى كان
من سلالة . وذكر السهلى

أنهما ولدا فى يوم واحد ، وكان ذلك يوم ماتت طريفة
بنت الخير الحميرية ،

ويقال إنها تفلت فى فم كل منهما فورث الكهنة عنها ،
وهى امرأة عمرو بن عامر

المتقدم ذكره . والله أعلم .

قال محمد بن إسحاق : وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن
بين أضعاف ملوك التبابعة ،

فرأى رؤيا هالته وفضع بها (3) ، فلم يدع كاهنا ولا ساحرا
ولاعائفا ولا منجما من

أهل مملكته إلا جمعه إليه ، فقال لهم : إني قد رأيت رؤيا هالتي وفضعت بها ، فأخبروني

بها وتأويلها . فقالوا : اقصصها علينا نخبرك بتأويلها . فقال : إني إن أخبرتكم بها لم

أطمئن إلى خبركم بتأويلها ، لانه لايعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها . فقال

له رجل منهم : فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى شق وسطيح ، فإنه ليس أحد أعلم

منهما ، فهما يخبرانه بما سأل عنه .

فبعث إليهما ، فقدم إليه سطيح قبل شق ، فقال له :

وفضعت بها ، فأخبرني بها ، فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها . فقال أفعل . رأيت * (هامش) * (1) في ا : قسر .

(2) وتروى : نبت ، كما في الاشتقاق لابن دريد

(3) فضع بها : اشتدت عليه . (*)

- 16 -

جممة (1) خرجت من ظلمة ، فوقعت بأرض تهمة (2) فأكلت منها كل ذات جمجمة .

فقال له الملك : ما أخطأت منها شيئاً يا سطيح ، فما عندك في تأويلها ؟ قال : أحلف بما بين

الحرطين من حنش ، لتهبطن أرضكم الحبش ، فليملكن ما بين أبيين إلى جرش (3) فقال

له الملك : يا سطيح إن هذا لنا لغائظ موجه ، فمتى هو كائن أفى زمانى أم بعده ؟ فقال :

لا وأبيك بل بعده بحين ، أكثر من ستين أو سبعين ، يمضين من السنين . قال : أفيدوم

ذلك من سلطانهم أم ينقطع ؟ قال بل ينقطع لبضع
وسبعين من السنين ، ثم يقتلون

ويخرجون منها هارين . قال ومن يلي ذلك من قتلهم
وإخراجهم ؟ قال يليه (4) أرم

ذى يزن (5) يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك منهم أحدا
باليمن . قال : أفيدوم ذلك

من سلطانه أم ينقطع ؟ قال بل ينقطع . قال ومن يقطعه
؟ قال : نبي زكى ، يأتيه الوحي

من قبل العلى . قال وممن هذا النبي ؟ قال رجل من
ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر

يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر . قال وهل للدهر
من آخر ؟ قال : نعم يوم يجمع

فيه الاولون والآخرين ، يسعد فيه المحسنون ويشقى فيه
المسيئون . قال أحق ما تخبرنى ؟

قال : نعم ، والشفق والغسق ، والفلق إذا اتسق ، إن ما
أنباتك به لحق .

قال : ثم قدم عليه شق فقال له كقوله لسطيح وكتمه ما
قال سطيح ، لينظر أيتفان أم

يختلفان . قال : نعم رأيت حممة خرجت من ظلمة ،
فوقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت

منها كل ذات نسمة . فلما قال له ذلك عرف أنهما قد
اتفقا وأن قولهما واحد ، إلا أن سطيحا

قال (وقعت بأرض تهمة فأكلت منها كل ذات جمجمة)
وقال شق : (وقعت بين روضة

وأكمة فأكلت منها كل ذات نسمة) فقال له الملك ما
أخطأت ياشق منها شيئا ، فما عندك

- * (هامش) * (1) الحممة : قطعة النار .
 (2) همية : منخفضة ومنه سميت تهامة .
 (3) أبين وجرش : مخلافان من مخاليف اليمن .
 (4) المطبوعة : يليهم وهو خطأ .
 (5) إنما قال : ارم ذى يزن ، واسمه سيف ، لانه شبهه
 بعد ارم في عظم الخلق والقوة . (*)

- 17 -

- في تأويلها ؟ فقال : أحلف بما بين الحرتين من إنسان ،
 لينزلن أرضكم السودان ، فليغلبن
 على كل طفلة البنان ، وليملكن ما بين أبين إلى نجران .
 فقال له الملك : وأبيك يا شق
 إن هذا لنا لغائظ موجه ، فمتى هو كائن أفى زمانى أم
 بعده ؟ قال : لا بل بعده بزمان ،
 ثم يستنقذكم منهم عظيم ذوشان ، ويذيقهم أشد الهوان .
 قال : ومن هذا العظيم الشان ؟
 قال غلام ليس بدنى ولا مدن (1) يخرج عليهم من بيت
 ذى يزن . قال أفيدوم سلطانه
 أم ينقطع قال : بل ينقطع برسول مرسل ، يأتى بالحق
 والعدل ، من أهل الدين والفضل ،
 يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل . قال وما يوم
 الفصل ؟ قال : يوم يجزى فيه الولاة ،
 يدعى فيه من السماء بدعوات تسمع منها الاحياء والاموات ،
 ويجمع الناس فيه للميقات ،
 يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات . قال أحق ما تقول
 ؟ قال إى ورب السماء والارض ،

وما بينهما من رفع وخفض ، إن ما أنبأتك به لحق ما فيه
أمض . (2)

قال ابن إسحاق : فوقع في نفس ربيعة بن نصر ما قالا ،
فجهز بنيه وأهل

بيته إلى العراق ، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس
يقال له سابور بن خرزاد

فأسكنهم الحيرة .

قال ابن إسحاق : فمن بقية ولد ربيعة بن نصر : النعمان
بن المنذر ، بن النعمان بن

المنذر ، بن عمرو بن عدي ، بن ربيعة بن نصر ، يعنى
الذى كان نائبا على الحيرة لملوك

الاكاسرة ، وكانت العرب تفد إليه وتمتدحه . وهذا الذى
قاله محمد بن إسحاق من أن

النعمان بن المنذر من سلالة ربيعة بن نصر قاله أكثر
الناس .

وقد روى ابن إسحاق أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
لما جئ بسيف النعمان

بن المنذر سأل جبير بن مطعم عنه ممن كان ؟ فقال
من أشلاء (3) قنص بن معد بن

عدنان . قال ابن إسحاق : فالله أعلم أى ذلك كان .

* (هامش) * المدن : المقصر في الامور * (2) الامض :
الشك ، بلسان حمير

(3) الاشلاء : البقايا (2 - السيرة - 1) (*)

- 18 -

قصة تبع أبى كرب تبان أسعد ، ملك اليمن مع أهل
المدينة

وكيف أراد غزو البيت الحرام ، ثم شرفه وعظمه وكساه
الحلل

فكان أول من كساه

قال ابن إسحاق . فلما هلك ربيعة بن نصر رجع ملك
اليمن كله إلى حسان بن

تبان أسعد أبي كرب . وتبان أسعد هو تبع الآخر ابن كلكى
كرب (1) بن زيد ،

وزيد تبع الاول بن عمرو ذى الازعار ، بن أبرهة ذى
المنار ، بن الرائش (2) ، بن

عدى ، بن صيفى ، بن سبأ الاصغر ، بن كعب كهف
الظلم ، بن زيد ، بن سهل ، بن

عمر و ، بن قيس (3) ، بن معاوية ، بن جشم ، بن
عبد شمس ، بن وائل ، بن الغوث ،

ابن قطن ، بن عريب ، بن زهير بن أيمن (4) بن
الهميسع بن العرنجج (5) والعرنجج

هو حمير بن سبأ الاكبر ، بن يعرب بن يشجب بن قحطان

قال عبد الملك ك بن هشام : سبأ بن يشجب بن يعرب
بن قحطان (6)

قال ابن إسحاق : وتبان أسعد أبوكرب هو الذى قدم
المدينة وساق الحبرين من

يهود إلى اليمن ، وعمر البيت الحرام وكساه ، وكان ملكه
قبل ملك ربيعة بن نصر ،

وكان قد جعل طريقة حين رجع من غزوة بلاد المشرق (7)
على المدينة ، وكان قد مر بها

في بدأته فلم يهج أهلها وخلف بين أظهرهم ابنا له فقتل
غيلة ، فقدمها وهو مجمع لآخراها

* (هامش) * (1) كذا في الروض الانف ، وفى ابن هشام : كلى كرب .

(2) ويقال الريش ، كما في ابن هشام

(3) الاصل : (قس) وهو خطأ .

(4) الاصل : أنس والتصويب من ابن هشام 20 / 1

(5) المطبوعة : العريج وهو خطأ . وليست النون في العرنج زائدة ، وهو من قولهم اعرنج الرجل في أمره : إذا جد فيه ، كأنه افعلل . الاشتقاق 362 . (6) الذى في ابن هشام : يشجب بن يعرب .

بدون ذكر سبأ . (7) ابن هشام : حين أقبل من المشرق (*) .

- 19 -

واستئصال اهلها وقطع نخلها ، فجمع له هذا الحى من الانصار ورئيسهم عمرو بن

طلحة (1) أخو بنى النجار ثم أحد بنى عمرو بن مبدول ، واسم مبدول عامر بن مالك

ابن النجار ، واسم النجار تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن

عمرو بن عامر .

وقال ابن هشام : عمرو بن طلحة (1) هو عمرو بن معاوية بن عمرو بن عامر بن مالك بن

النجار ، وطلحة أمه ، وهى بنت عامر بن زريق الخزرجية .

قال ابن اسحاق : وقد كان رجل من بنى عدى بن النجار ، يقال له أحمر ، عدا على

رجل من أصحاب تبع وجده يجد عذقا له فضربه بمنجله فقتله وقال : إنما التمر لمن أبره .

فزاد ذلك تبعا حنقا عليهم فاقتتلوا .

فتزعم الانصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل ،
فيعجبه ذلك منهم

ويقول : والله إن قومنا لكرام !

وحكى ابن اسحاق عن الانصار أن تبعا إنما كان حنقه على
اليهود وأنهم (2)

منعوهم منه .

قال السهيلي : ويقال إنه إنما جاء لنصرة الانصار أبناء عمه
على اليهود الذين نزلوا

عندهم في المدينة على شروط فلم يفوا بها واستطالوا
عليهم . والله أعلم .

قال ابن اسحاق : فبينما تبع على ذلك من قتالهم إذا جاءه
حبران من أحبار اليهود

من بنى قريظة عالمان راسخان ، حين سمعا بما يريد من
إهلاك المدينة وأهلها ، فقالا (3)

له : أيها الملك لاتفعل فإنك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك
وبينها ولم نأمن عليك

* (هامش) * (1) الاصل : طلحة وهو خطأ

(2) المطبوعة أنهم .

(3) المطبوعة : فقالوا . (*)

- 20 -

عاجل (1) العقوبة . فقال لهما ولم ذلك ؟ قالا هي
مهاجر نبي يخرج من هذا الحرم من

قريش في آخر الزمان ، تكون داره وقراره .

فتناهى - عن ذلك - ورأى أن لهما علما وأعجبه ما سمع
منهما ، فانصرف عن المدينة

واتبعهما على دينهما .

قال ابن اسحاق : وكان تبع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها ،
فتوجه إلى مكة وهى

طريقه إلى اليمن ، حتى إذا كان بين عسفان وأمج (2)
أتاه نفر من هذيل بن مدركة بن

الپاس بن مضر بن نزار ضبن معد بن عدنان ، فقالوا له
: أيها الملك ، ألا ندلك على بيت

مال دائر أغفلته الملوك قبلك ، فيه اللؤلؤ والزبرجد
والياقوت والذهب والفضة ؟ قال : بلى .

قالوا : بيت بمكة يعبده أهله ويصلون عنده .

وإنما أراد الهذليون هلاكه بذلك لما عرفوا من هلاك من
أراده من الملوك

وبغى عنده

فلما أجمع لما قالوا أرسل إلى الحبرين فسألهما عن ذلك
، فقالا له : ما أراد القوم

إلا هلاك وهلاك جندك ، ما نعلم بيتا لله عزوجل اتخذه في
الأرض لنفسه غيره ، ولئن

فعلت ما دعوك إليه لتهلكن وليهلكن من معك جميعا . قال
: فماذا تأمراننى أن أصنع إذا

أنا قدمت عليه قالا : تصنع عنده ما يصنع أهله ، تطوف
به وتعظمه وتكرمه ، وتحلق

رأسك عنده وتذلل له حتى تخرج من عنده . قال فما
يمنعكما أنتما من ذلك ؟ قالا : أما والله

إنه لبيت أبينا إبراهيم عليه السلام ، وإنه لكما أخبرناك ،
ولكن أهله حالوا بيننا

وبينه بالاوثنان التى . نصبوها حوله وبالدماء التى يهريقون
عنده ، وهم نجس أهل شرك .

أو كما قال له .

* (هامش) * (1) المطبوعة : جل ، وهو تحريف

(2) عسفان : منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة
. وأمج : بلد من أعواض المدينة (*)

- 21 -

فعرف نصحهما وصدق حديثهما ، وقرب (1) النفر من
هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم ،

.....

- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 21 سطر 1 الى ص 30
سطر 22

فعرف نصحهما وصدق حديثهما ، وقرب (1) النفر من
هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم ،

ثم مضى حتى قدم مكة ، فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق
رأسه ، وأقام بمكة ستة أيام

فيما يذكرون ينحر بها للناس ويطعم أهلها ويسقيهم العسل
، وارى في المنام أن يكسو

البيت ، فكساه الخصف (2) ، ثم أرى في المنام أن
يكسوه أحسن من ذلك فكساه

المعافر (3) ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه
الملاء والوصائل (4) ، فكان

تبع فيما يزعمون أول من كسا البيت ، وأوصى به ولاته من
جرهم وأمرهم بتطهيره وأن

لايقربوه دما ولاميته ولامثلاة وهى المحايض ، وجعل له بابا ومفتاحا .

ففى ذلك قالت سبيعة بنت الاحب تذكرابنها خالد بن عبد مناف بن كعب

بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب وتنهاه عن البغى بمكة وتذكر له

ما كان من أمر تبع فيها :

- أبنى لاتظلم بمك * كة لا الصغير ولا الكبير

واحفظ محارمها بنى ولايغرنك الغرور

أبنى من يظلم بمك * كة يلق أطراف الشرور

أبنى يضرب وجهه * ويلح بخديه السعير

أبنى قد جربتها * فوجدت ظالمها يبور

الله آمنها وما * بنيت بعرضتها قصور

والله آمن طيرها * والعصم تأمن في ثبير

ولقد غزاها تبع * فكسا بنيتها الحبير

* (هامش) * (1) ابن هشام : فقرب * (2) الخصف : حصر تنسج من خوص النخل ومن الليف .

(3) المعافر : ثياب تنسب إلى قبيلة من اليمن .

(4) الملاء : جمع ملاءة ، والوصائل : ثياب مخططة يمنية يوصل بعضها ببعض . (*)

- 22 -

وأذل ربي ملكه * فيها فأوفى بالندور

يمشى إليها حافيا * بفنائها ألفا بعير

ويظل يطعم أهلها * لحم المهاري والجزور
يسقيهم العسل المصف * في والرحيض من الشعير
والفيل أهلك جيشه * يرمون فيها بالصخور
والملك في أقصى البلا * د وفي الاعاجم والخزير (1)
فاسمع إذا حدثت واف * هم كيف عاقبة الامور
قال ابن إسحاق : ثم خرج تبع متوجها إلى اليمن بمن معه
من الجنود وبالخبيرين ،
حتى إذا دخل اليمن دعاقومه إلى الدخول فيما دخل فيه ،
فأبوا عليه حتى يحاكموه إلى
النار التي كانت باليمن .
قال ابن اسحاق : حدثني أبو مالك بن ثعلبة بن أبي مالك
القرظي ، قال : سمعت
إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله يحدث أن تبعا
لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير
بينه وبين ذلك ، وقالوا : لاتدخلها علينا وقد فارقت ديننا .
فدعاهم إلى دينه وقال إنه خير
من دينكم . قالوا : تحاكمنا (2) إلى النار ؟ قال : نعم .
قال : وكانت باليمن ، فيما يزعم أهل اليمن ، نار تحكم
بينهم فيما يختلفون فيه ، تأخذ
الظالم ولا تضر المظلوم ، فخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون
به في دينهم ، وخرج الخبران
بمصاحفهما في أعناقهما متقلديها ، حتى قعدوا للنار عند
مخرجها الذي تخرج منه ، فخرجت
النار إليهم فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها فذمرهم
(3) من حضرهم من الناس

* (هامش) * (1) الخزير : أمة من العجم ، ويقال لهم الخزر أيضا . وفى المطبوعة : الخزور وهو تحريف .

(2) ابن هشام : فحاكنا * (3) ذمرهم : حضهم . وفى المطبوعة : فزجرهم . (*)

- 23 -

وأمرهم بالصبر لها ، فصبروا حتى غشيتهم فأكلت الاوثان وما قربوا معها ومن حمل

ذلك من رجال حمير ، وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما تعرق جباههما ولم تضرهما

فأصفت (1) عند ذلك حمير على دينهما ، فمن هنالك كان أصل اليهودية باليمن .

قال ابن اسحاق : وقد حدثني محدث أن الحبرين ومن خرج من حمير إنما اتبعوا

النار ليردوها ، وقالوا : من ردها فهو أولى بالحق . فدنا منها رجال حمير بأوثانهم

ليردوها فدنت منهم لتأكلهم فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردها ، فدنا منها الحبران بعد

ذلك وجعلا يتلوان التوراة وهى تنكص (2) عنهما حتى رداها إلى مخرجها الذى خرجت

منه ، فأصفت عند ذلك حمير على دينهما . والله أعلم أى ذلك كان .

قال ابن اسحاق : وكان رثام بيتا لهم يعظمونه وينحرون عنده ويكلمون منه إذ

كانوا على شركهم ، فقال الحبران لتبع : إنما هو شيطان يفتنهم بذلك ، فحل بيننا وبينه .

قال . فشأنكما به . فاستخرجا منه فيما يزعم أهل اليمن كلبا أسود فذبناه ، ثم هدمنا ذلك

البيت ، فبقياه اليوم - كما ذكر لى - بها آثار الدماء التى كانت تهراق عليه .

وقد ذكرنا في التفسير الحديث الذى ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم (لاتسبوا

تبعاً فإنه قد كان أسلم) قال السهيلي : وروى معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لاتسبوا أسعد الحميرى فإنه أول من كسى الكعبة) .

قال السهيلي : وقد قال تبع حين أخبره الخبران عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم شعرا :

- شهدت على أحمد أنه * رسول من الله بارى النسم

* (هامش) * (1) أصفقت : اجتمعت . (2) المطبوعة : تنقص ، وهو تحريف . (*)

- 24 -

فلو مد عمرى إلى عمره * لكنك وزيراً له وابن عم

وجاهدت بالسيف أعداءه * وفرجت عن صدره كل هم

قال : ولم يزل هذا الشعر تتوارثه الانصار ويحفظونه بينهم ، وكان عند أبى أيوب

الانصارى رضى الله عنه وأرضاه

قال السهيلي : وذكر ابن أبى الدنيا في كتاب القبور أن قبراً حفر بصنعاء ، فوجد

فيه امرأتان معهما لوح من فضة مكتوب بالذهب وفيه : هذا قبر لميس وحبى ابنتى

تبع ، ماتتا وهما تشهدان أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له ، وعلى ذلك مات

الصالحون قبلهما .

ثم صار الملك فيما بعد إلى حسان بن تبان أسعد ، وهو
أخو الإمامة الزرقاء التي صلبت

على باب مدينة (جو) فسميت من يومئذ الإمامة .

قال ابن إسحاق : فلما ملك ابنه حسان بن أبي كرب تبان
أسعد ، سار بأهل اليمن

يريد أن يطأهم أرض العرب وأرض الاعاجم ، حتى إذا
كانوا ببعض أرض العراق

كرهت حمير وقبائل اليمن السير معه وأرادوا الرجعة إلى
بلادهم وأهلهم ، فكلموا أبا

له يقال له عمرو ، وكان معه في جيشه ، فقالوا له :
اقتل أخاك حسان ونملكك علينا وترجع

بنا إلى بلادنا . فأجابهم ، فاجتمعوا على ذلك إلا ذارعين
الحميري ، فإنه نهى عمرا

عن ذلك فلم يقبل منه ، فكتب ذو رعين رقعة فيها هذان
البيتان :

ألا من يشتري سهرا بنوم * سعيد من بيت قرير عين

فإما حمير غدرت وخانت (1) فمعدرة الاله لذى رعين

* (هامش) * (1) رواية البيت في الاشتقاق 225 : * فإن
تلك حمير غدرت وخانت (*)

- 25 -

ثم استودعها عمرا . فلما قتل عمرو أخاه حسان ورجع
إلى اليمن منع منه النوم وسلط

عليه السهر ، فسأل الاطباء والحزاة (1) من الكهان
والعرافين عما به ، ف قيل له : إنه والله

ما قتل رجل أخاه قط أو ذارحم بغيا إلا ذهب نومه وسلط
عليه السهر . فعند ذلك جعل

يقتل كل من أمره بقتل أخيه ، فلما خلص إلى ذى رعين
قال له : إن لى عندك براءة .

قال وما هى ؟ قال : الكتاب الذى دفعته إليك . فأخرجه
فإذا فيه البيتان فتركه ورأى أنه

قد نصحه .

وهلك عمرو فمرج أمر حمير عند ذلك وتفرقوا .

وثوب لخنيسة ذى شناتر على ملك اليمن

وقد ملكها سبعا وعشرين سنة .

قال ابن إسحاق : فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن
من بيوت الملك (2) يقال له

لخنيسة (3) ينوف ذو شناتر ، فقتل خيارهم وعبث بيوت
أهل المملكة منهم ، وكان مع

ذلك امرا فاسقا يعمل عمل قوم لوط ، فكان يرسل إلى
الغلام من أبناء الملوك فيقع عليه

في مشربة (4) له قد صنعها لذلك ، لئلا يملك بعد ذلك
، ثم يطلع من مشربته تلك إلى حرسه

ومن حضر من جنده قد أخذ مسواكا فجعله في فيه ،
ليعلمهم أنه قد فرغ منه .

حتى بعث إلى زرعة ذى نواس بن تبان أسعد أخى حسان
، وكان صبيا صغيرا حين

قتل أخوه حسان ، ثم شب غلاما جميلا وسيما ذاهيئة
وعقل ، فلما أتاه رسوله عرف ما يريد

منه ، فأخذ سكيناً حديداً لطيفاً فخبأه بين قدميه ونعله ،
ثم أتاه فلما خلا معه وثب إليه

فواثبه ذو نواس فوجأه حتى قتله ، ثم حز رأسه فوضعه
في الكوة التي كان يشرف منها ،

* (هامش) * (1) الحزاة : جمع حاز وهو الذي ينظر في
النجوم ويقضى بها . وفى المطبوعة : الحذاق .

(2) ابن هشام : المملكة .

(3) قال ابن دريد : المعروف فيه لخبيعة بغير نون ، وهو
مشتق من اللخع

وهو استرخاء اللحم - الاشتقاق (4) المشربة : الغرفة
المرتفعة . (*)

- 26 -

ووضع مسواكه في فيه ثم خرج على الناس ، فقالوا له :
ذا نواس أرطب أم يباس ؟ فقال

سل ؟ نخماس استرطبان لابس (1) فنظروا إلى الكوة
فإذا رأس لخبيعة مقطوع ، فخرجوا

في أثر ذي نواس حتى أدركوه ، فقالوا : ما ينبغي أن
يملكنا غيرك إذ أرحتنا من

هذا الخبيث .

فملكوه عليهم ، واجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن ، فكان
آخر ملوك حمير ،

وتسمى يوسف ، فأقام في ملكه زماناً ، وبنجران بقايا
من أهل دين عيسى بن مريم عليه

السلام على الانجيل ، أهل فضل واستقامة من أهل دينهم
، لهم رأس يقال له عبدالله

ابن الثامر .

ثم ذكر ابن إسحاق سبب دخول أهل نجران في دين
النصارى ، وأن ذلك كان على

يدى رجل يقال له فيميون ، كان من عباد النصارى
بأطراف الشام ، وكان مجاب

الدعوة ، وصحبه رجل يقال له صالح ، فكانا يتعبدان يوم
الاحد ويعمل فيميون بقية

الجمعة في البناء ، وكان يدعو للمرضى والزمنى وأهل
العاهات فيشفون ، ثم استأسره

وصاحبه بعض الاعراب فباعوهما بنجران ، فكان الذى
اشترى فيميون يراه إذا قام في

مصلاه بالبيت الذى هو فيه في الليل يمتلئ عليه البيت
نورا ، فأعجبه ذلك من أمره .

وكان أهل نجران يعبدون نخلة طويلة يعلقون عليها حلى
نسائهم ويعكفون عندها ،

فقال فيميون لسيدته : رأيت إن دعوت الله على هذه
الشجرة فهلكت أتعلمون أن الذى

أنتم عليه باطل ؟ قال : نعم . فجمع له أهل نجران ،
وقام فيميون إلى مصلاه فدعا الله عليها ،

فأرسل الله عليها قاصفا فجعفها (2) من أصلها ورمأها
إلى الارض ، فاتبعه أهل نجران على

* (هامش) * (1) نخماس الرأس بلغة حمير . ومعنى
استرطبان : أخذته النار ، وهى كلمة فارسية .

(2) جعفها : اقتلعها . (*)

دين النصرانية ، وحملهم على شريعة الانجيل حتى حدثت
فيهم الاحداث التى دخلت على

أهل دينهم بكل أرض .

فمن هنالك كانت النصرانية بنجران من أرض العرب .

ثم ذكر ابن إسحاق قصة عبدالله بن الثامر حين تنصر على يدى فيميون ، وكيف

قتله وأصحابه ذو نواس وخذلهم الاخدود . قال ابن هشام : وهو الحفر المستطيل في الارض

مثل الخندق . وأجج فيه النار وحرقهم بها ، وقتل آخرين حتى قتل قريبا من عشرين ألفا .

كما هو مستقصى في تفسير سورة (والسماء ذات البروج) من كتابنا التفسير ولله الحمد .

ذكر خروج الملك باليمن من حمير

وصيرورته إلى الحبشة السودان

كما أخبر بذلك شق وسطيح الكاهنان . وذلك أنه لم ينج من أهل نجران إلا رجل

واحد يقال له دوس ذو ثعلبان على فرس له ، فسلك ؟ الرمل فأعجزهم ، فمضى على وجهه ذلك

حتى أتى قيصر ملك الروم ، فاستنصره على ذى نواس وجنوده ، وأخبره بما بلغ منهم ،

وذلك لانه نصرانى على دينهم . فقال له بعدت بلادك منا ، ولكن سأكتب لك إلى

ملك الحبشة ، فإنه على هذا الدين وهو أقرب إلى بلادك . فكتب إليه يأمره بنصره

والطلب بثأره .

فقدم دوس على النجاشى بكتاب قيصر ، فبعث معه سبعين ألفا من الحبشة وأمر

عليهم رجلا منهم يقال له أرباط ، ومعه في جنده أبرهة
الاشرم ، فركب أرباط البحر حتى

نزل بساحل اليمن ومعه دوس ، وسار إليه ذو نواس في
حمير ومن أطاعه من قبائل اليمن .

- 28 -

فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه ، فلما رأى ذو نواس
ما نزل به وبقومه وجه فرسه في

البحر ثم ضربه فدخل فيه فخاض به ضحضاح البحر حتى
أفضى به إلى غمره . فأدخله فيها ،

فكان آخر العهد به ، ودخل أرباط اليمن وملكها .

وقد ذكر ابن إسحاق ها هنا أشعارا للعرب فيما وقع من
هذه الكائنة الغريبة ، وفيها

فصاحة وحلاوة وبلاغة وطلاوة ، ولكن تركنا إيرادها خشية
الاطالة وخوف الملالة .

والله المستعان .

ذكر خروج ابرهة الاشرم على أرباط واختلافهما و اقتتالهما
وصيرورة ملك اليمن إلى أبرهة بعد قتله أرباط

قال ابن إسحاق : فأقام أرباط بأرض اليمن سنين في
سلطانه ذلك ، ثم نازعه أبرهة

حتى تفرقت الحبشة عليهما ، فانحاز إلى كل منهما طائفة
، ثم سار أحدهما إلى الآخر ، فلما

تقارب الناس أرسل أبرهة إلى أرباط : إنك لن تصنع بأن
تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى

تفنيها شيئا ، فابرزلى وأبرزلك ، فأينا أصاب صاحبه
انصرف إليه جنده ، فأرسل إليه

أرباط : أنصفت .

فخرج إليه أبرهة ، وكان رجلا قصيرا لحيما ، وكان ذا دين
في النصرانية ، وخرج إليه
أرباط وكان رجلا جميلا عظيما طويلا ، وفى يده حربة له
، وخلف أبرهة غلام يقال له
عتودة يمنع ظهره ، فرقع أرباط الحربة فضرب أبرهة يريد
يافوخه ، فوقعت الحربة على
جبهة أبرهة فشرمت حاجبه وعينه وأنفه وشفته ، فبذلك
سمى أبرهة الاشرم ، وحمل
عتودة على أرباط من خلف أبرهة فقتله ، وانصرف جند
أرباط إلى أبرهة ، فاجتمعت
عليه الحبشة باليمن ، وودى أبرهة أرباط .

- 29 -

فلما بلغ ذلك النجاشى ملك الحبشة الذى بعثهم إلى اليمن
غضب غضبا شديدا على
أبرهة ، وقال : عدا على أميرى فقتله بغير أمرى ! ثم
حلف لا يدع أبرهة حتى يطأ
بلاده ويجز ناصيته .
فحلق أبرهة رأسه ، وملا جرابا من تراب اليمن ، ثم بعث
به إلى النجاشى ثم كتب
إليه : أيها الملك ، إنما كان أرباط عبدك ، وأنا عبدك ،
فاختلفنا في أمرك ، وكل طاعته
لك ، إلا أنى كنت أقوى على أمر الحبشة وأضبط لها
وأسوس منه ، وقد حلقت رأسى
كله حين بلغنى قسم الملك ، وبعثت إليه بجراب تراب من
أرضى ليضعه تحت قدمه
فيبر ؟ قسمه في .

فلما انتهى ذلك إلى النجاشي رضى عنه وكتب إليه أن
اثبت براض اليمن حتى يأتيك
أمرى . فاقام أبرهة باليمن .

ذكر سبب قصد أبرهة بالفيل مكة ليخرب الكعبة
فأهلكه الله عاجلا غير آجل

كما قال الله تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل
. ألم يجعل كيدهم

في تضليل . وأرسل عليهم طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة
من سجيل ، فجعلهم كعصف
مأكول) .

قيل : أول من ذلل الفيلة إفريدون بن أثفيان الذى قتل
الضحاك . قاله الطبرى . وهو

أول من اتخذ للخيل السرج . وأما أول من سخر الخيل
وركبها فطهمورث ، وهو الملك

الثالث من ملوك الدنيا ، ويقال إن أول من ركبها
إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ،

ويحتمل أنه أول من ركبها من العرب . والله تعالى أعلم .

- 30 -

ويقال إن الفيل مع عظمة خلقه يفرق من الهر ، وقد
احتال بعض أمراء الحروب

في قتال الهنود بإحضار سنانير إلى حومة الوغى فنفرت
الفيلة .

قال ابن إسحاق : ثم إن أبرهة بنى القليس بصنعاء ،
كنيسة لم ير مثلها في زمانها

بشيء من الارض ، وكتب إلى النجاشي : إني قد بنيت لك
كنيسة لم يبن مثلها لملك

كان قبلك ، ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب .

فذكر السهيلي أن أبرهة استذل أهل اليمن في بناء هذه
الكنيسة الخسيصة ، وسخرهم

فيها أنواعا من السخر ، وكان من تأخر عن العمل حتى
تطلع الشمس يقطع يده لا محالة ،

وجعل ينقل إليها من قصر بلقيس رخاما وأحجارا وأمتعة
عظيمة ، وركب فيها صليبا

من ذهب وفضة ، وجعل فيها منابر من عاج وأبنوس ،
وجعل ارتفاعها عظيما جدا

واتساعها باهرا ، فلما هلك بعد ذلك أبرهة وتفرقت الحبشة
كان من يتعرض لاخذ شيء

من بنائها وأمتعتها أصابته الجن بسوء ، وذلك لانها كانت
مبنية على اسم صنمين ،

كعيب وامرأته ، وكان طول كل منهما ستون ذراعا ،
فتركها أهل اليمن على حالها .

فلم تزل كذلك إلى زمن السفاح أول خلفاء بني العباس ،
فبعث إليها جماعة من أهل

العزم والحزم والعلم فنقضوها حجرا حجرا ودرست آثارها
إلى يومنا هذا .

قال ابن إسحاق : فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة إلى
النجاشي غضب رجل من

النساء من كنانة ، الذين ينسئون شهر الحرام إلى الحل
بمكة أيام الموسم ، كما قررنا ذلك

عند قوله : (إنما النسئ زيادة في الكفر) .

قال ابن إسحاق : فخرج الكنانى حتى أتى القليس فقعد فيها (1) أى أحدث

حيث لا يراه أحد ، ثم خرج فلحق بأرضه ، فأخبر أبرهة بذلك ، فقال من صنع هذا ؟

ف قيل له : صنعه رجل من أهل هذا البيت الذى تحجه العرب بمكة ، لما سمع بقولك أنك

* (هامش) * (1) المطبوعة : فيه . (*)

- 31 -

تريد أن تصرف حج العرب إلى بيتك (1) هذا ، فغضب فجاء فقعد فيها ، أى أنه ليس

.....
- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 31 سطر 1 الى ص 40 سطر 25

تريد أن تصرف حج العرب إلى بيتك (1) هذا ، فغضب فجاء فقعد فيها ، أى أنه ليس

لذلك بأهل .

فغضب أبرهة عند ذلك ، وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه ، ثم أمر الحبشة

فتهيأت وتجهزت . ثم سار وخرج معه بالفيل ، وسمعت بذلك العرب فأعظموه وفضعوا

به ، ورأوا جهاده حقا عليهم حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام .

فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر ، فدعا قومه ومن

أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام ، وما يريد من

هدمه ، وإخراجه ، فأجابه من أجابه إلى ذلك ، ثم عرض له فقاتله . فهزم ذو نفر وأصحابه ،

وأخذ له ذو نفر فأتى به أسيرا ، فلما أراد قتله قال له ذو نفر : أيها الملك لاتقتلنى ، فإنه

عسى أن يكون بقائى معك خيرا لك من القتل . فتركه من القتل وحبسه عنده في وثاق

وكان أبرهة رجلا حليما .

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له ، حتى إذا كان بأرض خثعم عرض

نفيل بن حبيب الخثعمى في قبيلى (2) خثعم وهما شهران وناهس ومن تبعه من قبائل

العرب ، فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ له نفيل أسيرا ، فأتى به فلما هم بقتله قال له نفيل : أيها

الملك لاتقتلنى ، فإنى دليلك بأرض العرب ، وهاتان يداى لك على قبيلى خثعم ، شهران

وناهس ، بالسمع والطاعة . فخلى سبيله وخرج به معه يدلّه .

حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو

ابن سعد بن عوف بن ثقيف ، في رجال ثقيف ، فقالوا له أيها الملك إنما نحن عبيدك

سامعون لك مطيعون ، ليس عندنا لك خلاف ، وليس بيتنا هذا البيت الذى تريد ،

* (هامش) * (1) عبارة ابن اسحق مختلفة عما أورده المؤلف . * (2) المطبوعة : قبيلتى . (*)

يعنون اللات ، إنما تريد البيت الذى بمكة ، ونحن نبعث معك من يدلك عليه .

فتجاوز عنهم .

قال ابن إسحاق : واللات بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة .

قال : فبعقوا معه أبارغال يده على الطريق إلى مكة ، فخرج أبرهة ومعه أبورغال حتى

أنزله بالمغمس ، فلما أنزله به مات أبورغال هنالك ، فرجمت قبره العرب ، فهو القبر

الذى يرحم الناس بالمغمس . وفى قصة ثمود أن أبا رغال كان رجلا منهم وكان يمتنع

بالحرم ، فلما خرج منه أصابه حجر فقتله ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

لأصحابه : (وآية ذلك أنه دفن معه غصنان من ذهب) فحفروا فوجدوهما . قال

وهو أبوثقيف .

قلت : والجمع بين هذا وبين ما ذكر ابن إسحاق ، أن أبا رغال هذا المتأخر وافق اسمه

اسم جده الأعلى ورجمه الناس كما رجموا قبر الأول أيضا والله أعلم . وقد قال جرير :

إذا مات الفرزدق فارجموه * كرجمكم لقبر أبى رغال

الظاهر أنه الثانى .

قال ابن إسحاق : فلما نزل أبرهة بالمغمس بعث رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن

مقصود (1) على خيل له ، حتى انتهى إلى مكة ، فساق إليه أموال تهامة من قريش

وغيرهم ، واصاب فيها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم ، وهو يومئذ كبير قريش ،

وسيدها ، فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله ، ثم عرفوا أنه

لا طاقة لهم به فتركوا ذلك .

وبعث ابرهة حناطة الحميرى إلى مكة وقال له : سل عن سيد أهل هذا البلد

وشريفهم ، ثم قل له إن الملك يقول إنى لم آت لحربكم ، إنما جئت لهدم هذا البيت ،

* (هامش) * (1) الاصل : مفصود . والتصويب من ابن هشام (*)

- 33 -

فإن لم تعرضوا لنا دونه بحرب فلا حاجة لى بدمائكم .
فإن هو لم يرد حربى فائتنى به .

فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها ،
ف قيل له : ع بدالمطلب بن

هاشم . فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة .

فقال له ع بدالمطلب : والله ما نريد حربه ومالنا بذلك
من طاقة ، هذا بيت الله

الحرام وبيت خليله إبراهيم عليه السلام . أو كما قال .
فإن يمنعه منه فهو حرمه وبيته ،

وإن يخل بينه وبينه فو الله ما عندنا دفع عنه .

فقال له حناطة : فانطلق معى إليه فإنه قد أمرنى أن آتية
بك .

فانطلق معه ع بدالمطلب ، ومعه بعض بنيه ، حتى أتى
العسكر فسأل عن ذى نفر ،

وكان له صديقا ، حتى دخل عليه وهو في محبسه ، فقال له : يا ذا نفر هل عندك من غناء

فيما نزل بنا ؟

فقال له ذو نفر : وما غناء رجل أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله غدوا أو عشيا !

ما عندي غناء في شئ مما نزل بك ، إلا أن أنيسا سائس الفيل صديق لى ، فسأرسل إليه

وأوصيه بك وأعظم عليه حقا وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك ،

ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك .

فقال : حسبى .

فبعث ذو نفر إلى أنيس فقال له : إن ع بدالمطلب سيد قريش وصاحب عين (1) مكة ،

يطعم الناس بالسهل والوحوش في رعوس الجبال ، وقد أصاب له الملك مائتى بعير فاستأذن

له عليه وانفعه عنده بما استطعت . قال : أفعل .

فكلم أنيس أبرهة ، فقال له : أيها الملك ، هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك ،

* (هامش) * (1) الطبرى : غير . والمقصود بعين مكة زمزم التى حفرها ع بدالمطلب . (3 - السيرة 1) (*)

- 34 -

وهو صاحب عين مكة ، وهو الذى يطعم الناس بالسهل والوحوش في رعوس الجبال .

فأذن له عليك فليكلمك في حاجته ، فأذن له أبرهة .

قال : وكان ع بدالمطلب أوسم الناس وأعظمهم وأجملهم (1) ، فلما راه أبرهة أجله

وأكرمه عن أن يجلسه تحته ، وكره أن تراه الحبشة
يجلسه معه على سرير ملكه ، فنزل

أبرهة عن سريريه فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه
إلى جانبه ، ثم قال لترجمانه : قل له

حاجتك ؟ فقال له ذلك الترجمان ، فقال حاجتى أن يرد
على الملك مائتى بغير أصابها لى .

فلما قال له ذلك ، قال أبرهة لترجمانه : قل له : لقد
كنت أعجبتنى حين رأيتك ، ثم

قد زهدت فيك حين كلمتنى ، أتكلمنى في مائتى بغير
أصبتها لك وتترك بيتا هو دينك

ودين آباءك قد جئت لاهدمه لاتكلمنى فيه ! ؟

فقال له ع بدالمطلب : إنى أنا رب الابل ، وإن للبيت ربا
سيمنعه .

فقال : ما كان ليمنع منى . قال : انت وذاك . فرد على ع
بدالمطلب إبله .

قال ابن إسحاق : ويقال إنه كان قد دخل مع ع بدالمطلب
على أبرهة يعمر بن نفاثة

ابن عدى بن الديل (2) بن بكر بن عبد مناة بن كنانة
سيد بنى بكر ، وخويلد بن وائلة

سيد هذيل ، فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على
أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت

فأبى عليهم ذلك . فإله أعلم أكان ذلك أم لا .

فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش
فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج

من مكة والتحرز في رءوس الجبال ، ثم قام ع بدالمطلب
فأخذ بحلقة باب الكعبة ، وقام

معهُ نفر من قريش يدعون الله و يستنصرونه على أبرهة
وجنده ، وقال ع بدالمطلب ، وهو

أخذ بحلقة باب الكعبة :

* (هامش) * (1) وتروى : أوسم الناس وأجمله وأعظمه

(2) الطبرى : الدئل ، بضم الدال وبكسر الهمزة . (*)

- 35 -

- لا هم إن العبد يم * نع رحله فامنع رحالك

لايغلبن صليهم * ومحالهم (1) غدوا محالك

إن كنت تاركهم وقب * لتنا فأمر ما بدا لك

قال ابن هشام : هذا ما صح له منها .

قال ابن إسحاق : ثم أرسل ع بدالمطلب حلقة باب الكعبة
، وانطلق هو ومن معه

من قريش إلى شعف الجبال يتحرزون فيها ينتظرون ما
أبرهة فاعل .

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهياً فيله وعبى جيشه ،
وكان اسم الفيل محمودا .

فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نفيل بن حبيب حتى قام
إلى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه

فقال : ابرك محمود وارجع راشدا من حيث أتيت ، فإنك
في بلد الله الحرام . وأرسل أذنه ،

فبرك الفيل .

قال السهيلي : أى سقط إلى الارض ، وليس من شأن
الفيلة أن تبرك ، وقد قيل إن

منها ما يبرك كالبعير . فالله أعلم .

وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصدد في الجبل ،
وضربوا الفيل ليقوم فأبى
فضربوا رأسه بالطبرزين ليقوم فأبى ، فأدخلوا محاجن لهم
في مرقه فبزغوه (2) ب ها ليقوم
فأبى ، فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول ، ووجهوه
إلى الشام ففعل مثل ذلك ، ووجهوه
إلى المشرق ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى مكة فبرك .
وأرسل الله عليهم طيرا من البحر أمثال الخطاطيف
والبلسان (3) مع كل طائر منها
* (هامش) * (1) محالهم : قوتهم وبأسهم . وغدوا : غدا .
استعملت تامة ولاتستعمل كذلك إلا في الشعر .
(2) الطبرزين : آلة معقفة من حديد . والمحاجن جمع
محجن وهو عصا معوجة قد يجعل فيها حديدة ،
وتبزغوه : ضربه حتى أدموه ، ومرق البطن : مرق منه
ولان ، جمع مرق ، أولا واحد لها .
(3) قال ابن الاثير : قال عباد بن موسى : أظنها الزراير
. النهاية 1 / 111 (*)

- 36 -

ثلاثة أحجار يحملها ، حجر في منفاره ؟ وحجران في
رجليه أمثال الحمص والعدس ، لاتصيب
منهم أحدا إلا هلك ، وليس كلهم أصابت .
وخرجوا هار بين يبتدرون الطريق التي منها جاءوا ،
ويسألون عن نفيل بن حبيب
ليدلهم على الطريق إلى اليمن ، فقال نفيل في ذلك :
ألا حييت عنا يا ردينا * نعمنا كم مع الاصبح عينا
ردينة لو رأيت فلا تريه * لدى جنب المحصب ما رأينا

إذا لعذرتنى وحمدت أمرى * ولم تأسى على ما فات بينا (1)
حمدت الله إذا أبصرت طيرا * وخفت حجارة تلقى
علينا

وكل القوم يسأل عن نفيل * كأن على للحبشان دينا

قال ابن إسحاق : فخرجوا يتساقطون بكل طريق ،
ويهلكون بكل مهلك على

كل منهل ، وأصيب أبرهة في جسده ، وخرجوا به معهم
يسقط أنملة أنملة ، كلما سقطت

أنملة اتبعها منه مدة تمت (2) قيحا ودما ، حتى قدموا
به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر ، فما

مات حتى انصدع صدره عن قلبه . فيما يزعمون .

قال ابن إسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة أنه حدث أن
أول ما رؤيت الحصبة

والجدري بأرض العرب ذلك العام ، وأنه أول ما رؤى بها
مرائر الشجر : الحرمل والحنظل

والعشر ، ذلك العام .

قال ابن إسحاق : فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه
وسلم كان مما يعدد الله على قريش

من نعمته عليهم وفضله ما رد عنهم من أمر الحبشة لبقاء
أمرهم ومدتهم فقال تعالى :

* (هامش) * (1) بينا : نصب نصب المصدر المؤكد لما
قبله إذ كان في معناه ولم يكن على لفظه .

(2) تمت ترشح . (*)

(ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم
في تضليل . وأرسل

عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم
كعصف مأكول) .

ثم شرع ابن إسحاق وابن هشام يتكلمان على تفسير هذه
السورة والتي بعدها .

وقد بسطنا القول في ذلك في كتابنا التفسير بما فيه
كفاية إن شاء الله تعالى ، وله

الحمد والمنة .

قال ابن هشام : الابابيل : الجماعات ، ولم تتكلم لها
العرب بواحد علمناه .

قال : وأما السجيل فأخبرني يونس النحوى وأبو عبيدة أنه
عند العرب

الشديد الصلب .

قال : وزعم بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية
جعلتهما العرب كلمة واحدة ، وأنها

سنج وجل فالسنج : الحجر ، والجل : الطين . يقول
الحجارة من هذين الجنسيتين الحجر

والطين . قال : والعصف : ورق الزرع الذى لم يقصب .
وقال الكسائى (1) سمعت بعض النحويين يقول واحد
الابابيل ابيل

وقال كثيرون من السلف : الابابيل : الفرق من الطير التى
يتبع بعضها بعضا من

ههنا وههنا .

وعن ابن عباس : كان لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف
كأكف الكلاب

وعن عكرمة كانت رءوسها كراءوس السباع خرجت عليهم
من البحر

وكانت خضرا .

وقال عبيد بن عمير : كانت سودا بحرية ، في مناقيرها
وأكفها الحجارة .

وعن ابن عباس : كانت أشكالها كعنقاء مغرب . وعن ابن
عباس كان أصغر

* (هامش) * (1) من هنا ليس عن ابن هشام . (*)

- 38 -

حجر منها كراس الانسان . ومنها ما هو كالابل . وهكذا
ذكره يونس بن بكير عن ابن

إسحاق . وقيل : كانت صفارا والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا محمد بن
عبدالله بن أبي شيبة ، حدثنا

أبومعاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن عبيد بن
عمير ، قال لما أراد الله أن

يهلك أصحاب الفيل بعث عليهم طيرا أنشئت من البحر
أمثال الخطاطيف ، كل طير منها

يحمل ثلاثة أحجار : حجرين في رجليه وحجرا في منقاره ،
قال فجاءت حتى صفت على

رءوسهم ، ثم صاحت وألقت ما في رجليها ومناقيرها ،
فما يقع حجر على رأس رجل

إلا خرج من دبره ، ولا يقع على شئ من جسده إلا خرج
من الجانب الآخر ، وبعث

الله ريحا شديدة فضربت الحجارة فزادتها شدة ، فأهلكوا
جميعا .

وقد تقدم أن ابن إسحاق قال : وليس كلهم اصابته
الحجارة . يعنى بل رجع منهم

راجعون إلى اليمن حتى أخبروا أهلهم بما حل بقومهم من
النكال . وذكروا

أن أبرهة رجع وهو يتساقط أنملة أنملة ، فلما وصل إلى
اليمن انصدع صدره فمات

لعنه الله .

وروى ابن إسحاق قال : حدثني عبدالله بن أبي بكر ، عن
عمرة (1) عن عائشة ،

قالت : لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين
يستطعمان . وتقدم أن سائس

الفيل كان اسمه أنيسا ، فأما قائده فلم يسم . والله أعلم

وذكر النقاش في تفسيره أن السيل احتمل جثهم فألقاها
في البحر .

قال السهيلي : وكانت قصة الفيل أول المحرم من سنة
ست وثمانين وثمانمائة (2) من

تاريخ ذي القرنين .

* (هامش) * (1) المطبوعة : سمرة . وهو تحريف . وهى
عمرة بنت عبدالرحمن بن سعد بن زرارة ، كانت في
حجر

عائشة رضى الله عنها فحفظت عنها ، توفيت سنة 98 هـ
وقيل سنة 106 .

(2) والذي في السهيلي : سنة اثنتين وثمانين وثمانائة .
(*)

قلت : وفي عاملها ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
على المشهور ، وقيل كان قبل

مولده بسنين ، كما سنذكر إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

ثم ذكر ابن إسحاق مآلاته العرب من الأشعار في هذه
الكائنة العظيمة التي نصر

الله فيها بيته الحرام ، الذي يريد أن يشرفه ويعظمه ،
ويطهره ويوقره ببعثة محمد صلى الله

عليه وسلم وما يشرع له من الدين القويم ، الذي أحد
أركانه الصلاة بل عماد دينه ،

وسيجعل قبلته إلى هذه الكعبة المطهرة ، ولم يكن ما
فعله بأصحاب الفيل نصرة لقريش

إذ ذاك علي النصارى الذين هم الحبشة ، فإن الحبشة إذ
ذاك كانوا أقرب لها من مشركي

قريش ، وإنما كان النصر للبيت الحرام ، وإرهاصا وتوطئة
لبعثة محمد صلى الله عليه وسلم .

فمن ذلك ما قاله عبدالله بن الزبير السهمي :

تتكلوا (1)

عن بطن مكة إنها * كانت قديما لايرام حريمها

لم تخلق الشعري ليالى حرمت * إذ لاعزيز من الانام
يرومها

سائل أمير الحبش (2) عنها ما رأى * فلسوف يبنى
الجاهلين عليمها

ستون ألفا لم يئوبوا أرضهم * بل لم يعيش بعد الاياب
سقيمها

كانت بها عاد وجرهم قبلهم * والله من فوق العباد يقيمها

ومن ذلك قول أبي قيس بن الاسلت الانصارى المدني :

ومن صنعه يوم فيل الحبو * ش إذ كلما بعثوه رزم (3)
محاجنهم تحت أقرابه * وقد شرموا أنفه فانحزم (4)
قد جعلوا سوطه مغولا * إذا يمموه قفاه كلم * (5)
فولى وأدبر أدراجه * وقد باء بالظلم من كان ثم
(هاشم) * (1) رويت أيضا : تنكبوا بالباء . ومعناها على
كلا الروايتين : انصرفوا وارجعوا خوفا وهيبة .
(2) ابن هشام : أمير الجيش . * (3) رزم : أقام في
مكانه لم يتحرك . * (4) الاقرب جمع قرب بضمين ،
وهو الخاصرة ، أو من الشاكلة إلى مراق البطن . * (5)
المغول : سكين كبيرة . (*)

- 40 -

فأرسل من فوقهم حاصبا * فلفهم مثل لف القزم (1)
تحض على الصبر أحبارهم * وقد تأجوا كثؤاج الغنم
(2) ومن ذلك قول ابى الصلت ربيعة بن أبى ربيعة وهب
بن علاج الثقفى ، قال ابن
هشام : ويروى لامية ابن أبى الصلت :
إن آيات ربنا ثاقبات * ما يمارى فيهن إلا الكفور
خلق الليل والنهار فكل * مستبين حسابه مقدور
ثم يجلو النهار رب رحيم * بمهاة شعاعها منشور
حبس الفيل بالمغمس حتى * صار يحبو كأنه معقور
لازما حلقة الجران كما قد من صخر كيبك محذور (3)
حوله من ملوك كنده أبطا * ل ملاويث في الحروب صقور
(4)

خلفوه ثم ابذعروا جميعا * كلهم عظم ساقه مكسور (5)

كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفة (6) بور
ومن ذلك قول أبي قيس بن الاسلت أيضا :
فقوموا فصلوا ربكم (7) وتمسحوا * بأركان هذا البيت بين
الاششب

فعندكم منه بلاء مصدق

غداة أبي يكسوم هادي الكتائب (8)

كتيبته بالسهل تمشى ورجله * على القاذفات في رأس
المناقب (9)

فلما أتاكم نصر ذى العرش ردهم * جنود المليك بين ساف
وحاصب (10)

* (هامش) * (1) القزم : جمع قزم ، وهو الضئيل
الجسم . * (2) ثأجوا : صاحوا . (*)

(3) ابن هشام : كما

قطر . وكبكب : جبل

(4) الملاويث جمع ملاث ، وهو الشريف . * (5) ابذعروا
: تفرقوا وفرّوا

(6) أى الامة الحنيفة ، وهو دين التوحيد دين ابراهيم *
(7) صلوا ربكم : ادعوا ربكم .

(8) أبويكسوم : هو أبرهة . * (9) وتروى تمسى * (10)
لالسافى : الذى يرمى بالتراب والحاصب :

الذى يرمى بالحصباء . (*)

فولوا سراعا هارين ولم يؤب * إلى أهله ملحبش غير
عصائب (1)

.....
- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 41 سطر 1 الى ص 50
سطر 21

فولوا سراعا هارين ولم يؤب * إلى أهله ملحبش غير
عصائب (1)

ومن ذلك قول عبید الله بن قيس الرقيات في عظمه
البيت وحمایته بهلاك من

أراده بسوء :

كاده الاشرم الذى حاء بالفى * - ل فولى وجيشه مهزوم

واستهلت عليهم الطير بالجن * دل حتى كأنه مرجوم

ذاك من يغزه من الناس يرجع * وهو فل من الجيوش
ذميم (2)

قال ابن إسحاق وغيره : فلما هلك أبرهة ملك الحبشة
بعده ابنه يكسوم ، ثم من

بعده أخوه مسروق ابن أبرهة ، وهو آخر ملوكهم ، وهو
الذى انتزع سيف بن ذى يزن

الحميرى الملك من يده بالجيش الذين قدم بهم من عند
كسرى أنوشروان .

كما سيأتى بيانه .

وكانت قصة الفيل في المحرم سنة ست وثمانين وثمانمائة
من تاريخ ذى القرنين ، وهو

الثانى اسكندر ابن فلبس المقدونى الذى يؤرخ له الروم .

ولما هلك أبرهة وابناه ، وزال ملك الحبشة عن اليمن
هجر القليس الذى كان بناه

أبرهة و اراد صرف حج العرب إليه ، لجهله وقلة عقله ،
واصبح يبابا لا أنيس به . وكان

قد بناه على صنمين ، وهما كعيب وامراته ، وكانا من
خشب طول كل منهما ستون ذراعا

في السماء ، وكانا مصحوبين من الجان ، ولهذا كان
لايتعرض أحد إلى أخذ شئ من بناء

القليس وأمتعته إلا أصابوه بسوء ، فلم يزل كذلك إلى
أيام السفاح أول خلفاء بنى العباس

فذكر له أمره وما فيه من الامتعة والرخام الذى كان
أبرهة نقله إليه من صرح بلقيس

* (هامش) * (1) ملحيش : أصلها من الحبش . * (2)
الفل : المهزوم (*)

- 42 -

الذى كان باليمن ، فبعث إليه من خربه حجرا حجرا ،
وأخذ جميع ما فيه من الامتعة

والحواصل . (1) هكذا ذكره السهيلي . والله أعلم .

ذكر خروج الملك عن الحبشة ورجوعه إلى سيف بن ذى
يزن الحميرى

كما أخبر بذلك الكاهنان

لربيعة بن نصر اللخمى

قال محمد بن إسحاق رحمه الله : فلما هلك أبرهة ملك
الحبشة ابنه يكسوم بن أبرهة ،

وبه كان يكنى ، فلما هلك يكسوم ملك اليمن من الحبشة
أخوه مسروق بن أبرهة .

قال : فلما طال البلاء على أهل اليمن خرج سيف بن ذى
يزن الحميرى .

وهو سيف بن ذى يزن بن ذى اصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس

بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن

ابن الهميسع بن العرنجج ، وهو حمير بن سبأ (2) وكان سيف يكنى أبا مرة .

حتى قدم علي قيصر ملك الروم فشكا إليه ما هم (3) فيه ، وسأله أن يخرجهم عنه

ويليهم هو ، ويخرج إليهم من شاء من الروم فيكون له ملك اليمن ، فلم يشكه (4)

فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر ، وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض

العراق ، فشكا إليه أمر الحبشة ، فقال له النعمان : إن لى على كسرى وفادة في كل عام ، فأقم عندي حتى يكون ذلك . ففعل .

ثم خرج معه فأدخله على كسرى .

* (هامش) * (1) سبق أن ذكر المؤلف هذا القول آنفا ص 30 .

(2) ليست في ابن هشام

(3) المطبوعة : هو . (4) أى لم يستجب لشكواه (*)

- 43 -

وكان كسرى يجلس في إيوان مجلسه الذى فيه تاجه ، وكان تاجه مثل القنقل (1)

العظيم ، فيما يزعمون ، يضرب فيه الياقوت والزبرجد والؤلؤ بالذهب والفضة معلقا بسلسلة

من ذهب في راس طاقة في مجلسه ذلك ، وكانت عنقه
لاتحمل تاجه ، إنما يستر بالثياب

حتى يجلس في مجلسه ذلك ، ثم يدخل رأسه في تاجه ،
فإذا استوى في مجلسه كشف عنه

الثياب فلا يراه أحد لم يره قبل ذلك إلا برك هيبة له .

فلما دخل عليه طأطأ رأسه ، فقال الملك : إن هذا لاحمق
يدخل على من هذا الباب

الطويل ثم يطأطئ رأسه !

ف قيل ذلك لسيف ، فقال : إنما فعلت هذا لهمى لانه
يضيق عنه كل شئ .

ثم قال له : أيها الملك غلبتنا على بلادنا الاغربة .

قال كسرى : أى الاغربة ، الحبشة أم السند ؟

قال : بل الحبشة ، فجتتك لتنصرنى ويكون ملك بلادى لك
.

فقال له كسرى : بعدت بلادك مع قلة خيرها ، فلم أكن
لاورط جيشا من فارس

بأرض العرب ، لاجابة لى بذلك . ثم أجازه بعشرة آلاف
درهم واف وكساه

كسوة حسنة .

فلما قبض ذلك منه سيف خرج فجعل ينثر تلك الورق
للناس ، فبلغ ذلك الملك فقال :

إن لهذا لشأنا . ثم بعث إليه فقال : عمدت إلى حباء
الملك تنثره للناس !

قال وما أصنع بحبائك (2) ما جبال أرضى التى جئت منها
إلا ذهب وفضة .

يرغبه فيها .

فجمع كسرى مرازبته فقال لهم : ما ترون في أمر هذا الرجل وما جاء له ؟

* (هاشم) * (1) القنقل : المكيال . * (2) ابن هشام : وما أصنع بهذا . (*)

- 44 -

فقال قائل : أيها الملك إن في سجونك رجالا قد حبستهم للقتل ، فلو أنك بعثتهم

معه فإن يهلكوا كان ذلك الذي أردت بهم ، وإن ظفروا كان ملكا ازددته .

فبعث معه كسرى من كان في سجونته ، وكانوا ثمانمائة رجل واستعمل عليهم - رجلا

منهم يقال له - وهرز ، وكان ذا سن فيهم وأفضلهم حسبا وبيتا ، فخرجوا في ثمان سفائن

فغرقت سفينتان ووصل إلى ساحل عدن ست سفائن .

فجمع سيف إلى وهرز من استطاع من قومه وقال له : رجلى ورجلك حتى نموت

جميعا أو نظفر جميعا . فقال له وهرز : أنصفت .

وخرج إليه مسروق بن أبرهة ملك اليمن وجمع إليه جنده ، فأرسل إليهم وهرز ابنا

له ليقاتلهم فيختبر قتالهم ، فقتل ابن وهرز فزاده ذلك حنقا عليهم .

فلما توافق الناس على مصافهم قال وهرز : أرونى ملكهم . فقالوا له : أترى رجلا

على الفيل عاقدا تاجه على رأسه ، بين عينيه ياقوته حمراء .

قال : نعم . قالوا : ذلك ملكهم . فقال اتركوه .

قال فوقفوا طويلا ثم قال عرم هو ؟ قالوا قد تحول على
الفرس . قال : اتركوه .

فتكروه طويلا ، ثم قال : علام هو ؟ قالوا على البغلة .
قال وهرز : بنت الحمار ،

ذل وذل ملكه ، إني سأرميه ، فإن رأيتم أصحابه لم
يتحركوا فاثبتوا حتى أؤذنكم فإني

قد أخطأت الرجل ، وإن رأيتم القوم قد استداروا به ولاثوا
فقد أصبت الرجل

فاحملوا عليهم .

ثم أوتر قوسه ، وكانت فيما يزعمون لايوترها غيره من
شدتها ، وأمر بجاجبيه

فعصبا له ، ثم رماه فصك الياقوتة التي بين عينيه
وتغلغت النشابة في رأسه حتى

خرجت من قفاه ، ونكس عن دابته ، واستدارت الحبشة
ولاثت به ، وحملت عليهم

الفرس فانهزموا فقتلوا وهربوا في كل وجه .

- 45 -

وأقبل وهرز ليدخل صنعاء حتى إذا أتى بابها قال لاتدخل
رايتي منكسة أبدا ،

اهدموا هذا الباب . فهدم ، ثم دخلها ناصبا رايته .

فقال سيف بن ذي يزن الحميري :

- يظن الناس بالملكي * ن أنهما قد التأما -

ومن يسمع بلامهما * فإن الخطب قد فقما (1)

- قتلنا القيل مسروقا * وروينا الكتيب دما -

وإن القيل قيل النا * س وهرز مقسم قسما -

يذوق مشعشعا (2) حتى * يفئ السبي والنعما
ووفدت العرب من الحجاز وغيرها على سيف يهثونه بعود
الملك إليه وامتدحوه ،

فكان من جملة من وفد قريش وفيهم ع بدالمطلب بن
هاشم ، (3) فبشره سيف

برسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بما يعلم من
أمره ، وسيأتى ذلك مفصلا في باب
البشارات به عليه الصلاة والسلام .

قال ابن إسحاق : وقال أبو الصلت بن ربيعة الثقفي ، قال
ابن هشام : وتروى لامية
ابن أبي الصلت .

- ليطلب الوتر أمثال ابن ذى يزن * ريم في البحر للاعداء
أحوالا (4)

يتم قيصر لما حان رحلته * فلم يجد عنده بعض الذي
سالا -

ثم انثى نحو كسرى بعد عشرة * من السنين يهين
النفس والمالا -

* (هامش) * (1) فقم : اشتد وعظم . * (2) يذوق :
يريد لا يذوق . والمشعشع : الشراب الممزوج بالماء .

(3) لمخطوطة ا : فكان من جملة وفد قريش ع
بدالمطلب . * (4) كذا في بن هشام وفي نسخة من

الاكتفاء للكلاعى : مذأم . أى ابتداء يطلب الوتر منذ غادر
يلاده واتجه في البحر يطلب العون من قيصر

وكسرى . والمعنى على الرواية المثبتة : أنه أقام في البحر
، أو غاب زمانا وأحوالا ثم رجع للاعداء . (*)

- حتى أتى بينى الاحرار يحملهم * إنك عمرى لقد أسرعت
قلقلا (1)

- لله درهم من عصبة خرجوا * ما إن أرى لهم في الناس
أمثالا -

- غلبا مرازية بيضا أساورة * أسدا تربب في الغيصات
أشبالا (2)

يرمون عن شدف كأنها غبط * بزمخر يعجل المرمى إعجالا
(3)

أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد * أضحى شريد هم
في الارض فللا (4)

فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا * في رأس غمدان دارا
منك محلالا (5)

- واشرب هنيئا فقد شالت نعامتهم * وأسبل اليوم في
برديك إسبالا -

- تلك المكارم لاقعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا -

يقال : إن غمدان قصر باليمن بناه يعرب بن قحطان ،
وملكه (6) بعده واحتله وأئله

ابن حمير بن سبأ ، ويقال كان ارتفاعه عشرين طبقة .
فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال عدى بن زيد الحيرى : (7) وكان
أحد بنى تميم :

- ما بعد صنعاء كان يعمرها * ولاة ملك جزل مواهبها -

- رفعها من بنى لدى قزع ال * - مزن وتندى مسكا
محاربها (8)

محفوظة بالجبال دون عرى ال * كائد ما ترتقى غواربها)
(9)

يأنس فيها صوت النهام إذا * جاوبها بالعشى قاصبها (10)
- ساقط إليها الاسباب جند بنى ال * - أحرار فرسانها
مواكبها -

* (هامش) * (1) القلقال : شدة الحركة . * (2) ابن
هشام : بيضا مراربة غلبا أساورة . والغلب : الشجعان

(3) الشدف : جمع شدفاء ، وهى القوس العوجاء
الفارسية . كما فى القاموس ، وقد اضطرب السهلى فى
تفسيرها إذ فسرهما بالشخص ثم تكلف تكلفا بعيدا . والغبط
: الهواج . والزمخر : النشاب .

(4) الفلال : المنهزمون . * (5) غمدان : قصر كان باليمن
بناه يشرح بن يحصب . * (6) المخطوطة ا :

وأكملة . * (7) المطبوعة والاصل : الحميرى وهو خطأ . *
(8) قزع المزن : السحاب المتفرق . (9) عرى الكائد :
يريد عرى السماء وأسبابها . * (10) النهام : ذكر اليوم .
والقاصب : الذى

يزمر فى القصب . (*)

- 47 -

وفوزت بالبغال توسق بال * - حتف وتسعى بها توالبها)
(1

حتى رآها الاقوال من طرف ال * - منقل مخضرة كتائبها)
(2

يوم ينادون آل بربر وال * - يكسوم لايفلحن هاربها

فكان يوما (3) باقى الحديث وزا * لت إمة (4) ثابت
مراتبها - وبدل الفيح بالزرافة (5) والايام خون جم عجائبها

بعد بنى تبع نخاورة (6) * قد اطمأنت بها مرازيها

قال ابن هشام : وهذا الذى عنى سطيح بقوله : (يليه إرم
ذى يزن ، يخرج عليهم

من عدن ، فلا يترك منهم أحدا باليمن) والذى عنى شق
بقوله : (غلام ليس بدنى

ولامدن ، يخرج من بيت ذى يزن) .

قال ابن إسحاق : فأقام وهرز والفرس باليمن ، فمن بقية
ذلك الجيش من الفرس

الابناء (7) الذين باليمن اليوم .

وكان ملك الحبشة باليمن فيما بين أن دخلها أرباط إلى
أن قتلت الفرس مسروق

ابن أبرهة وأخرجت الحبشة ، اثنتين وسبعين سنة ، توارث
ذلك منهم أربعة : أرباط ،

ثم أبرهة ، ثم يكسوم بن أبرهة ، ثم مسروق بن أبرهة .

* (هامش) * (1) فوزت : ركبت المفاوز . وتوسق بالحتف
: أى وسقها الحتوف . والتوالب : جمع تولب وهو ولد
الحمار ،

والتاء فيه بدل من واو . * (2) الاقوال : الملوك . والمنقل
: الحصن . ومخضرة كتائبها : يعنى من

الحديد ، ومنه الكتيبة الخضراء . * (3) ابن هشام : وكان
يوم . * (4) إمة : أى نعمة

(5) الفج ؟ : المنفرد في مشيته ، والزرافة : الجماعة .

(6) النخورة : الكرام .

(7) قال في النهاية : ويقال لاولاد فارس الابناء ، وهم
الذين أرسلهم كسرى مع سيف بن ذى يزن .

فقيل لاولادهم الابناء وغلب عليهم هذا الاسم ، لان أمهاتهم
من غير جنس آبائهم . (*)

ذكر ما آل إليه أمر الفرس باليمن

قال ابن هشام : ثم مات وهرز فأمر كسرى ابنه المرزبان بن وهرز على اليمن ،

ثم مات المرزبان فأمر كسرى ابنه التينجان ، ثم مات فأمر ابن التينجان ، ثم عزله عن

اليمن وأمر عليها باذان ، وفى زمنه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : فبلغنى عن الزهرى أنه قال : كتب كسرى إلى باذان : إنه

بلغنى أن رجلا من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبي ، فسر إليه فاستتبه ، فإن تاب

وإلا فابعث إلى برأسه .

فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكتب إليه

رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله قد وعدنى أن يقتل كسرى في يوم كذا وكذا

من شهر كذا) فلما أتى باذان الكتاب وقف لينتظر ، وقال : إن كان نبيا فسيكون

ما قال . فقتل الله كسرى في اليوم الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال

ابن هشام : على يدى ابنه شيرويه .

قلت . وقال بعضهم : بنوه تمالوا على قتله .

وكسرى هذا هو أبرويز بن هرمز بن أنوشروان بن قباد ، وهو الذى غلب الروم ،

في قوله تعالى : (ألم غلبت الروم في أدنى الارض) كما سيأتى بيانه .

قال السهيلي : وكان قتله ليلة الثلاثاء لعشر خلون من جمادى الاولى سنة تسع (1)

من الهجرة . وكان ، والله أعلم ، لما كتب إليه رسول الله إلى صلى الله عليه وسلم يدعوه

الاسلام فغضب ومزق كتابه ، كتب إلى نائبه باليمن يقول له ما قال .

* (هامش) * (1) الذى في السهيلي : سنة سبع (*)

- 49 -

وفى بعض الروايات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرسول باذان : (إن ربي

قد قتل الليلة ربك) فكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . قتل تلك الليلة

بعينها ، قتله بنوه لظلمه بعد عدله ، بعد ما خلعه وولوا ابنه شيرويه فلم يعش بعد قتله اباه

إلا ستة أشهر أو دونها .

وفى هذا يقول خالد بن حق الشيباني :

- وكسرى إذ تقسمه بنوه * بأسياف كما اقتسم اللحم -

- تمخضت المنون له بيوم * ألا ولكل حاملة تمام -

قال الزهرى : فلما بلغ ذلك باذان بعث بإسلامه وإسلام من معه من الفرس إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت الرسل - من الفرس - (1) : إلى من نحن يا رسول

الله ؟ قال : (أنتم منا وإلينا أهل البيت) . قال الزهرى : ومن ثم قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم : (سلمان منا أهل البيت) .
قلت : والظاهر أن هذا كان بعد ما هاجر رسول الله صلى
الله عليه وسلم إلى المدينة ،

ولهذا بعث الامراء إلى اليمن لتعليم الناس الخير ودعوتهم
إلى الله عزوجل ، فبعث أولا

خالد بن الوليد وعلى بن أبي طالب ، ثم أتبعهما أبا
موسى الأشعري ومعاذ بن جبل ،

ودانت اليمن وأهلها للإسلام .

ومات باذان فقام بعده ولده شهر بن باذان ، وهو الذى
قتله الاسود العنسى حين

تنبأ وأخذ زوجته ، كما سيأتى بيانه ، وأجلى عن اليمن
نواب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

فلما قتل الاسود عادت اليد الاسلامية عليها .

قال ابن هشام : وهذا هو الذى (2) عنى به سطيح بقوله
: (نبي زكى ، يأتىه

* (هامش) * (1) من ابن هشام * (2) ابن هشام : فهو
الذى (4 - السيرة - 1) (*)

- 50 -

الوحى من قبل العلى) والذى عنى شق بقوله : (بل
ينقطع برسول مرسل ، يأتى

بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك في
قومه إلى يوم الفصل) .

قال ابن إسحاق : وكان في حجر باليمن فيما يزعمون ،
كتاب بالزبور كتب في

الزمان الاول : لمن ملك دمار ؟ لحمير الاخيار ، لمن ملك دمار ؟ للحبشة الاشرار .

لمن ملك دمار ؟ لفارس الاحرار ، لمن ملك دمار ؟ لقريش التجار .

وقد نظم بعض الشعراء هذا المعنى فيما ذكره المسعودي :

- حين شيدت (1) دمار قيل لمن أن - * - ت ؟ فقالت لحمير الاخيار -

- ثم سيلت من بعد ذاك فقالت * أنا للحبش أخبث الاشرار -

- ثم قالوا من بعد ذاك لمن أن - * - ت فقالت لفارس الاحرار -

- ثم قالوا من بعد ذاك لمن أن - * - ت فقالت إلى قريش التجار -

ويقال : إن هذا الكلام الذى ذكره محمد بن إسحاق ، وجد مكتوبا عند قبر هود

عليه السلام ، حين كشفت الريح عن قبره بأرض اليمن ، وذلك قبل زمن بلقيس بيسير

في أيام مالك بن ذى المنار ، أخى عمرو ذى الازعار بن ذى المنار . ويقال كان مكتوبا

على قبر هود أيضا وهو من كلامه عليه السلام .

حكاة السهيلي . والله أعلم .

قصة الساطرون صاحب الحضرة

وقد ذكر قصته هاهنا عبدالملك بن هشام لاجل مقاله بعض علماء النسب : أن

النعمان بن المنذر الذي تقدم ذكره في ورود سيف بن
ذى يزن عليه ، وسؤاله في

مساعدته في رد ملك اليمن إليه ، أنه من سلالة
السايطرون صاحب الحضرة .

* (هامش) * (1) المظبوعة شدت . وهو خطأ . (*)

- 51 -

وقد قدمنا عن ابن إسحاق أن النعمان بن المنذر من ذرية
ربيعة بن نصر ، وأنه روى

.....

- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 51 سطر 1 الى ص 60
سطر 21

وقد قدمنا عن ابن إسحاق أن النعمان بن المنذر من ذرية
ربيعة بن نصر ، وأنه روى

عن جبير بن مطعم أنه من أشلاء قنص (1) بن معد بن
عدنان . فهذه ثلاثة أقوال في نسبه

فاستطرد ابن هشام في ذكر صاحب الحضرة .

والحضر حصن عظيم بناه هذا الملك ، وهو السايطرون ،
على حافة الفرات ، وهو

منيف مرتفع البناء ، واسع الرحبة والفناء ، دوره بقدر
مدينة عظيمة . وهو في غاية الاحكام

والبهاء والحسن والسناء ، وإليه يجبى ما حوله من الاقصار
والارجاء .

واسم السايطرون : الضيزن بن معاوية بن عبيد بن أكرم
من بنى سليح (2) بن حلوان

ابن الحاف بن قضاة . كذا نسبه ابن الكلبي .

وقال غيره : كان من الجرامقة ، وكان أحد ملوك الطوائف ، وكان يقدمهم إذا

اجتمعوا لحرب عدو من غيرهم ، وكان حصنه بين دجلة والفرات .

قال ابن هشام : وكان كسرى سابور ذوالاكتاف غزا الساطرون (3)

ملك الحضر .

وقال غير ابن هشام : إنما الذي غزا صاحب الحضر سابور بن أردشير بن بابك

أول ملوك بنى ساسان ، أذل ملوك الطوائف ورد الملك إلى الاكاسرة . وأما سابور

ذو الاكتاف بن هرمز فبعد ذلك بدهر طويل . والله أعلم . ذكره السهيلي .

قال ابن هشام : فحصره سنتين . وقال غيره : أربع سنين .

وذلك لانه كان أغار على بلاد سابور في غيبته بأرض العراق . فأشرفت بنت

الساطرون وكان اسمها النضيرة ، فنظرت إلى سابور وعليه ثياب ديباج وعلى رأسه تاج

* (هامش) * (1) المطبوعة : قيصر . وهو خطأ . * (2) المخطوطة ا : بن عبيد بن سليح .

(3) ابن هشام : ساطرون . (*)

- 52 -

من ذهب مكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ ، - وكان جميلا - ، (1) فدمت إليه أتزوجني

إن فتحت لك باب الحضر ؟ فقال : نعم .

فلما أمسى ساطرون شرب حتى سكر ، وكان لايبيت إلا
سكران ، فأخذت

مفاتيح باب الحضر من تحت رأسه وبعثت بها مع مولى
لها ففتح الباب . ويقال : بل

دلتهم على نهر يدخل منه الماء متسع فولجوا منه إلى
الحضر . ويقال : بل دلتهم على

طلسم كان في الحضر ، وكان في علمهم أنه لايفتح حتى
تؤخذ حمامة ورقاء وتخضب

رجلاها بحيض جارية بكر زرقاء ثم ترسل ، فإذا وقعت
على سور الحضر سقط ذلك

الطلسم فبفتح الباب . ففعل ذلك فانفتح الباب .

فدخل سابور فقتل ساطرون واستباح الحضر وخربه وسار
بها معه فتزوجها .

فبينا هي نائمة على فراشها ليلا إذ جعلت تململ لاتنام ،
فدعا لها بالشمع ففتش

فراشها ، فوجد عليه ورقة آس ، فقال لها سابور : أهذا
الذي أسهرك ؟

قالت : نعم .

قال : فما كان أبوك يصنع بك . قالت : كان يفرش لى
الديباج ويلبسنى الحرير

ويطعمنى المخ ويسقيني الخمر .

قال : أفكان جزاء أبيك ما صنعت به ! أنت إلى بذلك
أسرع .

فربطت قرون رأسها بذنوب فرس ثم ركض الفرس حتى
قتلها . ففيه يقول أعشى

بنى قيس بن ثعلبة :

- ألم تر للحضر إذ أهله * بنعمى وهل خالد من نعم -
- أقام به شاهبور الجنو * د حولين تضرب فيه القدم -
- * (هامش) * (1) ليست في ا . (*)

- 53 -

فلما دعا ربه دعوة * أناب إليه فلم ينتقم (1)

فهل زاده ربه قوة * ومثل مجاوره لم يقم

وكان دعا قومه دعوة * هلموا إلى أمركم قد صرم -

- فموتوا كراما بأسيافكم * أرى الموت يجشمه من جشم -

وقال عدى بن زيد في ذلك :

- والحضر صابت عليه داهية * من فوقه ، أيد مناكبها (2)

-

- ربية لم توق والدها * لحينها إذ أضاع راقبها (3)

إذ غبقتة صهباء صافية * والخمر وهل يهيم شاربها (4)

- فأسلمت أهلها بليتها * تظن أن الرئيس خاطبها -

- فكان حظ العروس إذ جشر الصبح دماء تجرى سبائبها (5)

- وخرب الحضر واستبيح وقد * أحرق في خدرها مشاجبها (6)

وقال عدى بن زيد أيضا :

- أيها الشامت المعير بالده * - ر أنت المبرء الموفور ! -

- أم لديك العهد الوثيق من الايام بل أنت جاهل مغرور -

- من رأيت المنون خلدن أم من * ذا عليه من أن يضام
خفير ؟ ! -

- أين كسرى كسرى الملوك أنوشتر * وان أم أين قبله
سابور ! -

- وبنو الاصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور -
- وأخو الحضرة إذ بناه وإذ دج - * - لة تجبى إليه والخابور -
* (هامش) * (1) اقتصر ابن هشام على هذه الآيات .

(2) صاب السهم من باب باع ، لغة في أصاب . والأيدي :
القوى . والمعنى أنها هائلة .

(3) ربية : فعيل بمعنى مفعول ، أى مرباة . والحين :
الهلاك . والراقب : المراقب .

(4) غبته : سقته الغبوق ، وهو ما يشرب بالعشى .
والوهل : الوهم .

(5) جسر الصبح : طلع * (6) المشاجب : جمع مشجب .
ماتعلق به الثياب . (*)

- 54 -

شادة مرمرا وجلله كل * سا فللطير في ذراه وكور -
- لم يهبه ريب المنون فبان ال - * ملك عنه فبابه مهجور -

- وتذكر رب الخورنق إذ أشرف يوما وللهدى تفكير (1)
- سره ماله وكثرة مايم * - لك والبحر معرضا والسدير (2)
(

- فارعوى قلبه وقال : وما غب * - طة حى إلى الممات
يصير -

ثم أضحوا كأنهم ورق جف فألوت به الصبا والدبور

(3)

قلت : ورب الخورنق الذى ذكره في شعره رجل من الملوك المتقدمين ، وعظه

بعض علماء زمانه في أمره الذى كان قد أسرف فيه وعتا (4) وتمرد فيه وأتبع نفسه هواها

ولم يراقب فيها مولاها ، فوعظه بمن سلف قبله من الملوك والدول ، وكيف بادوا ولم يبق

منهم أحد ، وأنه ما صار إليه عن غيره إلا وهو منتقل عنه إلى من بعده ، فأخذته موعظته

وبلغت منه كل مبلغ ، فارعوى لنفسه ، وفكر في يومه وأمسه ، وخاف من ضيق رمسه ، فتاب وأناب ونزع عما كان فيه ، وترك الملك ولبس زى الفقراء ، وساح في الفلوات

وحطى بالخطوات ، وخرج عما كان الناس فيه من اتباع الشهوات وعصيان

رب السموات .

وقد ذكر قصته مبسوطه الشيخ الامام موفق بن قدامة المقدسى رحمه الله تعالى في

كتاب (التوايين) وكذلك أوردها بإسناد متين الحافظ أبوالقاسم السهيلي في كتاب

(الروض الانف) المرتب أحسن ترتيب وأوضح تبين . * (هامش) * (1) : تذكير . (2) : معرض . (3) : ألوت به : ا : ذهبت به ، والصبأ : ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش والدبور ريح تقابل الصبا . (4) : وعق (*)

- 55 -

خبر ملوك الطوائف

وأما صاحب الحضر وهو ساطرون ، فقد تقدم أنه كان مقدما على سائر ملوك الطوائف ،

وكان مزمن اسكندر بن فلبس المقدونى اليونانى ، وذلك
لانه لما غلب على ملك الفرس

دارا بن دارا ، وأذل مملكته وخرّب بلاده واستباح بيضة
قومه ونهب حواصله ، ومزق

شمل الفرس شذر مذر ، عزم أن لايجتمع لهم بعد ذلك
شمل ولايلتئم لهم أمر .

فجعل يقر كل ملك على طائفة من الناس في إقليم من
أقاليم الارض ما بين عربها

وأعاجمها ، فاستمر كل ملك منهم يحمى حوزنه ويحفظ
حصته ويستغل محلته ، فإذا هلك

قام ولده من بعده أو أحد قومه ، فاستمر الامر كذلك
قريبا من خمسمائة سنة .

حتى كان أردشير بن بابك من بنى ساسان بن بهمن بن
اسفنديار بن يشناسب بن

لهراسب ، فأعاد ملكهم إلى ما كان عليه ، ورجعت
الممالك برمتها إليه ، وأزال ممالك ملوك

الطوائف ، ولم يبق منهم تالد ولاطارف ، وكان تأخر عليه
حصار صاحب الحضرة الذى

كان أكبرهم وأشدّهم وأعظمهم إذ كان رئيسهم ومقدمهم ،
فلما مات أردشير تصدى له

ولده سابور فحاصره حتى أخذه ، كما تقدم والله سبحانه
وتعالى أعلم .

- 56 -

باب ذكر بنى إسماعيل وهم عرب الحجاز وما كان

من أمور الجاهلية إلى زمان البعثة

ذكرنا إسماعيل نفسه عليه السلام مع الانبياء (1) وكيف
كان من أمره حين احتمله

أبوه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام مع أمه هاجر
فأسكنها بوادي مكة بين جبال

فاران ، حيث لأنيس به ولاحسيس ، وكان إسماعيل رضيعا
، ثم ذهب وتركهما هنالك

عن أمر الله له بذلك ، ليس عند أمه سوى جراب فيه
تمر ووكاء فيه ماء ، فلما نفذ ذلك

أنبع الله لهاجر زمزم التي هي طعام طعم وشفاء سقم ،
كما في حديث ابن عباس الطويل

الذي رواه البخارى رحمه الله .

ثم نزلت جرهم ، وهم طائفة من العرب العاربة من أمم
العرب الاقدمين عند هاجر

بمكة ، على أن ليس لهم في الماء شئ إلا ما يشربون
منه وينتفعون به ، فاستأنست

هاجر بهم .

وجعل الخليل عليه السلام يطالع أمرهم في كل حين .
يقال إنه كان يركب البراق من

بلاد بيت المقدس في ذهابه وإيابه .

ثم لما ترعرع الغلام وشب وبلغ مع أبيه السعى كانت
قصة الذبح ، والذبيح هو

إسماعيل على الصحيح .

ثم لما كبر تزوج من جرهم امرأة ثم فارقها وتزوج غيرها
، وتزوج بالسيدة بنت

مضاض بن عمرو الجرهمى وجاءته بالبنين الاثنى عشر كما
تقدم ذكرهم وهم : نابت وقيذر

- وأذبل (2) - ومشا ، ومسمع ، وماشى ، ودما ، وأذر ،
ويطور ، ونبش ، وطيفا ،

* (هامش) *

(1) وذلك في الجزء الاول من البداية والنهاية للمؤلف .
(2) من ابن هشام . .

(*)

- 57 -

وقيدما . هكذا ذكره محمد بن إسحاق وغيره عن كتب أهل
الكتاب ، وله ابنة واحدة

اسمها نسمة ، وهى التى زوجها من ابن أخيه العيصو بن
إسحاق بن إبراهيم ، فولد له منها

الروم وفارس (1)

والاشبان أيضا في أحد القولين .

ثم جميع عرب الحجاز على اختلاف قبائلهم يرجعون في
أنسابهم إلى ولديه

نابت وقيدر .

وكان الرئيس بعده والقائم بالامور الحاكم في مكة ،
والناظر في أمر البيت وزمزم ،

نابت بن إسماعيل وهو ابن أخت الجرهميين .

ثم تغلبت جرهم على البيت طمعا في بنى أختهم ،
فحكموا بمكة وما والاها عوضا عن

بنى إسماعيل مدة طويلة ، فكان أول من صار إليه أمر
البيت بعد نابت مضا بن

عمرو بن سعد بن الرقيب بن عيبر (2)

بن نبت بن جرهم .

وجرهم بن قحطان ، ويقال : جرهم بن يقطن بن عيبر (2)

بن شالخ بن أرفخشذ بن سام

ابن نوح الجرهمي . وكان نازلا بأعلى مكة بقعيقعان .

وكان السמידع سيد قطوراء نازلا بقومه في أسفل مكة ،
وكل منهما يعشر (3)

من مر به مجتازا إلى مكة .

ثم وقع بين جرهم وقطوراء فاقتتلوا ، فقتل السמידع
واستوثق الامر لمضاض وهو

الحاكم بمكة والبيت ، لاينازعه في ذلك ولد إسماعيل مع
كثرتهم وشرفهم وانتشارهم (4)

بمكة وبغيرها وذلك لخؤولتهم له ولعظمة البيت الحرام .

ثم صار الملك بعده إلى ابنه الحارث ، ثم إلى عمرو بن
الحارث .

ثم بغت جرهم بمكة وأكثرت فيها الفساد ، وألحدوا
بالمسجد الحرام ، حتى ذكر * (هامش) * (1) :
واليونان . (2) : هيبير (3) يعشر : يأخذ عشر الاموال (4)
المطبوعة وانتشارهم . وهو خطأ . (*)

- 58 -

أن رجلا منهم يقال له إساف بن بغى وامرأة يقال لها
نائلة بنت وائل اجتمعا في

الكعبة فكان منه إليها الفاحشة ، فمسخهما الله حجرين ،
فنصبهما الناس قريبا

من البيت ليعتبروا بهما ، فلما طال المطال بعد ذلك بمدد
عبدا من دون الله في

زمن خزاعة . كما سيأتى بيانه في موضعه . فكانا صنمين
منصوبين يقال لهما

إساف ونائلة .

فلما أكثر جرهم البغى بالبلد الحرام تمالات عليهم خزاعة
الذين كانوا نزلوا حول

الحرم ، وكانوا من ذرية عمرو بن عامر الذى خرج من
اليمن لاجل ما توقع من سيل العرم

كما تقدم . وقيل إن خزاعة من بنى إسماعيل . فالله أعلم

والمقصود أنهم اجتمعوا لحربهم وآذنوهم بالحرب واقتتلوا .

واعتزل بنو إسماعيل كلا الفريقين .

فغلبت خزاعة ، وهم بنو بكر بن عبد مناة وغبشان ،
وأجلوهم عن البيت .

فعمد عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمى ، وهو
سيدهم ، إلى غزالي الكعبة ، وهما

من ذهب ، وحجر الركن وهو الحجر الاسود ، وإلى سيوف
محلاة وأشياء أخر ، فدفنها

في زمزم وطم زمزم ، وارتحل بقومه فرجعوا إلى اليمن

وفي ذلك يقول عمرو بن الحارث بن مضاض :

- وقائلة والدمع سكب مبادر * وقد شرقت بالدمع منها
المحاجر -

- كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا * أنيس ولم يسمر
بمكة سامر -

- فقلت لها والقلب منى كأنما * يلجلجه بين الجناحين طائر

- بلى نحن كنا أهلها فأزالنا * صروف الليالى والجدود
العواثر -

- وكنا ولاة البيت من بعد نابت * نطوف بذاك البيت والخير
ظاهر -

- 59 -

- ونحن ولينا البيت من بعد نابت * بعز فما يحظى لدينا
المكاثر -

- ملكنا فعززنا فأعظم بملكنا * فليس لحي غير نائم فاخر -

- ألم تنكحوا من خير شخص علمته ، فأبناؤه منا ونحن
الاصاهر -

- فإن تنثن الدنيا علينا بحالها * فإن لها حالا وفيها التشاجر
-

- فأخرجنا منها المليك بقدرة * كذلك يا للناس تجرى
المقادر -

- أقول إذا نام الخلى ولم أنم * إذا العرش لايبعد سهيل
وعامر -

- وبدلت منها أوجها لا أحبها * قبائل منها حمير ويحابر -

- وصرنا أحاديثا وكنا بغبطة * بذلك عضتنا السنون الغواير -

- فسحت دموع العين تبكى لبلدة * بها حرم أمن وفيها
المشاعر -

- وتبكى لبيت ليس يؤذى حمامه * يظل به أمنا وفيه
العصافر -

- وفيه وحوش لاترام أنيسة * إذا خرجت منه فليست تغادر -

قال ابن إسحاق : وقال عمرو بن الحارث بن مضاى أيضا
يذكر بنى بكر وغبشان

الذين خلفوا بعدهم بمكة :

- يا أيها الناس سيروا إن قصركم (1) أن تصبحوا ذات يوم لاتسيرونا -

- حثوا المطى وأرخوا من أزمته * قبل الممات وقضوا ما تقضونا -

- كنا أناسا كما كنتم فغيرنا * دهر فأنتم كما صرنا تصيروننا -

قال ابن هشام : هذا ما صح له منها . وحدثني بعض أهل العلم بالشعر أن

هذه الابيات أول شعر قيل في العرب ، وأنها وجدت مكتوبة في حجر باليمن

ولم يسم قائلها . * (هامش) * (1) المطبوعة قصاركم وهو خطأ و قصركم أي نهايتكم . (*)

- 60 -

وذكر السهيلي لهذه الابيات إخوة ، وحكى عندها حكاية معجبة

وإنشادات مغربة .

قال : وزاد أبو الوليد الأزرقى في كتابه (فضائل مكة) على هذه الابيات المذكورة

المنسوبة إلى عمرو بن الحارث بن مضاض :

- قد مال دهر علينا ثم أهلكنا * بالبغي فيه (1)

وبز الناس ناسونا -

- واستخبروا في صنع الناس قبلكم * كما استبان طريق عنده الهونا -

- كنا زمانا ملوك الناس قبلكم * بمسكن في حرام الله مسكونا -

قصة خزاعة ، وخبر عمرو بن لحي ، وعبادة الاصنام

بأرض العرب

قال ابن إسحاق : ثم إن غبشان من خزاعة وليت البيت
دون بنى بكر بن عبد مناة

وكان الذى يليه منهم عمرو بن الحارث الغبشانى .

وقريش إذ ذاك حلول وصرم (2)

وبيوتات متفرقون في قومهم من بنى كنانة .

قالوا : وإنما سميت خزاعة لخزاعة لانهم تخزعوا من ولد
عمرو بن عامر حين أقبلوا

من اليمن يريدون الشام ، فنزلوا بمر الظهران فأقاموا به .

قال عون بن أيوب الانصارى ثم الخزرجى في ذلك :

- فلما هبطنا بطن مر تخزعت * خزاعة منا في حلول
كراكر (3) * (هامش) * (1) المطبوعة فينا (2) الحلول
جمع حال بتشديد اللام والصرم بكسر الصاد وسكون الراء
الطائفة من القوم ينزلون

بإبلهم ناحية من الماء و الجمع الاصرام (3) الكراكر : جمع
كركرة بكسر الكاف وسكون الراء

وهى الجماعة من الناس . (*)

- 61 -

- حمت كل واد من تهامة واحتمت * بصم القنا و
المرهفات البواتر -

.....
- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 61 سطر 1 الى ص 70
سطر 18

- حمت كل واد من تهامة واحتمت * بصم القنا و
المرهفات البواتر -

وقال أبوالمطهر إسماعيل بن رافع الانصارى الاوسى :

- فلما هبطنا بطن مكة أحمدت * خزاعة دار الأكل
المتحامل -

- فحلت أكاريسا وشتت قنابلا * على كل حى بين نجد
وساحل (1)

-

- نفواجرهما عن بطن مكة واحتبوا * بعز خزاعى شديد
الكواهل -

فوليت خزاعة البيت ، يتوارثون ذلك كابرا عن كابر ، حتى
كان آخرهم حليل

ابن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة
الخرزاعى ، الذى تزوج قصى بن كلاب

ابنته حبى ، فولدت له بنيه الاربعة : عبد الدار ، وعبد
مناف ، وعبدالعزى ،

وعبدا ، ثم صار أمر البيت إليه . كما سيأتى بيانه وتفصيله
في موضعه إن شاء الله

تعالى وبه الثقة .

واستمرت خزاعة على ولاية البيت نحو من ثلاثمائة سنة ،
وقيل خمسمائة سنة

والله أعلم . وكانوا مشئومين (2)

في ولايتهم ، وذلك لان في زمانهم كان أول عبادة

الاوثان بالحجاز .

وذلك بسبب رئيسم عمرو بن لحي لعنه الله ، فإنه أول
من دعاهم إلى ذلك .

وكان ذا مال جزيل جدا . يقال : إنه فقا أعين عشرين
بعيرا ، وذلك عبارة عن أنه

ملك عشرين ألف بعير .

وكان من عادة العرب أن من ملك ألف بعير فقاً عين واحد منها ، لانه يدفع بذلك

العين عنها . وممن ذكر ذلك الازرقى . * (هامش) * (1)
الاكارييس : جمع الجمع للكرس وهو أبيات من الناس
مجتمعة . والقنابل جمع قنبل ، وهو

الطائفة من الناس والخيل . (2) المطبوعة : سوس . وهى
تحريف بالاصل عما أثبتناه . (*)

- 62 -

وذكر السهيلي : أنه ربما ذبح أيام الحجج عشرة آلاف بدنة
وكسا عشرة آلاف

حلة في كل سنة ، يطعم العرب ويحيس لهم الحيس
بالسمن والعسل وبلت لهم السويق .

قالوا : وكان قوله وفعله فيهم كالشرع المتبع ، لشرفه
فيهم ومحلته عندهم

وكرمه عليهم .

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم أن عمرو بن
لحى خرج من مكة إلى الشام في

بعض أموره فلما قدم مآب من أرض البلقاء ، وبها يومئذ
العماليق وهم ولد عملاق ، ويقال

ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح ، رأهم يعبدون
الاصنام ، فقال لهم : ما هذه الاصنام

التي أراكم تعبدون ؟ قالوا له : هذه أصنام نعبدها
فنستمطرها فتمطرنا ،

ونستنصرها فتنصرنا .

فقال لهم : ألا تعطونى منها صنما فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه (1) فأعطوه صنما يقال له هبل ، فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه .

قال ابن إسحاق : ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بنى إسماعيل عليه

السلام ، أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم والتمسوا الفسح في البلاد

إلا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم .

فحيث ما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة .

حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنا من الحجارة وأعجبهم ،

حتى خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه .

وفي الصحيح عن أبى رجاء العطاردى ، قال : كنا في الجاهلية إذا لم نجد حجرا

جمعنا حثية من التراب وجئنا بالشاة فحليناها عليه ثم طفنا بها . * (هامش) * (1) كذا بالاصول . والقياس : فيعبدوه (*)

- 63 -

قال ابن إسحاق . واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام غيره ، فعبدوا

الآوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الامم قبلهم من الضلالات

وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم عليه السلام يتمسكون بها من تعظيم البيت ،

والطواف به ، والحج والعمرة ، والوقوف على عرفات والمزدلفة ، وهدى البدن والاهلال

بالحج والعمرة ، مع إدخالهم فيه ما ليس منه
فكانت كنانة وقريش إذا أهلوا قالوا : لبيك اللهم لبيك .
لبيك لاشريك لك ،
إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك . فيوحدونه بالتلبية ثم
يدخلون معه أصنامهم
ويجعلون ملكها بيده . يقول الله تعالى لمحمد صلى الله
عليه وسلم : (وما يؤمن
أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) (1) أى ما يوحدوننى
لمعرفة حقى إلا جعلوا معى
شريكا من خلقى .
وقد ذكر السهيلي وغيره : أن أول من لى هذه التلبية
عمرو بن لحي وأن
إبليس تبنى له في صورة شيخ ، فجعل يلقنه ذلك فيسمع
منه ويقول كما يقول ، واتبعه
العرب في ذلك .
وثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان إذا سمعهم يقولون : لبيك
لاشريك لك : يقول : (قد قد) أى حسب حسب .
وقد قال البخارى : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا يحيى
بن آدم ، حدثنا
إسرائيل ، عن أبى حفص عن أبى هريرة . عن النبى صلى
الله عليه وسلم . قال : (إن
أول من سيب السوائب وعبد الاصنام ، أبوخزاعة عمرو بن
عامر ، وإنى رأيت يجر
أمعاءه في النار) . * (هامش) * (1) سورة يوسف 106
(*)

تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وهذا يقتضى أن عمرو بن لحي هو أبوخزاعة الذى تنسب إليه القبيلة بكمالها ، كما

زعمه بعضهم من أهل النسب ، فيما حكاه ابن إسحاق وغيره .

ولو تركنا مجرد هذا لكان ظاهرا في ذلك بل كالنص ، ولكن قد جاء ما يخالفه

من بعض الوجوه

فقال البخارى : حدثنا أبواليمان ، حدثنا شعيب ، عن الزهرى ، قال : سمعت سعيد

ابن المسيب قال : البحيرة : التى يمنح (1)

درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس .

والسائبة : التى كانوا يسيبونها لآلهتهم لايحمل عليها شئ .

قال : وقال أبوهريرة : قال النبى صلى الله عليه وسلم : (رأيت عمرو بن عامر

الخزاعى يجر قصبه في النار ، كان أول من سيب السوائب) .

وهكذا رواه البخارى أيضا ومسلم من حديث صالح بن كيسان عن الزهرى عن سعيد

عن أبى هريرة به .

ثم قال البخارى : ورواه ابن الهاد عن الزهرى .

قال الحاكم : أراد البخارى : رواه ابن الهاد عن ع بدالوهاب بن بخت عن الزهرى .

كذا قال .

وقد رواه أحمد عن عمرو بن سلمة الخزاعي ، عن الليث بن سعد ، عن يزيد بن

الهاد ، عن الزهري ، عن سعيد ، عن أبي هريرة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول : (رأيت عمرو بن عامر يجر قصبه في النار ، وكان أول من سيب السوائب

وبحر البحيرة) . * (هامش) * (3) المطبوعة : يمنع . وهو خطأ (*)

- 65 -

ولم يذكر بينهما ع بدالوهاب بن بخت كما قال الحاكم . فالله أعلم .

وقال أحمد أيضا : حدثنا عبدالرازق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن أبي

هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر

قصبه في النار ، وهو أول من سيب السوائب (1) وهذا منقطع من هذا الوجه . والصحيح : الزهري عن سعيد عنه كما تقدم .

وقوله في هذا والحديث والذي قبله : (الخزاعي) يدل على أنه ليس والد القبيلة ،

بل منتسب إليها ، مع ما وقع في الرواية من قوله أبوخزاعة تحيف من الراوى من :

(أخو خزاعة) أو أنه كان يكنى بأبي خزاعة ، ولا يكون ذلك من باب الاخبار بأنه

أبوخزاعة كلهم . والله أعلم .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، أن أبا صالح

السمان حدثه أنه سمع أبا هريرة : يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

لا أكثم بن الجون الخزاعي : (يا أكثم ، رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر

قصبه في النار ، فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به ولا بك منه) .

فقال أكثم : عسى أن يضرنى شبهه يا رسول الله .

قال : (لا إنك مؤمن وهو كافر ، إنه كان أول من غير دين إسماعيل ، فنصب

الاوثنان وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيعة وحمى الحامى) .

ليس في الكتب من هذا الوجه .

وقد رواه ابن جرير عن هناد بن عبدة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي

هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه أو مثله ، وليس في الكتب أيضا . * (هامش) * (1) المسند حديث رقم 7696

(5 - السيرة - 1) (*) .

- 66 -

وقال البخاري : حدثني محمد بن أبي يعقوب أ بو عبدالله الكرمانى ، حدثنا حسان

ابن إبراهيم ، حدثنا يونس ، عن الزهرى ، عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم (رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا ،
ورأيت عمرا يجر قصبه ، وهو أول

من سيب السوائب) .

تفرد به البخارى .

وروى الطبرانى من طريق صالح ، عن ابن عباس ،
مرفوعا في ذلك .

والمقصود أن عمرو بن لحي لعنه الله كان قد ابتدع لهم
أشياء في الدين غير بها دين

الخليل ، فاتبعه العرب في ذلك ، فضلوا بذلك ضللا بعيدا
بيننا فظيعا شنيعا .

وقد أنكر الله تعالى عليهم في كتابه العزيز في غير ما
آية منه . فقال تعالى :

(ولاتقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام
لتفتروا على الله

الكذب) (1) الآية . وقال تعالى : (ما جعل الله من
بحيرة ولا سائدا ولاوصيلة

ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب
وأكثرهم

لايعقلون) . (2)

وقد تكلمنا على هذا كله مبسوطا وبيننا اختلاف السلف في
تفسير ذلك ، فمن أراه

فليأخذه من ثم ، ولله الحمد والمنة .

وقال تعالى : (ويجعلون لما لايعلمون نصيا مما رزقناهم ،
تالله لتسئلن عما

كنتم تفترون) .

(3) وقال تعالى : (وجعلوا لله ما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله

بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل * (هاشم) * (1) سورة النحل (116) (2) سورة المائدة (153) (3) سورة النحل 56 (*)

- 67 -

إلى شركائهم ساء ما يحكمون . وكذلك زين لكثير من المشكرين قتل أولادهم

شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون .

وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت

ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون .

وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ، وإن يكن مية

فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم . قد خسر الذين قتلوا أولادهم

سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا

مهتدين) (1) وقال البخارى في صحيحه : (باب جهل العرب) : (2) حدثنا أبو النعمان ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن

عباس ، قال : إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقراً ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الانعام :

(قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم ، وحرموا ما رزقهم الله افتراء على

الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) .

وقد ذكرنا تفسير هذه الآية ، وما كانوا ابتدعوه من
الشرائع الباطلة الفاسدة ، التي

ظنها كبيرهم عمرو بن لحي قبحه الله مصلحة ورحمة
بالدواب والبهائم ، وهو كاذب

مفتر في ذلك .

ومع هذا الجهل والضلال اتبعه هؤلاء الجهلة الطغام فيه .

بل قد تابعوه فيها هو أطم من ذلك وأعظم بكثير ، وهو
عبادة الاوثان مع

الله عزوجل . * (هامش) * (1) سورة الانعام : 136 -
140 (2) البخارى : باب قصة زمزم وجهل العرب (*)

- 68 -

وبدلوا ما كان الله بعث به إبراهيم خليه من الدين القويم
والصراط المستقيم ، من

توحيد عبادة الله وحده لا شريك له وتحريم الشرك .

وغيروا شعائر الحج ومعالم الدين بغير علم ولا برهان
ولادليل صحيح ولاضعيف .

واتبعوا في ذلك من كان قبلهم من الامم المشركين .

وشابهوا قوم نوح ، وكانوا أول من أشرك بالله وعبد
الاصنام ولهذا بعث الله إليهم

نوحا ، وكان أول رسول بعث ينهى عن عبادة الاصنام ،
كما في قصة نوح (وقالوا

لاتذرن آلهتكم ولاتذرن ودا ولاسواعا ولايعوث ويعوق ونشرا
وقد أضلوا

كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ضللا) . (1) قال ابن عباس :
كان هؤلاء قوما صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا
على قبورهم ،

فلما طال عليهم الامد عبدوهم ، وقد بينا كيفية ما كان
من أمرهم في عبادتهم بما أغنى عن
إعادته ها هنا .

قال ابن إسحاق وغيره : ثم صارت هذه الاصنام في
العرب بعد تبديلهم دين

إسماعيل ، فكان ود لبني كلب بن وبرة (2) بن تغلب بن
حلوان بن عمران بن الحاف

ابن قضاة . وكان منصوبا بدومة الجندل .

وكان سواع لبني هذيل بن الياس بن مدركة بن مضر .
وكان منصوبا بمكان

يقال له رهاط .

وكان يغوث لبني أنعم من طيئ ولاهل جرش من مذحج .
وكان منصوبا بجرش .

وكان يعوق منصوبا بأرض همدان من اليمن لبني خيوان
بطن من همدان . * (هامش) * (1) سورة نوح : 23 ،
24 (2) المطبوعة : مرة . وهو خطأ (*)

- 69 -

وكان نسر منصوبا بأرض حمير لقبيلة يقال لها ذو الكلاع .

قال ابن إسحاق : وكان لخولان بأرضهم صنم يقال له عم
أنس (1) يقسمون له من

أنعامهم وحرثهم قسما بينه وبين الله ، فيما يزعمون ، (2)

فما دخل في حق عم أنس من

حق الله الذي قسموه (3) له تركوه له ، وما دخل في حق الله من حق عم أنس ردوه

عليه ، وفيهم أنزل الله : (وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا) .

قال : وكان لبني ملكان بن كنانة بن خزيمة بن مدركة صنم يقال له سعد ،

صخرة بفلاة من أرضهم طويلة ، فأقبل رجل منهم بإبل له مؤبلة ليقفها عليه التماس

بركته ، فيما يزعم ، فلما رأته الأبل ، وكانت مرعية لاتركب وكان الصنم يهراق عليه

الدماء ، نفرت منه فذهبت في كل وجه ، وغضب ربها فأخذ حجرا فرماه به ثم قال :

لا بارك الله فيك نفرت على إبلى . ثم خرج في طلبها حتى جمعها ، فلما اجتمعت له قال :

- أتينا إلى سعد ليجمع شملنا * فشتتنا سعد فلا نحن من سعد -

- وهل سعد إلا صخرة بتنوفة * من الأرض لايدعو لغى ولارشد -

قال ابن إسحاق : وكان في دوس صنم لعمر بن حممة الدوسى .

قال : وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر في جوف الكعبة يقال له هبل .

وقد تقدم فيما ذكره ابن هشام أنه أول صنم نصبه عمرو بن لحي لعنه الله .

قال ابن إسحاق : واتخذوا إسافا ونائلة ، على موضع زمزم ينحرون عندهما ، ثم ذكر

أنهما كانا رجلا وامرأة فوق عليهما في الكعبة فمسخهما
الله حجرتين .

ثم قال : حدثني عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو
بن حزم ، عن عمرة أنها

قالت : سمعت عائشة تقول : مازلنا نسمع أن إسافا ونائلة
كانا رجلا وامرأة من جرهم

أحدثا في الكعبة فمسخهما الله عزوجل حجرتين . والله
أعلم .

* (هامش) * (1) في الاصنام لابن الكلبي : عميانس . ()
(2) ابن هشام : بزعمهم (3) ابن هشام : سموه (*)

- 70 -

وقد قيل إن الله لم يمهلها حتى فجرا فيها ، بل
مسخها قبل ذلك ، فعند ذلك نصبا

عند الصفا والمروة .

فلما كان عمرو بن لحي نقلهما فوضعهما على زمزم
وطاف الناس بهما .

وفى ذلك يقول أبوطالب :

وحيث ينيخ الاشعرون ركابهم * بمفضى السيول من إساف
ونائل -

وقد ذكر الواقدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
أمر بكسر نائلة يوم الفتح

خرجت منها سوداء شمطاء تخمش وجهها وتدعو بالويل
والثبور .

وقد ذكر السهيلي : أن أجا وسلمى وهما جبلان بأرض
الحجاز ، إنما سميا باسم رجل

اسمه أجا بن عبد الحى ، فجر بسلمى بنت حام ، فصلبا
في هذين الجبلين فعرفا بهما .

قال : وكان بين أجا وسلمى صنم لطيبئ يقال له قلس .

قال ابن إسحاق : واتخذ أهل كل دار في دارهم صنما
يعبدونه ، فإذا أراد الرجل

منهم سفرا تمسح به حين يركب ، فكان ذلك آخر ما
يصنع حين يتوجه إلى سفره ،

وإذا قدم من سفره تمسح به ، فكان ذلك أول ما يبدأ به
قبل أن يدخل على أهله .

قال : فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالتوحيد
قالت قريش : أجعل الآلهة

إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب .

قال ابن إسحاق : وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة
طواغيت ، وهى بيوت تعظمها

كتعظيم الكعبة لها سدنة وحجاب ، وتهدى لها كماتهدى
للكعبة ، وتطوف بها كطوافها

- 71 -

بها وتنحر عندها . وهى - مع ذلك - (1) تعرف فضل
الكعبة عليها ، لأنها بناء إبراهيم

.....
- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 71 سطر 1 الى ص 80
سطر 20

بها وتنحر عندها . وهى - مع ذلك - (1) تعرف فضل
الكعبة عليها ، لأنها بناء إبراهيم

الخليل عليه السلام ومسجده .

وكانت لقريش وبنى كنانة العزى بنخلة ، وكان سدنتها
وحجابها بنى شيبان

من سليم حلفاء بنى هاشم ، وقد خربها خالد بن الوليد
زمن الفتح . كما سيأتى .

قال : وكانت اللات لثقيف بالطائف ، وكان سدنتها وحجابها
بنى معتب من

ثقيف ، وخربها أبوسفیان والمغيرة بن شعبة بعد مجئ أهل
الطائف . كما سيأتى .

قال : وكانت مناة للاوس والخزرج ومن دان بدينهم من
أهل المدينة (2) على

ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد ، وقد خربها
أبوسفیان أيضا ، وقيل على بن أبى طالب
كما سيأتى .

قال : وكان ذو الخلصة لدوس وختعم وبجيلة ومن كان
ببلادهم من العرب بتبالة ،

وكان يقال له الكعبة اليمانية ، وليت مكة الكعبة الشامية
. وقد خربه جرير بن عبدالله

البحلى كما سيأتى . قال :

وكان قلس لطيبى ومن يليها بجبلى طيبى ، يعنى (3)

أجأ وسلمى . وهما جبلان مشهوران

كما تقدم .

قال : وكان رثام بيتا لحمير وأهل اليمن كما تقدم ذكره
في قصة تبع أحد ملوك حمير

وقصة الحبرين حين خرباه وقتلا منه كلبا أسود .

قال : وكانت رضاء بيتا لبنى ربيعة بن كعب بن سعد ابن
زيد مناة بن تميم ، ولها

يقول المستوغر ، واسمه كعب بن ربيعة بن كعب :

- ولقد شددت على رضاء شدة * فتركها قفرا بقاع أسحما
(4) * (هامش) * (1) ليست في ابن هشام (2) ابن
هشام يثرب . (3) المطبوعة : بين . وهو خطأ (4)
الاسحم : الاسود (*)

- 72 -

وأعان عبدالله في مكروهاها * وبمثل عبدالله أغشى
المحرما (1) ويقال إن المستوغر هذا عاش ثلاثمائة سنة
وثلاثين سنة ، وكان أطول مضر كلها

عمرا ، وهو الذى يقول :

- ولقد سئمت من الحياة وطولها * وعمرت من عدد
السنين مئينا -

- مائة حدثها بعدها مائتان لى * وازددت من عدد الشهور
سنيانا -

- هل ما بقى إلا كما قد فاتنا * يوم يمر ليلة تحدوننا -

قال ابن هشام : وتروى هذه الابيات لزهير بن جناب بن
هيل . (2) قال السهيلي : ومن المعمرين الذين جازوا
المائتين و الثلاثمائة : زهير هذا ، وعبيد

إبن شرية ، ودغفل بن حنظلة النسابة ، والربيع بن ضيع
الفزاري ، وذو الاصبع

العدوانى ، ونصر بن دهمان بن أشجع بن ريث بن غطفان
، وكان قد اسود شعره بعد

ايضاضه وتقوم ظهره بعد اعوجاجه .

قال : (3) وكان ذو الكعبات ليكر وتغلب ابني (4) وائل
وإياد بسنداد ، وله

يقول أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

- بين (5) الخورنق والسدير وبارق * والبيت ذى الشرفات
من سنداد (6) وأول هذه القصيدة : - ولقد علمت وإن
تطاول بى المدى * أن السيل سبيل ذى الاعواد -

- ماذا أوئل بعد آل محرق * تركوا منازلهم ، وبعد إباد -

- نزلوا بأنقرة يسيل عليهم * ماء الفرات يجئ من أطواد -
أرض الخورنق والسدير وبارق * والبيت ذى الكعبات من
سنداد * (هامش) * (1) لم يرد هذا البيت في ابن
هشام (2) ابن هشام : بن جناب الكلبى . (3) أى ابن
اسحق

(4) المطبوعة : ابن . وهو خطأ . (5) ابن هشام : اهل
الخورنق .

(6) السنداد : منازل لاياد أسفل سواد الكوفة ، وراء
نجران الكوفة

(*)

- 73 -

- جرت الرياح على محل ديارهم * فكأنما كانوا على ميعاد
-

- وأرى النعيم وكل ما يلهى به * يوما يصير إلى بلى ونفاد
قال السهيلي : الخورنق : قصر بناه النعمان الاكبر لسابور
ليكون ولده فيه عنده ،

وبناه رجل يقال له سنمار في عشرين سنة ، ولم ير بناء
أعجب منه ، فخشى أن يبنى

لغيره مثله ، فألقاه من أعلاه فقتله ، ففى ذلك يقول
الشاعر :

- جزانى ، جزاه الله شر جزائه * جزاء سنمار وما كان ذا
ذنب -

- سوى رضفه البنيان عشرين حجة * يعد عليه بالقرامد
والسكب (1) فلما انتهى البنيان يوما تمامه * وأض كمثل
الطود والبادخ الصعب -

- رمى بسنمار على حق رأسه * وذاك لعمر الله من أقيح
الخطب -

قال السهيلي : أنشده الجاحظ في كتاب الحيوان .
والسنمار من أسماء القمر .

والمقصود أن هذه البيوت كلها هدمت لما جاء الاسلام ،
جهز رسول الله صلى الله

عليه وسلم إلى كل بيت من هذه سرايا تخربه ، وإلى
تلك الاصنام من كسرهما ، حتى لم

لم يبق للكعبة ما يضاهيها ، وعبدالله وحده لاشريك له .
كما سيأتى بيانه وتفصيله في

مواضعه إن شاء الله تعالى وبه الثقة . * (هامش) * . (1)
(القرامد : حجارة لها خروق تنضج ويبنى بها ، والآجر ،
وما طلى به كالزعفران والجص . والسكب :

النحاس أو الرصاص) (*)

- 74 -

خبر عدنان جد عرب الحجاز ، وهو الذى ينتهى إليه

نسب النبى صلى الله عليه وسلم

لاخلاف أن عدنان من سلالة إسماعيل بن إبراهيم الخليل
عليهما السلام .

واختلفوا في عدة الآباء بينه وبين إسماعيل على أقوال
كثيرة .

فأكثر ما قبل أربعون أبا ، وهو الموجود عند أهل الكتاب ،
أخذوه من كتاب

رخيا كاتب أرميا بن حلقيا . على ما سنذكره .
وقيل بينهما ثلاثون . وقيل عشرون . وقيل خمسة عشر .
وقيل عشرة . وقيل
تسعة . وقيل سبعة .
وقيل إن أقل ما قيل في ذلك أربعة ، لما رواه موسى
بن يعقوب ، عن عبدالله بن
وهب بن زمعة الزمعي ، عن عمته ، عن أم سلمة ، عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
(معد بن عدنان ابن أدد بن زند بن اليرى بن أعراق
الثرى) .
قالت أم سلمة : فزند هو الهميسع . واليرى هو نابت ،
وأعراق الثرى هو إسماعيل .
لانه ابن إبراهيم ، وإبراهيم لم تأكله النار كما أن النار
لتأكل الثرى .
قال الدارقطنى : لانعرف زندا إلا في هذا الحديث ، وزند
بن الجون ، وهو
أبودلامة الشاعر .
قال الحافظ أبوالقاسم السهيلي وغيره من الائمة : مدة ما
بين عدنان إلى زمن
إسماعيل أكثر من أن يكون بينهما أربعة آباء أو عشرة أو
عشرون ، وذلك أن معد
ابن عدنان كان عمره زمن بختنصر اثنتى عشرة سنة .
وقد ذكر أبوجعفر الطبرى وغيره أن الله تعالى أوحى في
ذلك الزمان إلى أرمياء بن

حلقيا أن اذهب إلى بختنصر فأعلمه أنى قد سلطته على
العرب . وأمر الله أرمياء أن يحمل

معه معد بن عدنان على البراق كى لاتصيه النعمة فيهم ،
فإنى مستخرج من صلبه نبيا

كريما أختم به الرسل .

ففعل أرمياء ذلك واحتمل معدا على البراق إلى أرض
الشام ، فنشأ مع بنى إسرائيل

ممن بقى منهم بعد خراب بيت المقدس ، وتزوج هناك
امراة اسمها معانة بنت جوشن من

بنى دب بن جرهم ، قبل أن يرجع إلى بلاده ، ثم عاد
بعد أن هدأت الفتن وتمحضت

جزيرة العرب ، وكان رخيا كاتب أرمياء قد كتب نسبه في
كتاب عنده ليكون في

خزانه أرمياء فيحفظ نسب معد كذلك . والله أعلم .

ولهذا كره مالك رحمة الله رفع النسب إلى ما بعد عدنان

قال السهيلي : وإنما تكلمنا في رفع هذه الانساب على
مذهب من يرى ذلك ولم

يكرهه ، كابن إسحاق والبخارى ، والزيير بن بكار ،
والطبرى ، وغيرهم من العلماء .

وأما مالك رحمه الله فقد سئل عن الرجل يرفع نسبه إلى
آدم فكره ذلك ، وقال له :

من أين له علم ذلك ؟ !

ف قيل له : فألى إسماعيل ؟ فأنكر ذلك أيضا ، وقال : ومن
يخبره به !

وكره أيضا أن يرفع في نسب الانبياء ، مثل أن يقال :
إبراهيم بن فلان بن فلان .

هكذا ذكره المعيطى في كتابه .

قال : وقول مالك هذا نحو ما روى عن عروة بن الزبير
أنه قال : ما وجدنا

أحدا يعرف ما بين عدنان وإسماعيل .

وعن ابن عباس أنه قال : بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبا
لا يعرفون .

وروى عن ابن عباس أيضا أنه كان إذا بلغ عدنان يقول :
كذب النسابون . مرتين .

أو ثلاثا . والاصح عن ابن مسعود مثله .

- 76 -

وقال عمر بن الخطاب : إنما ننسب إلى عدنان .

وقال أبو عمر بن عبد البر في كتابه : (الانباه في معرفة
قبائل الرواة) : روى

ابن لهيعة عن أبي الاسود أنه سمع عروة بن الزبير يقول
: ما وجدنا أحدا يعرف ماوراء

عدنان ولا ماوراء قحطان إلا تخرصا .

وقال أبو الاسود : سمعت أبا بكر سليمان بن أبي خيثمة ،
وكان من أعلم قريش

بأشعارهم وأنسابهم ، يقول : ما وجدنا أحدا يعرف ماوراء
معد بن عدنان في شعر

شاعر ولا علم عالم .

قال أبو عمر : وكان قوم من السلف منهم عبدالله بن
مسعود وعمرو بن ميمون

الازدى ومحمد بن كعب القرظى إذا تلووا (والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله) (1) قالوا : كذب النسابون .

قال أبو عمر رحمه الله : والمعنى عندنا في هذا غير ما ذهبوا ، والمراد أن من ادعى

إحصاء بنى آدم فإنهم لا يعلمهم إلا الله الذى خلقهم ، وأما أنساب العرب فإن أهل العلم

بأيامها وأنسابها قد وعوا وحفظوا جماهيرها وأمهاة قبائلها ، واختلفوا في بعض

فروع ذلك .

قال أبو عمر : والذى عليه أئمة هذا الشأن في نسب عدنان قالوا : عدنان بن أدد ،

ابن مقوم ، بن ناحور بن تيرح ، بن تيرح ، بن يعرب ، بن يشجب ، بن نابت ، بن إسماعيل ،

ابن إبراهيم الخليل عليهما السلام . وهكذا ذكره محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة .

قال ابن هشام : ويقال عدنان بن أدد . يعنى عدنان بن أدد ، بن أدد .

ثم ساق أبو عمر بقية النسب إلى آدم . * (هامش) * (1) سورة إبراهيم 9 (*)

- 77 -

وأما الانساب إلى عدنان من سائر قبائل العرب فمحافظة شهيرة جدا ، لا يتمارى

فيها اثنان .

والنسب النبوى إليه أظهر وأوضح من فلق الصبح ، وقد ورد حديث مرفوع بالنص

عليه ، كما سنورده في موضعه بعد الكلام على قبائل العرب وذكر أنسابها وانتظامها في

سلك النسب الشريف والاصل المنيف . إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ،

ولاحول ولاقوة إلا بالله العزيز الحكيم .

وما أحسن ما نظم النسب النبوي الامام أ بوالعباس عبدالله بن محمد الناشئ في

قصيدته المشهورة المنسوبة إليه وهى قوله :

- مدحت رسول الله أبغى بمدحه * وفور حظوظى من كريم المآرب -

- مدحت امرأ فاق المديح موحدًا * بأوصافه عن مبعده ومقارب -

- نبيا تسامى في المشارق نوره * فلاحته هواديه لاهل المغرب -

- أتتنا به الانبياء قبل مجيئه * وشاعت به الاخبار في كل جانب -

- وأصبحت الكهان تهتف باسمه * وتنفى به رجم الظنون الكواذب -

- وانطقت الاصنام نطقا تبرأت * إلى الله فيه من مقال الاكاذب -

- وقالت لاهل الكفر قولًا مبينا : * أتاكم نبى من لؤى بن غالب -

- ورام استراق السمع جن فزيلت * مقاعدهم منها رجوم الكواكب -

- هदानا إلى مالم نكن نهتدى له * لطول العمى من واضحات المذاهب -

- وجاء بآيات تبين أنها * دلائل جبار مثيب معاقب -
- فمنها انشقاق البدر حين تعممت * شعوب الضيا منه
- رءوس الاخشب -

- ومنها نبوع الماء بين بنانه * وقد عدم الورد قرب
- المشارب -

- 78 -

- فروى به جما غفيرا وأسهلت * بأعناقه طوعا أكف
- المذائب -

- وبئر طغت بالماء من مس سهمه * ومن قبل لم تسمح
- بمذقة شارب -

- وضرع مراه فاستدر ولم يكن * به درة تصغى إلى كف
- حالب -

- ونطق فصيح من ذراع مبينة * لكيد عدو للعداوة ناصب -
- وإخباره بالامر من قبل كونه * وعند بواديه بما في
- العواقب -

- ومن تلكم الآيات وحى أتى به * قريب المآتى مستجم
- العجائب -

- تقاصرت الافكار عنه فلم يطع * بليغا ولم يخطر على
- قلب خاطب -

- حوى كل علم واحتوى كل حكمة * وفات مرام المستمر
- الموارد -

- أتانا به لا عن روية مرتئ * ولا صحف مستمل ولا وصف
- كاتب -

- يواتيه طوراً في إجابة سائل * وإفتاء مستفت ووعظ
- مخاطب -

- وإتيان برهان وفرض شرائع * وقص أحاديث ونص مآرب -
- وتصريف أمثال وتشبث حجة * وتعريف ذى جحد وتوقيف كاذب -
- وفى مجمع النادى وفى حومة الوغى * وعند حدوث المعضلات الغرائب -
- فيأتى على ما شئت من طرقاته * قويم المعانى مستدر الضرائب -
- يصدق منه البعض بعضا كأنما * يلاحظ معناه بعين المراقب -
- وعجز الورى عن أن يجيئوا بمثل ما * وصفناه معلوم بطول التجارب -
- تأبى بعبد الله أكرم والد * تبلج منه عن كريم المناسب -
- وشيبة ذى الحمد الذى فخرت به * قريش على أهل العلا والمناصب -
- ومن كان يستسقى الغمام بوجهه * ويصدر عن آرائه فى النوائب -
- وهاشم البانى مشيد افتخاره * بغير المساعى وامتنان المواهب
- وعبد مناف وهو علم قومه اش * تطاط الامانى واحتكام الرغائب -

- 79 -

- وإن قصيا من كريم غراسه * لفى منهل لم يدن من كف قاضب (1)
- به جمع الله القبائل بعدما * تقسمها نهب الاكف السوالب -

- وحل كلاب من ذرى المجد معقلا * تقاصر عنه كل دان
وغائب -
- ومرة لم يحلل مريرة عزمه * سفاه سفيه أو محوبة حائب
(2) وكعب علا عن طالب المجد كعبه * فنال بأدنى
السعى أعلا المراتب -
- وألوى لؤى بالعدة فطوعت * له همم الشم الانوف
الاغالب -
- وفى غالب بأس أبى الباس دونهم * يدافع عنهم كل قرن
مغالب -
- وكانت لفهر في قريش خطابة * يعوذ بها عند اشتجار
المخاطب -
- ومازال منهم مالك خير مالك * وأكرم مصحوب وأكرم
صاحب -
- وللنصر طول يقصر الطرف دونه * بحيث التقى ضوء
النجوم الثواقب -
- لعمرى لقد أبدى كنانة قبله * محاسن تأبى أن تطوع
لغالب -
- ومن قبله أبقى خزيمة حمده * تليد تراث عن حميد
الاقارب -
- ومدركة لم يدرك الناس مثله * أعف وأعلى عن دنى
المكاسب -
- وإلياس كان اليأس منه مقارنا * لاعدائه قبل اعتداد
الكتائب -
- وفى مضر يستجمع الفخر كله * إذا اعتركت يوما زحوف
المقانب (3)
- وحل نزار من ريا سة أهله * محلا تسامى عن عيون
الرواقب -

- وكان معد عدة لوليه * إذا خاف من كيد العدو المحارب -

- وما زال عدنان إذا عد فضله * توحد فيه عن قرين
وصاحب -

- واد تأدى الفضل منه بغاية * وإرث حواه عن قروم أشايب -

* (هامش) * (1) القاضب : الغارس . (2) الحائب : الأثم
(3) المقانب : جمع المقناب ، الطائفة من

الخيال ما بين الثلاثين إلى أربعين . (*)

- 80 -

- وفي أدد حلم تزين بالحجا * إذا الحلم أزهاه قطوب
الحواجب -

- وما زال يستعلى هميسع بالعلا * ويتبع آمال البعيد
المراغب -

- ونبت بنته دوحة العز وابتنى * معاقله في مشمخر
الاهاضب -

- وحيزت لقيذار سماحة حاتم * وحكمة لقمان وهمة حاجب -

- هم نسل إسماعيل صادق وعده * فما بعده في الفخر
مسعى لذهاب -

- وكان خليل الله أكرم من عنت * له الارض من ماش
عليها وراكب -

- وتارح مازالت له أريحية * تبين منه عن حميد المضارب -

- وناحور نحار العدى حفظت له * مآثر لما يحصها عد
حاسب -

- وأشرع في الهيجاء ضيغم غابة * يقدر الطلا (1) ب
المرهفات القواضب -

- وأرغو ناب في الحروب محكم * ضنين على نفس المشح
المغالب -

- وما فالغ في فضله تلو قومه * ولا عابر من دونهم في
المراتب -

- وشالغ وارفخشذ وسام سمت بهم * سجايا حمتهم كل
زار وعائب -

- وما زال نوح عند ذى العرش فاضلا * يعدده في
المصطفين الاطايب -

- ولمك أبوه كان في الروع رائعا * جريئا على نفس
الكمى المضارب -

- ومن قبل لمك لم يزل متوشلخ * يذود العدى ب
الذائدات الشواذب (2) وكانت لادريس النبى منازل * من
الله لم تقرن بهمة راغب -

- ويارد بحر عند آل سراته * أبى الخزايا مستدق المآرب -
- وكانت لمهلاييل فهم فضائل * مهذبة من فاحشات
المثالب -

- وقينان من قبل اقتنى مجد قومه * وفاد بشأو الفضل
وخذ الركائب -

- وكان أنوش ناش للمجد نفسه * ونزهها عن مرديات
المطالب - * (هامش) * (1) الطلا : الشخص . (2)
الشواذب : الخشنة (*)

- 81 -

وما زال شيث بالفضائل فاضلا * شريفا بريئا من ذميم
المعائب -

.....

- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 81 سطر 1 الى ص 90
سطر 18

وما زال شيث بالفضائل فاضلا * شريفا بريئا من ذميم
المعائب -

- وكلهم من نور آدم أقبسوا * وعن عوده أجنوا ثمار
المناقب -

- وكان رسول الله أكرم منجب * جرى في ظهور الطيبين
المناجب -

- مقابلة آباؤه أمهاته * مبرأة من فاضحات المثالب -

- عليه سلام الله في كل شارق * ألح لنا ضوءا وفى كل
غارب -

هكذا أورد القصيدة الشيخ أبو عمر بن عبدالبر وشيخنا
الحافظ أبو الحجاج المزى

في تهذيبه ، من شعر الاستاذ أبي العباس عبدالله بن
محمد الناشئ المعروف بابن شرشير .

أصله من الانبار ورد بغداد ثم ارتحل إلى مصر ، فأقام بها
حتى مات سنة ثلاث

وتسعين ومائتين ، وكان متكلماً معتزلياً ، يحكى عنه الشيخ
أبو الحسن الأشعري في كتابه

(المقالات) فيما يحكى عن المعتزلة .

وكان شاعراً مطبقاً حتى أن من جملة اقتداره على الشعر
كان يعاكس الشعراء في

المعاني ، فينظم في مخالفتهم ويبتكر ما لا يطبقونه من
المعاني البديعة والالفاظ البليغة ، حتى

نسبه بعضهم إلى التهوس والاختلاط .

وذكر الخطيب البغدادي أن له قصيدة على قافية واحدة
قرباً من أربعة آلاف بيت

ذكرها الناجم ، وأرخ وفاته كما ذكرنا .

قلت : وهذه القصيدة تدل على فضيلته وبراعته وفصاحته
وبلاغته وعلمه وفهمه

وحفظه وحسن لفظه وإطلاعه واضطلاعه ، واقتداره على
نظم هذا النسب الشريف في سلك

شعره وغوصه على هذه المعانى التى هى جواهر نفيسة
من قاموس بحره . فرحمه الله وأثابه

وأحسن مصيره وإيابه . (6 - السيرة - 1)

- 82 -

ذكر أصول أنساب قبائل عرب الحجاز إلى عدنان

وذلك لان عدنان ولد له ولدان معدوعك .

قال السهيلي : ولعدنان أيضا ابن اسمه الحارث ، وآخر
يقال له المذهب . قال : وقد

ذكر أيضا في بنيه الضحاك . وقيل إن الضحاك ابن لمعد لا
ابن عدنان . قال : وقيل إن

عدن الذى تعرف به مدينة عدن ، وكذلك أبين ، كانا ابنين
لعدنان . حكاه الطبرى .

فتزوج عك في الاشعريين وسكن في بلادهم من اليمن ،
فصارت لغتهم واحدة ،

فزعم بعض أهل اليمن أنهم منهم ، فيقولون : عك بن
عدنان بن عبدالله بن الازد بن يغوث .

ويقال : عك بن عدنان بن الذيب بن عبدالله بن الاسد .
ويقال : الريث بدل الذيب .

والصحيح ما ذكرنا من أنهم من عدنان . قال عباس بن
مرداس :

- وعك بن عدنان الذين تلعبوا * بغسان حتى طردوا كل
مطرر -

وأما معد فولد له أربعة : نزار وقضاة وقنص وإياد . وكان
قضاة بكره وبه

كان يكنى . وقد قدمنا الخلاف في قضاة ، ولكن هذا هو
الصحيح عند ابن إسحاق

وغيره . والله أعلم .

وأما قنص : فيقال إنهم هلكوا ولم يبق لهم بقية ، إلا أن
النعمان بن المنذر الذي كان

نائباً لكسرى على الحسيمة كان من سلالة ، على قول
طائفة من السلف . وقيل : بل كان

من حمير ، كما تقدم . والله أعلم .

وأما نزار فولد له ربيعة ومضر وأنمار . قال ابن هشام :
وإياد بن نزار ، كما

قال الشاعر :

- 83 -

- وفتو (1) حسن أوجهم * من إياد بن نزار بن معد -

قال : وإياد ومضر شقيقان ، أمهما سودة بنت عك بن
عدنان . وأم ربيعة وأنمار

شقيقة بنت عك بن عدنان . ويقال جمعة بنت عك بن
عدنان .

قال ابن إسحاق : فأما أنمار فهو والد خثعم وبجيلة ، (2)
، قبيلة جرير ابن عبدالله

البعلي . قال : وقد تيامنت فلحقت باليمن .

قال ابن هشام : وأهل اليمن يقولون أنمار بن إراش بن
لحيان بن عمرو بن الغوث

ابن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ .

قلت : والحديث المتقدم في ذكر سبأ يدل على هذا . والله أعلم .

قالوا : وكان مضر أول من حدا ، وذلك لانه كان حسن الصوت فسقط يوما عن

بعيره فوثبت يده ، فجعل يقول وايدياه وايدياه فأعنت الابل لذلك .

قال ابن إسحاق : فولد مضر بن نزار رجلين : الياس (3) وعيلان .

وولد لالياس مدركة وطابخة وقمعة ، وأمهم خندف بنت عمران بن الحاف

ابن قضاة .

قال ابن إسحاق : وكان اسم مدركة عامرا ، واسم طابخة عمرا ، ولكن اصطادا

صيда ، فبيناهما يطبخانه إذ نفرت الابل ، فذهب عامر في طلبها حتى أدركها ، وجلس الآخر

يطبخ ، فلما راحا على أبيهما ذكر اله ذلك فقال لعامر : أنت مدركة . وقال لعمرو : أنت * (هامش) * (1) فتو : جمع فتى . (2) لايراعى ابن كثير الحرفية في نقله عن ابن هشام في مواضع كثيرة بل ينقل

بالمعنى . فمثلا نص كلام ابن إسحق هنا : فأنمار أبوخثعم وبجيلة . وغالب نقل ابن كثير عن ابن إسحق وابن هشام

ليس بالنص . (3) قال ابن دريد : يمكن أن يكون اشتقاق إلياس من قولهم يئس يئس ياسا ثم أدخلوا على اليأس الأنف

واللام . ويمكن أن يكون من قولهم رجل أليس من قوم ليس ، أى شجاع ، وهو غاية ما يوصف به الشجاع ،

هذا لمن يهمز إلياس . والتفسير الاول أحب إلى . الاشتقاق
30 (*)

طابخة . قال : وأما قمعة فيزعم نساب مضر أن خزاعة
من ولد عمرو بن لحي بن
قمعة بن الياس .

قلت : والظاهر أنه منهم لا والدهم وأنهم من حمير كما
تقدم . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : فولد مدركة خزيمة وهذيل وأمهما امرأة
من قضاة .

وولد خزيمة كنانة وأسدا وأسدة والهون .

قال : وولد كنانة النضر ومالكا وعبد مناة وملكان وزاد
أبوجعفر الطبرى في

أبناء كنانة على هؤلاء الاربعة : عامرا والحارث والنضير .
وغنما وسعدا وعوفا وجرولا

والجرال وغزوان .

الكلام على قريش نسبا واشتقاقا وفضلا ، وهم بنو النضر
بن كنانة

قال ابن إسحاق : وأم النضر برة بنت مر بن أد بن
طابخة - بن الياس بن مضر - (1) وسائر بنيه لامرأة
أخرى . وخالفه ابن هشام فجعل برة بنت مر أم النضر
ومالك

وملكان . وأم عبد مناة هالة بنت سويد بن الغطريف من
أزد شنوءة .

قال ابن هشام : النضر هو قريش ، فمن كان من ولده
فهو قرشى ، ومن لم

يكن من ولده فليس بقرشى . قال : ويقال فهر بن مالك
هو قريش ، فمن كان من ولده فهو

قرشى ، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشى .

وهذان القولان قد حكاهما غير واحد من أئمة النسب
كالشيخ أبى عمر بن عبدالبر

والزبير بن بكار ومصعب وغير واحد .

قال أبو عبيد وابن عبدالبر : والذى عليه الاكثرون أنه النضر
بن كنانة ، لحديث * (هامش) * (1) عن ابن هشام (*)

- 85 -

الاشعث (1) بن قيس . قلت : وهو الذى نص عليه هشام
بن محمد بن السائب الكلبى

وأبو عبيدة معمر بن المثنى ، وهو جادة مذهب الشافعى
رضى الله عنه .

ثم اختار أبو عمر أنه فهر بن مالك ، واحتج بأنه ليس أحد
اليوم ممن ينتسب إلى

قريش إلا وهو يرجع في نسبه إلى فهر بن مالك . ثم
حكى اختيار هذا القول عن الزبير

ابن بكار ومصعب الزبيرى وعلى بن كيسان . قال : وإليهم
المرجع في هذا الشأن ،

وقد قال الزبير بن بكار : وقد أجمع نساب قريش وغيرهم
أن قريشا إنما تفرقت من

فهر بن مالك . والذى عليه من أدركت من نساب قريش
أن ولد فهر بن مالك

قرشى ، وأن من جاوز فهر بن مالك بنسبه فليس من
قريش . ثم نصر هذا القول

نصرا عزيزا وتحامى له بأنه ونحوه أعلم بأنساب قومهم
وأحفظ لمآثرهم .

وقد روى البخارى من حديث كليب بن وائل قال : قلت
لربيبة النبي صلى الله عليه

وسلم ، يعنى زينب ، - بنت أبى سلمة - (2)

في حديث ذكره : أخبرينى عن النبي صلى

الله عليه وسلم أكان من مضر ؟ قالت : فممن كان إلا
من مضر من بنى النضر بن

كنانة (3) وقال الطبرانى : حدثنا إبراهيم بن نائلة
الاصبهانى ، حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلي ،

حدثنا الحسن بن صالح ، عن أبيه ، عن الجشيش الكندى
قال : جاء قوم من كندة

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : أنت منا .
وادعوه ، فقال : (لا ، نحن بنو النضر

ابن كنانة لانقفوا (4) أمنا ولاننتفى من أينا) .

وقال الامام أبوعثمان سعيد بن يحيى بن سعيد : حدثنا أبى
، حدثنا الكلبي ، عن

أبى صالح ، عن ابن عباس قال : جاء رجل من كندة يقال
له الجشيش إلى النبي صلى الله

* (هامش) * (1) المطبوعة : الاسعد . وهو خطأ (2) من
البخارى (3) البخارى 132 / 2 (4) لاتقفوا أمنا : لانتهمها
ولانقذفها ، يقال قفافلان فلانا إذا قذفه بما ليس فيه ،
وقيل معناه لانتترك النسب

إلى الآباء ومنتسب إلى الامهات . النهاية 303 / 2 . (*)

- 86 -

عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنا نزعم أن عبد مناف
منا . فأعرض عنه . ثم عاد فقال

مثل ذلك ثم أعرض عنه . ثم عاد فعال مثل ذلك .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (نحن بنو النظر بن
كنانة لانقفوا أمانا ولاننتفى
من أبينا) .

فقال الاشعث : ألا كنت سكت من المرة الاولى !
فأبطل ذلك قولهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم .
وهذا غريب أيضا من هذا الوجه ، والكلبي ضعيف . والله
أعلم .

وقد قال الامام أحمد : حدثنا بهز وعفان ، قالا حدثنا حماد
بن سلمة ، قال حدثني

عقيل بن أبي طلحة . وقال عفان : عقيل بن طلحة
السلمي ، عن مسلم بن الهيصم ، عن

الاشعث بن قيس أنه قال : أتيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم في وفد كندة ، قال

عفان : لا يروني أفضلهم . قال فقلت : يا رسول الله إنا
نزعم أنكم منا . قال فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : (نحن بنو النضر بن
كنانة لانقفوا أمانا ولاننتفى

من أبينا) .

قال فقال الاشعث بن قيس : فو الله لا أسمع أحدا نفي
قريشا من النضر بن كنانة إلا

جلدته الحد .

وهكذا رواه ابن ماجة من طرق عن حماد ابن سلمة به .

وهذا إسناد جيد قوى ، وهو فيصل في هذه المسألة فلا
التفات إلى قول من خالفه .

والله أعلم . والله الحمد والمنة .

وقد قال جرير بن عطية التميمي يمدح هشام بن
عبد الملك بن مروان :

- فما الام التي ولدت قريشا * بمقرفة النجار (1)
ولا عقيم - * (هامش) *

(1) المقرفة : التي تأتي بما يشين النسب . (*)

- 87 -

- وما قرم بأنجب من أبيكم * ولا خال بأكرم من تميم -

قال ابن هشام : يعنى أم النضر بن كنانة ، وهى برة بنت
مر أخت تميم بن مر .

وأما اشتقاق قريش ف قيل من التقرش وهو التجمع بعد
التفرق ، وذلك في زمن

قصى بن كلاب ، فإنهم كانوا متفرقين فجمعهم بالحرام ،
كما سيأتى بيانه . وقد قال حذافة

ابن غانم العدوى :

- أبوكم قصى كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من
فهر -

وقال بعضهم : كان قصى يقال له قريش . قيل : من
التجمع ، والتقرش التجمع

كما قال أبوخلدة اليشكري :

إخوة قرشوا الذنوب علينا * في حديث من دهرنا (1)
وقديم

وقيل : سميت قريش من التقرش ، وهو التكسب والتجارة
. حكاه ابن هشام

رحمه الله .

وقال الجوهري : القرش : الكسب والجمع ، وقد قرش
يقرش . قال الفراء : وبه

سميت قريش ، وهى قبيلة وأبوهم النضر بن كنانة ، فكل
من كان من ولده فهو قرشى
دون ولد كنانة فما فوقه .

وقيل : من التفتيش ، قال هشام بن الكلبي : كان النضر
بن كنانة يسمى قريشا

لانه كان يقرش عن خلة الناس وحاجتهم فيسدها بماله ،
والتقريش هو التفتيش ،

وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن الحاجة فيرفدونهم
بما يبلغهم بلادهم . فسموا بذلك

من فعلهم وقرشهم قريشا . * (هامش) *

(1) ابن هشام : من عمرنا . (*)

- 88 -

وقد قال الحارث بن حلزة في بيان أن القرش التفتيش :

- أيها الناطق المقرش عنا * عند عمرو فهل له إبقاء -

حكى ذلك الزبير بن بكار .

وقيل : قريش تصغير قرش وهو دابة في البحر . قال
بعض الشعراء :

- وقريش هى التى تسكن البح * ر بها سميت قريش
قريشا -

قال البيهقي : أخبرنا أبونصر بن قتادة ، أنبأنا أبوالحسن
على بن عيسى الماليني ، حدثنا

محمد بن الحسن بن الخليل النسوى ، أن أبا كريب
حدثهم ، حدثنا وكيع ابن الجراح ،

عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن أبي ركانة العامري ،
أن معاوية قال لابن عباس :

فلم سميت قريش قريشا ؟ فقال : لدابة تكون في البحر
، تكون أعظم دوابه يقال لها

القرش ، لا تمر بشيء من الغث والسمين إلا أكلته . قال :

فأنشدني في ذلك شيئا . فأنشده

شعر الجمحي إذ يقول :

- وقريش هي التي تسكن البح * ر بها سميت قريش
قريشا -

- تأكل الغث والسمين ولا * تترك لذي الجناحين ريشا -

- هكذا في البلاد حى قريش * يأكلون البلاد أكلا كميشا (1)
(ولهم آخر الزمان نبي * يكثر القتل فيهم والخموشا (2))
وقيل سموا بقريش بن الحارث بن يخلد بن النضر بن
كنانة ، وكان دليل بني النضر

وصاحب ميرتهم ، فكانت العرب تقول : قد جاءت غير
قريش . قالوا : وابنه (3) بدر بن

قريش هو الذي حفر البئر المنسوبة إليه التي كانت عندها
الوقعة العظمى يوم الفرقان يوم

التقى الجمعان والله أعلم .

* (هامش) * (1) الكميش : التشديد . (2) هذا البيت
غير صادق وعليه مسحة الوضع ، ومن الواضح أن قريشا

لم تفقد في قتالها إلا عددا قليلا ، في بدر وأحد والخندق ،
وفى فتح مكة . فالمظنون أن القافية هي التي حكمت

على واضع هذا البيت بأن يهذى بهذا الكلام . (3)
المطبوعة : وابن (*)

ويقال في النسبة إلى قريش : قرشى وقريشى . قال
الجوهري : وهو القياس .

قال الشاعر .

- لكل قريشى عليه مهابة * سريع إلى داعى الندى والتكرم
-

قال : فإذا أردت بقريش الحى صرفته ، وإن أردت القبيلة
منعته . قال الشاعر

في ترك الصرف :

* وكفى قريش المعضلات وسادها *

وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبى عمر والاوزاعى
قال : حدثنى شداد

أبوعمار ، حدثنى واثلة بن الاسقع ، قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : (إن الله

اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشا من
كنانة ، واصطفى هاشما من قريش ،

واصطفانى من بنى هاشم) .

قال أبوعمار بن عبدالبر : يقال : بنو ع بدالمطلب فصيلة
رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، وبنو هاشم فخذة ، وبنو عبد مناف بطنه ،
وقريش عمارته ، وبنو كنانة قبيلة ،

ومضر شعبه ، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم
الدين .

ثم قال ابن إسحاق : فولد النضر بن كنانة مالكا ويخلدا .
قال ابن هشام : والصلت .

وأهمهم جميعا بنت سعد بن الظرب العدوانى .

قال كثير بن عبدالرحمن ، وهو كثير عزة أحد بنى مليح بن عمرو

من خزاعة :

- أليس أبى بالصلت أم ليس إخوتى * لكل هجان من بنى النضر أزهرأ -

- رأيت ثياب العصب مختلط السدى * بنا وبهم والحضرمى المخصرا -

- 90 -

- فإن لم تكونوا من بنى النضر فاتركوا * أراكا بأذنان الفوائج (1) أخضرا

قال ابن هشام : وبنو مليح بن عمرو يعزون إلى الصلت بن النضر .

قال ابن إسحاق : فولد مالك بن النضر فهر بن مالك . وأمه جندلة بنت الحارث

ابن مضاض الاصغر . وولد فهر غالبا ومحاربا والحارث وأسدا . وأمهم ليلى بنت

سعد بن هذيل بن مدركة .

قال ابن هشام : وأختهم لابيهم جندلة بنت فهر .

قال ابن إسحاق : فولد غالب بن فهر لؤى بن غالب ، وتيم بن غالب ، وهم الذين

يقال لهم بنو الادرم . وأمهما سلمى بنت عمرو الخزاعى .

قال ابن هشام : وقيس بن غالب وأمهم سلمى بنت كعب بن عمرو الخزاعى ،

وهى أم لؤى - وتيم ابن غالب (2) - قال ابن إسحاق : فولد لؤى بن غالب أربعة نفر : كعبا وعامرا وسامة ؟ وغوفا . قال

ابن هشام : ويقال والحارث . وهم جشم بن الحارث في
هزان من ربيعة . وسعد بن لؤى

وهم بنانة في شيبان بن ثعلبة . وبنانة حاضنة لهم .
وخزيمة بن لؤى وهم عائذة في

شيبان بن ثعلبة .

ثم ذكر ابن إسحاق خبر سامة بن لؤى ، وأنه خرج إلى
عمان فكان بها ،

وذلك لشنآن كان بينه وبين أخيه عامر ، فأخافه عامر ،
فخرج عنه هاربا إلى عمان ،

وأنه مات بها غريبا ، وذلك أنه كان يرعى ناقته فعلمت
حية بمشفرها فوقعت لشقها ، * (هامش) *

(1) الفوائج : متسع ما بين كلا مرتفعين من غلظ أو رمل
واحدتها فائجة . (2) عن ابن هشام (*)

- 91 -

ثم نهشت الحية سامة حتى قتلتها ، فيقال إنه كتب بإصبعه
على الارض :

.....
- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 91 سطر 1 الى ص 100
سطر 23

ثم نهشت الحية سامة حتى قتلتها ، فيقال إنه كتب بإصبعه
على الارض :

- عين فابكى لسامة بن لؤى * علقت ما بسامة (1)
العلاقة

- لا أرى مثل سامة بن لؤى * يوم حلوا به قتيلا لناقة -

- بلغا عامرا وكعبا رسولا * أن نفسى إليهما مشتاقه -

إن تكن في عمان داري فإني * غالبى خرجت من غير
فاقه (2) رب كأس هرقت يا ابن لؤى * حذر الموت لم
تكن مهراقه -

- رمت دفع الحتوف يابن لؤى * ما لمن رام ذاك بالحتف
طاقه -

- وخروس السرى (3) تركت رزيا * بعد جد وحدة ورشاقه
-

قال ابن هشام : وبلغنى أن بعض ولده أتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم : فانتسب

إلى سامة بن لؤى ، فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم : (الشاعر) ؟ فقال له بعض

أصحابه : كأنك يا رسول الله أردت قوله :

- رب كأس هرقت يابن لؤى * حذر الموت لم تكن مهراقه
-

فقال أجل . وذكر السهيلي عن بعضهم أنه لم يعقب .
وقال الزبير : ولد سامة بن

لؤى غالبا والنبيت والحارث . قالوا : وكانت له ذرية بالعراق
يبغضون عليا ، ومنهم

على بن الجعد ، كان يشتم أباه لكونه سماه عليا . ومن
بنى سامة بن لؤى محمد بن عرعرة

ابن اليزيد شيخ البخارى .

قال ابن إسحاق : وأما عوف بن لؤى فإنه خرج ، فيما
يزعمون ، في ركب من

قريش ، حتى إذا كان بأرض غطفان بن سعد بن قيس
بن عيلان أبطئ به فانطلق * (هامش) *

(1) في الاغانى علقت ساق سامة العلاقة . (2) ابن هشام من غير ناقة وما هنا أوضح . (3) خروس السرى صامة صابرة . (*)

- 92 -

من كان معه من قومه ، فأتاه ثعلبة بن سعد وهو أخوه في نسب بنى ذبيان فحبسه وزوجه

والتاطه (1) وآخاه ، فشاع نسبه في ذبيان .

وثعلبة فيما يزعمون - الذى يقول لعوف حين أبطئ به فتركه قومه :

- احبس على ابن لؤى جملك * تركك القوم ولامترك لك - (2) قال ابن اسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، أو محمد بن عبدالرحمن بن

عبدالله بن الحصين ، أن عمر بن الخطاب قال لو كنت مدعيا حيا من العرب أو

ملحقهم بنا لادعيت بنى مرة بن عوف ، إنا لنعرف منهم (3) الاشباه مع ما نعرف من

موقع ذلك الرجل حيث وقع . يعنى عوف بن لؤى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم أن عمر بن الخطاب قال لرجال - منهم (4)

من بنى مرة : إن شئتم أن ترجعوا إلى نسبكم فارجعوا إليه .

قال ابن إسحاق : وكان القوم أشرافا في غطفان ، هم سادتهم وقادتهم ، قوم لهم

صيت في غطفان وقيس كلها ، فأقاموا على نسبهم . قال وكانوا يقولون إذا ذكرلهم

نسبهم : ما ننكره وما نجحده ، وإنه لاحب النسب إلينا ، ثم ذكر أشعارهم في

انتمائهم إلى لؤى .

قال ابن إسحاق : وفيهم كان البسل ، وهو تحريم ثمانية أشهر لهم من كل سنة

من بين العرب ، وكانت العرب تعرف لهم ذلك ويأمنونهم فيها ويؤمنونهم أيضا .

قلت : وكانت ربيعة ومضر إنما يحرمون أربعة أشهر من السنة ، وهى ذو القعدة

وذو الحجة ، والمحرم ، واختلفت ربيعة ومضر في الرابع وهو رجب ، فقالت : مضر : هو

* (هامش) * (1) التاظة : ألصقه به . (2) سقطت من المطبوعة (3) ابن هشام : فيهم . (4) ليست في ابن هشام (*)

- 93 -

الذى بين جمادى وشعبان . وقالت ربيعة : هو الذى بين شعبان وشوال .

وقد ثبت في الصحيحين عن أبى بكره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

في خطبة حجة الوداع : (إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات

والارض ، السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات : ذو القعدة وذو الحجة

والمحرم ، ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان) فنص على ترجيح قول مضر لا بيعة .

وقد قال الله عزوجل (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله

يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم) (1) فهذا رد على بنى عوف بن

لؤى في جعلهم الأشهر الحرم ثمانية ، فزادوا على حكم
الله وأدخلوا فيه

ما ليس منه .

وقوله في الحديث : (ثلاث متواليات) رد على أهل النسئ
الذين كانوا يؤخرون

تحريم المحرم إلى صفر . وقوله فيه : (ورجب مضر) رد
على ربيعة .

قال ابن إسحاق : فولد كعب بن لؤى ثلاثة ، مرة ، وعديا
، وهصيصا .

وولد مرة ، ثلاثة أيضا : كلاب بن مرة ، وتيم بن مرة ،
ويقظة بن مرة ، من

أمهات ثلاث .

قال : وولد كلاب رجلين : قصي بن كلاب وزهرة بن كلاب
، وأمهما فاطمة بنت

سعد بن سيل أحد الجدره من جعثمة الاسد من اليمن
حلفاء بنى الديل بن بكر بن

عبد مناة بن كنانة ، وفى أبيها يقول الشاعر :

- ما نرى في الناس شخصا واحدا * من علمناه كسعد بن
سيل -

* (هامش) * (1) سورة التوبة 36 . (*)

- 94 -

فارسا أضبط فيه عسرة (1) * وإذا ما واقف القرن نزل
-

- فارسا يستدرج الخيل كما اس * تدرج الحر القطامى
الحجل (2)

قال السهيلي : سيل اسمه خير بن جمالة وهو أول من
طلبت له السيوف
بالذهب والفضة .

قال ابن إسحاق : وإنما سمو الجدره لان عامر بن عمرو
بن خزيمه بن جعثمة تزوج

بنت الحارث بن مضاض الجرهمي ، وكانت جرهم إذ ذاك
ولاة البيت ، فبنى للكعبة

جدارا ، فسمى عامر بذلك الجادر ف قيل لولده الجدره
لذلك .

خبر قصي بن كلاب ، وما كان من أمره في ارتجاعه ولاية
البيت إلى قريش ،

وانتزاعه ذلك من خزاعة ، واجتماع قريش إلى الحرم الذي
جعله الله

أمنا للعباد ، بعد تفرقها في البلاد وتمزقها في الجبال
والمهاد

وذلك أنه لما مات أبوه كلاب تزوج أمه ربيعة بن حرام
من عذرة ، وخرج بها وبه

إلى بلاده ، ثم قدم قصي مكة وهو شاب ، فتزوج حبي
أبنة رئيس خزاعة حليل

ابن حبشية .

فأما خزاعة فتزعم أن حليلا أوصى إلى قصي بولاية البيت
لما رأى من كثرة نسله

من ابنته ، وقال أنت أحق بذلك مني . قال ابن إسحاق :
ولم نسمع ذلك إلا منهم ، وأما

غيرهم فإنهم يزعمون أنه استغاث بإخوته من أمه وكان
رئيسهم رزاح بن ربيعة وإخوته ،

وبنى كنانة وقضاة ومن حول مكة من قريش وغيرهم ،
فأجلاهم عن البيت واستقل

هو بولاية البيت .

* (هامش) * (1) الاضبط : الاعسر اليسر الذي يعمل
بكلتا يديه . (2) الحر القطامي : الصقر . والحجل جمع

حجلة وهى القبجة (*)

- 95 -

لان إجازة الحجيج كانت إلى صوفة ، وهم بنو الغوث بن
مر بن أد بن طابخة بن

الياس بن مضر ، فكان الناس لايرمون الجمار حتى يرموا
، ولاينفرون من منى حتى

ينفروا ، فلم يزل كذلك فيهم حتى انقرضوا .

فورثهم ذلك بالقعد (1) بنو سعد بن زيد مناة بن تميم ،
فكان أولهم صفوان بن

الحارث بن شجنة بن عطار بن عوف بن كعب بن سعد
بن زيد مناة بن تميم ، وكان

ذلك في بيته حتى قام على آخرهم الاسلام ، وهو كرب
بن صفوان .

وكانت الاجازة من المزدلفة في عدوان ، حتى قام الاسلام
على آخرهم وهو أبوسيارة

عملية بن الاعزل ، وقيل اسمه العاص واسم الاعزل خالد
، وكان يجيز بالناس على أتان له

عوراء ، مكث يدفع عليها في الموقف أربعين سنة ، وهو
أول من جعل الدية مائة ، وأول

من كان يقول : اشرق ثبير كيما نغير . حكاة السهيلي .

وكان عامر بن الظرب العدواني لا يكون بين العرب نائرة
إلا تحاكموا إليه

فيرضون بما يقضى به . فتحاكموا إليه مرة في ميرات
خنثى ، فبات ليلته ساهرا يتروى

ماذا يحكم به ، فرأته جارية له كانت ترعى عليه غنمه
اسمها سخيلة ، فقالت له : مالك لا

أبالك الليلة ساهرا ؟ فذكر لها ما هو مفكر فيه ، وقال
لعلها يكون عندها في ذلك شئ

فقالت : أتبع القضاء المبال . فقال : فرجتها والله يا سخيلة
. وحكم بذلك .

قال السهيلي : وهذا الحكم من باب الاستدلال بالامارات
والعلامات ، وله أصل في

الشرع ، قال الله تعالى : (وجاءوا على قميصه بدم كذب
(2) حيث لا أثر لانياب

الذئب فيه ، وقال تعالى : (إن كان قميصه قد من قبل
فصدقت وهو من الكاذبين ،

وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين)
(3) وفي الحديث :

(أنصروها ، فإن جاءت به أوراق جعدا جماليا فهو للذي
رمىته به) . * (هامش) * (1) القعدد : قرب النسب . (2)
سورة يوسف 18 . (3) سورة يوسف 26 ، 27 (*)

- 96 -

قال ابن إسحاق : وكان النسئ في بنى فقيم بن عدى بن
عامر بن ثعلبة بن الحارث

ابن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن
مضر .

قال ابن إسحاق : وكان أول من نساأ الشهور على العرب القلمس ، وهو حذيفة

ابن عبد بن فقيم ابن عدى ، ثم قام بعده ابنه عباد ثم قلع بن عباد ، ثم أمية بن قلع ، ثم

عوف بن أمية ، ثم كان آخرهم أبوثمالة جنادة بن عوف بن قلع بن عباد بن حذيفة ،

وهو القلمس ، فعلى أبوثمالة قام الاسلام .

وكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه فخطبهم فحرم الأشهر الحرم

فإذا أراد أن يحل منها شيئاً أحل المحرم وجعل مكانه صفراً ، ليواطئوا عدة ما حرم

الله فيقول : اللهم إني أحللت أحد الصفرين الصفر الأول وأنسأت الآخر للعام المقبل .

فتتبعه العرب في ذلك ، ففى ذلك يقول عمير بن قيس أحد بنى فراس بن غنم بن مالك

ابن كنانة ويعرف عمير بن قيس هذا بجدل الطعان :

- لقد علمت معد أن قومي * كرام الناس إن لهم كراما -

- فأى الناس فاتونا بوتر * وأى الناس لم نعلك لجاما -

- ألسنا الناسئين على معد * شهورا الحل نجعلها حراما ؟

وكان قصى في قومه سيدا رئيسا مطاعا معظما ، والمقصود أنه جمع قريشا من

متفرقات مواضعهم من جزيرة العرب ، واستعان بمن أطاعه من أحياء العرب على حرب

خزاعة وإجلاتهم عن البيت وتسليمه إلى قصى ، فكان بينهم قتال كثير ودماء غزيرة ،

ثم تداعوا إلى التحكيم ، فتحاكموا إلى يعمر بن عوف بن
كعب بن عامر بن ليث بن

بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فحكم بأن قصيا أولى بالبيت
من خزاعة ، وأن كل دم

أصابه قصي من خزاعة وبنى بكر موضوع يشدخه تحت
قدميه ، وأن ما أصابته خزاعة

- 97 -

وبنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة ففيه الدية مؤداة ،
وأن يخلى بين قصي وبين

مكة والكعبة . فسمى يعمر يومئذ الشداخ .

قال ابن إسحاق : فولى قصي البيت وأمر مكة ، وجمع
قومه من منازلهم إلى مكة ،

وتملك على قومه وأهل مكة فملكوه ، إلا أنه أقر العرب
على ما كانوا عليه لانه يرى

ذلك دينا في نفسه لاينبغى تغييره ، فأقر آل صفوان
وعدوان والنساء ومرة بن عوف

على ما كانوا عليه ، حتى جاء الاسلام فهدم الله به ذلك
كله .

قال : فكان قصي أول بنى كعب أصاب ملكا أطاع له به
قومه ، وكانت إليه

الحجابه والسقاية والرفادة والندوة واللواء ، فحاز شرف
مكة كله ، وقطع مكة رباعا بين

قومه ، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة .

قلت : فرجع الحق إلى نصابه ، ورد شارذ العدل بعد إياه
، واستقرت بقريش

الدار ، وقضت من خزاعة المراد والاطار ، وتسلمت
بيتهم العتيق القديم ، لكن بما
أحدثت خزاعة من عبادة الاوثان ونصبها إياها حول الكعبة ،
ونحرهم لها وتضرعهم
عندها ، و استنصارهم بها وطلبهم الرزق منها .
وأنزل قصى قبائل قريش أباطح مكة ، وأنزل طائفة منهم
ظواهرها ، فكان يقال
قريش البطاح ، وقريش الظواهر .
فكانت لقصى بن كلاب جميع الرئاسة ، من حجابة البيت
وسداته واللواء ، وبنى
دار لازاحة الظلمات وفصل الخصومات سماها دار الندوة ،
إذا أعضلت قضية اجتمع
الرؤساء من كل قبيلة فاشتوروا فيها وفصلوها ، ولا يعقد
عقد لواء ولا عقد نكاح إلا بها ،
ولا تبلغ جارية أن تدرع فتدرع إلا بها .
(7 - السيرة - 1)

- 98 -

وكان باب هذه الدار إلى المسجد الحرام ، ثم صارت هذه
الدار فيما بعد إلى حكيم بن
حزام بعد بنى عبد الدار ، فباعها في زمن معاوية بمائة
ألف درهم ، فلامه على بيعها معاوية
وقال : بعث شرف قومك بمائة ألف .
فقال : إنما الشرف اليوم بالتقوى ، والله لقد ابتعتها في
الجاهلية بزق خمر ، وها أنا
قد بعثها بمائة ألف ، وأشهدكم أن ثمنها صدقة في سبيل
الله ، فأينا المغبون ! .

ذكره الدارقطني في أسماء رجال الموطأ .
وكانت إليه سقاية الحجيج ، فلا يشربون إلا من ماء حياضه
، وكانت زمزم إذا ذاك

مطموسة من زمن جرهم قد تناسوا أمرها من تقادم
عهدها ولا يهتدون إلى موضعها .

قال الواقدي : وكان قصى أول من أحدث وقيد النار
بالمزدلفة ليهتدى إليها من
يأتى من عرفات .

والرفادة وهى إطعام الحجيج أيام الموسم إلى أن يخرجوا
راجعين إلى بلادهم .

قال ابن إسحاق : وذلك أن قصيا فرضه عليهم ، فقال لهم
: يا معشر قريش ، إنكم

جيران الله ، وأهل مكة وأهل الحرم ، وإن الحجاج ضيف
الله وزوار بيته ، وهم أحق

بالضيافة ، فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج حتى
يصدروا عنكم . ففعلوا ، فكانوا

يخرجون لذلك في كل عام من أموالهم خرجا فيدفعونه
إليه ، فيصنعه طعاما للناس أيام

منى ، فجرى ذلك من أمره في الجاهلية حتى قام الاسلام
، ثم جرى في الاسلام إلى يومك

هذا ، فهو الطعام الذى يصنعه السلطان كل عام بمعنى
للناس حتى ينقضى الحج .

قلت : ثم انقطع هذا بعد ابن إسحاق . ثم أمر بإخراج
طائفة من بيت المال فيصرف

في حمل زاد وماء لابناء السبيل القاصدين إلى الحج ،
وهذا صنيع حسن من وجوه

يطول ذكرها ، ولكن الواجب أن يكون ذلك من خالص بيت المال من أحل ما فيه ،

والاولى أن يكون من جوالى الذمة لانهم لا يحجون البيت العتيق ، وقد جاء في الحديث :

- 99 -

(من استطاع الحج فلم يحج ؟ فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا) .

وقال قائلهم في مدح قصى وشرفه في قومه :

- قصى لعمرى كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر -

- هم ملاو البطحاء مجدا وسؤددا * وهم طردوا عنا غواة بنى بكر -

قال ابن إسحاق : ولما فرغ قصى من حربه انصرف أخوه رزاح بين ربيعة إلى

بلاده بمن معه وإخوته من أبيه الثلاثة ، وهم حن ومحمود وجلهمة . وقال رزاح في

إجابته قصيا :

- ولما أتى من قصى رسول * فقال الرسول أجيوا الخليلا -

- نهضنا إليه نقود الجياد * ونطرح عنا الملول الثقلا -

- نسير بها الليل حتى الصباح * ونكمى (1) النهار لئلا نزولا -

- فهن سراع كورد القطا * يجبن بنا من قصى رسولا -

- جمعنا من السر من أشمذين (2) * ومن كل حى جهدا قبلا

- فيا لك حلبة ما ليلة * تزيد على الالف سيبا رسيلا (3)

- فلما مررن على عسجر * وأسهلن من مستناخ سبيلا -
- وجاوزن بالركن من ورقان * وجاوزن بالعرج حيا حلولا -
- مررن على الحلى (4)
- ما ذقنه * وعالجن من مر ليلا طويلا -
- ندنى من العوذ أفلاءها (5)
- * إرادة أن يسترقن الصهिला -
- فلما انتهينا إلى مكة * أبحنا الرجال قبلا قبلا -
- نعاورهم ثم حد السيوف * وفى كل أوب خلسنا العقولا -
- * (هامش) * . (1) نكمى : نستتر ونختبئ . (2)
- الاشمذان : قبيلتان أو جبلان بين المدينة وخيبر (3) أى
- عددا كثيرا . (4) الحلى : مدينة باليمن على ساحل البحر
- ، وذكر السهيلي أن الحلى نبت
- وتروى : الحل وهى بقلة شاكة (5) العوذ : الحديثات النتاج
- . والافلاء : جمع فلو وهو المهر الفطيم . (*)

-100-

- نخبزهم بصلاب النسو * ر خبز القوى العزيز الذليلا (1)

- قتلنا خزاعة في دارها * وبكرا قتلنا وجيلا فجيلا -
- نفيناهم من بلاد المليك * كما لايحلون أرضا سهولا -
- فأصبح سبيهم في الحديد * ومن كل حى شفيينا الغليلا -
- قال ابن إسحاق : فلما رجع رزاح إلى بلاده نشره الله
- ونشر حنا ، فهما قبلا

عذرة إلى اليوم .

قال ابن إسحاق : وقال قصى بن كلاب في ذلك (2)
: أنا ابن العاصمين بنى لؤى * بمكة منزلى وبها ربيت -
- إلى البطحاء قد علمت معد * ومروتها رضيت بها رضيت
-
- فلست لغالب إن لم تأثل * بها أولاد قيذر والنبيت -
- رزاح ناصرى وبه أسامى * فلست أخاف ضيما ما حييت
-
وقد ذكر الاموى عن الاشرم ، عن أبى عبيدة ، عن محمد
بن حفص ، أن رزاحا إنما
قدم بعدما نفى قصى خزاعة . والله أعلم .

فصل :

ثم لما كبر قصى فوض أمر هذه الوظائف التى كانت إليه
، من رئاسات قریش
وشرفها من الرفادة والسقاية والحجابه واللواء والندوة إلى
ابنه عبد الدار ، وكان
أكبر ولده .

وإنما خصه بها كلها لان بقية إخوته عبد مناف وعبد شمس
وعبد كانوا قد شرفوا * (هامش) * (1) نخبهم :
نسوقهم سوقا شديدا . وصاب النصور : الخيل

(2) هذا مما كان يصنع من الشعر ويدس

في السيرة ، وقصى ما كان يعلم نسبه السريانية ، وليت
ابن اسحق عافانا من هذه الاشعار المهلهلة النسج التى

يدرك الذوق أنها مختلقة مصنوعة . (*)

في زمن أبيهم وبلغوا في قوتهم شرفا كبيرا ، فأحب
قصى أن يلحق بهم عبد الدار في

.....
- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 101 سطر 1 الى ص
110 سطر 22

في زمن أبيهم وبلغوا في قوتهم شرفا كبيرا ، فأحب
قصى أن يلحق بهم عبد الدار في

السؤدد فخصه بذلك ، فكان إخوته لاينازعونه في ذلك .

فلما انقرضوا تشاجر أبناؤهم في ذلك وقالوا إنما خص
قصى عبد الدار بذلك ليلحقه

بإخوته ، فنحن نستحق ما كان آباؤنا يستحقونه .

وقال بنو عبد الدار : هذا أمر جعله لنا قصى ، فنحن أحق
به .

واختلفوا اختلافا كثيرا ، وانقسمت بطون قريش فرقتين ،
ففرقة بايعت عبد الدار

وحالفتهم ، وفرقة بايعت بنى عبد مناف وحالفوهم على
ذلك ، ووضعوا أيديهم عند

الحلف في جفنة فيها طيب ، ثم لما قاموا مسحوا أيديهم
بأركان الكعبة فسموا

حلف المطيبين .

وكان منهم من قبائل قريش بنو أسد بن عبدالعزى بن
قصى ، وبنو زهرة ، وبنو

تيم ، وبنو الحارث بن فهر ، وكان مع بنى عبد الدار بنو
مخزوم ، وبنو سهم ، وبنو

جمح ، وبنو عدى . واعتزلت بنو عامر ابن لؤى ومحارب
بن فهر الجميع ، فلم يكونوا

مع واحد منهما .

ثم اصطالحوا واتفقوا على أن تكون الرفاعة والسقاية لبنى
عبد مناف ، وأن تستقر

الحجابه واللواء والندوة في بنى عبد الدار ، فانبرم الامر
على ذلك واستمر .

وحكى الاموى عن الاشرم ، عن أبى عبيدة قال : وزعم
قوم من خزاعة أن قصيا

لما تزوح حى بنت حليل وثقل حليل عن ولاية البيت جعلها
إلى ابنته حى واستتاب

عنها أبا غبشان سليم بن عمرو بن لؤى ابن ملكان بن
قصى بن حارثة بن عمرو بن

عامر ، فاشترى قصى ولاية البيت منه بزق خمر وقعود ،
فكان يقال : (أخسر من صفقة

أبى غبشان) . ولما رأَت خزاعة ذلك اشتدوا على قصى ،
فاستنصر أخاه فقدم بمن معه ،

وكان ما كان . ثم فوض قصى هذه الجهات التى كانت
إليه من السدانة والحجابه واللواء

-102-

والندوة والرفاعة والسقاية إلى ابنه عبد الدار كما سيأتى
تفصيله وإيضاحه ، وأقر الاجازة

من مزدلفة في بنى عدوان ، وأقر النسئ في فقيم ،
وأقر الاجازة وهو النفر في صوفة ، كما

تقدم بيان ذلك كله مما كان بأيديهم قبل ذلك .

قال ابن إسحاق : فولد قصى أربعة نفر وامرأتين : عبد
مناف ، وعبد الدار ،

وعبدالعزى وعبدا ، وتخمر ، وبرة ، وأمهم كلهم حبي بنت
حليل بن حبشية بن سلول

ابن كعب بن عمرو الخزاعى ، وهو آخر من ولى البيت
من خزاعة ، ومن يده أخذ البيت

قصى بن كلاب .

قال ابن هشام (1) : فولد عبد مناف بن قصى أربعة نفر
: هاشما وعبد شمس والمطلب ،

وأمهم عاتكة بنت مرة بن هلال . ونوفل بن عبد مناف ،
وأمه واقدة بنت

عمرو المازنية .

قال ابن هشام : وولد لعبد مناف أيضا : أبوعمرو وتماضر
وقلابة وحية وربطة وأم

الاخثم وأم سفيان .

قال ابن هشام : وولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر
وخمس نسوة : ع بدالمطلب ،

وأسدا ، وأبا صيفى ونضلة والشفاء ، وخالدة وضعيفة ،
ورقية ، وحية . فأم عبد المطلب

ورقية سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن
عامر بن غنم بن عدى بن النجار

من المدينة . وذكر أمهات الباقيين .

قال : وولد ع بدالمطلب عشرة نفر وست نسوة ، وهم :
العباس ، وحمزة ، وعبدالله ،

وأبوطالب ، واسمه عبد مناف ، لاعمران (2)

، والزبير ، والحارث وكان بكر أبيه وبه

كان يكنى ، وجحل ، ومنهم من يقول جحل (2)

، وكان يلقب بالغيداق لكثرة خيره (2)

* (هامش) * (1) في ابن هشام : قال ابن إسحق . (2) هذه الجمل تعليقات من ابن كثير أدخلها في كلام ابن إسحق . (*)

-103-

والمقوم ، وضرار ، وأبولهب واسمه عبدالعزى ، وصفية ،
وأم حكيم البيضاء ، وعاتكة ،

وأميمة وأروى ، وبرة ، وذكر أمهاتهم . إلى أن قال : وأم
عبدالله وأبى طالب والزيبر

وجميع النساء إلاصفية ، فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن
عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة

ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر
بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن

الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

قال : فولد عبدالله محمدا رسول الله صلى الله عليه
وسلم سيد ولد آدم . وأمه أمنة

بنت وهب ، بن عبد مناف ، بن زهرة ، بن كلاب ، بن
مرة ، بن كعب ، بن لؤى . ثم

ذكر أمهاتها فأغرق .

إلى أن قال : فهو أشرف ولد آدم حسبا وأفضلهم نسبا ،
من قبل أبيه وأمه صلوات

الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين .

وقد تقدم حديث الاوزاعى عن شداد أبى عمار ، عن وائلة
بن الاسقع قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله اصطفى
كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشا من
كنانة ، واصطفى هاشما من قريش ، واصطفانى من بنى
هاشم) . رواه مسلم .
وسياتى بيان مولده الكريم وما ورد فيه من الاخبار والآثار
، وسنورد عند
سرد النسب الشريف فوائد آخر ليست هاهنا إن شاء الله
تعالى وبه الثقة
وعليه التكلان .

-104-

ذكر جمل من الاحداث الواقعة في زمن الجاهلية
قد تقدم ما كان من أخذ جرهم ولاية البيت من بنى
إسماعيل ، طمعوا فيهم لانهم
أبناء بناتهم ، وما كان من توثب خزاعة على جرهم
وانتزاعهم ولاية البيت منهم ، ثم
ما كان من رجوع ذلك إلى قصة وبنيه واستمرار ذلك في
أيديهم إلى أن بعث الله رسول
صلى الله عليه وسلم فأقر تلك الوظائف على ما كانت
عليه .

باب ذكر جماعة مشهورين كانوا في الجاهلية
خبر خالد بن سنان العيسى الذى كان في زمن الفترة
وقد زعم بعضهم أنه كان نبيا . والله أعلم .
قال الحافظ ابوالقاسم الطبرانى : حدثنا أحمد بن زهير
التستري ، حدثنا يحيى بن
المعلى بن منصور الرازى ، حدثنا محمد بن الصلت ،
حدثنا قيس بن الربيع ، عن

سالم الافطس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ،
قال : جاءت بنت خالد بن سنان

إلى النبي صلى الله عليه وسلم فبسط لها ثوبه وقال
(بنت نبى ضيعه قومه) .

وقد رواه الحافظ أبوبكر البزار عن يحيى بن المعلى بن
منصور ، عن محمد بن الصلت ،

عن قيس ، عن سالم ، عن سعيد ، عن ابن عباس ،
قال : ذكر خالد بن سنان عند

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (ذاك نبى ضيعه
قومه) .

ثم قال . ولا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه ، وكان
قيس بن الربيع ثقة في نفسه

إلا أنه كان ردئ الحفظ ، وكان له ابن يدخل في أحاديثه
ما ليس منها . والله أعلم .

-105-

قال البزار : وقد رواه الثوري عن سالم الافطس ، عن
سعيد بن جبير مرسلا . وقال

الحافظ أبويعلى الموصلى : حدثنا المعلى بن مهدى
الموصلى ، قال حدثنا أبوعوانة ، عن أبى

يونس ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رجلا من عبس
يقال له خالد بن سنان قال

لقومه : (إنى أطفئ عنكم نار الحرتين) فقال له رجل
من قومه : والله يا خالد ما قلت لنا

قط إلا حقا ، فما شأنك وشأن نار الحرتين تزعم أنك
تطفئها !

فخرج خالد ومعه أناس من قومه ، فيهم عمارة بن زياد ،
فأتوها فإذا هى تخرج من

شقي جبل ، فخط لهم خالد خطة فأجلسهم فيها فقال : إن أبطأت عليكم فلا تدعوني باسمي .

فخرجت كأنها خيل شقر يتبع بعضها بعضا ، فاستقبلها خالد ، فجعل يضربها بعصاه وهو

يقول : بدا بدا بدا كل هدى زعم ابن راعية المعزى أنى لا أخرج منها وثيابى بيدي . حتى

دخل معها الشق فأبطأ عليهم ، فقال لهم عمارة بن زياد : والله إن صاحبكم لو كان حيا لقد

خرج إليكم بعد . قالوا فادعوه باسمه . قال : فقالوا : إنه قد نهانا أن ندعوه باسمه . فدعوه

باسمه فخرج وهو آخذ برأسه ، فقال ألم أنهكم أن تدعوني باسمي ، فقد والله قتلتموني

فادفنونى فإذا مرت بكم الحمر فيها حمار أبتى فانبشونى فإنكم تجدونى حيا . فدفنوه فمرت بهم

الحمر فيها حمار أبتى فقلنا انبشوه فإنه أمرنا أن ننبشه . فقال لهم عمارة : لاتنبشوه لا والله

لاتحدث مضر أنا ننبش موتانا . وقد كان قال لهم خالد : إن في عكن امرأته لو حين ،

فإن اشكل عليكم أمر فانظروا فيهما فإنكم ستجدون ما تسألون عنه . قال ولايمسهما

حائض . فلما رجعوا إلى امرأته سألوها عنهما فأخرجتهما إليهم وهى حائض فذهب ما كان

فيهما من علم (1)

قال أبو يونس : قال سماك بن حرب : سئل عنه النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ذاك

نبى أضاعه قومه . قال أبو يونس : قال سماك بن حرب : إن ابن خالد بن سنان أتى النبى * (هامش) *

(1) هذه أسطورة ضخمة ليس إلى تصديقها سبيل . (*)

-106-

صلى الله عليه وسلم فقال : مرحبا بابن أخى . فهذا
السياق موقوف على ابن عباس ، وليس

فيه أنه كان نبيا ، والمرسلات التى فيها أنه نبى لا يحتج بها
ها هنا . والاشبه أنه كان

رجلا صالحا له أحوال وكرامات ، فإنه إن كان في زمن
الفترة فقد ثبت في صحيح

البخارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ()
إن أولى الناس بعيسى بن مريم أنا ،

لانه ليس بنى وبينه نبى) . وإن كان قبلها فلا يمكن أن
يكون نبيا لان الله تعالى قال :

(لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) (1)

وقد قال غير واحد من العلماء : إن الله تعالى لم يبعث
بعد إسماعيل نبيا في العرب ،

إلا محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء الذى دعا به
إبراهيم الخليل ، بنى الكعبة

المكرمة التى جعلها الله قبلة لاهل الارض شرعا ، وبشرت
به الانبياء لقومهم حتى كان

آخر من بشر به عيسى بن مريم عليه السلام .

وبهذا المسلك بعينه يرد ما ذكره السهيلي وغيره من
إرسال نبى من العرب يقال

له شعيب بن ذى مهزم بن شعيب بن صفوان صاحب
مدين ، وبعث إلى العرب أيضا

حنظلة بن صفوان فكذبوهما فسلط الله على العرب
بختنصر ، فنال منهم من القتل

والسبى نحو ما نال من بنى إسرائيل ، وذلك في زمن
معد بن عدنان .

والظاهر أن هؤلاء كانوا قوما صالحين يدعون إلى الخير
والله أعلم . وقد تقدم

ذكر عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف في أخبار خزاعة
بعد جرهم .

* (هامش) * (1) سورة السجدة 3 . (*)

-107-

ذكر حاتم الطائي أحد أجواد الجاهلية

وهو حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج بن امرئ
القيس بن عدى بن أحزم بن

أبى أحزم ، واسمه هرومة بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن
عمرو بن الغوث ، بن طئ

أبوسفانة الطاطئ ، والد عدى ، بن حاتم الصحابي ، كان
جوادا ممدحا في الجاهلية ،

وكذلك كان ابنه في الاسلام .

وكانت لحاتم مآثر وأمور عجيبة وأخبار مستغربة في كرمه
يطول ذكرها ،

ولكن لم يكن يقصد بها وجه الله والدار الآخرة ، وإنما
كان قصده السمعة والذكر . قال الحافظ أبوبكر البزاز في
مسنده : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا عبيد بن واقد

القيسى ، حدثنا أبونصر هو الناجى ، عن عبدالله بن دينار
، عن ابن عمر ، قال : ذكر :

حاتم عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (ذاك أراد
أمرا فأدرکه) .

حديث غريب . قال الدار قطنى تفرد به عبيد بن واقد ،
عن أبى نصر الناجى ،

ويقال إن اسمه حماد .

قال ابن عساكر : وقد فرق أبوأحمد الحاكم بين أبى نصر
الناجى وبين أبى نصر

حماد ولم يسم الناجى ، ووقع في بعض روايات الحافظ
ابن عساكر : عن أبى نصر شيبه

الناجى والله أعلم .

وقال الامام أحمد : حدثنا يزيد بن إسماعيل ، حدثنا سفيان
، عن سماك بن حرب ،

عن مري بن قطري ، عن عدى بن حاتم ، قال قلت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

إن أبى كان يصل الرحم ويفعل ويفعل ، فهل له في ذلك
؟ يعنى من أجر قال : (إن

أباك طلب شيئاً فأصابه) وهكذا رواه أبويعلى ، عن
القواريرى ، عن غندر ، عن شعبة ،

-108-

عن سماك به . وقال : (إن أباك أراد أمرا فأدرکه) يعنى
الذكر . هكذا رواه أبوالقاسم

البغوى ، عن على بن الجعد ، عن شعبة به سواء .

وقد ثبت في الصحيح في الثلاثة الذين تسعر بهم جهنم ،
منهم الرجل الذى ينفق ليقال

إنه كريم ، فيكون جزاؤه أن يقال ذلك في الدنيا ، وكذا
في العالم والمجاهد . في الحديث

الآخر في الصحيح أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن عبدالله بن جدعان

ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة فقالوا له :
كان يقري الضيف ويعتق

ويتصدق ، فهل ينفعه ذلك ؟ فقال : (إنه لم يقل يوما
من الدهر رب اغفرلى خطيئتي

يوم الدين) هذا وقد كان من الاجواد المشهورين أيضا
المطعمين في السنين المحملة

والاوقات المرملة .

وقال الحافظ أبوبكر البيهقي : أنبأنا أ بو عبدالله الحافظ ،
حدثنى أبوبكر محمد بن

عبدالله بن يوسف العماني ، حدثنا أبوسعيد عبيد بن كثير
بن عبدالواحد الكوفى ،

حدثنا ضرار بن سرد ، حدثنا عاصم بن حميد ، عن أبى
حمزة الثمالى ، عن عبدالرحمن بن

جندب ، عن كميل بن زياد النخعى ، قال قال على بن
أبى طالب : (يا سبحان الله ! ما أزهـد

كثيرا من الناس في خير ! عجباً لرجل يجيئه أخوه المسلم
في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً ،

فلو كان لايرجو ثوابا ولايخشى عقابا لكان ينبغي له أن
يسارع في مكارم الاخلاق فإنها

تدل على سبيل النجاح .

فقال إليه رجل وقال : فداك أبى وأمى يا أمير المؤمنين
أسمعته من رسول الله صلى الله

عليه وسلم ؟ قال نعم ! وما هو خير منه ، لما أتى بسبايا
طيئ وقعت جارية حمراء لعسا زلفاء

عيطاء (1) شماء الانف ، معتدلة القامة والهامة درماء
الكعبين خدلجة الساقين (2)

لفاء

الفخدين ، خميسة الخصرين ، ضامرة الكشجين ، مصقولة
المتنين .

* (هامش) * (1) اللعساء : الجارية في لونها أدنى سواد
مشربة من الحمرة . والزلفاء : الملساء والعيطاء : طويلة
العنق . (2) الدرماء : التي لاتستين كعوبها . والخلجة :
الممتلئة (*)

-109-

قال : فلما رأيتها أعجبت بها وقلت لاطلبن إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيجعلها

في فيئى ، فلما تكلمت أنسيت جمالها لما رأيت من
فصاحتها ، فقالت : يا محمد إن رأيت أن

تخلى عنى ولاتشمت بى أحياء العرب ، ويكسو العارى ،
ويقرى الضيف ، ويطعم الطعام

ويفشى السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط ، وأنا ابنة
حاتم طيئ .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (يا جارية هذه صفة
المؤمنين حقا ، لو كان أبوك مؤمنا

لترحمنا عليه ، خلوا عنها فإن أباهما كان يحب مكارم
الاخلاق ، والله تعالى يحب

مكارم الاخلاق) .

فقام أبوبردة بن نيار (1) فقال يا رسول الله صلى الله
عليه وسلم : (والذى نفسى بيده لا يدخل الجنة أحد

إلا بحسن الخلق) .

وقال أبوبكر بن أبى الدنيا : حدثنى عمر بن بكر ، عن أبى
عبدالرحمن الطائى -

هو القاسم بن عدى - عن عثمان ، عن عركى بن حليس الطائى ، عن أبيه ، عن جده ،

وكان أخا عدى بن حاتم لأمه قال : قيل للنوار امرأة حاتم : حدثينا عن حاتم . قالت :

كل أمره كان عجا !

أصابتنا سنة حصت (2)

كل شئ ، فاقشعرت لها الارض واغربت لها السماء ، وضنت

المراضع على أولادها ، وراحت الابل حدبا حدابير ما تبض بقطرة (3) وجلقت (4) المال

وإنالفي ليلة صنبر (5) بعيدة ما بين الطرفين ، إذ تضاغى الاصبية من الجوع ،

* (هامش) * (1) واسمه هانى بن نيار . الكنى والاسماء للدولابى 17 . وفى المطبوعة ينار . وهو خطأ .

(2) الحص : حلق الشعر - والمعنى : أهلكت كل شئ (3) الحدب : التى بدت حراقيفها . والحدابير :

النوق الضامرة

(4) الشعر والشعراء : جلقت . (5) صنبر : باردة . (*)

-110-

عبدالله وعدى ، وسفانة ، فو الله إن وجدنا شيئا نعللهم به ، فقام إلى أحد الصبيان

فحملة ، وقمت إلى الصبية فعللتها ، فو الله إن سكتا إلا بعد هدأة من الليل ، ثم عدنا إلى

الصبى الآخر فعللناه حتى سكت وما كاد .

ثم افترشنا قطيفة لنا شامية ذات خمل فاضجعنا الصبيان عليها ، ونمت أنا وهو في

حجرة والصبيان بيننا ، ثم أقبل على يعلنى لانام ،
وعرفت ما يريد فتناومت ، فقال

مالك أنمت ؟ فسكت فقال : ما أرها إلا قد نامت . وما
بى نوم .

فلما ادلهم الليل وتهورت النجوم وهدأت الاصوات وسكنت
الرجل ، إذا جانب

البيت قد رفع ، فقال من هذا ؟ فولى . حتى قلت إذا قد
أسحرنا أو كدنا عاد فقال

من هذا ؟ قالت : جارتك فلانة يا أبا عدى ، ما وجدت
على أحد معولا غيرك ، أيتك

من عند أصبية يتعاونون عواء الذئاب من الجوع . قال
أعجليهم على .

قالت النوار : فوثبت فقلت ماذا صنعت ؟ اضطجع والله
لقد تضاعى أصبيتك

فما وجدت ماتعللهم ، فكيف بهذه وبولدها ؟ فقال :
اسكتى ، فوالله لاشبعنك

إن شاء الله .

قالت : فأقبلت تحمل اثنين وتمشى جنبتيها . أربعة كأنها
نعامة حولها رئالها (1) فقام

إلى فرسه فوجأ بجربته في لبتة ، ثم قدح زنده وأورى
ناره ، ثم جاء بمدية فكشط

عن جلده ، ثم دفع المدية إلى المرأة ثم قال دونك . ثم
قال : ابعثى صبيانك . فبعثهم . ثم

قال : سوءة ، أتأكلون شيئا دون أهل الصرم ! فجعل
يطوف فيهم حتى هبوا وأقبلوا

عليه والتفع في ثوبه ، ثم اضطجع ناحية ينظر إلينا ، والله
ماذاق مزعة ، وإنه لاجوجهم

إليه ، فأصبحنا وما على الارض منه إلاعظم أو حافر !
وقال الدارقطني : حدثني القاضى أ بوعبدالله المحاملى ،
حدثنا عبدالله بن أبى سعد ، * (هامش)
* (1) الرئال : جمع رأل ، ولد الظبية . (*)
-111-

وحدثنا عثيم بن ثوابة بن حاتم الطائى ، عن أبيه ، عن
جده قال : قالت امرأة

.....
- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 111 سطر 1 الى ص
120 سطر 21

وحدثنا عثيم بن ثوابة بن حاتم الطائى ، عن أبيه ، عن
جده قال : قالت امرأة

حاتم لحاتم : يا أبا سفانة أشتهى أن آكل أنا وأنت طعاما
وحدثنا ليس عليه أحد .

فأمرها فحولت خيمتها من الجماعة على فرسخ ، وأمر
بالطعام فهيئ وهى مرخاة ستورها

عليه وعليها ، فلما قارب نضج الطعام كشف عن رأسه ثم
قال :

- فلا تطبخى قدرى وسترك دونها * على إذن ما تطبخين
حرام -

- ولكن بهذاك اليفاع فأوقدى * بجزل إذا أقدت لا بضرام -

قال : ثم كشف الستور و قدم الطعام ودعا الناس ، فأكل
وأكلوا . فقالت :

ما أتممت لى ما قلت . فأجابها : فإنى لاتطاولعنى نفسى ،
ونفسى أكرم على من أن يثنى

على هذا وقد سبق لى السخاء . ثم أنشأ يقول :

- أمارس (1)

نفس البخل حتى أعزها * وأترك نفس الجود ما أستشيرها -

- ولا تشتكيني جارتى غير أنها * إذا غاب عنها بعلمها لا
أزورها -

- سبيلها خيرى ويرجع بعلمها * إليها ولم تقصر عليها
ستورها -

ومن شعر حاتم :

- إذا ما بت أشرب فوق رى * لسكر في الشراب فلا
رويت -

- إذا ما بت أختل عرس جارى * ليخفينى الظلام فلا خفيت
-

- أأفصح جارتى وأخون جارى ؟ ! * فلا والله أفعل ما
حييت -

ومن شعره أيضا

- ما ضر جارا أجاوره * أن لا يكون لبابه ستر -

- أغضى إذا ما جارتى برزت * حتى يوارى جارتى الخدر)
(2

* (هامش) * (1) أمارس : أعالج . وأعزها : أغلبها

(2) ينسب هذان البيتان باختلاف لمسكين الدارمى في
أبيات أخرى وهو الصحيح انظر الشعر والشعراء 1 / 530
(*)

-112-

ومن شعر حاتم أيضا :

- وما من شيمتى شتم ابن عمى * وما أنا مخلف من
يرتجيني -

- وكلمة حاسد من غير جرم * سمعت وقلت مري
فانقذيني -

- وعابوها على فلم تعبنى * ولم يعرق لها يوما جيني -
- وذى وجهين يلقاني طليقا * ولبس إذا تغيب يأتسيني -
- ظفرت بعيبه فكففت عنه * محافظة على حسبي وديني -
- ومن شعره :

سلى البائس المقرور يا أم مالك * إذا ما أتانى بين نارى
ومجزرى -

- أبسط وجهى إنه أول القرى * وأبذل معروفى له دون
منكرى -

- وقال أيضا :

وإنك إن أعطيت بطنك سؤله * وفرجك نالا منتهى الذم
أجمعا -

وقال القاضى أبوالفرج المعافى بن زكرياء الجريرى : حدثنا
الحسين بن القاسم

الكوكبى ، حدثنا أبوالعباس المبرد ، أخبرنى الثورى ، عن
أبى عبدة ، قال لما بلغ

حاتم طيئ قول المتلمس :

- قليل المال تصلحه فيبقى * ولايبقى الكثير على الفساد -

- وحفظ المال خير من فناه * وعسف في البلاد بغير زاد
-

قال : ماله قطع الله لسانه حمل الناس على البخل ؟ !
فهلا قال :

- فلا الجود يفنى المال قبل فنائه * ولا البخل في مال الشحيح يزيد -

- فلا تلتمس ما لا بعيش مقتر * لكل غد رزق يعود جديد -

-113-

- ألم تر أن المال غاد ورائج * وأن الذى يعطيك غير بعيد (1)

قال القاضى أبوالفرج : وقد أحسن في قوله : (وأن الذى يعطيك غير بعيد) ولو

كان مسلما لرجى له الخير في معاده ، وقد قال الله في كتابه : (واسألوا الله من

فضله (2) وقال تعالى : (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع

إذا دعان) (3)

وعن الوضاح بن معبد الطائى قال : وفد حاتم الطائى على النعمان بن المنذر ،

فأكرمه وأدناه ، ثم زوده عند انصرافه جملين ذهبا وورقا غير ما أعطاه من طرائف

بلده ، فرحل فلما أشرف على أهله تلقته أعاريب طيئ ، فقالت : يا حاتم أتيت من عند

الملك وأتينا من عند أهالينا بالفقر ! فقال حاتم : هلم فخذوا ما بين يدي فتوزعوه .

فوثبوا إلى ما بين يديه من حباء النعمان فاققسموه ، فخرجت إلى حاتم طريفة جاريتها ،

فقال له : اتق الله وأبق على نفسك ، فما يدع هؤلاء دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا .

فأنشأ يقول :

- قالت طريفة : ما تبقى دراهمنا * وما بنا سرف فيها ولا خرق -

- إن يفن ما عندنا فالله يرزقنا * ممن سوانا ولسنا نحن نرتزق -

- ما يألف الدرهم الكارى خرقتنا * إلا يمر عليها ثم ينطلق -

- إنا إذا اجتمعت يوما دراهمنا * ظلت إلى سبل المعروف تستيق -

وقال أبوبكر بن عياش : قيل لحاتم : هل في العرب أجود منك ؟ فقال : كل العرب

أجود منى . ثم أنشأ يحدث قال : نزلت على غلام من العرب يتيم ذات ليلة ، وكانت له

مائة من الغنم ، فذبح لى شاة منها وأتانى بها ، فلما قرب إلى دماغها قلت : ما أطيب هذا

* (هامش) * (1) في البيت إقواء

(2) سورة النساء 32 (3) سورة البقرة 186 (8 - السيرة
(1) (*)

-114-

الدماغ ! قال : فذهب فلم يزل يأتينى منه حتى قلت قد اكتفيت . فلما أصبحت إذا هو قد

ذبح المائة شاة وبقى لا شئ له !

ف قيل : فما صنعت به ؟ فقال : ومتى أبلغ شكره ولو صنعت به كل شئ ! قال :

على كل حال أعطيته مائة ناقة من خيار إبلى .

وقال محمد بن جعفر الخرائطى في كتاب (مكارم الاخلاق)
(: حدثنا العباس بن الفضل

الربعى ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنى حماد الرواية
ومشيخة من مشيخة طيئ ،

قالوا : كانت عنتره (1) بنت عفيف بن عمرو بن امرئ
القيس أم حاتم طيئ لا تمسك

شيئا سقاء وجودا ، وكان إخوتها يمنعونها فتأبى ، وكانت
امراة موسرة ، فحبسوها

في بيت سنة يطعمونها قوتها لعلها تكف عما تصنع ، ثم
أخرجوها بعد سنة ، وقد ظنوا

أنها قد تركت ذلك الخلق ، فدفعوا إليها صرمة من مالها
وقالوا استمتعى بها . فأتتها

امراة من هوازن وكانت تغشاها فسألتها ، فقالت : دونك
هذه الصرمة ، فقد والله مسنى

من الجوع ما آليت أن لا أمتع سائلا ، ثم أنشأت تقول :
- لعمرى لقدما عضنى الجوع عضه * فآليت ألا أمتع الدهر
جائعا -

- فقولا لهذا اللائى اليوم أعفى * وإن أنت لم تفعل
فعض الاصابعا -

- فماذا عساكم أن تقولوا لاختمكم * سوى عدلكم أو عدل
من كان مانعا -

وماذا ترون اليوم إلا طبيعة * فكيف بتركى يابن أمى
الطبائعا -

وقال الهيثم بن عدى : عن ملحان بن عركى بن عدى بن
حاتم ، عن أبيه ، عن جده ،

قال : شهدت حاتما يكيد بنفسه (2) ، فقال لى : أى بنى
، إنى أعهد من نفسى ثلاث

خصال : والله ما خالت جارة لريبة قط ، ولا أوتمنت على
أمانة إلا أدبتها ، ولا أتى

أحد من قبلى بسوء .

* (هامش) * (1) مكارم الاخلاق : غنية (2) يكد بنفسه
: وجود (*)

-115-

وقال أبوبكر الخرائطى : حدثنا على بن حرب ، حدثنا
عبدالرحمن بن يحيى العدوى ،

حدثنا هشام بن محمد بن السائب الكلبى ، عن أبى
مسكين - يعنى جعفر بن المحرر بن

الوليد - عن المحرر مولى أبى هريرة ، قال : مر نفر من
عبدالقيس بقبر حاتم طيئ ،

فنزلوا قريبا منه ، فقام إليه بعضهم يقال له أ بوالخيرى
فجعل يركض قبره برجله ويقول :

ياأبا جعد اقربنا . فقال له بعض أصحابه : ما تخاطب من
رمة وقد بليت ؟ ! وأجنهم

الليل فناموا ، فقام صاحب القول فزعا يقول : يا قوم
عليكم بمطبيكم فإن حاتما أتانى

في النوم وأنشدنى شعرا وقد حفظته ، يقول :

أبا الخيرى وانت المرؤ * ظلوم العشيرة شتامها -

- أتيت بصحبك تبغى القرى * لدى حفرة قد صدت هامها -

- أتبغى لى الذنب عند المبي * ت وحولك طيئ وأنعامها -

- وإنا لنشبع أضيافنا * وتأتى المطى فنعامها (1)

قال : وإذا ناقة صاحب القول تكوس (2)

عقيرا ، فنحروها وقاموا يشتون

ويأكلون . وقالوا : والله لقد اضافنا حاتم حيا وميتا !
قال : واصبح القوم وأردفوا صاحبهم وصاروا ، فإذا رجل
ينوه بهم راكبا جملا
ويقود آخر ، فقال : أيكم أ بوالخيبرى ؟ قال : أنا . قال :
إن حاتما أتانى في النوم فأخبرنى
أنه قرى اصحابك ناقتك وأمرنى أن أحملك ، وهذا بغير
فخذه . ودفعه إليه .
* (هامش) * (1) نعامها : نأخذها
(2) كاس البعير : مشى على ثلاث قوائم وهو معرقب ،
كما في القاموس .
وقال الزمخشري : كوسه الله في النار : قلبه على رأسه .
وكاس العقير كوسا لانه يسقط على رأسه .
الاساس . (*)

-116-

ذكر شئ من أخبار عبدالله بن جدعان
هو عبدالله بن جدعان ، بن عمرو ، بن كعب ، بن سعد ،
بن تيم ، بن مرة ،
سيد بنى تيم ، وهو ابن عم والد أبى بكر الصديق رضى
الله عنه .
وكان من الكرماء الاجواد في الجاهلية المطعمين للمستنين
وكان في بدء أمره فقيرا مملقا ، وكان شريرا يكثر من
الجنايات ، حتى أبغضه
قومه وعشيرته وأهله وقبيلته ، وأبغضه حتى أبوه .
فخرج ذات يوم في شعاب مكة حائرا بائرا فرأى شقا في
جبل ، فظن أن يكون به

شئ يؤذى ، فقصده لعله يموت فيستريح مما هو فيه .
فلما اقترب منه إذا ثعبان يخرج إليه ويشب عليه ، فجعل
يحيد عنه ويشب فلا يغنى

شيئا ، فلما دنا منه إذا هو من ذهب وله عينان هما
ياقوتتان ، فكسره وأخذه ودخل

الغار فإذا فيه قبور لرجال من ملوك جرهم ، ومنهم
الحارث بن مضاض الذى طالت غيبته فلا

يدرى أين ذهب ، ووجد عند رءوسهم لوحا من ذهب فيه
تاريخ وفاتهم ومدد ولايتهم ،

وإذا عندهم من الجواهر والآلئ والذهب والفضة شئ كثير
، فأخذ منه حاجته ، ثم خرج

وعلم باب الغار ، ثم انصرف إلى قومه فأعطاهم حتى
أحبوه وسادهم ، وجعل يطعم الناس ،

وكلما قل ما في يده ذهب إلى ذلك الغار فأخذ حاجته ثم
رجع . فممن ذكر هذا عبدالملك بن

هشام في كتاب (التيجان (1)

وذكره أحمد بن عمار في كتاب (رى العاطش وأنس

الواحش) وكانت له جفنة يأكل منها الراكب على بغيره ،
ووقع فيها صغير فغرق .

* (هامش) * (1) كتاب التيجان لمعرفة ملوك الزمان .
وهو يتضمن بعض قصص أهل الكتاب ،

وأخبار اليمن . (*)

-117-

وذكر ابن قتيبة وغيره أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : (لقد كنت أستظل

بطل جفنة عبدالله بن جدعان صكة عمى (1) أى وقت الظهيرة .

وفى حديث مقتل أبى جهل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : (تطلبوه

بين القتلى وتعرفوه بشجة فى ركبته ، فإنى تراحت أنا وهو على مادية لا بن جدعان

فدفعته فسقط على ركبته فانهشمت فأثرها باق فى ركبته (فوجدوه كذلك .

وذكروا أنه كان يطعم التمر والسويق ويسقى اللبن ، حتى سمع قول أمية بن

أبى الصلت :

- ولقد رأيت الفاعلين وفعلمهم * فرأيت أكرمهم بنى الديان -

- البريلبك بالشهاد طعامهم * لا ما يعلننا بنو جدعان -

فأرسل ابن جدعان إلى الشام ألفى بغير - جاءت - تحمل البر والشهد والسمن ،

وجعل مناديا ينادى كل ليلة على ظهر الكعبة : أن هلموا إلى جفنة ابن جدعان . فقال

أمية فى ذلك :

- له داع بمكة مشمعل (2) * وآخر فوق كعبتها ينادى -

- إلى ربح من الشيزى ملاء (3)

* لباب البريلبك بالشهاد -

ومع هذا كله فقد ثبت فى الصحيح لمسلم أن عائشة قالت : يا رسول الله إن ابن

جدعان كان يطعم الطعام ويقرى الضيف ، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ فقال : (لا ،

إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين) .

* (هامش) * (1) الصكة : شدة الهاجرة ، وتضاف إلى عمى ، رجل من العمالقة أغار على قوم في الظهيرة فاجتاحهم (2) مشمعل : مبادر مجتهد . (3) الردح : جمع ردة وهى الجفنة العظيمة . والشيزى خشب أسود للقصاص . (*)

-118-

ذكر امرئ القيس بن حجر الكندى

صاحب إحدى المعلقات

وهى أفخرهن وأشهرهن التى أولها : * قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل *

قال الامام أحمد حدثنا هشيم (1) حدثنا أبو الجهم الواسطى ، عن الزهرى ، عن

أبى سلمة ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (امرؤ القيس

صاحب لواء الشعراء إلى النار (2) وقد روى هذا الحديث عن هشيم جماعة كثيرون ، منهم بشر بن الحكم ، والحسن

بن عرفة ، وعبدالله بن هارون أمير المؤمنين المأمون أخو الأمين ، ويحيى بن معين ،

وأخرجه ابن عدى من طريق عبدالرزاق عن الزهرى به ، وهذا منقطع وردئ من

وجه آخر عن أبى هريرة ، ولا يصح من غير هذا الوجه .

وقال الحافظ ابن عساكر : هو امرؤ القيس بن حجر ، بن الحارث ، بن عمرو ، بن

حجر آكل المرار ، بن عمرو ، بن معاوية ، بن الحارث ،
بن يعرب ، بن ثور ، بن مرتع

بن معاوية بن كندة . أبويزيد ويقال أبووهب . ويقال أ
بوالحارث الكندي . كان

بأعمال دمشق ، وقد ذكر مواضع منها في شعره فمن
ذلك قوله :

- قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين
الدخول فحومل -

- فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها * لما نسجتها من جنوب
وشمال -

* (هامش) *

(1) المطبوعة : هشام ، وما أثبتته عن المسند (2)
المسند حديث رقم 7127 وانظر فيه تخریج الحديث (*)

-119-

ثم روى من طريق هشام بن محمد بن السائب الكلبي ،
حدثني فروة بن سعيد بن

عفيف بن معدى كرب ، عن أبيه ، عن جده قال : بينا
نحن عند رسول الله صلى الله

عليه وسلم إذ أقبل وفد من اليمن ، فقالوا يا رسول الله
لقد أحيانا الله بيتين من

شعر امرئ القيس . قال : وكيف ذاك ؟ قالوا : أقبلنا
نريدك ، حتى إذا كنا ببعض

الطريق أخطأنا الطريق فمكثنا ثلاثا لا نقدر على الماء ،
فتفرقنا إلى أصول طلح وسمر

ليموت كل رجل منا في ظل شجرة ، فبينما نحن بآخر
رمق إذا راكب يوضع على بعير ، فلما

رآه بعضنا قال والراكب يسمع :

- ولما رأيت أن الشريعة همها * وأن البياض من فرائصها
دامى (1)

-

- تيممت العين التي عند ضارج * يفئ عليها الظل عرمضها
طامى (2)

فقال الراكب : ومن يقول هذا الشعر ؟ وقد رأى ما بنا من
الجهد قال : قلنا :

امرؤ القيس بن حجر . قال والله ما كذب ، هذا ضارج
عندكم . فنظرنا فإذا بيننا وبين

الماء نحو من خمسين ذراعاً ، فحبونا إليه على الركب ،
فإذا هو كما قال امرؤ القيس عليه

العرمض يفئ عليه الظل . فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : (ذاك رجل مذکور في

الدنيا منسى في الآخرة ، شريف في الدنيا خامل في
الآخرة ، بيده لواء الشعراء يقودهم

(إلى النار) (3)

.

وذكر الكلبى : أن امرأ القيس أقبل براياته يريد قتال بنى
أسد حين قتلوا أباه ،

فمر بتبالة وبها ذو الخلصة ، وهو صنم ، وكانت العرب
تستقسم عنده ، فاستقسم * (هامش) *

(1) الشريعة : مشرعة الماء والفرائص : جمع فريضة .
وهما فريصتان ترتعدان عند الخوف . (2) ضارج : موضع
ببلاد عبس . والعرمض : الطحلب . يريد أن الحمر لما
أرادت شريعة الماء خافت

على أنفسها من الرماة وأن تدمى فرائصها من سهامهم
عدلت إلى ضارج لعدم الرماة على العين التي فيه ،

انظر اللسان 3 / 139 (3) وردت هذه القصة في الشعر
والشعراء 1 / 58 ، 59 ، 74 ، 75 . وهى كذلك في اللسان
وعيون

الاخبار 1 / 143 ، 144 ، والاغانى 7 / 123

(*)

-120-

فخرج القدح الناهى ، ثم الثانية ، ثم الثالثة كذلك ، فكسر
القدح وضرب بها وجه

ذى الخلصة وقال : عضضت بأير أبيك ، لو كان أبوك
المقتول لما عوقتني ! ثم أغار على

بنى أسد فقتلهم قتلا ذريعا .

قال ابن الكلبي : فلم يستقسم عند ذى الخلصة حتى جاء
الاسلام .

وذكر بعضهم أنه امتدح قيصر ملك الروم يستنجده في
بعض الحروب وبسترفده ،

فلم يجد مايؤمله عنده فهجاه بعد ذلك ، فيقال إنه سقاه
سما فقتله ، فألجأه الموت إلى جنب

قبر امرأة عند جبل يقال له عسيب فكتب هنالك .

- أجاتنا إن المزار قريب * وإنى مقيم ما أقام عسيب -

- أجاتنا إنا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب -

وذكروا أن المعلقة السبع كانت معلقة بالكعبة ، وذلك أن
العرب كانوا إذا

عمل أحدهم قصيدة عرضها على قريش ، فإن أجازوها
علقوها على الكعبة تعظيما لشأنها ،

فاجتمع من ذلك هذه المعلقات السبع .

فالاولى لامرئ القيس بن حجر الكندي كما تقدم ، وأولها :

- قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين
الدخول فحومل -

والثانية للنابغة الذبياني ، واسمه زياد بن معاوية ، ويقال
زياد بن عمرو بن معاوية

ابن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف
بن سعد بن ذبيان بن

بغيض وأولها :

- يادار مية بالعلياء فالسند * أقوت وطال عليها سالف الامد
-

والثالثة لزهير بن أبى سلمى ربيعة بن رياح المزنى وأولها
:

- أمن أم أوفى دمنة لم تكلم * بحومانة الدراج فالمتثلم -

-121-

والرابعة لطرفه بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن
ضبيعة بن قيس بن ثعلبة

.....

- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 121 سطر 1 الى ص
130 سطر 21

والرابعة لطرفه بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن
ضبيعة بن قيس بن ثعلبة

ابن عكابة بن صععب بن على بن بكر بن وائل وأولها :

- لخولة أطلال ببرقة تهمد * تلوح كباقي الوشم في ظاهر
اليد -

والخامسة لعنترة بن شداد بن معاوية بن قراد بن مخزوم
بن ربيعة بن مالك بن غالب

ابن قطيعة ابن عبس العبسى وأولها :

- هل غادر الشعراء من متردم * أم هل عرفت الدار بعد
توهم -

والسادسة لعلقمة بن عبدة بن النعمان بن قيس أحد بنى
تميم وأولها :

طحا بك قلب في الحسان طروب * بعيد الشباب عصر
حان مشيب -

والسابعة - ومنهم من لا يشتها في المعلقات ، وهو قول
الاصمعى وغيره - وهى للبيد

ابن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر
بن صعصعة بن معاوية بن

بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس
بن عيلان بن مضر وأولها :

- عفت الديار محلها فمقامها * بمنى تأبد غولها فرجامها -

فأما القصيدة التى لايعرف قائلها ، فيما ذكره أبوعبيدة
والاصمعى والمبرد وغيرهم ،

فهى قوله :

هل بالطلول لسائل رد * أم هل لها بتكلم عهد -

وهى مطولة ، وفيها معان حسنة كثيرة .

-122-

ذكر شئ من أخبار أمية بن أبى الصلت الثقفى ، كان من
شعراء الجاهلية

وقد أدرك زمن الاسلام

قال الحافظ ابن عساكر : هو أمية بن أبى الصلت ،
عبدالله بن أبى ربيعة بن عوف

ابن عقدة بن عزة بن عوف بن ثقف بن منبه بن بكر بن
هوازن ، أبوعثمان ، ويقال
أبوالحكم الثقفى .

شاعر جاهلى قدم دمشق قبل الاسلام ، وقيل إنه كان
مستقيما (1) وإنه كان فى أول

أمره على الايمان ، ثم زاغ عنه ، وإنه هو الذى أراد
الله تعالى بقوله (واتل عليهم نبأ

الذى آتينا آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من
الغاوين) .

قال الزبير بن بكار : فولدت رقية بنت عبد شمس بن عبد
مناف أمية الشاعر ، ابن

أبى الصلت ، واسم أبى الصلت ربيعة بن وهب بن علاج
بن أبى سلمة بن ثقيف .

وقال غيره : كان أبوه من الشعراء المشهورين بالطائف ،
وكان أمية أشعرهم .

وقال عبدالرزاق : قال الثورى : أخبرنى حبيب بن أبى ثابت
أن عبدالله بن عمرو

قال فى قوله تعالى (واتل عليهم نبأ الذى آتينا آياتنا
فانسلخ منها فأتبعه الشيطان

فكان من الغاوين) هو أمية بن أبى الصلت .

وكذا رواه أبوبكر بن مردويه ، عن أبى بكر الشافعى ،
عن معاذ بن المثنى ، عن

مسدد ، عن أبى عوانة ، عن عبدالملك بن عمير ، عن
نافع بن عاصم بن مسعود قال :

إنى لفى حلقة فيها عبدالله بن عمرو فقراً رجل من القوم
الآية التى فى الاعراف (واتل

عليهم نبأ الذى آتيناها آياتنا فانسلخ منها) فقال : هل
تدرون من هو ؟ فقال بعضهم : * (هامش) *

(1) الذى فى ابن عساكر ، وقيل إنه كان نبيا . (*)

-123-

هو صيفى بن الراهب . وقال آخر : بل هو بلعم رجل من
بنى إسرائيل . فقال : لا قال

فمن ؟ قال هو أمية بن أبى الصلت .

وهكذا قال أبوصالح والكلبى وحكاه قتادة عن بعضهم

وقال الطبرانى : حدثنا على بن عبدالعزيز حدثنا عبدالله بن
شبيب الربعى ، حدثنا

محمد بن مسلمة بن هشام المخزومى ، حدثنا إسماعيل
ابن الطريح بن إسماعيل الثقفى ،

حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن مروان بن الحكم ، عن
معاوية بن أبى سفيان ،

عن أبيه ، قال :

خرجت أنا وأمى بن أبى الصلت الثقفى تجارا إلى الشام ،
فكلما نزلنا منزلا أخذ أمية

سفرا له يقرؤه علينا ، فكنا كذلك حتى نزلنا قرية من
قرى النصارى فجاءوه وأكرموه

وأهدوا له وذهب معهم إلى بيوتهم .

ثم رجع فى وسط النهار فطرح ثوبيه وأخذ ثوبين له
أسودين فلبسهما ، وقال لى :

هل لك يا أبا سفيان فى عالم من علماء النصارى إليه
يتناهى علم الكتاب تسأله ؟ قلت :

لا إرب لى فيه ، والله لئن حدثنى بما أحب لا أثق به ،
ولئن حدثنى بما أكره

لاجدن منه .

قال : فذهب وخالفه شيخ من النصارى فدخل على ، فقال
: ما يمنعك أن تذهب إلى

هذا الشيخ ؟ قلت : لست على دينه . قال : وإن ، فإنك
تسمع منه عجا وتراه . ثم

قال لى : أثقفى أنت ؟ قلت : لا ولكن قرشى . قال : فما
يمنعك من الشيخ ، فوالله إنه

ليحبكم ويوصى بكم .

قال فخرج من عندنا ، ومكث أمية عندهم حتى جاءنا بعد
هدأة من الليل ، فطرح

ثوبيه ثم أنجدل على فراشه ، فوالله ما نام ولا قام .

-124-

حتى أصبح كثيبا حزينا ساقطا غبوقه على صبوحة ،
مايكلمنا ولا نكلمه .

ثم قال : ألا ترحل ؟ قلت : وهل بك من رحيل ؟ قال
نعم .

فرحلنا فسرنا بذلك ليلتين ، ثم قال في الليلة الثالثة : ألا
تحدث يا أبا سفيان ؟ قلت

وهل بك من حديث ؟ والله ما رأيت مثل الذى رجعت به
من عند صاحبك .

قال : أما إن ذلك لشيئ لست فيه ، إنما ذلك لشيئ وجلت
منه من منقلبى .

قلت : وهل لك من منقلب ؟

قال : إى والله ، لاموتن ثم لاحيين .

قال : قلت : هل أنت قابل أمانى (1) ؟

قال : على ماذا ؟ قلت : على أنك لاتبعث ولاتحاسب .

قال : فضحك ثم قال : بلى والله يا أبا سفيان ، لنبعثن ثم
لنحاسبن وليدخلن فريق

الجنة وفريق النار .

قلت : فنفى أيهما أنت أخبرك صاحبك ؟

قال لا علم لصاحبى بذلك ، لا في ولا في نفسه .

قال : فكنا في ذلك ليلتين ، يعجب منى واضحك منه ،
حتى قدمنا غوطة دمشق ،

فبعنا متاعنا وأقمنا بها شهرين .

فارتحلنا حتى نزلنا قرية من قرى النصارى ، فلما رأوه
جاءوه وأهدوا له وذهب معهم

إلى بيعتهم ، فما جاء إلا بعد منتصف النهار ، فلبس ثوبيه
وذهب إليهم ، حتى جاء بعد

هذأة من الليل ، فطرح ثوبيه ورمى بنفسه على فراشه ،
فو الله ما نام ولا قام .

وأصبح حزينا كثيرا لا يكلمنا ولا نكلمه ، ثم قال : ألا ترحل
؟ قلت : بلى

إن شئت .

* (هامش) * (1) المطبوعة : أمانتى ، وهو خطأ . (*)

-125-

فرحلنا كذلك من بنه وحزنه ليالى ، ثم قال لى : يا أبا
سفيان ، هل لك في المسير

لنتقدم أصحابنا ؟ قلت : هل لك فيه ؟ قال نعم .

فسرنا حتى برزنا من أصحابنا ساعة ، ثم قال : هيا صخر . فقلت . ما تشاء ؟

قال حدثني عن عتبة بن ربيعة ، أيجتنب المظالم والمحارم ؟

قلت : إى والله .

قال : ويصل الرحم ويأمر بصلتها ؟

قلت : إى والله .

قال : وكريم الطرفين وسط في العشيرة ؟

قلت : نعم .

قال : فهل تعلم قرشيا أشرف منه ؟

قلت : لا والله ، لا أعلم .

قال : أمحوج هو ؟

قلت : لا بل هو ذو مال كثير .

قال : وكم أتى عليه من السن ؟

فقلت : قد زاد على المائة .

قال : فالشرف والسن والمال أزرين (1) به .

قلت : ولم ذاك يزرى به ، لا والله بل يزيد خيرا .

قال : هو ذاك ، هل لك في المبيت ؟ قلت : لى فيه .

قال فاضطجعنا حتى مر الثقل . قال : فسرنا حتى نزلنا في المنزل وبتنا به ، ثم

ارتحلنا منه .

* (هامش) *

(1) في الا كتفا للكلاعى ، والوفا لابن الجوزى ، ودلائل النبوة : فالشرف والسن أزريا به . (*)

-126-

فلما كان الليل قال لى : يا أبا سفيان . قلت : ما تشاء ؟ قال هل لك في مثل البارحة .

قلت : هل لك فيه ؟ قال : نعم .

فسرنا على ناقتين بختيتين ، حتى إذا برزنا قال : هيا صخر ، هيه عن

عتبة بن ربيعة .

قال قلت : هيه فيها .

قال : أيجتنب المحارم والمظالم ويصل الرحم ويأمر بصلتها ؟ قلت : إى والله

إنه ليفعل .

قال وذو مال ؟ قلت : وذو مال .

قال : أتعلم قرشيا أسود منه ؟ قلت : لا والله ما أعلم .

قال : كم أتى له من السن ؟ قلت قد زاد على المائة .

قال : فإن السن والشرف والمال أزرين به .

قلت : كلا والله ما أزرى به ذلك ، وأنت قائل شيئا فقله . قال : لا ، تذكر حديثى

يأتى منه ما هو آت .

ثم قال : فإن الذى رأيت أصابنى أنى جئت هذا العالم فسألته عن أشياء ، ثم قلت

أخبرنى عن هذا النبى الذى ينظر .

قال : هو رجل من العرب .

قلت : قد علمت أنه من العرب ، فمن أى العرب هو ؟

قال : من أهل بيت تحجه العرب .

قلت وفيما بيت تحجه العرب .

قال : هو من إخوانكم من قريش فأصابنى والله شئ ما أصابنى

-127-

مثله قط ، وخرج من يدى فوز الدنيا والآخرة ، وكنت أرجوا أن أكون إياه .

قلت : فإذا كان ما كان فصفه لى .

قال : رجل شاب حين دخل في الكهولة ، بدء أمر - أنه -
يجتنب المظالم والمحارم ،

ويصل الرحم ويأمر بصلتها ، وهو محوج كريم الطرفين
متوسط في العشيرة ، أكثر

جنده من الملائكة .

قلت : وما آية ذلك ، قال : قد رجفت الشام منذ هلك
عيسى بن مريم عليه السلام

ثمانين رجفة ، كلها فيها مصيبة ، وبقيت رجفة عامة فيها
مصائب .

قال أبوسفیان : فقلت هذا والله الباطل ، لئن بعث الله
رسولا لا يأخذه

إلا مسنا شريفا .

قال أمية : والذي حلفت به إن هذا لهكذا يا أبا سفيان ،
يقول إن قول النصرانى

حق . هل لك في المبيت ؟ قلت : نعم لى فيه .

قال فبتنا حتى جاءنا الثقل ، ثم خرجنا حتى إذا كان بيننا وبين مكة مرحلتان

- أو - ليلتان أدركنا راكب من خلفنا ، فسألناه فإذا هو يقول أصابت أهل الشام

بعدكم رجفة دمرت أهلها وأصابتهم فيها مصائب عظيمة .

قال أبوسفیان : فأقبل على أمية فقال : كيف ترى قول النصراني يا أبا سفيان ؟ قلت

أرى واطن والله أن ما حدثك به صاحبك حق .

قال أبوسفیان : فقدمنا مكة ، فقضيت ما كان معي ، ثم انطلقت حتى جئت اليمن

تاجرا فكنت بها خمسة أشهر ، ثم قدمت مكة .

فبينما أنا في منزلي جاءني الناس يسلمون على ويسألون عن بضائعهم ، حتى جاءني

محمد بن عبدالله وهند عندي تلاعب صبيانها ، فسلم على ورحب بي ، وسألني عن

سفري ومقامي ولم يسألني عن بضاعته ، ثم قام . فقلت لهند : والله إن هذا ليعجبني ،

-128-

مامن من أحد من قريش له معي بضاعة إلا وقد سألتني عنها ، وما سألتني هذا

عن بضاعته .

فقلت لي هند : أو ما علمت شأنه .

فقلت وأنا فزع : ما شأنه ؟

قالت يزعم أنه رسول الله .

فوقذنتى ، وتذكرت قول النصرانى ، فرجفت حتى قالت
لى هند : مالك ؟

فانتبهت فقلت : إن هذا لهو الباطل ، لهو أعقل من أن
يقول هذا . قالت : بلى

والله إنه ليقول ذلك ويدعو إليه ، وإن له لصحابة على
دينه . قلت : هذا

هو الباطل .

قال : وخرجت ، فبينما أنا أطوف بالببيت إذ بى قد لقيته ،
فقلت له : إن

بضاعتك قد بلغت كذا وكذا وكان فيها خير ، فأرسل من
يأخذها ولست آخذ منك

فيها ما آخذ من قومى . فأبى على وقال : إذن لا آخذها .
قلت : فأرسل فخذها وأنا

آخذ منك مثل ما آخذ من قومى . فأرسل إلى بضاعته
فأخذها وأخذت منه ما كنت

آخذ من غيره .

قال أبوسفیان : فلم أنشب أن خرجت إلى اليمن . ثم
قدمت الطائف فنزلت على

أمية بن أبى الصلت ، فقال لى : يا أبا سفيان . - قلت -
: ما تشاء - قال - : هل تذكر قول

النصرانى ؟ فقلت أذكره وقد كان . فقال : ومن ؟

قلت : محمد بن عبدالله . قال : ابن ع بدالمطلب ؟ قلت
: ابن ع بدالمطلب . ثم

قصصت عليه خبر هند .

قال : فالله يعلم . وأخذ يتصب عرقا .

ثم قال : والله يا أبا سفيان لعله ، إن صفته لهى ، ولئن
ظهر وأنا حى لأطلبن من الله

عزوجل في نصره عذرا .

قال : ومضيت إلى اليمن فلم أنشب أن جاءنى هنا لك
استهلاله ، وأقبلت حتى

نزلت على أمية بن أبى الصلت بالطائف فقلت : يا أبا
عثمان قد كان من أمر الرجل ما قد

بلغك وسمعته .

فقال : قد كان لعمرى .

قلت : فأين أنت منه يا أبا عثمان ؟

فقال : والله ما كنت لاو من برسول من غير ثقيف أبدا !

قال أبوسفيان : وأقبلت إلى مكة ، فوالله ما أنا ببعيد
حتى جئت مكة فوجدت

أصحابه يضربون ويحقرون .

قال أبوسفيان : فجعلت أقول : فأين جنده من الملائكة ؟
فدخلنى ما يدخل الناس

من النفاسة .

وقد رواه الحافظ البيهقى في كتاب (الدلائل) من حديث
إسماعيل بن طريح به ،

ولكن سياق الطبرانى الذى أوردناه أتم وأطول . والله أعلم

وقال الطبرانى : حدثنا بكر بن أحمد بن نفيل ، حدثنا
عبدالله بن شبيب ، حدثنا

يعقوب بن محمد الزهرى ، حدثنا مجاشع بن عمرو الاسدى
، حدثنا ليث بن سعد ، عن

أبى الاسود محمد بن عبدالرحمن ، عن عروة بن الزبير ،
عن معاوية بن أبى سفيان ،

عن أبى سفيان بن حرب ، أن أمية بن أبى الصلت كان
بغزة أو بإيلياء ، فلما قفلنا

قال لى أمية : يا أبا سفيان هل لك أن تتقدم على الرفقة
فتحدث ؟ قلت : نعم .

قال : ففعلنا .

(9 السيرة 1)

-130-

فقال لى : يا أبا سفيان إيه عن عتبة بن ربيعة ؟ قلت :
كريم الطرفين . - قال - : ويجتنب

المحارم والمظالم ؟ قلت : نعم .

قال : وشريف مسن ؟ قلت : وشريف مسن .

قال : الشرف والسن أزريابه .

فقلت له : كذبت ، ما ازداد سنا إلا ازداد شرفا .

قال : يا أبا سفيان إنها كلمة ما سمعت أحدا يقولها لى
منذ تبصرت ، فلا تعجل على

حتى أخبرك . قال قلت : هات .

قال : إني كنت أجد في كتيبي نيبا يبعث من حرتنا هذه ،
فكنت أظن بل كنت

لا أشك أنى أنا هو ، فلما دارست أهل العلم إذا هو من
بنى عبد مناف ، فنظرت في بنى

عبد مناف فلم أجد أحدا يصلح لهذا الامر غير عتبة بن ربيعة ، فلما أخبرتنى بسنه عرفت أنه ليس به ، حين جاوز الاربعين ولم يوح إليه . قال أبوسفیان : فضرب الدهر ضربه ، فأوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرجت في ركب من قريش أريد اليمن في تجارة ، فمررت بأمية فقلت له كالمستهزئ به : يا أمية قد خرج النبي الذي كنت تنعته قال : أما إنه حق فاتبعه . قلت : ما يمنعك من اتباعه ؟ قال : ما يمنعني إلا الاستحياء من نساء ثقيف ، إني كنت أحدثهن أنى هو ، ثم يريننى تابعا لغلام من بنى عبد مناف ! ثم قال أمية : كأنى بك يا أبا سفيان قد خالفته ثم قد ربطت كما يربط الجدى حتى يؤتى بك إليه فيحكم فيك بما يريد .

-131-

وقال عبدالرزاق : أخبرنا معمر ، عن الكلبي ، قال : بينا أمية راقد ومعه ابنتان

.....

- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 131 سطر 1 الى ص 140 سطر 17

وقال عبدالرزاق : أخبرنا معمر ، عن الكلبي ، قال : بينا أمية راقد ومعه ابنتان

له إذ فرعت إحداهما فصاحت عليه ، فقال لها : ما شأنك ؟ قالت رأيت نسرين كشتا

سقف البيت فنزل أحدهما إليك فشق بطنك ، والآخر واقف على ظهر البيت ، فناداه

فقال : أوعى ؟ قال : نعم . قال : أزكا ؟ قال : لا .

فقال : ذاك خير أريد بأبيكما فلم يفعله .

وقد روى من وجه آخر بسياق آخر ، فقال إسحاق بن بشر ، عن محمد بن إسحاق :

عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، وعثمان بن عبدالرحمن ، عن الزهري ، عن سعيد

ابن المسيب ، قال : قدمت الفارعة أخت أمية بن أبي الصلت على رسول الله صلى الله

عليه وسلم بعد فتح مكة (1)

، وكانت ذات لب وعقل وجمال ، وكان رسول الله صلى الله

عليه وسلم بها معجبا . فقال لها ذات يوم : يا فارعة ، هل تحفظين من شعر أخيك شيئا ؟

فقالت : نعم ، وأعجب من ذلك ما قد رأيت .

قالت : كان أخى في سفر ، فلما انصرف بدانى فدخل على فرقد على سريري وأنا

أحلق أديما في يدي ، إذ أقبل طائران أبيضان أو كالطيرين أبيضين ، فوقع على الكوة

أحدهما ودخل الآخر فوقع عليه ، فشق الواقع عليه ما بين قصه (2) إلى عاتقه ثم أدخل

يده في جوفه فأخرج قلبه فوضعه في كفه ثم شمه ، فقال له الطائر الآخر : أوعى ؟ قال :

وعى . قال : أزكا ؟ قال أبى . ثم رد القلب إلى مكانه
فالتأم الجرح أسرع من طرفه

عين . ثم ذهب .

فلما رأيت ذلك دنوت منه فحركته ، فقلت هل تجد شيئاً
؟ قال : لا إلا توهينا في

جسدى . وقد كنت ارتعبت مما رأيت ، فقال : مالى أراك
مرتاعة ؟ قالت : فأخبرته

* (هامش) * (1) الارجع أنه بعد فتح الطائف ، كما في
أسد الغابة والاصابة و الاستيعاب . لان أمية كان يقيم
بالطائف . (2) القص : الصدر (*)

-132-

الخبر . فقال : خير أريد بى ثم صرف عنى . ثم أنشأ
يقول :

- باتت همومى تسرى طوارقها * أكف عيني والدمع سابقها
-

- مما أتانى من اليقين ولم * أوت براءة يقص ناطقها -

- أممن تلظى عليه واقدة الن * - ار محيط بهم سرادقها -

- أم أسكن الجنة التى وعد ال * - أبرار مصفوفة نمارقها -

- لا يستوى المنزلان ثم ولا ال * - أعمال لاتستوى طرائقها
-

- هما فريقان فرقة تدخل الجن * ة حفت بهم حدائقها -

- وفرقة منهم قد أدخلت الن * ار فساءتهم مرافقها -

- تعاهدت هذه القلوب إذا * همت بخير عاقت عوائقها -

- وصدها للشقاء عن طلب ال * جنة دنيا الله ما حقها -

- عبد دعا نفسه فعاتبها * يعلم أن البصير رامقها -

- ما رغب النفس في الحياة ؟ وإن * تحيا قليلا فالموت
لاحقها -

- يوشك من فر من منيته * يوما على غرة يوافقها -

- إن لم تمت غبطة تمت هرما * للموت كأس والمرء
ذائفها -

- قال : ثم انصرف إلى رحله ، فلم يلبث إلا يسيرا حتى
ظعن في جنازته (1) .

، فأثنى الخبر

فانصرفت إليه فوجدته منعوشا قد سجي عليه ، فدنوت
منه فشهب شهقة وشق بصره

ونظر نحو السقف ورفع صوته وقال : ليكما ليكما ، ها
أنا ذا لديكما ، لا ذو مال

فيفديني ولا ذو أهل فتحميني .

ثم أغمى عليه إذ شهب شهقة ، فقلت قد هلك الرجل .

* (هامش) * (1) كذا في تاريخ ابن عساكر 3 / 125 .
وكان الاصل : طعن في حيارته . وهو تحريف .

(*)

-133-

فشق بصره نحو السقف فرفع صوته . فقال : ليكا ليكما
ها أنا ذا لديكما .

لا ذو براءة فأعذر ولا ذو عشيرة فانتصر .

ثم أغمى عليه إذ شهب شهقة وشق بصره ونظر نحو
السقف فقال : ليكما ليكما ،

ها أنا ذا لديكما ، بالنعم محفود وبالذنب محصود .

ثم أغمى عليه إذ شهق شهقة فقال : لبيكما لبيكما ها أنا
ذا لديكما .

- إن تغفر اللهم تغفر جما * وأى عبد لك لا ألما

ثم أغمى عليه إذ شهق شهقة فقال :

- كل عيش وإن تطاول دهرا * صائر مرة إلى أن يزولا -

- ليتنى كنت قبل ما قد بدالى * في قلال الجبال أرعى
الوعولا -

قالت : ثم مات . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
(يا فارعة إن مثل أخيك

كمثل الذى آتاه الله آياته فانسلخ منها) الآية .

وقد تكلم الخطابى على غريب هذا الحديث .

وروي الحافظ ابن عساكر عنا لزهرى أنه قال : قال أمية
بن أبى

الصلت : - ألا رسول لنا منا يخبرنا * ما بعد غايتنا من
رأس مجرانا -

قال : ثم خرج أمية بن أبى الصلت إلى البحرين ، وتنبأ
رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، وأقام أمية بالبحرين ثمانى سنين ، ثم قدم
الطائف فقال لهم : ما يقول محمد بن عبدالله ؟

قالوا : يزعم أنه نبي ، هو الذى كنت تتمنى .

قال : فخرج حتى قدم عليه مكة فلقيه ، فقال : يا ابن ع
بدالمطلب ما هذا الذى

تقول ؟ قال : أقول إني رسول الله وأن لا إله إلا هو .
قال : إني أريد أن أكملك

فعدنى غدا . قال فموعدك غدا . قال فتحب أن آتيك
وحدى أو في جماعة من أصحابي ،

وتأتيني وحدك أو في جماعة من أصحابك ؟ فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : أى ذلك

شئت . قال : فإنى آتيك في جماعة ، فأت في جماعة .

قال : فلما كان الغد غدا أمية في جماعة من قريش . قال
: وغدا رسول الله صلى

الله عليه وسلم معه نفر من أصحابه ، حتى جلسوا في
ظل الكعبة . قال : فبدأ أمية

فخطب ثم سجع ثم أنشد الشعر ، حتى إذا فرغ الشعر
قال : أجبني يا ابن ع بدالمطلب

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بسم الله
الرحمن الرحيم . يس والقرآن الحكيم)

حتى إذا فرغ منها وثب أمية يجر رجليه . قال : فتبعته
قريش يقولون : ما تقول يا أمية ؟

قال : أشهد أنه على الحق . فقالوا : هل تتبعه ؟ قال :
حتى أنظر في أمره .

قال : ثم خرج أمية إلى الشام وقدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم المدينة ، فلما قتل

أهل بدر قدم أمية من الشام حتى نزل بدرا ، ثم ترحل
يريد رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، فقال قائل : يا أبا الصلت ما تريد ؟ قال :
أريد محمدا . قال : وما تصنع ؟ قال :

أومن به وألقى إليه مقاليد هذا الامر . قال : أتدرى من
في القلب ؟ قال : لا . قال :

فيه عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وهما ابنا خالك -
وأمه ربيعة بنت عبد شمس -

قال : فجدع أذنى ناقته وقطع ذنبها ، ثم وقف على القليب يقول :

- ما ذا ببدر فالعقن * - قل من مرازية ججاج -

القصيدة إلى آخرها ، كما سيأتى ذكرها بتمامها في قصة بدر إن شاء الله .

ثم رجع إلى مكة والطائف وترك الاسلام .

ثم ذكر قصة الطيرين وقصة وفاته كما تقدم ، وأنشد شعره عند الوفاة :

- كل عيش وإن تطاول دهرا * صائر مرة إلى أن يزولا -

- ليتنى كنت قبل ما قد بدا لى * في قلال الجبال أرعى الوعولا -

-135-

- فاجعل الموت نصب عينيك واحذر * غولة الدهر إن للدهر غولا -

- نائلا ظفرها القساور والصد * عان والطفل في المنار الشكيلا -

- وبغات النياف واليعفر لنا * فر والعهوج البرام الضئيلا -

فقوله : القساور جمع قسورة وهو الاسد . والصدعان : ثيران الوحش واحدها صدع .

والطفل الشكيل : من الشكلة وهى حمرة في العين (1) ، والبغات : الرخم . والنياف :

الجبال : واليعفر : الظبى . والعهوج : ولد النعام .

يعنى أن الموت لاينجو منه الوحوش في البرارى ولا الرخم الساكنة في رءوس

الجبال ، ولا يترك صغيرا لصغره ولا كبيرا لكبره . وقد تكلم الخطابى وغيره على

غريب هذه الاحاديث .

وقد ذكر السهيلي في كتابه (التعريف والاعلام) أن أمية بن أبي الصلت أول من

قال (باسمك اللهم) وذكر عند ذلك قصة غريبة .

وهو أنهم خرجوا في جماعة من قريش في سفر ، فيهم حرب بن أمية والد أبي سفيان .

قال : فمروا في مسيرهم بحية فقتلوها ، فلما أمسوا جاءتهم امرأة من الجان فعاتبتهن في قتل

تلك الحية ، ومعها قضيب فضربت به الارض ضربة نفرت الابل عن آخرها ، فذهبت

وشردت كل مذهب ، وقاموا فلم يزالوا في طلبها حتى ردها ، فلما اجتمعوا جاءتهم أيضا

فضربت الارض بقضيبها فنفرت الابل فذهبوا في طلبها ، فلما أعياهم ذلك قالوا : والله

هل عندك لما نحن فيه من مخرج ؟ فقال : لا والله ، ولكن سأنظر في ذلك . قال :

فساروا في تلك المحلة لعلهم يجدون أحدا يسألونه عما قد حل بهم من العناء ، إذا نار تلوح

على بعد ، فجاءوها فإذا شيخ على باب خيمة يوقد نارا ، وإذا هو من الجان في غاية

الضالة والدمامة ، فسلموا عليه فسألهم عما هم فيه ، فقال : إذا جاءتكم فقل باسمك اللهم .

فإنها تهرب ، فلما اجتمعوا وجاءتهم الثالثة أو الرابعة قال في وجهها أمية : باسمك اللهم

* (هامش) * (1) الاصل : والطفل الشكل من حمرة العين . وما أثبتته من ابن عساكر .

(*)

-136-

فشردت ولم يقر لها قرار ، لكن عدت الجن على حرب بن
أمية فقتلوه بتلك الحية ،

فقبه أصحابه هنا لك حيث لا جار ولا دار ، ففي ذلك
يقول الجان :

- وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر -

وذكر بعضهم : أنه كان يتفرس في بعض الاحيان في لغات
الحيوانات ، فكان

يمر في السفر على الطير فيقول لأصحابه : إن هذا يقول
كذا وكذا . فيقولون لا نعلم

صدق ما يقول . حتى مروا على قطع غنم قد انقطعت
منه شاة ومعها ولدها ، فالتفتت

إليه فتغت كأنها تستحثه . فقال : أتدرون ما تقول له ؟
قالوا : لا . قال : إنها تقول :

أسرع بنا لاجئ الذئب فيأكلك ، كما أكل الذئب أخاك عام
أول . فأسرعوا حتى

سألوا الراعى : هل أكل له الذئب عام أول حملا بتلك
البقعة ؟ فقال : نعم قال ومر يوما على بعير امرأة راكبة
وهو يرفع رأسه إليها ويرغو فقال إنه يقول لها :

إنك رحلتينى وفى الحداجة (1) مخيط . فأنزلوا تلك المر
أو حلوا ذلك الرجل فإذا فيه

مخيط كما قال .

وذكر ابن السكيت : أن أمية بن أبى الصلت بينما هو
يشرب يوما إذ نعب غراب ،

فقال : له بفيك التراب مرتين .

فقيل له : ما يقول ؟ فقال إنه يقول : إنك تشرب هذا الكأس الذى فى يدك ثم تموت .

ثم نعب الغراب فقال : إنه يقول : وآية ذلك أنى أنزل على هذه المزبلة فأكل

منها فيعلق عظم فى حلقى فأموت . ثم نزل الغراب على تلك المزبلة فأكل شيئاً فعلق

فى حلقه عظم فمات .

فقال أمية : أما هذا فقد صدق فى نفسه ، ولكن سأنظر هل صدق فى أم لا . ثم

شرب ذلك الكأس الذى فى يده ثم اتكأ فمات .

(* هامش) (1) الحداجة : مركب للنساء كالمحفة .

(*)

-137-

وقد ثبت فى الصحيح من حديث ابن مهدي ، عن الثورى ، عن عبدالمك بن عمير ،

عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن أصدق

كلمة قالها شاعر كلمة لبيد :

* ألا كل شئ ما خلا الله باطل *

وكاد أمية بن أبى الصلت أن يسلم) .

وقال الامام أحمد : حدثنا روح ، حدثنا زكرياء بن إسحاق ، حدثنا إبراهيم

ابن ميسرة ، أنه سمع عمرو بن الشريد يقول : قال الشريد : كنت ردفا لرسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال لى : (أمعك من شعر أمية بن أبى الصلت شئ) ؟ قلت نعم قال :

فأنشدنى . فأنشدته بيتا ، فلم يزل يقول لى كلما أنشدته بيتا : إيه . حتى أنشدته مائة بيت .

قال : ثم سكت النبى صلى الله عليه وسلم وسكت .

وهكذا رواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة ، عن أبى تميم بن ميسرة به . ومن

غير وجه عن عمرو بن الشريد ، عن أبيه الشريد بن سويد الثقفى ، عن النبى صلى الله

عليه وسلم . وفى بعض الروايات فقال رسول الله : (إن كاد يسلم) .

وقال يحيى بن محمد بن صاعد : حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، حدثنا أبواسامة ،

حدثنا حاتم بن أبى صفرة ، عن سماك بن حرب ، عن عمرو بن نافع ، عن الشريد

الهمداني ، وأخواله ثقيف ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة

الوداع ، فبينما أنا أمشى ذات يوم إذا وقع ناقة خلفى ، فإذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

فقال الشريد ؟ فقلت : نعم . قال : ألا أحملك ؟ قلت : بلى . وما بى من إعياء ولكنى

أردت البركة فى ركوبى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأنشده فحملنى فقال :

أمعك من شعر أمية بن أبى الصلت ؟ قلت : نعم . قال : هات . فأنشدته . قال أظنه

قال مائة بيت . فقال : (عند الله علم أمية بن أبى الصلت) .

ثم قال ابن صاعد : هذا حديث غريب . فأما الذى يروى
أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال في أمية : (آمن شعره وكفر قلبه) فلا
أعرفه . والله أعلم .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبدالله بن محمد - هو أبوبكر بن
أبى شيبة - حدثنا عبدة

ابن سليمان ، عن محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن
عتبة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق أمية في شئ من
شعره قال :

رجل (1) وثور تحت رجل يمينه * والنسر للآخرى وليث
مرصد -

- والشمس تبدو كل آخر ليلة * حمراء يصبح لونها يتورد -

- تأبى فما تطلع لنا في رسلها * إلا معذبة وإلا تجلد -

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق (2) .

وفى رواية أبى بكر الهذلى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس
أنه قال : إن الشمس

لا تطلع حتى ينخسها سبعون ألف ملك يقولون (3) لها :
اطلعى اطلعى . فتقول : لا أطلع

على قوم يعبدوننى من دون الله . فإذا همت بالطلوع أتاها
شيطان يريد أن يثبطها فتطلع

بين قرنيه وتحرقه ، فإذا تضيفت للغروب عزمت لله
عزوجل ، فيأتيها شيطان يريد أن

يثبطها عن السجود فتغرب بين قرنيه وتحرقه . أورده ابن
عساكر مطولا .

ومن شعره في حملة العرش :

- فمن حامل إحدى قوائم عرشه * ولولا إله الخلق كلوا
وأبلدوا -

- قيام على الاقدام عانون تحته * فرائصهم من شدة
الخوف ترعد

* (هامش) * (1) في المطبوعة : زحل وهو كذلك في
الاصابة ومجمع الزوائد وما أثبتته عن نسخة ! ومسند أحمد
والمراد .

أن هناك ملائكة في صورة الرجال وآخرين في صورة
الثيران كما ذكر الجاحظ في لحيوان 221 / 6 - 222

(2) المسند حديث رقم 2341 (3) الاصل والمطبوعة :
يقول .

(*)

-139-

رواه ابن عساكر .

وروى عنا لاصمعى أنه كان ينشد من شعر أمية :

- مجد وا الله فهو للمجد أهل * ربنا في السماء أمسى
كبيرا -

- بالبناء الاعلى الذى سبق الن * - اس وسوى فوق السماء
سريرا -

- شرحا (1) - ما - يناله بصر العي * - ن ترى دونه
الملائك صورا -

ثم يقول الاصمعى : الملائك جمع ملك ، ولاصور جمع
أصور وهو المائل العنق ،

وهؤلاء حملة العرش .

ومن شعر أمية بن أبى الصلت يمدح عبدالله بن جدعان التيمي :

- أذكر حاجتى أم قد كفانى * حياؤك إن شيمتك الحياء -
 - وعملك بالحقوق وأنت فرع * لك الحسب المهذب والسناء -
 - كريم لا يغيره صباح * عن الخلق الجميل ولا مساء -
 - يبارى الريح مكرمة وجودا * إذا ما الكلب أحجره الشتاء -
 - وأرضك أرض مكرمة بنتها * بنو تيم وأنت لها سماء -
 - إذا أثنى عليك المرء يوما * كفاه من تعرضه الثناء -
- وله فيه مدائح آخر .

وقد كان عبدالله بن جدعان هذا من الكرماء الاجواد الممدحين المشهورين ، وكان

له جفنة يأكل الراكب منها وهو على بعيره من عرض حافتها وكثرة طعامها ، وكان

يملاها لباب البر يلبك بالشهد والسمن ، وكان يعتق الرقاب ويعين على النوائب ، وقد

سألت عائشة النبى صلى الله عليه وسلم أينفعه ذلك ؟ فقال : إنه لم يقل يوما من الدهر :

(رب اغفرلى خطيئتى يوم الدين) .

* (هامش) * (1) الشرجع : الطويل . (*)

-140-

ومن شعر أمية البديع :

- لا ينكثون الارض عند سؤالهم * كتطلب العلات بالعيدان -

- بل يسفرون وجوههم فترى لها * عند السؤال كأحسن
الالوان -

- وإذا المقل أقام وسط رحالهم * ردوه رب صواهل وقيان
-

- وإذا دعوتهم لكل ملمة * سدوا شعاع الشمس بالفرسان
-

آخر ترجمة أمية بن أبى الصلت .

بحير الراهب

الذى توسم في رسول الله صلى الله عليه وسلم النبوة
وهو مع عمه أبى طالب ، حين

قدم الشام في تجار من أهل مكة ، وعمره إذا ذاك اثنتا
عشرة سنة ، فرأى الغمامة تظلمه من

بينهم ، فصنع لهم طعاما ضيافة ، واستدعاهم . كما سيأتى
بيان ذلك في السيرة .

وقد روى الترمذى في ذلك حديثا بسطنا الكلام عليه هنا
لك ، وقد أورد له

الحافظ ابن عساكر شواهد وسائغات في ترجمة بحيرا ،
ولم يورد مارواه الترمذى

وهذا عجب .

وذكر ابن عساكر أن بحيرا كان يسكن قرية يقال لها
الكفر بينها وبين بصرى

سنة أميال ، وهى التى يقال لها (دير بحيرا) قال ويقال
: إنه كان يسكن قرية يقال لها

منفعة بالبلقاء وراء زيرا . والله أعلم .

.....
- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 141 سطر 1 الى ص
150 سطر 20

ذكر قس بن ساعدة الايادى

قال الحافظ أبوبكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطى
في كتاب (هواتف الجان) :

حدثنا داود القنطرى ، حدثنا عبدالله بن صالح ، حدثنى أ
بوعبدالله المشرقى ، عن أبى

الحارث الوراق ، عن ثور بن يزيد ، عن مورق العجلى ،
عن عبادة بن الصامت . قال :

لما قدم وفد إياد على النبی صلى الله عليه وسلم قال :
يا معشر وفد إياد ، ما فعل قس بن ساعدة

الايادى ؟ قالوا : هلك يا رسول الله . قال : لقد شهدته
يوما بسوق عكاظ على جمل أحمر

يتكلم بكلام معجب مونق لأجدنى أحفظه . فقام إليه
أعرابى من أقاصى القوم فقال :

أنا أحفظه يا رسول الله . قال : فسر النبی صلى الله
عليه وسلم بذلك . قال : فكان بسوق

عكاظ على جمل أحمر وهو يقول : يا معشر الناس
اجتمعوا ، فكل من فات فات ، وكل

شئ آت آت ، ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، وبحر عجاج
، نجوم تزهر ، وجبال

مرساة (1) ، وأنهار مجراة (2) إن في السماء لخبرا ،
وإن في الارض لعبرا ، مالى أرى

الناس يذهبون فلا يرجعون ، أرضوا بالاقامة فأقاموا ، أم تركوا فناموا . أقسم قس بالله

قسما لا ريب فيه ، إن لله دينا هو أرضى من دينكم هذا . ثم أنشأ يقول :

- في الذاهبين الاولي * - ن من القرون لنا بصائر -

- لما رأيت موارد * للموت ليس لها مصادر -

- ورأيت قومي نحوها * يمضى الاصاغر والاكابر -

- لا من مضى يأتي إلي * - ك ولا من الباقي غابر -

- أيقنت أنى لامحا * لة حيث صار القوم صائر -

* (هامش) * (1) الاصل والمطبوعة : مرسية وهو خطأ (2) الاصل والمطبوعة : مجرية وهو خطأ .

(*)

-142-

وهذا إسناد غريب من هذا الوجه ، وقد رواه الطبرانى من وجه آخر فقال في كتابه

(المعجم الكبير) : حدثنا محمد بن السرى بن مهران بن الناقد البغدادي ، حدثنا محمد بن

حسان السهمى ، حدثنا محمد بن الحجاج ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن ابن عباس . قال :

قدم وفد عبدالقيس على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أيكم يعرف القس بن ساعدة

الايادى ؟ قالوا : كلنا يعرفه يا رسول الله . قال : فما فعل ؟ قالوا هلك . قال : (فما أنساه

بعكاظ في الشهر الحرام وهو على جمل أحمر ، وهو يخطب الناس وهو يقول : يا أيها

الناس اجتمعوا واستمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت .

إن في السماء لخبرا ، وإن في الارض لعبرا ، مهاد موضوع ، وسقف مرفوع ، ونجوم

تمور ، وبحار لاتغور . وأقسم قس قسما حقا لئن كان في الامر رضى ليكون بعده

سخط ، إن لله لدينا هو أحب إليه من دينكم الذى أنتم عليه . مالى أرى الناس يذهبون

ولا يرجعون ؟ ! أرضوا بالمقام فأقاموا ، أم تركوا فناموا . ثم قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : أفیکم من بروى شعره ؟ فأنشده بعضهم :

- في الذاهبين الاولي * - ن من القرون لنا بصائر -

- لما رأيت موارد * للموت ليس لها مصادر -

- ورأيت قومی نحوها * يسعى الاصاغر والاكابر -

- لايرجع الماضى إلى ولا من الباقين غابر -

- أيقنت أنى لا محا * لة حيث صار القوم صائر -

وهكذا أورده الحافظ البيهقى في كتابه (دلائل النبوة) من طريق محمد بن

حسان السهمى به . وهكذا رويناها في الجزء الذى جمعه الاستاذ أبو محمد

عبدالله بن جعفر بن درستويه في أخبار قس ، قال : حدثنا عبدالكريم بن الهيثم

-143-

الديرعا قولى (1) ، عن سعيد بن شبيب ، عن محمد بن الحجاج أبو (2) إبراهيم الواسطى

نزىل بغداد ، وىعرف بصاحب الهريسة ، وقد كذبه يحيى بن معين وأبوحاتم الرازى

و الدارقطنى ، واتهمه غير واحد منهم ابن عدى بوضع الحديث .

وقد رواه البزار وأبونعيم من حديث محمد بن الحجاج هذا ، ورواه ابن درستويه

وأبونعيم من طرى الكلبي ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، وهذه الطريق أمثل من

التي قبلها . وفيه أن أبابكر هو الذى أورد القصة بكمالها نظمها ونثرها بين يدي رسول

الله صلى الله عليه وسلم .

ورواه الحافظ أبونعيم من حديث أحمد بن موسى بن إسحاق الخطمى (3) حدثنا

على بن الحسين بن محمد المخزومى ، حدثنا أبوحاتم السجستاني ، حدثنا وهب بن جرير ،

عن محمد بن إسحاق ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس ، قال : قدم

وفد بكر بن وائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم : (ما فعل حليف لكم

يقال له قس بن ساعدة الايادى) وذكر القصة مطولة .

وأخبرنا الشيخ المسند الرحلة أحمد بن أبى طالب الحجار ، إجازة إن لم يكن سماعا ،

قال : أجاز لنا جعفر بن على الهمداني ، قال أخبرنا الحافظ أبوطاهر أحمد بن محمد بن أحمد

بن إبراهيم السلفى سماعا . وقرأت على شيخنا الحافظ أبى عبدالله الذهبى ، أخبرنا أبوعلى

الحسن بن علي بن أبي بكر الخلال سماعا ، قال أنبأنا
جعفر بن علي سماعا ، قال أنبأنا السلفي

سماعا ، أنبأنا أبو عبدالله محمد بن أحمد بن إبراهيم
الرازي ، أنبأنا أبو الفضل محمد بن أحمد

* (هاشم) * (1) هو أبو يحيى عبدالكريم بن الهيثم بن
زياد بن عمران القطان : نسب إلى دير العاقول هو قرية

من أعمال بغداد ، روى عنه البقوي والترمذي وغيرهما ،
وكان ثقة ، توفي في شعبان سنة 278 .

(2) خ ط : عن إبراهيم الوسطي وهو خطأ شنيع . وكان
محمد بن الخجاج هذا يصنع الهريسة ، ووضع

حديثا في شأنها . ميزان الاعتدال 40 / 3 ، وفي خ ط :
الفريسة وهو تحريف .

(3) ينسب إلى بطن من الانصار ، وهم بنو خطمة بن
مالك بن الاوس بن حارثة . وفي الاصل

والمطوعة الحطمي وهو تحريف .

(*)

-144-

ابن عيسى السعدي ، أنبأنا أبو القاسم عبيد الله بن أحمد
بن علي المقرئ ، حدثنا أبو محمد

عبدالله بن جعفر بن درستويه النحوي ، قال حدثنا
إسماعيل بن إبراهيم بن أحمد السعدي

قاضي فارس ، حدثنا أبو داود سليمان بن سيف بن يحيى
بن درهم الطائي من أهل حران ،

حدثنا أبو عمرو سعيد بن يربيع ، عن محمد بن إسحاق ،
حدثني بعض أصحابنا من أهل

العلم عن الحسن بن أبى الحسن البصرى أنه قال : كان
الجارود بن المعلى بن حنش بن معلى

العبدى نصرانيا حسن المعرفة بتفسير الكتب وتأويلها ،
عالما بسير الفرس وأقويلها ،

بصيرا بالفلسفة والطب ، ظاهر الدهاء والادب ، كامل
الجمال ذا ثروة ومال ، وإنه

قدم على النبى صلى الله عليه وسلم وافدا في رجال من
عبدالقيس ذوى آراء وأسنان

وفصاحة وبيان وحجج وبرهان ، فلما قدم على النبى صلى
الله عليه وسلم وقف بين يديه

وأشار إليه وأنشأ يقول :

- يا نبى الهدى أتتك رجال * قطعت فدفدا وآلا فألا (1)
وطوت نحوك الصحاح تهوى * (هامش) * (2) الصحاح
: جمع صحح وهو ما استوى من الارض (*)

* لاتعد الكلال فيك كلالا -

- كل بهماء قصر الطرف عنها * أرقلتها قلاصنا إرقالا *
(هامش) * (3) الارقال : الاسراع . (*)

-

- وطوتها العتقا يجمع فيها ، بكماة كأنجم تتللا -

- تبتغى دفع بأس يوم عظيم * هائل أوجع القلوب وهالا -

- ومزادا لمحشر الخلق طرا * وفراقا لمن تمادى ضلالا -

- نحو نور من الاله وبرها * ن وبر ونعمة أن تنالا -

- خصك الله يا ابن آمنة الخ * - ير بها إذا أتت سجالا
سجالا -

- فاجعل الحظ منك يا حجة الل * ه جزيلا لا حظ خلف
أحالا

قال : فأدناه النبي صلى الله عليه وسلم وقرب مجلسه
وقال له : يا جارود لقد تأخر

الموعد (1) * (هامش) * (1) الاصل والمطبوعة :
الموعد . وهو خطأ . (*)

بك وبقومك .

فقال الجارود : فداك أبى وأمى ، أما من تأخر عنك فقد
فاته حظه وتلك أعظم

حوبة وأغلظ عقوبة ، وما كنت فيمن رآك أو سمع بك
فعداك واتبع سواك وإنى الآن

على دين قد علمت به ، قد جئتك وها أنا تاركه لديك ،
أفذلك مما يمحص الذنوب والمآثم

والحوب ، ويرضى الرب عن المريبوب ؟

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا ضامن لك
ذلك ، وأخلص الآن لله

ب الوجدانية ودع عنك دين النصرانية .

فقال الجارود : فداك أبى وأمى مد يدك فأنا أشهد أن لا
إله إلا الله وحده لا شريك

له وأشهد أنك محمد عبده ورسوله .

قال : فأسلم وأسلم معه أناس من قومه .

فسر النبي صلى الله عليه وسلم بإسلامهم ، وأظهر من
إكرامهم ما سروا به

وابتهجوا به .

ثم اقبل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
أفيكم من يعرف قس بن

ساعده الايادى ؟

فقال الجارود : فداك أبى وأمى كلنا نعرفه ، وإنى بينهم
لعالم بخبره واقف
على أمره .

كان قس يا رسول الله سبطا من أسباط العرب ، عمر
ستمائة سنة تقفر منها خمسة

-146-

أعمار في البرارى والقفار ، يضح بالتسيح على مثال
المسيح ، لايقره قرار ولا تكنه دار
ولا يستمتع به جار ، كان يلبس الامساح ويفوق السياح ،
ولايفتر من رهبانيته ، يتحسى
في سياحته بيض النعام ويأنس بالهوام ، ويستمتع بالظلام
، يبصر فيعتبر ، ويفكر فيختبر .
فصار لذلك واحدا تضرب بحكمته الامثال ، وتكشف به
الاهوال ، أدرك رأس
الخورايين سمعان .

وهو أول رجل تأله من العرب ووحده ، وأقر وتعبد ، وأيقن
بالبعث والحساب ،

وحذر سوء المآب ، وأمر بالعمل قبل الفوت ، ووعظ
بالموت ، وسلم بالقضا ، على

السخط والرضا ، وزار القبور ، وذكر النشور ، وندب
بالاشعار ، وفكر في الاقدار ،

وأنبأ عن السماء والنماء ، وذكر النجوم وكشف الماء ،
ووصف البحار ، وعرف الآثار ،

وخطب راكبا ، ووعظ دائبا ، وحذر من الكرب ومن شدة
الغضب ، ورسل الرسائل ،

وذكر كل هائل ، وأرغم في خطبه ، وبين في كتبه ،
وخوف الدهر ، وحذر الأزر ،
وعظم الامر ، وجنب الكفر ، وشوق إلى الحنيفة ، ودعا
إلى اللاهوتية .
وهو القائل في يوم عكاظ : شرق وغرب ، ويتم وحزب ،
وسلم وحرب ،
ويابس ورطب ، وأجاج وعذب ، وشموس وأقمار ، ورياح
وأمطار ، وليل ونهار ،
وإناث وذكور ، وبرار وبحور ، وحب ونبات ، وآباء وأمهات
، وجمع وأشتات ،
وآيات في إثرها آيات ، ونور وظلام ، ويسر وإعدام ،
ورب وأصنام ، لقد ضل
الانام ، نشو مولود ، ووأد مفقود ، وتربية محصود ، وفقير
وغنى ، ومحسن ومسئ ،
تبا لارباب الغفلة ، ليصلحن العامل عمله ، وليفقدن الآمل
أمله ، كلا بل هو إله
واحد ، ليس بمولود ولا والد ، أعاد وأبدى ، وأمات وأحيا
، وخلق الذكر والانثى ،
رب الآخرة والاولى .

-147-

أما بعد : فيامعشر إياد ، أين ثمود وعاد ؟ وأين الآباء
والاجداد ؟ وأين العليل
والعواد ؟ كل له معاد ، يقسم قس برب العباد ، وساطح
المهاد ، لتحشرن على الانفراد ،
في يوم التناد ، إذا نفخ في الصور ، ونقر في الناقور ،
وأشرقت الارض ، ووعظ الواعظ ،

فانتبذ القانط وأبصر اللاحظ ، فويل لمن صدف عن الحق
الاشهر ، والنور الازهر ،

والعرض الاكبر ، في يوم الفصل ، وميزان العدل ، إذا
حكم القدير ، وشهد النذير .

وبعد النصير ، وظهر التقصير ، ففريق في الجنة وفريق
في السعير) .

وهو القائل :

- ذكر القلب من جواه ادكار * وليال خلالهن نهار -
- وسجال هو اطل من غمام * ثرن ماء وفى جواهن نار -
- ضوءها يطمس العيون وأرعا * د شداد في الخافقين
تطار -
- وقصور مشيدة حوت الخي * ر وأخرى خلت فهن قفار -
- وجبال شوامخ راسيات * وبحار مياهن غزار -
- ونجوم تلوح في ظلم اللي * ل نراها في كل يوم تدار -
- ثم شمس يحثها قمر اللي * ل وكل متابع موار -
- وصغير وأشمط وكبير * كلهم في الصعيد يوما مزار -
- وكثير مما يقصر عنه * حدسه الخاطر (1) * (هامش)
(1) * في اللآئى المصنوعة : الناظر . (*)

الذى لا يحار -

- فالذى قد ذكرت دل على الل * ه نفوسا لها هدى
واعتبار -

- قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مهما
نسيت فلست أنساه بسوق عكاظ ، واقفا

على جمل أحمر يخطب الناس : اجتمعوا فاسمعوا ، وإذا
سمعتم فعوا ، وإذا وعيتم فانتفعوا ،

وقولوا وإذا قلتم فاصدقوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، مطر

-148-

ونبات ، وأحياء وأموات ، ليل داج ، وسماء ذات أبراج ،
ونجوم تزهّر ، وبحار

تزخر ، وضوء وضلام ، وليل وأيام ، وبر وآثام ، إن في
السماء خبرا ، وإن في الأرض

عبرا ، يحار فيهن البصرا ، مهاد موضوع ، وسقف مرفوع
، ونجوم تغور ، وبحار

لاتغور ، ومنايا دوان ، ودهر خوان ، كحد النسطاس ،
ووزن القسطاس ،

أقسم قس قسما ، لا كاذبا فيه ولا آثما ، لئن كان في
هذا الأمر رضى ، ليكونن سخط .

ثم قال : أيها الناس إن لله دينا هو أحب إليه من دينكم
هذا الذى أتم عليه ، وهذا

زمانه وأوانه . ثم قال : مالى أرى الناس يذهبون فلا
يرجعون ، أرضوا بالمقام فأقاموا ؟

أم تركوا فناموا .

والتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم : إلى بعض
أصحابه فقال : أيكم يروى شعره

لنا ؟ فقال أبوبكر الصديق : فداك أبى وأمى أنا شاهد له
في ذلك اليوم حيث يقول :

- في الذاهبين الاولي * ن من القرون لنا بصائر -

- لما رأيت موارد * للموت ليس لها مصادر -

- ورأيت قومی نحوها * يمضى الاصاغر والاكابر -

- لا يرجع الماضى إل * ى ولا من الباين غابر -

- أيقنت أنى لا محاً * لة حيث صار القوم صائر -

قال : فقام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيخ
من عبدالقيس عظيم الهامة ، طويل

القامة ، بعيد المنكبين فقال : فداك أبى وأمى ، وأنا رأيت
من قس عجباً .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الذى رأيت
أخا بنى عبدالقيس ؟

فقال : خرجت في شيبتى أربع بعيرا لى ندعنى أقفو أثره
في تنائف قفاف ، ذات

ضغابيس ، وعرصات جثجات بين صدور جذعان ، وغمير
حوزان ، ومهمه ظلمان ،

ورصيع أيهقان ، فبينا أنا في تلك الفلوات أجول بسببها ،
وأرنق فدفدها ، إذا أنا بهضبة

-149-

في نشزاتها أراك كباث مخضوضلة وأغصانها متهدلة ، كأن
برير هاحب الفلفل وبواسق

أقحوان ، وإذا بعين خراة وروضة مدهامة * (هامش) *)
1 (التنائف : جمع تنوفة وهى المفازة . والقفاف : جمع قف
، وهو حجارة غاص بعضها ببعض لاتخالطها

سهولة . و الضغابيس : أغصان التمام والشوك التى تؤكل .
والجثجات : نبت . والجذعان : صغار الجبل .

والحوزان : نبت . والظلمان : جمع ظليم وهو ذكر النعام .
والايهقان : عشب يطول وله وردة حمراء .

وورقه عريض ويؤكل أو الجرجير البرى . والكباث : النضيج
من ثما الاراك . و المخضوضلة : المبتلة .

والبرير : الاول من ثمر الاراك . والمدهامة : الخضراء
تضرب إلى السواد نعمة وريا . (*)

، وشجرة عارمة ، وإذا أنا بقس بن

ساعدة في أصل تلك الشجرة وبيده قضيب ، فدنوت منه
وقلت له : أنعم صباحا . فقال :

وأنت فنعم صباحك . وقد وردت العين سباع كثيرة ، فكان
كلما ذهب سبع منها

يشرب من العين قبل صاحبه ضربه قس بالقضيب الذى
بيده . وقال : اصبر حتى يشرب

الذى قبلك . فذعرت من ذلك ذعرا شديدا ، ونظر إلى
فقال : لا تخف . وإذا بقبرين

بينهما مسجد ، فقلت : ما هذان القبران ؟ قال : قبرا
أخوين كانا يعبدان الله عزوجل بهذا

الموضع . فأنا مقيم بين قبريهما أعبدالله بين قبريهما
أعبدالله حتى ألحق بهما . فقلت له :

أفلا تلحق بقومك فتكون معهم في خيرهم وتباينهم على
شرهم ؟ فقال لى : ثكلتك

أمك ! أو ما علمت أن ولد إسماعيل تركوا دين أبيهم
واتبعوا الاضداد وعظمووا الانداد ؟ !

ثم أقبل على القبرين وأنشأ يقول :

- خيلى هيا طالما قد رقدتما * أجدكما لا تقضيان كراكما -

- أرى النوم بين الجلد والعظم منكما * كأن الذى يسقى
العقار سقاكما -

- أمن طول نوم لاتجيبان داعيا * كأن الذى يسقى العقار
سقاكما -

- ألم تعلمنا أنى بنجران مفردا * ومالى فيه من حبيب
سواكما -

- مقيم على قبريكما لست بارحا * إياب الليالى أو يجيب
صداكما -

- أبكيكما طول الحياة وما الذى * يرد على ذى لوعة أن
بكاكما -

- فلو جعلت نفس لنفس إمري فدى * لجدت بنفسى أن
تكون فداكما -

-150-

- كانكما والموت أقرب غاية * بروحى في قبريكما قد
أتاكما -

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رحم الله
قسا ، أما إنه سيبعث يوم
القيامة أمة وحده .

وهذا الحديث غريب جدا من هذا الوجه وهو مرسل ، إلا
أن يكون الحسن سمعه
من الجارود . والله أعلم .

وقد رواه البيهقى ، والحافظ أبو القاسم ابن عساكر من
وجه آخر من حديث محمد

ابن عيسى بن محمد بن سعيد القرشى الاخبارى : حدثنا
أبى ، حدثنا على بن سليمان بن على ،

عن على بن عبدالله ، وعن عبدالله بن عباس رضى الله
عنهما . قال : قدم الجارود بن

عبدالله فذكر مثله أو نحوه مطولا بزيادات كثيرة في نظمه
ونثره ، وفيه ما ذكره عن

الذى ضل بغيره فذهب في طلبه قال : فبت في واد لا
أمن فيه حتفى ، ولا أركن إلى

غير سيفى ، أرقب الكواكب ، وأرمق الغيـهب ، حتى إذا
الليل عسعس ، وكاد الصبح

أن يتنفس ، هتف بى هاتف يقول :

- يا أيها الراقد في الليل الاجم * قد بعث الله نبيا في
الحرم -

- من هاشم أهل الوفاء والكرم * يجلو دجيات الدياجى
والبهم -

قال : فأدرت طرفي فما رأيت له شخصا ولا سمعت له
فحسا ، قال فأنشأت أقول :

- يا أيها الهاتف في داجى الظلم * أهلا وسهلا بك من
طيف ألم -

- بين هداك الله في لحن الكلم * ماذا الذى تدعو إليه
يغتنم ؟

قال : فإذا أنا بنحنة وقائل يقول : ظهر النور ، وبطل
الزور ، وبعث الله محمدا

بالخبور ، صاحب النجيب الاحمر ، والتاج والمغفر ، والوجه
الازهر ، والحاجب الاقمر ،

-151-

والطرف الاحور ، صاحب قول شهادة أن لا إله إلا الله ،
وذلك محمد المبعوث إلى الاسود

.....

- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 151 سطر 1 الى ص
160 سطر 23

والطرف الاحور ، صاحب قول شهادة أن لا إله إلا الله ،
وذلك محمد المبعوث إلى الاسود

والابيض أهل المدر والوبر . ثم أنشأ يقول :

- الحمد لله الذى * لم يخلق الخلق عبث -
 - لم يخلنا يوما سدى * من بعد عيسى واكثرث -
 - أرسل فينا أحمدا * خير نبى قد بعث -
 - صلى عليه الله ما * حج له ركب وحث -
- وفيه من إنشاء قس بن ساعدة :

يا ناعى الموت والملحود في حدت * عليهم من بقايا ثوبهم
* (هامش) * (1) المطبوعة : نومهم ، وهو خطأ . (*)

خرق -

- دعهم فإن لهم يوما يصاح بهم * فهم إذا انتبهوا من
نومهم أرقوا -

- حتى يعودوا بحال غير حالهم * خلقا جديدا كما من قبله
خلقوا -

- منهم عراة ومنهم في ثيابهم * منها الجديد ومنها المنهج
* (هامش) * (2) المنهج : الثوب الذى أسرع فيه البلى .
(*)

الخلق -

ثم رواه البيهقى عن أبى محمد * (هامش) * (3)
المطبوعة : محمد ، وهو خطأ . (*)

بن عبدالله بن يوسف بن أحمد الاصبهانى حدثنا

أبوبكر أحمد بن سعيد بن فرضخ الاخمىى بمكة * (هامش)
(*) (4) ذكر الدارقطنى أن أحمد بن سعيد بن فرضخ
روى عن

القاسم بن عبدالله بن مهدى أحاديث موضوعة كلها كذب
لا تحل روايتها ، والحمل فيها على ابن فرضخ

فإنه المتهم بها فإنه كان يركب الاسانيد ويضع عليها
الاحاديث . انظر اللآئى المصنوعة 1 / 186 . (*)

، حدثنا القاسم بن عبدالله بن مهدي ، حدثنا أبو عبدالله سعيد بن عبدالرحمن المخزومي ، حدثنا سفيان بن عيينة ،

عن أبي حمزة الثمالي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . فذكر القصة وذكر الانشاد

قال فوجدوا عند رأسه صحيفة فيها :

- يا ناعى الموت والاموات في جدث * عليهم من بقايا
ثوبهم * (هامش) * (1) المطبوعة : نومهم ، وهو خطأ .
(*)

- خرق -

- دعهم فإن لهم يوماً يصاح بهم * كما ينبه من نوماته
- الصعق -

-152-

- منهم عراة وموتى في ثيابهم * منها الجديد ومنها الازرق
- الخلق -

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (والذى بعثنى
بالحق لقد آمن قس بالبعث) .

وأصله مشهور ، وهذه الطرق على ضعفها ك المتعاضدة
على إثبات أصل القصة .

وقد تكلم أبو محمد بن درستويه على غريب ما وقع في
هذا الحديث ، وأكثره ظاهر

إن شاء الله تعالى ، وما كان فيه غرابة شديدة نبهنا عليه
في الحواشى .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو سعد (1) * (هامش) * (1) ط خ
: أبو سعد بن محمد ، وهو خطأ والتصويب من اللآئى .

سعيد بن محمد بن أحمد الشعيثى ، حدثنا أبو عمرو

ابن أبى طاهر المحمد أبازى لفظا ، حدثنا أبولبابة محمد بن المهدي البيوردي (2) * (هامش) * (2) ط خ : الاموردي ، وهو خطأ . (*)

حدثنا

أبى ، حدثنا سعيد بن هبيرة ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أنس بن مالك قال :

قدم وفد إياد على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما فعل قس بن ساعدة ؟ قالوا هلك .

قال : أما إني سمعت منه كلاما ما أرى أنى أحفظه . فقال بعض القوم نحن نحفظه

يا رسول الله . قال : هاتوا . فقال قائلهم : إنه وقف (3) * (هامش) * (3) ط خ : إني واقف ، وهو خطأ . (*)

بسوق عكاظ فقال : يا أيها الناس

استمعوا ، واسمعوا وعوا ، كل من عاش مات ، وكل من مات فات ، وكل ما هو آت

آت ، ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهـر ، وبحار تزخر ، وجبال مرساة * (هامش) * (4) ط خ : مرسية . مجرية ، وهو خطأ . (*)

وأنهار مجرأة * (هامش) * (4) ط خ : مرسية . مجرية ، وهو خطأ . (*)

إن في السماء لخبرا ، وإن في الارض لعبرا ، أرى الناس يموتون

ولا يرجعون ، أرضوا بالاقامة فأقاموا ، أم تركو فناموا ؟ ! أقسم قس قسما با لله لا آثم

فيه ، إن لله دينا هو أرضى مما أنتم عليه ثم أنشأ يقول :

- في الذاهبين الاول - * - ين من القرون لنا بصائر -

- لما رأيت مصارعا * للقوم ليس لها مصادر -
 - ورأيت قومي نحوها * يمضى الاكابر والاصاغر -
- 153-

- أيقنت أنى لا محا * لة حيث صار القوم صائر -
ثم ساقه البيهقي من طرق آخر قد نبهنا عليها فيما تقدم
ثم قال بعد ذلك كله : وقد

روى هذا الحديث عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن
عباس بزيادة ونقصان وروى من
وجه آخر عن الحسن البصرى منقطعا . وروى مختصرا من
حديث سعد بن أبى وقاص

وأبى هريرة . قلت : وعبادة بن الصامت كما تقدم ،
وعبدالله بن مسعود كما رواه أبونعيم في
كتاب (الدلائل) عن عبدالله بن محمد بن عثمان الواسطى
، عن أبى الوليد طريف

ابن عبيد الله مولى على أبى طالب بالموصل عن يحيى
بن عبدالحميد الحماني ، عن
أبى معاوية عن الاعمش عن أبى الضحى ، عن مسروق ،
عن ابن مسعود فذكره .

وروى أبونعيم أيضا حديث عبادة المتقدم وسعد بن أبى
وقاص .

ثم قال البيهقي : وإذا روى الحديث من أوجه آخر وإن
كان بعضها ضعيفا دل

على أن للحديث أصلا (1) * (هامش) * (1) حديث قس
ذكره السيوطى في اللآلئ المصنوعة واستعرض طرقه كلها
1 / 183 - 192 ، وذكر

علل الطرق جميعا ، ونقل عن ابن حجر قول : (قد أفرد بعض الرواة طرق حديث قس بن ساعدة وهو في الطوالات للطبرانى وغيرهما ، وطرقه كلها ضعيفة) .
والله أعلم .

ذكر زيد بن عمرو بن نفيل رضى الله عنه

هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبدالعزيز بن رباح بن عبدالله بن قرظ بن رزاح

ابن عدى بن كعب بن لؤى القرشى العدوى .

وكان الخطاب والد عمر بن الخطاب عمه وأخاه لأمه ، وذلك لان عمرو بن نفيل كان

كان قد خلف على امرأة أبيه بعد أبيه ، وكان لها من نفيل أخوه الخطاب . قاله الزبير

ابن بكار ومحمد بن إسحاق .

-154-

وكان زيد بن عمرو قد ترك عبادة الاوثان وفراق دينهم ، وكان لا يأكل إلا ما ذبح

على اسم الله وحده .

قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق : حدثنى هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن

أسماء بنت أبى بكر قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسندا ظهره إلى الكعبة

يقول : يا معشر قريش والذى نفس زيد بيده ما أصبح أحد منكم على دين إبراهيم

غيرى . ثم يقول : اللهم إنى لو أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به ، ولكنى لأعلم . ثم

يسجد على راحلته . وكذا رواه أبوأسامة عن هشام به .
وزاد : وكان يصلى إلى الكعبة

ويقول : إلهى إله إبراهيم ، ودينى دين إبراهيم .

وكان يحيى الموءودة ، ويقول للرجل إذا أراد أن يقتل
ابنته : لاتقتلها ، ادفعها إلى

أكلها ، فإذا ترعرعت فخذها وإن شئت فادفعها .

أخرجه النسائى من طريق أبى أسامة ، وعلقه البخارى
فقال : وقال الليث : كتب إلى

هشام بن عروة عن أبيه به .

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق : وقد كان نفر
من قريش : زيد بن عمرو

ابن نفيل ، وورقة بن نوفل بن اسد بن عبدالعزى ،
وعثمان بن الحويرث بن أسد

ابن عبدالعزى ، وعبدالله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن
صبرة بن مرة * (هامش) * (1) المطبوعة : برة ، وهو
تحريف . (*)

بن كبير

ابن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة . وأمه أميمة بنت
ع بدالمطلب . وأخته زينب بنت

جحش التى تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
مولاه زيد بن حارثه . كما سيأتى

بيانه . حضروا قريشا عند وثن لهم كانوا يذبحون عنده لعيد
من أعيادهم ، فلما اجتمعوا

خلا بعض أولئك النفر إلى بعض وقالوا : تصادقوا وليكنتم
بعضكم على بعض . فقال

قائلهم : تعلمن والله ما قومكم على شئ ، لقد أخطأوا
دين إبراهيم وخالفوه ، ماوثن

يعبد لا يضر ولا ينفع ؟ ! فابتغوا لانفسكم (1) * (هامش) *
(1) ابن هشام : با قوم التمسوا لانفسكم . (*) .

فخرجوا يطلبون ويسيرون في الارض يلتمسون الحنيفية
دين إبراهيم .

فأما ورقة بن نوفل فتنصر واستحکم في النصرانية وابتغى
الكتب من أهلها حتى

علم علما كثيرا من أهل الكتاب .

ولم يكن فيهم أعدل أمرا وأعدل ثباتا من زيد بن عمرو
بن نفيل ، اعتزل الاوثان

وفارق الاديان من اليهود والنصارى والملل كلها إلا دين
الحنيفية دين إبراهيم ، يوحد الله

ويخلع من دونه ولا يأكل ذبائح قومه فأذاهم بالفراق لما هم
فيه .

قال : وكان الخطاب قد آذاه أذى كثيرا حتى خرج منه إلى
أعلى مكة ، ووكل به

الخطاب شبابا من قريش وسفهاء من سفهائهم ، فقال :
لاتتركوه يدخل - مكة - فكان

لايدخلها إلا سرا منهم فإذا علموا به أخرجوه وآذوه كراهية
أن يفسد عليهم دينهم أو

يتابعه أحد إلى ما هو عليه .

وقال موسى بن عقبة : سمعت من أرضى يحدث عن زيد
بن عمرو بن نفيل كان

يعيب على قريش ذبائحهم ويقول : الشاة خلقها الله وأنزل
لها من السماء ماء وأنبت لها

من الارض ، لم تذبحوها على غير اسم الله ؟ ! إنكارا
لذلك وإعظاما له .

وقال يونس عن ابن إسحاق : وقد كان زيد بن عمرو بن
نفيل قد عزم على

الخروج من مكة ليضرب (2) * (هامش) * (2) خ ط :
فضرب . (*)

في الارض يطلب الحنيفة دين إبراهيم ، وكانت امرأته
صفية

بنت الحضرمي كلما أبصرته قد نهض للخروج وأراده آذنت
الخطاب بن نفيل .

فخرج زيد إلى الشام يلتمس ويطلب في أهل الكتاب
الاول دين إبراهيم

-156-

ويسأل عنه ، ولم يزل في ذلك فيما يزعمون حتى أتى
الموصل والجزيرة كلها ، ثم

أقبل حتى أتى الشام فجال فيها ، حتى أتى راهبا بيعة من
أرض البلقاء كان ينتهى إليه

علم النصرانية فيما يزعمون ، فسأله عن الحنيفة دين
إبراهيم ، فقال له الراهب : إنك

لتسأل عن دين ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ،
لقد درس من علمه وذهب

من كان يعرفه ، ولكنه قد أظل خروج نبي وهذا زمانه .
وقد كان شام اليهودية

و النصرانية فلم يرض شيئا منها ، فخرج سريعا حين قال
له الراهب ما قال يريد مكة ،

حتى إذا كان بأرض لخم عدوا عليه فقتلوه ، فقال ورقة
يرثيه :

- رشدت وأنعمت ابن عمرو وإنما * تجنبت تنورا من النار
حاميا -

- بدينك ربا ليس رب كمثلته * وتركك أوثان الطواغى كما
هيا -

- وقد تدرك الانسان رحمة ربه * ولو كان تحت الارض
سبعين واديا -

وقال محمد بن عثمان بن أبى شيبة : حدثنا أحمد بن
طارق الوابشى ، حدثنا عمرو بن

عطية ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، عن زيد بن عمرو بن
نغيل أنه كان يتأله في الجاهلية ،

فانطلق حتى أتى رجلا من اليهود فقال له أحب أن
تدخلنى معك في دينك . فقال له

اليهودى : لأدخلك في دينى حتى تبوء بنصيبك من غضب
الله . فقال : من غضب

الله أفر .

فانطلق حتى أتى نصرانيا ، فقال له : أحب أن تدخلنى
معك في دينك . فقال :

لست أدخلك في دينى حتى تبوء بنصيبك من الضلالة .
فقال : من الضلالة أفر .

قال له النصرانى : فإنى أدلك على دين إن تبعته اهتديت .
قال : أى دين ؟ قال :

دين إبراهيم . قال : فقال اللهم إنى أشهدك أنى على دين
إبراهيم عليه أحيا وعليه أموت .

قال : فذكر شأنه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : هو
أمة وحده يوم القيامة .

وقد روى موسى بن عقبة ، عن سالم ، عن ابن عمر نحو هذا .

وقال محمد بن سعد : حدثنا علي بن محمد بن عبدالله بن سيف القرشي ، عن إسماعيل ،

عن مجالد عن الشعبي ، عن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب ، قال : قال زيد بن عمرو بن

نفيل : شامت اليهودية و النصرانية فكرهتهما ، فكنت بالشام وما والاها ، حتى أتيت

راهبا في صومعة فذكرت له اغترابي عن قومي وكراهي عباد الاوثان واليهودية

و النصرانية . فقال له : اراك تريد دين إبراهيم يا أبا أهل مكة ، إنك لتطلب دينا ما يوجد

اليوم أحد يدين به ، وهو دين أبيك إبراهيم ، كان حنيفا لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ،

كان يصلى ويسجد إلى هذا البيت الذى ببلادك ، فالحق ببلدك فإن الله يبعث من قومك

في بلدك من يأتى بدين إبراهيم الحنيفية وهو أكرم الخلق على الله . وقال يونس عن ابن

إسحاق حدثنى بعض آل زيد بن عمرو بن نفيل : أن زيدا كان إذا دخل الكعبة قال :

لبيك حقا حقا ، تعبدا ورقا ، عذت بما عاذ به إبراهيم - مستقبل القبلة - (1) * (هامش) * (1) من ابن هشام (*)

وهوقائم ،

فإنى جاشم ، البر أبغى لا الخال (2) * (هامش) * (2) الخال : الخيلاء والكبر . وفى المطبوعة : أتجال ، وهو

التحريف (*) ليس مهجر كمن قال (3) * (هامش) * (3) المهجر من يسير في الهاجرة وهى شدة الحر . ومن قال : من نام في القائلة . وفى ابن هشام :

إذ قال إلهى أنفى لك عان راغم ، مهما تجشمنى
ليس مهجر . (*)

وقال أبوداود الطيالسى : حدثنا المسعودى ، عن نفيل بن هشام بن سعيد بن زيد

ابن عمرو بن نفيل العدوى ، عن أبيه عن جده ، أن زيد بن عمرو وورقة بن نوفل خرجا

يلتمسان الدين حتى انتها إلى راهب بالموصل ، فقال لزيد بن عمرو : من أين أقبلت

يا صاحب البعير ؟ فقال : من بنية إبراهيم . فقال : وما تلتمس ؟ قال : ألتمس الدين .

قال : ارجع فإنه يوشك أن يظهر في أرضك .

-158-

قال : فأما ورقة فتنصر ، وأما أنا فعزمت على النصرانية فلم يوافقنى فرجع

وهو يقول :

لبيك حقا حقا ، تعبدا ورقا ، البرأبغى لا الخال ، فهل مهجر كمن قال ؟ !

آمنت بما آمن به إبراهيم وهو يقول : أنفى لك عان راغم ، مهما تجشمنى فإنى جاشم ،

ثم يخر فيسجد .

قال وجاء ابنه يعنى سعيد بن زيد أحد العشرة رضى الله عنه فقال : يا رسول الله إن

أبى كما رأيت وكما بلغك ، فاستغفر له ، قال : (نعم)
فإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده * (هامش) * (1) خ ط
: واحدة (*)

قال : وأتى زيد بن عمرو بن زيد على رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومعه زيد بن

حارثة ، وهما يأكلان من سفرة لهما ، فدعواه لطعامهما
فقال زيد بن عمرو : يا ابن أخى

أنا لا أكل مما ذبح على النصب . (2) * (هامش) * (2)
هنا يأتى اعتراض : كيف وفق الله زيدا إلى ترك أكل ما
ذبح على

النصب وما لم يذكر اسم الله عليه ورسول الله صلى الله
عليه وسلم كان أولى بهذه الفضيلة في الجاهلية ؟

وقد أجاب السهيلي بوجهين : الاول أنه ليس في الحديث
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل منها

وإنما في الحديث أن زيدا قال حين قدمت السفارة : لا
أكل مما لم يذكر اسم الله عليه .

والثانى : أن زيدا إنما فعل ذلك برأى رآه لا بشرع متقدم
، وإنما تقدم شرع إبراهيم بتحريم الميتة

لا بتحريم ما ذبح لغير الله ، وإنما نزل تحريم ذلك في
الاسلام ، وبعض الاصوليين يقولون الاشياء قبل

ورود الشرع على الاباحة . انظر الروض الانف 1 / 147 *)
(

وقال محمد بن سعد : حدثنا محمد بن عمرو ، حدثنى
أبو بكر بن أبى سبرة ، عن موسى

ابن ميسرة ، عن ابن أبي مليكة ، عن حجر بن أبي إهاب
قال : رأيت زيد بن عمرو

وأنا عند صنم بوانة بعد ما رجع من الشام ، وهو يراقب
الشمس فإذا زالت استقبل الكعبة

فصلى ركعة سجدتين ثم يقول : هذه قبلة إبراهيم
وإسماعيل ، لأعبد حجرا ولأصلى له

ولا أكل ما ذبح له ولا استقسم الاضلام ، وإنما أصلى لهذا
البيت حتى أموت . وكان يحج

-159-

فيقف بعرفة ، وكان يلبي فيقول : لبيك لاشريك لك ولا
ندلك ثم يدفع من عرفة

ماشيا وهو يقول : لبيك متعبدا مرقوقا .

وقال الواقدي : حدثني علي بن عيسى الحكمي ، عن أبيه
، عن عامر بن ربيعة ،

قال : سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول : أنا أنتظر نبيا
من ولد إسماعيل ثم من بني

ع بدالمطلب ، ولا أراني أدركه ، وأنا أومن به وأصدقه
واشهد أنه نبي ، فإن طالت بك

مدة فرأيته فأقرئه مني السلام ، وسأخبرك ما نعته حتى
لا يخفى عليك . قلت : هلم .

قال : هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ، ولا بكثير
الشعر ولا بقليله ، وليست

تفارق عينه حمرة ، وخاتم النبوة بين كتفيه ، واسمه أحمد
، وهذا البلد مولده ومبعثه ،

ثم يخرجهم قومه منها ويكرهون ما جاء به حتى يهاجر إلى
يثرب فيظهر أمره ، فأياك أن

تخدع عنه ، فإنى طفت البلاد كلها أطلب دين إبراهيم ،
فكان من أسأل من اليهود

والنصارى والمجوس يقولون : هذا الدين وراءك . وينعتونه
مثل ما نعته لك ، ويقولون :

لم يبق نبي غيره .

قال عامر بن ربيعة : فلما أسلمت أخبرت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قول زيد بن

عمرو وإقرائه منه السلام ، فرد عليه السلام وترحم عليه
وقال : قد رأيتك في الجنة

يسحب ذيولا .

وقال البخارى في صحيحه : ذكر زيد بن عمرو بن نفيل :
حدثنى محمد بن أبى بكر ،

حدثنا فضيل بن سليمان ، حدثنا موسى بن عقبة ، حدثنى
سالم ، عن عبدالله بن عمر ،

أن النبى صلى الله عليه وسلم لقي زيد بن عمرو بن
نفيل بأسفل بلدح * (هامش) * (1) بلدح : واد قبل مكة
من جهة المغرب قال ابن قيس الرقيات :

- فمنى فالجمار من عبد شمس * مقفرات فبلدح فحراء -
(*)

قبل أن ينزل على

النبى صلى الله عليه وسلم الوحى ، فقدمت إلى النبى
صلى الله عليه وسلم سفرة فأبى أن

يأكل منها . ثم قال زيد : إنى لست آكل مما تذبحون على
أنصابكم ، ولا آكل

إلا ما ذكر اسم الله عليه . وإن زيد بن عمرو كان يعيب
على قريش ذبائهم ويقول : الشاة

خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من
الارض ، ثم تذبحونها على غير اسم الله
إنكارا لذلك وإعظاما له .

قال موسى بن عقبة : وحدثني سالم بن عبدالله ، ولا
أعلمه إلا تحدث به عن ابن

عمر ، أن زيد بن عمرو ابن نفيل خرج إلى الشام يسأل
عن الدين ويتبعه ، فلقى عالما

من اليهود فسأله عن دينهم ، فقال : إني لعلى أن أدين
دينكم * (هامش) * (1) أي عازم عليه ومتهيء له . (*)

فأخبرني . فقال :

إنك لاتكون علي ديننا حتى تأخذ نصيبك من غضب الله :
قال زيد : وما أفر إلا من

غضب الله تعالى ، ولا أحمل من غضب الله شيئا ولا
أستطيعه * (هامش) * (2) الذي في البخارى 178 / 2
طبعة الاميرية : (وأنا أستطيعه) . (*)

، فهل تدلنى على غيره ؟

قال : ما أعلمه ، إلا أن تكون حنيفا . قال زيد : وما
الحنيف ؟ قال دين إبراهيم عليه

السلام ، لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا يعبد إلا الله .

فخرج زيد ، فلقى عالما من النصارى فذكر مثله ، فقال :
لن تكون على ديننا حتى

تأخذ بنصيبك - من لعنة الله . قال : ما أفر إلا من لعنة
الله ، ولا أحمل من لعنة الله ولا

من غضبه شيئاً أبداً ، ولا أستطيع ، فهل تدلنى - *
(هامش) * (3) سقط من المطبوعة . (*)

على غيره ؟ قال : ما أعلمه ، إلا أن تكون

حنيفاً . قال : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم ، لم يكن
يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد

إلا الله .

فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم خرج ، فلما برز رفع
يديه فقال : اللهم إني أشهدك أني

على دين إبراهيم .

قال : وقال الليث : كتب إلى هشام بن عروة ، عن أبيه ،
عن أسماء بنت أبي بكر

. رضى الله عنهما قالت : رأيت زيد بن عمرو بن نفيل
قائماً مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول :

-161-

يا معشر قريش ، والله ما منكم على دين إبراهيم غيرى
. وكان يحيى الموءودة ، يقول

.....
- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 161 سطر 1 الى ص
170 سطر 22

يا معشر قريش ، والله ما منكم على دين إبراهيم غيرى
. وكان يحيى الموءودة ، يقول

للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها ، أنا أكفيك مؤنتها .
فياخذها فإذا

ترعرعت قال لابيها : إن شئت دفتها إليك ، وإن شئت
كفيتك مؤنتها . انتهى

ما ذكره البخارى * (هامش) * (1) صحيح البخارى / 2
178 - 179 . (*)

وهذا الحديث الاخير قد أسنده الحافظ ابن عساكر ، من
طريق أبى بكر بن أبى داود

عن عيسى بن حماد ، عن الليث ، عن هشام ، عن أبيه
عن أسماء فذكر نحوه .

وقال عبدالرحمن بن أبى الزناد : عن هشام بن عروة ،
عن أبيه ، عن أسماء قالت :

سمعت زيد بن عمرو بن نفيل وهو مسند ظهره إلى
الكعبة يقول : يا معشر قريش إياكم

والزنا فإنه يورث الفقر .

وقد ساق ابن عساكر هاهنا أحاديث غريبة جدا ، وفى
بعضها نكارة شديدة .

ثم أورد من طرق متعددة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال : يبعث يوم

القيامة أمة وحده . فمن ذلك ما رواه محمد بن عثمان بن
أبى شيبة ، حدثنا يوسف بن يعقوب

الصفار ، حدثنا يحيى بن سعيد الاموى ، عن مجالد عن
الشعبى ، عن جابر ، قال : سئل رسول

الله صلى الله عليه وسلم عن زيد بن عمرو بن نفيل أنه
كان يستقبل القبلة في الجاهلية ويقول :

إلهى إله إبراهيم ودينى دين إبراهيم ويسجد . فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : (يحشر

ذاك أمة وحده بينى وبين عيسى بن مريم) . إسناده جيد
حسن .

وقال الواقدي : حدثني موسى بن شيبه ، عن خارجه بن عبدالله بن كعب بن

مالك ، قال سمعت سعيد بن المسيب يذكر زيد بن عمرو بن نفيل فقال : توفي وقريش

(11 - السيرة - 1)

-162-

تبنى الكعبة ، قبل أن ينزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين

ولقد نزل به * (هامش) * (1) أى الموت . (*)

وإنه ليقول أنا على دين إبراهيم . فأسلم ابنه سعيد بن زيد واتبع رسول

الله صلى الله عليه وسلم ، وأتى عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد رسول الله صلى الله عليه

وسلم فسألاه عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال : غفر الله له ورحمه ، فإنه مات على دين

إبراهيم . قال : فكان المسلمون بعد ذلك اليوم لا يذكره ذاك منهم إلا ترحم عليه

واستغفر له ، ثم يقول سعيد بن المسيب : رحمه الله وغفرله .

وقال محمد بن سعد عن الواقدي : حدثني زكريا بن يحيى السعدى ، عن أبيه قال :

مات زيد بن عمرو بن نفيل بمكة ودفن بأصل حراء .

وقد تقدم أنه مات بأرض البلقاء من الشام لما عدا عليه قوم من بنى لخم فقتلوه

بمكان يقال له ميفعة . والله أعلم .

وقال الباغندي : عن أبي سعيد الاشج ، عن أبي معاوية ،
عن هشام عن أبيه ،

عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(دخلت الجنة فرأيت لزيد بن عمرو

بن نفيل دوحتين) وهذا إسناد جيد ، وليس هو في شئ
من الكتب .

ومن شعر زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله :

- إلى الله أهدى مدحتى وثنائيا * وقولا رضيا لا ينى الدهر
باقيا -

- إلى الملك الاعلى الذى ليس فوقه * إله ولا رب يكون
مدانيا -

وقد قيل إنها لامية بن أبى الصلت . والله أعلم .

ومن شعره في التوحيد ما حكاه محمد بن إسحاق
والزبير بن بكار وغيرهما :

- وأسلمت وجهى لمن أسلمت * له الارض تحمل صخرا
ثقالا -

-163-

- دحاها فلما استوت شدها * سواء وأرسى عليها الجبالا -

- وأسلمت وجهى لمن أسلمت * له المزن تحمل عذبا زلالا
-

- إذا هى سيقت إلى بلدة * أطاعت فصبت عليها سجالا -

- وأسلمت وجهى لمن أسلمت * له الريح تضرف ؟ حالا
فحالا -

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى هشام بن عروة قال :
روى أبى أن زيد بن

عمرو قال :

- أربا واحدا أم ألف رب * أدين إذا تقسمت الامور -
- عزلت اللات والعزى جميعا * كذلك يفعل الجلد الصبور -
- فلا العزى أدين ولا ابنتيها * ولا صنمى بنى عمرو أزور -
- ولا غنما أدين وكان ربا * لنا في الدهر إذ حلمى يسير -
- عجت وفى الليالى معجبات * وفى الايام يعرفها البصير -
- بأن الله قد أفنى رجالا * كثيرا كان شأنهم الفجور -
- وأبقى آخرين ببر قوم * فيربل منهم الطفل الصغير -
- وبيننا المرء يعثر ثاب يوما * كما يتروح الغصن النضير -
- ولكن أ عبدالرحمن ربي * ليغفر ذنبى الرب الغفور -
- فتقوى الله ربكم احفظوها * متى ما تحفظوها لاتبوروا -
- ترى الابرار دارهم جنان * وللكفار حامية سكير -
- وخزى في الحياة وإن يموتوا * يلاقوا ما تضيق به
الصدر -

هذا تمام ما ذكره محمد بن إسحاق من هذه القصيدة .
وقد رواه أبوالقاسم

البغوى عن مصعب بن عبدالله ، عن الضحاك بن عثمان ،
عن عبدالرحمن بن أبى الزناد

-164-

قال : قال هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسماء بنت
أبى بكر قالت : قال زيد بن

عمرو نفيل :

- عزلت الجن والجنان عنى * كذلك يفعل الجلد الصبور -
- فلا العزى أدين ولا ابنتيها * ولا صنمى بنى طسم أدير -

- ولا غنما أدين وكان ربا * لنا في الدهر إذ حلمى صغير -
- أربا واحدا أم ألف رب * أدين إذا تقسمت الامور -
- ألم تعلم بأن الله أفنى * رجلا كان شأنهم الفجور -
- وأبقى آخرين ببر قوم * فيربو منهم الطفل الصغير -
- وبيننا المرء يعثر ثاب يوما * كما يتروح الغصن النضير -

قالت : فقال ورقة بن نوفل :

- رشدت وأنعمت ابن عمرو وإنما * تجنبت تنورا من النار
- حاميا -
- لديك ربا ليس رب كمثلته * وتركك جنان الجبال كما هيا
-
- أقول إذا أهبطت أرضا مخوفة * جنانيك لاتظهر على
- الاعاديا -

- حنانيك إن الجن أنت * (هامش) * (1) ط : كانت (*)
رجاؤهم * وأنت إلهى ربنا ورجائيا -

- لتدركن المرء رحمة ربه * وإن كان تحت الارض سبعين
واديًا * (هامش) * (2) رواية ابن هشام :

- وقد تدرك الانسان رحمة ربه * وإن كان تحت الارض
سبعين واديًا -

وهى أولى ، وقد ذكرها المؤلف قبل . ونصب سبعين على
تقدير فعل مثل : بعد تحت الارض سبعين واديًا .

أدين لرب يستجيب ولا أرى * أدين لمن لايسمع الدهر
- داعيا -

- أقول إذا صليت في كل بيعة * تباركت قد أكثرت باسمك
- داعيا -

تقدم أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام هو
وورقة بن نوفل وعثمان بن

الحويرث وعبيد الله بن جحش ، فتنصروا إلا زيدا فإنه لم
يدخل في شئ من الأديان ،

-165-

بل بقى على فطرته من عبادة الله وحده لا شريك له ،
متبعا ما أمكنه من دين إبراهيم .

على ما ذكرناه .

وأما ورقة بن نوفل فسيأتى خبره في أول المبعث

وأما عثمان بن الحويرث فأقام بالشام حتى مات فيها عند
قيصر . وله خبر عجيب

ذكره الاموى ، ومختصره : أنه لما قدم على قيصر فشكا
إليه ما لقى من قومه ، كتب

له إلى ابن جفنة ملك عرب الشام ليجهز معه جيشا
لحرب قريش ، فعزم على ذلك ،

فكتبت إليه الأعراب تنهاه عن ذلك لمارأوامن عظمة مكة
وكيف فعل الله بأصحاب

الفيل ، فكساه ابن جفنة قميصا مصبوغا مسموما فمات
من سمه ، فرثاه زيد بن عمرو بن

نفيل بشعر ذكره الاموى ، تركناه اختصارا .

وكانت وفاته قبل المبعث بثلاث سنين أو نحوها . والله
سبحانه وتعالى أعلم .

-166-

ذكر شئ مما وقع من الحوادث في زمن الفترة

فمن ذلك بنيان الكعبة

وقد قيل : إن أول من بناه آدم . وجاء في ذلك حديث مرفوع عن عبد لاله بن عمرو

وفى سنده ابن لهيعة وهو ضعيف .

وأقوى الاقوال أن أول من بناه الخليل عليه السلام . كما تقدم . وكذلك رواه

سماك بن حرب ، عن خالد بن عرعره ، عن على بن أبى طالب . قال : ثم تهدم

فبنته العمالقة ، ثم تهدم فبنته جرهم ، ثم تهدم فبنته قريش .

قلت : سيأتى بناء قريش له ، وذلك قبل المبعث بخمس سنين ، وقيل بخمس عشرة

سنة . وقال الزهرى : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بلغ الحلم . وسيأتى ذلك كله

في موضعه إن شاء الله وبه الثقة .

ذكر كعب بن لؤى

روى أبونعيم من طريق محمد بن الحسن بن زبالة ، عن محمد بن طلحة التيمى ، عن

محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن أبى سلمة قال : كان كعب بن لؤى يجمع قومه يوم

الجمعة ، وكانت قريش تسميه العروبة ، فيخطبهم فيقول : أما بعد فسامعوا وتعلموا ،

وأفهموا واعلموا ، ليل ساج ، ونهار ضاح والارض مهاد ، والسماء بناء ، والجبال أوتاد ،

والنجوم أعلام ، ولولون كالأخرين ، والانشى والذكر ، والزوج * (هامش) * (1) خ ط : والروح . وهو خطأ .

والذى في دلائل النبوة لابي نعيم : والانشى والذكر والزوج إلى بلى

صائرون .

وما يهيج إلى بلى ،

فصلوا أرحامكم ، واحفظوا اصهاركم ، وثمروا أموالكم .
فهل رأيتم من هالك رجع ؟

-167-

أو ميت نشر ؟ الدار أمامكم ، والظن غير ما تقولون ،
حرمكم زينوه وعظموه وتمسكوا

به ، فسيأتى له نبأ عظيم ، وسيخرج منه نبى كريم ثم
يقول :

- نهار وليل كل يوم بحادث * سواء علينا ليلها ونهارها -

- يؤوبان بالاحداث حين تأوبا * وبالنعم الضافى علينا ستورها -

- على غفلة يأتى النبى محمد * فيخبر أخبارا صدوق خبيرها -

ثم يقول : والله لو كنت فيها ذا سمع وبصر ، ويد ورجل ،
لتنصبت فيها تنصب

الجمال ، ولارقلت فيها إرقال الفحل * (هامش) * (1)
العجل . وهو خطأ . (*)

. ثم يقول :

- يا ليتنى شاهدا فحواء * (هامش) * (2) نجواء . وهو
خطأ . (*)

دعوته * حين العشرة تبغى الحق خذلانا -

قال : وكان بين موت كعب بن لؤى ومبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم خمسمائة

عام وستون سنة .

ذكر تجديد حفر زمزم

على يدى ع بدالمطلب بن هاشم التى كان قد درس
رسمها بعد طم جرهم لها

إلى زمانه .

قال محمد بن إسحاق : ثم إن ع بدالمطلب بينما هو نائم
في الحجر - إذ أتى فأمر

بحفر زمزم - * (هامش) * ما بين القوسين ساقط من
المطبوعة . (*)

وكان أول ما ابتدى به ع بدالمطلب من حفرها ، كما
حدثنى يزيد بن أبى حبيب

المصرى عن مرثد بن عبدالله اليزنى * (هامش) * (4)
المطبوعة : المزنى ، وهو تحريف :

، عن عبدالله بن ذرير * (هامش) * (5) المطبوعة :
رزين ، وهو تحريف . (*)

الفافقى أنه سمع

-168-

على بن أبى طالب رضى الله عنه يحدث حديث زمزم
حين أمر ع بدالمطلب بحفرها

قال : قال ع بدالمطلب : إنى لنا ثم في الحجر إذ أتانى
آت فقال لى : احفر طيبة . قال :

قلت وما طيبة ؟ قال : ثم ذهب عنى .

قال : فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فنمت فيه ،
فجاءنى فقال : احفر برة . قال :

قلت وما برة ؟ قال : ثم ذهب عنى .

فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فنمت فيه ، فجاءنى
فقال : احفر زمزم . قال : قلت

وما المضمونة ؟ قال ثم ذهب عنى .

فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فنمت فيه ، فجاءنى فقال : احفر زمزم . قال : قلت

وما زمزم ؟ قال : لا تنزف ابدا ولا تذم * (هامش) * (1)
بئر ذمة وذميم وذميمة : قليلة الماء فهو من أذمت البئر ،
أى وجدتها ذمة ، كما تقول : أجنت

الرجل إذا وجدته جباناً . فى المطبوعة : تزم ، وهو تحريف
(*) .

، تسقى الحجيج الاعظم ، وهى بين الفرث

والدم ، عناد نقرة الغراب الاعصم ، عند قرية النمل *
(هامش) * (2) ذكر السهلى عللاً لهذه العلامات من
أحوال زمزم . (*)

قال : فلما بين له * (هامش) * (3) المطبوعة : لى ،
وهو خطأ . (*)

شأنها ودل على موضعها ، وعرف أنه قد صدق ، غدا
بمعوله

ومعه ابنها لحارث بن ع بدالمطلب ، وليس له يومئذ ولد
غيره ، فحفر فيها ، فلما بدا

لعبد المطلب الطى * (هامش) * (4) الطى : ما طوى به
البئر من الحجارة . وفى المطبوعة : الطمى وهو تحريف .
(*)

كبر ، فعرفت قريش انه قد ادرك حاجته ، فقاموا إليه
فقالوا : يا ع بدالمطلب إنها بئر أبينا إسماعيل ، وإن لنا
فيها حقاً فأشر كنا معك فيها . قال : ما أنا

بفاعل ، إن هذا الامر قد خصت به دونكم وأعطيته من
بينكم . قالوا له : فأنصفنا

فإننا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها . قال : فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه .

قالوا : كاهنة بنى سعد بن هذيم * (هامش) * (5)
الطبرى : سعد هذيم . وهو الصواب . (*)

قال : نعم . وكانت بأشراف الشام .

-169-

فركب ع بدالمطلب ومعه نفر من بنى أمية ، وركب من كل قبيلة من قريش نفر .

فخرجوا والارض إذ ذاك مفاوز ، حتى إذا كانوا ببعضها نفذ ماء ع بدالمطلب وأصحابه ،

فعطشوا حتى استيقنوا بالهلكة ، فاستسقوا من معهم فأبوا عليهم وقالوا : إنا بمفازة وإنا

نخشي على أنفسنا مثل ما أصابكم . فقال ع بدالمطلب :
إنى أرى أن يحفر كل رجل منكم

حفرته لنفسه بما لكم الآن من القوة ، فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرته ثم واروه ،

حتى يكون آخرهم رجلا واحدا فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعه . فقالوا :

نعم ما أمرت به .

فحفر كل رجل لنفسه حفرة ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشا .

ثم إن ع بدالمطلب قال ولأصحابه : والله إن إلقاءنا *
(هامش) * (1) ط خ : قال لأصحابه : ألقينا بأيدينا الخ .
وهو تحريف - وما أثبتته عن ابن هشام . (*)

بأيدينا هكذا للموت لا نضرب في

الارض ولائبتغى لانفسنا لعجز ، فعسى الله أن يرزقنا ماء
ببعض البلاء ، ارتحلوا . فأرتحلوا ،

حتى إذا بعث ع بدالمطلب راحلته انفجرت من تحت خفها
عين ماء عذب ، فكبر

ع بدالمطلب وكبر أصحابه ، ثم نزل فشرب وشرب
أصحابه واستسقوا حتى ملأوا أسقيتهم

ثم دعا قبائل قريش وهم ينظرون إليهم في جميع هذه
الاحوال فقال : هلموا إلى الماء فقد

سقانا الله . فجاءوا فشربوا واستقوا كلهم ، ثم قالوا : قد
والله قضى لك علينا ، والله

ما نخاصمك في زمزم أبدا ، إن الذى سقاك هذا الماء
بهذه الفلاوة هو الذى سقاك زمزم ،

فارجع إلى سقايتك راشدا .

فرجع ورجعوا معه ، ولم يصلوا إلى الكاهنة ، وخلوا بينه
وبين زمزم .

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنى عن على بن أبى طالب
في زمزم .

قال ابن إسحاق : وقد سمعت من يحدث عن ع بدالمطلب
أنه قيل له حين أمر

بحفر زمزم :

-170-

- ثم ادع با الماء الروى غير الكدر * يسقى حجيج الله في
كل مبر * (هامش) * (1) مبر : مفعل من البر ، أى
مناسك الحج ومواضع الطاعة . (*)

ليس يخاف منه شئ ما عمر

قال : فخرج ع بدالمطلب حين قيل له ذلك إلى قريش ،
فقال : تعلموا أنى قد أمرت

أن أحفر زمزم . قالوا : فهل بين لك أين هى ؟ قال : لا
قالوا : فارجع إلى مضجعك

الذى رأيت فيه ما رأيت ، فإن يك حقا من الله يبين لك
، وإن يك من الشيطان فلن يعود

إليك . فرجع ونام فأتى ف قيل له :

احفر زمزم ، وإنك إن حفرتها لن تندم ، وهى تراث من
أبيك الاعظم ، لاتنرف

أبدا ولاتذم ، تسقى الحجيج الاعظم ، مثل نعام جافل *
(هامش) * (2) الجافل : من جفلت الغنم إذا انقلعت
بجملتها . ولم يقسم : لم يتوزع ولم يتفرق . (*)

لم يقسم ، ينذر فيها نادر

لمنعم * (هامش) * (3) المطبوعة : بمنعم . وهو خطأ .
(*)

. تكون ميراثا وعقدا محكم . ليست كبعض * (هامش) *
(4) المطبوعة : لبعض ، وهو خطأ . (*)

ما قد تعلم ، وهى بين

الفرث والدم .

قال ابن إسحاق : فزعموا أن ع بدالمطلب حين قيل له
ذلك قال : وأين هى ؟ قيل له

عند قرية النمل حيث ينقر الغراب غدا . فالله أعلم أى
ذلك كان .

قال : فغدا ع بدالمطلب ومعه ابنه الحارث ، وليس له
يومئذ ولد غيره . زاد الاموى :

ومولاه اصرم . فوجد قرية النمل ، ووجد الغراب ينقر
عندها بين الوثنين إساف ونائلة

الذين كانت قريش تنحر عندهما ، فجاء بالمعول وقام
ليحفر حيث أمر ، فقامت إليه

قريش وقالت : والله لانتركك تحفر بين وثنينا اللذين ننحر
عندهما . فقال ع بدالمطلب

لابنه الحارث : ذدعنى حتى أحفر ، فوالله لامضين لما
أمرت به . فلما عرفوا أنه غير

نازع خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه ، فلم يحفر إلا
يسيرا حتى بداله الطى فكبر

-171-

وعرف أنه قد صدق ، فلما تمادى به الحفر وجد فيها
غزاليين من ذهب اللذين كانت جرهم

.....
- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 171 سطر 1 الى ص
180 سطر 7

وعرف أنه قد صدق ، فلما تمادى به الحفر وجد فيها
غزاليين من ذهب اللذين كانت جرهم

قد دفنتهما ، ووجد فيها أسيافا قلعية وأدراعا .

فقالت له قريش : يا ع بدالمطلب لنا معك في هذا شرك
وحق . قال : لا ، ولكن

هلم إلى أمر نصف بينى وبينكم ، نضرب عليها بالقداح .
قالوا : وكيف نضع ؟ قال : أجعل

للكعبة قد حين ولى قد حين ولك . قد حين ، فمن خرج
قد حاه على شئ كان له ، ومن

تخلف قد حاه فلا شئ له . قالوا : أنصفت . فجعل للكعبة
قد حين أصفرين وله أسودين ولهم

أبيضين ، ثم أعطوا القداح للذى يضرب عند هبل - وهبل
أكبر أصنامهم ولهذا قال

ابوسفیان يوم أحد : اعل هبل . يعنى هذا الصنم - قام ع
بالمطلب يدعو الله .

وذكر يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق أن ع
بالمطلب جعل يقول :

- اللهم أنت الملك المحمود * ربى أنت المبدئ المعيد -
- وممسك الراسية الجلمود * من عندك الطارف والتلید -
- إن شئت الهمت كما تريد * لموضع الحلية والحديد -
- فبين اليوم لما تريد * إنى نذرت العاهد المعهود -

اجعله رب لى فلا أعود

قال وضرب صاحب القداح ، فخرج الاصفران على الغزالين
للكعبة ، وخرج

الاسودان على الاسياف والادراع لعبد المطلب ، وتخلف
قدحا قريش . فضرب

ع بالمطلب الاسياف بابا للكعبة ، وضرب في الباب
الغزالين من ذهب ، فكان أول

ذهب حليته الكعبة * (هامش) * (1) المطبوعة : حلية
للكعبة ، وهو تحريف . (*)

فيما يزعمون .

ثم إن ع بالمطلب أقام سقاية زمزم للحاج وذكر ابن
إسحاق وغيره أن مكة كان

فيها بئار كثيرة قبل ظهور زمزم في زمن ع بدالمطلب ،
ثم عددها ابن إسحاق وسماها

وذكرأما كنها من مكة وحافريها ، إلى أن قال : فعفت
زمزم على البئار كلها وانصرف

الناس كلهم إليها لمكانها من المسجد الحرام ، ولفضلها
على ماسواها من المياه ، ولانها

بئر إسماعيل بن إبراهيم ، وافتخرت بها بنو عبد مناف
على قريش كلها وعلى

سائر العرب .

وقد ثبت في صحيح مسلم في حديث إسلام أبي ذر أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال في زمزم : (إنها لطعام طعم . وشفاء سقم) .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبدالله بن الوليد ، عن عبدالله
بن المؤمل ، عن أبي

الزبير ، عن جابر بن عبدالله ، قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : (ماء زمزم لما

شرب منه) . وقد رواه ابن ماجة من حديث عبدالله بن
المؤمل ، وقد تكلموا فيه ولفظه :

(ماء زمزم لما شرب له) . ورواه سويد بن سعيد ، عن
عبدالله بن المبارك ، عن

عبدالرحمن بن أبي الموالي ، عن محمد بن المنكدر ، عن
جابر ، عن النبي صلى الله

عليه وسلم قال : (ماء زمزم لما شرب له) ولكن سويد
بن سعيد ضعيف . والمحفوظ عن

ابن المبارك عن عبدالله بن المؤمل كما تقدم . وقد رواه
الحاكم عن ابن عباس مرفوعا

(ماء زمزم لما شرب له) وفيه نظر . والله أعلم .
وهكذا روى ابن ماجه أيضا والحاكم عن ابن عباس أنه
قال لرجل : إذا شربت من
زمزم فاستقبل الكعبة واذكر اسم الله وتنفس ثلاثا وتضع
منها ، فإذا فرغت فاحمد الله ،
فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن آية ما
بيننا وبين المنافقين لايتضعون
من ماء زمزم) .

-173-

وقد ذكر عن ع بدالمطلب أنه قال : اللهم إني لا أحلها
لمغتسل ، وهى لشارب
حل وبل .
وقد ذكره بعض الفقهاء عن العباس بن ع بدالمطلب ،
والصحيح أنه عن ع بدالمطلب
نفسه ، فإنه هو الذى جدد حفر زمزم كما قدمنا والله
أعلم .
وقد قال الاموى في مغازيه : حدثنا أبويعبيد ، أخبرنى يحيى
بن سعيد ، عن عبد
الرحمن بن حرملة ، سمعت سعيد بن المسيب يحدث أن
ع بدالمطلب بن هاشم حين احتفر
زمزم . قال : لأحلها لمغتسل وهى لشارب حل وبل .
وذلك أنه جعل لها حوضتين حوضا
للشرب ، وحوضا للوضوء . فعند ذلك قال : لا أحلها
لمغتسل ، لينزه المسجد عن أن يغتسل فيه .
قال أبويعبيد : قال الاصمعى : قوله (وبل) إتياع . قال
أبويعبيد : والاتباع

لا يكون بواو العطف ، وإنما هو كما قال معتمر بن سليمان
أن (بل) بلغة حمير : مباح .

ثم قال أبو عبيد : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم بن
أبي النجود ، أنه سمع

رزا أنه سمع العباس يقول : لأحلها لمغتسل ، وهى
لشارب حل وبل . وحدثنا عبدالرحمن

وهذا صحيح إليهما ، وكأنهما يقولان ذلك في أيامهما على
سبيل التبليغ والاعلام بما اشترطه

ع بدالمطلب عند حفره لها ، فلا ينافى ما تقدم . والله
أعلم .

وقد كانت السقاية إلى ع بدالمطلب أيام حياته ، ثم
صارت إلى ابنه أبي طالب مدة ،

ثم اتفق أنه أملى في بعض السنين فاستدان من أخيه
العباس عشرة آلاف إلى الموسم

الآخر ، وصرفها أبوطالب في الحجيج في عامه فيما يتعلق
بالسقاية ، فلما كان العام

المقبل لم يكن مع أبي طالب شئ ، فقال لآخيه العباس
: أسلفنى أربعة عشر ألفا أيضا إلى

العام المقبل أعطيك جميع مالك ، فقال له العباس :
بشرط إن لم تعطنى تترك السقاية لى

أكفكها . فقال : نعم .

-174-

فلما جاء العالم الآخر لم يكن مع أبي طالب ما يعطى
العباس ، فترك له السقاية فصارت

إليه ، ثم بعده صارت إلى عبدالله ولده ثم إلى على بن
عبدالله بن عباس ، ثم إلى داود

بن على ، ثم إلى سليمان بن على ، ثم إلى عيسى بن على ، ثم أخذها المنصور واستتاب عليها موله أبا رزين . ذكره الاموى .

ذكر نذر ع بدالمطلب ذبح أحد ولده

قال ابن إسحاق : وكان ع بدالمطلب ، فيما يزعمون ، نذر حين لقى من قريش

مالقى عند حفر زمزم ، لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعه ليدبحن أحدهم لله عند الكعبة .

فلما تكامل بنوه عشرة . وعرف أنهم سيمنعونه ، وهم : الحارث ، والزيبر ،

وحجل ، وضرار ، والمقوم ، وأبولهب ، والعباس ، وحمزة ، وأبوطالب ، وعبدالله ، و

جمعهم ثم أخبرهم بنذره ودعاهم إلى الوفاء لله عزوجل بذلك . فأطاعوه وقالوا : كيف

نصنع ؟ قال : ليأخذ كل رجل منكم قد حاتم يكتب فيه اسمه ثم اتونى .

ففعّلوا ثم أتوه ، فدخل بهم على هبل في جوف الكعبة ، وكانت تلك البئر هى التى

يجمع فيها ما يهدى للكعبة ، وكان عند هبل قداح سبعة ، وهى الازلام التى يتحاكمون

إليها إذا أعضل عليهم أمر من عقل أو نسب أو أمر من الامور ، جاءوه فاستقسموا بها

فما أمرتهم به أو نهتهم عنه امثلوه .

والمقصود أن ع بدالمطلب لما جاء ستقسم بالقداح عند
هبل خرج القدح على ابنه

عبدالله وكان أصغر ولده وأحبهم إليه ، فأخذ ع بدالمطلب
بيد ابنه عبدالله وأخذ الشفرة

ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبحه ، فقامت إليه قريش
من أنديتها فقالوا : ما تريد

-175-

يا ع بدالمطلب ؟ قال أذبحه ، فقالت له : قريش وبنوه
إخوة عبدالله : والله لاتذبحه

أبدا حتى تعذر فيه ، لئن فعلت هذا لايزال الرجل يجئ
بابنه حتى يذبحه ، فما بقاء

الناس لعي هذا ؟ !

وذكر يونس بن بكير عن ابن إسحاق أن العباس هو الذى
اجتذب عبدالله

من تحت رجل أبيه حين وضعها عليه ليذبحه ، فيقال إنه
شج وجهه شجا لم يزل في

وجهه إلى أن مات .

ثم أشارت قريش على ع بدالمطلب أن يذهب إلى الحجاز
فإن بها عرافه لها تابع ،

فيسألها عن ذلك ، ثم أنت على رأس أمرك ، إن أمرتك
بذبحه فاذبحه ، وإن أمرتك

بأمر لك وله فيه مخرج قبلته .

فانطلقوا حتى أتوا المدينة فوجدوا العرافة وهى سجاح ،
فيما ذكره يونس بن بكير

عن ابن إسحاق ، بخير ، فركبوا حتى جاءوها فسألوها
وقص عليها ع بدالمطلب خبره

وخبّر ابنه ، فقالت لهم : ارجعوا عنى اليوم حتى يأتينى
تابعى فأسأله .

فرجعوا من عندها ، فلما خرجوا قام ع بدالمطلب يدعو
الله ، ثم غدوا عليها فقالت

لهم قد حاءنى الخبر ، كم الدية فيكم ؟ قالوا : عشر من
الابل . وكانت كذلك . قالت :

فارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشرا من
الابل . ثم اضربوا عليها وعليه

بالقداح فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الابل حتى
يرضى ربكم ، وإن خرجت

على الابل فانحروها عنه فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم .

فخرجوا حتى قدموا مكة ، فلما أجمعوا على ذلك الامر
قام ع بدالمطلب يدعو الله ،

ثم قربوا عبدالله وعشرا من الابل ، ثم ضربوا ، فخرج
القدح على عبدالله ، فزادوا

عشرا ثم ضربوا ، فخرج القدح على عبدالله ، فزادوا
عشرا فلم يزالوا يزيدون عشرا

ويخرج القدح على عبدالله حتى بلغت الابل مائة ، ثم
ضربوا فخرج القدح على الابل ،

-176-

فقالت عند ذلك قريش لعبد المطلب ، وهو قائم عند هبل
يدعو الله : قد انتهى رضى

ربك يا ع بدالمطلب . فعندها زعموا أنه قال : لا حتى
أضرب عليها بالقداح ثلاث مرات .

فضربوا ثلاثا ويقع القدح فيها على الابل ، فنحرت ثم
تركت لا يصد عنها إنسان

ولا يمنع . قال ابن هشام ويقال : ولا سبع .

وقد روى أنه لما بلغت الابل مائة خرج القدح على عبدالله
أيضا ، فزادوا

مائة أخرى حتى بلغت مائتين ، فخرج ؟ القدح على
عبدالله ، فزادوا مائة أخرى فصارت

الابل ثلاثمائة ، ثم ضربوا فخرج ؟ القدح على الابل
فنحرها عند ذلك ع بدالمطلب .

والصحيح الاول . والله أعلم .

وقد روى ابن جرير عن يونس بن عبدالاعلى ، عن ابن
وهب ، عن يونس

بن يزيد ، عن الزهري ، عن قبيصة بن ذؤيب ، أن ابن
عباس سأله امرأة أنها نذرت

ذبح ولدها عند الكعبة ، فأمرها بذبح مائة من الابل وذكر
لها هذه القصة عن

ع بدالمطلب . وسألت عبدالله بن عمر فلم يفتها بشئ بل
توقف . فبلغ ذلك مروان بن

الحكم ، وهو أمير على المدينة ، فقال : إنهما لم يصيبا
الفتيا . ثم أمر المرأة أن تعمل

ما استطاعت من خير ، ونهاها عن ذبح ولدها ولم يأمرها
بذبح الابل ، وأخذ الناس

بقول مروان بذلك . والله أعلم .

ذكر تزويج ع بدالمطلب ابنه عبدالله

من آمنة بنت وهب الزهرية

قال ابن إسحاق : ثم انصرف ع بدالمطلب آخذا بيد ابنه
عبدالله ، فمر به ، فيما يزعمون ،

على امرأة من بنى اسد بن عبدالعزيز بن قصي ، وهى
أم قتال أخت ورقة بن نوفل بن

أسد بن عبدالعزيز بن قصي وهى عند الكعبة ، فنظرت
إلى وجهه فقالت : أين تذهب

-177-

يا عبدالله ؟ قال : مع أبى . قالت : لك مثل الابل التى
نحرت عنك وقع على الآن . قال :

أنا مع أبى ولا أستطيع خلفه ولا فراقه .

فخرج به ع بدالمطلب حتى أتى وهب بن عبد مناف بن
زهرة بن كلاب بن مرة بن

كعب بن لؤى بن غالب بن فهر ، وهو يومئذ سيد بنى زهرة
سنا وشرفا ، فزوجه ابنته

آمنة بنت وهب ، وهى يومئذ سية نساء قومها .

فزعموا أنه دخل عليها حين أملكها مكانه ، فوقع عليها ،
فحملت منه برسول الله

صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج من عندها فأتى المرأة
التي عرضت عليه ما عرضت ، فقال

لها : مالك لاتعرضين على اليوم ما كنت عرضت بالامس ؟
قالت له : فارقك النور الذى

كان معك بالامس فليس لى بك حاجة * (هامش) * (1)
الواضح من الرواية أنها طلبت من عبدالله الفاحشة فأبى ،
وفى اليوم التالى عرض هو عليها فأبت ،

وعللت إباءها بأن النور الذى كان فى وجهه قد زال ،
وفى هذا اتهام لعبد الله ، وفلسفة للفاحشة بأنها

كانت رغبة فى النور . . ! وليس نور النبوة إفرار عضو ولا
إشراقه وجه ، والرواية ظاهرة الاختلاق ،

وهى ذم في صورة مدح ! هذا وقد جاء بعد أنها طلبت
منه الزواج . (*)

. وكانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل ،

وكان قد تنصر واتبع الكتب ، أنه كائن في هذه الامة نبي
، فطمعت أن يكون منها ،

فجعله الله تعالى في أشرف عنصره أكرم محتد واطيب
أصل ، كما قال تعالى (الله أعلم

حيث يجعل رسالته) وسنذكر المولد مفصلا .

ومما قالت أم قتال بنت نوفل من الشعر ، تتأسف على
ما فاتها من الامر الذى رامته ،

وذلك فيما رواه البيهقى من طريق يونس بن بكير عن
محمد بن إسحاق رحمه الله :

- عليك بآل زهرة حيث كانوا * وآمنة التى حملت غلاما -
 - ترى المهدى حين نزا عليها * ونورا قد تقدمه أماما -
- 178-

- إلى أن قالت - :

- فكل الخلق يرجوه جمعيا * يسود لاناس مهتديا إماما -
- براه الله من نور صفاه * فأذهب نوره عنا الظلاما -
- وذلك صنع ربك إذ حباه * إذا ما سار يوما أو أقاما -
- فيهدى أهل مكة بعد كفر * ويفرض بعد ذلك الصياما * (هامش) (1) هذا أيضا ظاهر الاختلاق ، وعليه ركافة الصنع وتفاهة الوضع ، ولا أدرى لم خص الصيام من

بين شعائر الاسلام !! .

-

وقال أبوبكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطى : حدثنا
على بن حرب ، حدثنا محمد

ابن عمارة القرشى ، حدثنا مسلم بن خالد الزنجى ،
حدثنا ابجرىح ، عن عطاء بن أبى رباح ،

عن ابن عباس قال : لما انطلق ع بدالمطلب بابنه عبدالله
ليزوجه مر به على كاهنة من أهل

تباله متهودة قد قرأت الكتب ، يقال لها فاطمة بنت مر
الختعمية ، فرأت نور النبوة في

وجه عبدالله فقالت يافتى هل لك أن تقع على الآن
وأعطيك مائة من الابل ؟

فقال عبدالله : أما الحرام فالممات دونه * والحل لاجل
فأستبينه -

فكيف بالامر الذى تبغينه

ثم مضى مع أبيه فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن
زهرة ، فأقام عندها ثلاثا .

ثم إن نفسه دعته إلى ما دعته إليه الكاهنة فأتاها فقالت
: ما صنعت بعدى ؟ فأخبرها .

فقالت : والله ما أنا بصاحبة ريبة ، ولكنى رأيت في وجهك
نورا فأردت أن يكون في ،

وأبى الله إلا أن يجعله حيث أراد . ثم أنشأت فاطمة تقول
:

- إني رايت مخيلة لمعت * فتللات بحناتم * (هامش) *)
(2) الحناتم : السحائب السود . (*)

القطر -

فلما أتتها (1) * (هاشم) * (1) رواية أبي نعيم : فلما بها نور . وتروى : - فلما أتتها نور . ومعنى لمأتها : لمحتها (*)

نورا يضئ له * ما حوله كإضاءة البدر -

- ورجوتها فخرا أبوء به * ما كل قاذح زنده يورى -

- لله ما زهرية سلبت * ثوبيك ما استلبت وما تدرى -

وقالت فاطمة أيضا :

- بنى هاشم قد غادرت من أخيكم * أمينة إذ للباه يعتركان -

كما غادر المصباح عند خموده * فتائل قد ميثت * (هاشم) * (2) * ميثت : خلطت . ورواية أبي نعيم : مئنت بدهان . (*)

له بدهان -

وما كل يحوى الفتى من تلاده * بحزم ولا مافاته لتوانى -

- فأجمل إذا طالبت أمرا فإنه * سيكفيكه جدان يعتلجان -

- سيكفيكه إما يد مقفلة (3) * (هاشم) * (3) مقفلة : متشنجة متقبضة . (*)

وإما يد مبسوطة بينان -

ولما حوت منه أمينة ما حوت * حوت منه فخرا ما لذلك ثان -

وروى الامام أبونعيم الحافظ في كتاب (دلائل النبوة) من طريق يعقوب بن

محمد الزهرى ، عن عبدالعزيز بن عمران ، عن عبدالله بن جعفر ، عن ابن عون ، عن

المسور بن مخرمة ، عن ابن عباس قال : إن عبد الملب قدم اليمن في رحلة الشتاء ، فنزل

على حبر من اليهود . قال : فقال لى رجل من أهل الديور
- يعنى أهل الكتاب - :

يا ع بدالمطلب أتأذن لى أن أنظر إلى بعضك ؟ قال :
نعم إذا لم يكن عورة . قال : ففتح

إحدى منخرى فنظر فيه ثم نظر في الآخر ، فقال : أشهد
أن في إحدى يديك ملكا وفى

الاخرى نبوة ، وأنا نجد ذلك في بنى زهرة فكيف ذلك ؟
قلت : لأدرى . قال :

-180-

هل لك من شاعة ؟ قلت وما الشاعة ؟ قال : زوجة .
قلت : أما اليوم فلا . قال : فإذا رجعت

فتزوج فيهم .

فرجع ع بدالمطلب فتزوج هالة بنت وهب بن عبد مناف
بن زهرة ، فولدت حمزة

وصفية ، ثم تزوج عبدالله بن ع بدالمطلب آمنة بنت وهب
فولدت رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، فقالت قريش حين تزوج عبدالله بآمنة : فلج
، أى فاز وغلب ، عبدالله

على أبيه ع بدالمطلب .

-181-

كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

.....

- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 181 سطر 1 الى ص
190 سطر 22

كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذكر أيامه وغزواته وسراياه والوفود إليه
وشمائله وفضائله ودلائله الدالة عليه
-183-

باب ذكر نسبه الشريف وطيب أصله المنيف
قال الله تعالى : (الله أعلم حيث يجعل رسالته) .
ولما سأل هرقل ملك الروم لابي سفيان تلك الاسئلة عن
صفاته عليه الصلاة
والسلام ، قال : كيف نسبه فيكم ؟ قال : هو فينا ذو
نسب . قال : كذلك الرسل
تبعث في أنساب قومها . يعنى في أكرمها أحسابا وأكثرها
قبيلة . صلوات الله
عليهم أجمعين .
فهو سيد ولد آدم وفخرهم في الدنيا والآخرة . أبوالقاسم ،
وأبوإبراهيم ، محمد ،
وأحمد ، والماحى الذى يمحق به الكفر ، والعاقب الذى ما
بعده نبى ، والحاشر الذى
يحشر الناس على قدميه * (هامش) * (1) يحشر الناس
على قدميه : على أثره . أو على عهده وزمانه . (*)
، والمقفى ، ونبى الرحمة ، ونبى التوبة ، ونبى الملحمة ،
وخاتم
النبين ، والفتاح ، وطه ، ويس ، وعبدالله .

قال البيهقى : وزاد بعض العلماء فقال : سماه الله في
القرآن رسولا ، نبيا ، أميا * (هامش) * (2) ط : أمينا
وهو خطأ . (*)

شاهدا ، مبشرا ، نذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا
منيرا . ورءوفا رحيفا ، ومذكرا ،

وجعله رحمة ونعمة وهدايا .

وسنورد الاحاديث المروية في أسمائه عليه الصلاة والسلام
في باب نعقده بعد

فراغ السيرة ، فإنه قد وردت أحاديث كثيرة في ذلك ،
اعتنى بجمعها الحافظان

الكبيران أبوبكر البيهقي ، و أبوالقاسم بن عساكر ، وأفرد
الناس في ذلك

-184-

مؤلفات ، حتى رام بعضهم أن يجمع له عليه الصلاة
والسلام ألف اسم ، وأما الفقيه الكبير

أبوبكر بن العربي المالكي شازح الترمذي بكتابه الذي
سماه (عارضة الاحوذى) فإنه

ذكر من ذلك أربعة وستين اسما والله أعلم .

وهو ابن عبدالله ، وكان أصغر ولد أبيه ع بدالمطلب ،
وهو الذبيح الثاني المفدى

بمائة من الابل كما تقدم .

قال الزهرى : وكان أجمل رجال قريش ، وهو أخو الحارث
، والزبير ، وحمزة ،

وضرار وأبى طالب ، واسمه عبد ماف ، وأبى لهب ،
واسمه عبدالعزى ، والمقوم ، واسمه

عبد الكعبة ، وقيل هما اثنان ، حجل واسمه المغيرة ،
والغيداق وهو كثير الجود ، واسمه

ثوفل ، ويقال إنه حجل . فهؤلاء أعمامه عليه الصلاة
والسلام .

وعماته ست ، وهن : أروى ، وبرة ، وأميمة ، وصفية ،
وعاتكة ، وأم حكيم

- وهى البيضاء - وستكلم على كل منهم فيما بعد إن شاء
الله تعالى .

كلهم أولاد ع بدالمطلب ، واسمه شيبة ، يقال : لشيبة
كانت في رأسه ، ويقال له شيبة

الحمد لجوده ، وإنما قيل له ع بدالمطلب لان أباه هاشما
لما مر بالمدينة في تجارته إلى الشام

نزل على عمرو بن زيد بن لبيد بن حرام بن خدّاش بن
خندف بن عدى بن النجار

الخرزجى النجارى ، وكان سيد قومه ، فأعجبه ابنته
سلمى فخطبها إلى أبيها ، فزوجها

منه واشترط عليه مقامها عنده ، وقيل : بل اشترط عليه
أن لاتلد إلا عنده بالمدينة . فلما

رجع من الشام بنى بها وأخذها معه إلى مكة ، فلما خرج
في تجارة اخذها معه وهى حبلى ،

فتركها بالمدينة ودخل الشام فمات بغزة ، ووضعت سلمى
ولدها فسمته شيبة ، فأقام عند

أخواله بنى عدى بن النجار سبع سنين .

ثم جاء عمه المطلب بن عبد مناف فأخذه خفية من أمه
فذهب به إلى مكة ، فلما رآه

-185-

الناس ورأوه على الراحلة قالوا : من هذا معك ؟ فقال :
عبدى . ثم جاءوا فهنئوه به وجعلوا

يقولون له ع بدالمطلب لذلك . فغلب عليه .

وساد في قريش سيادة عظيمة وذهب بشر فهم ورئاستهم
، فكان جماع أمرهم عليه ،

وكانت إليه السقاية والرفادة بعد المطلب ، وهو الذي جد
حفر زمزم بعد ما كانت

مطمومة من عهد جرهم ، وهو أول من طلى الكعبة
بذهب في أبوابها من تينك الغزالتين

من ذهب اللتين وجدتهما في زمزم مع تلك الاسياف
القلعية .

قال ابن هشام * (هامش) * (1) ابن هشام : (فولد
هاشم بن عبد مناف أربعة نفر ، وخمس نسوة . .) ثم
ذكرهم . وهذه

طريقة ابن كثير في النقل بالمعنى . (*)

: وع بدالمطلب أخو أسد ونضلة * (هامش) * (2)
المطبوعة : وفضلة . وهو تحريف . (*)

وأبى صيفى وحية وخالدة

ورقية والشفاء وضعيفة . وكلهم أولاد هاشم ، واسمه عمرو
، وإنما سمى هاشما لهشمه الثريد

مع اللحم لقومه في سنى المحل ، كما قال مطرود بن
كعب الخزاعي في قصيدته ، وقيل

للزبيرى والد عبدالله :

- عمرو الذى * (هامش) * (3) وپروى : عمرو العلى .
(*)

هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مستنون عجاف -

- سنت إليه الرحلتان كلاهما * سفر الشتاء ورحلة الاصياف
-

وذلك لانه أول من سن رحلتى الشتاء والصيف وكان أكبر
ولد أبيه . وحكى ابن

جرير أنه كان توأم أخيه عبد شمس ، وأن هاشما خرج
ورجله ملتصقة برأس عبد شمس ،

فما تخلصت حتى سال بينهما دم ، فقال الناس : بذلك
يكون بين أولادهما حروب ،

فكانت وقعة بنى العباس مع بنى أمية بن عبد شمس سنة
ثلاث وثلاثين ومائة

من الهجرة .

-186-

وشقيقهم الثالث المطلب ، وكان المطلب أصغر ولد أبيه ،
وأمهم عاتكة بنت مرة

ابن هلال .

ورابعهم نوفل من أم أخرى ، وهى واقدة بنت عمرو
المازنية ، وكانوا قد سادوا

قومهم بعد أبيهم وصارت إليهم الرياسة ، وكان يقال لهم
المجيرون . وذلك لانهم أخذوا

لقومهم قريش الامان من ملوك الاقاليم ليدخلوا في
التجارات إلى بلادهم ، فكان هاشم

قد أخذ أمانا من ملوك الشام والروم وغسان ، وأخذ لهم
عبد شمس من النجاشى الاكبر

ملك الحبشة ، وأخذ لهم نوفل من الاكاسرة ، وأخذ لهم
المطلب أمانا من ملوك حمير .

ولهم يقول الشاعر :

- يا أيها الرجل المحول رحله * إلا نزلت بآل عبد مناف

وكان إلى هاشم السقاية والرفادة بعد أبيه ، وإليه وإلى
أخيه المطالب نسب ذوى

القربى ، وقد كانوا شيئاً واحداً في حالتى الجاهلية والاسلام
لم يفترقوا ، ودخلوا

معهم في الشعب ، وانخذل عنهم بنو عبد شمس ونوفل .
ولهذا يقول أبوطالب

في قصيدته :

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلاً * عقوبة شر عاجلاً غير
أجل

ولا يعرف بنو أب تباينوا في الوفاة مثلهم ، فإن هاشماً
مات بغزة من أرض الشام ،

وعبد شمس مات بمكة ، ونوفل مات بسلمان * (هامش)
(1) خ ط بسلامان . وهو خطأ . وما أثبتته عن ابن
هشام (*)

من أرض العراق ، ومات المطالب ، وكان

يقال له القمر لحسنه ، بردمان * (هامش) * (2) خ ط
: بريمان . وهو خطأ . وما أثبتته عن ابن هشام (*)

من طريق اليمن . فهؤلاء الاخوة الاربعة المشاهير وهم

هاشم ، وعبد شمس ، ونوفل ، والمطلب .

ولهم أخ خامس ليس بمشهور وهو أبو عمرو واسمه عبد ،
وأصل اسمه عبد قصى .

فقال الناس عبد بن قصى ، درج ولا عقب له . قاله
الزبير بن بكار وغيره .

-187-

وأخوات ست وهن ، تماضر ، وحية ، وريطة ، وقلابة ،
وأم الاختم

وأم سفيان .

كل هؤلاء أولاد عبد مناف ، ومناف اسم صنم ، وأصل اسم عبد مناف المغيرة .

وكان قد رأس في زمن والده ، وذهب به الشرف كل مذهب . وهو أخو عبد الدار

الذي كان أكبر ولد أبيه وإليه أوصى بالمناصب كما تقدم .
عبدالعزى وعبد وبرة

وتخمر ، وأمهم كلهم حبي بنت حليل بن حبشية * (هامش
(*) (1) المطبوعة : حبشى ، وهو خطأ . (*)

بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي ،

وأبوها آخر ملوك خزاعة وولادة البيت منهم .

وكلهم أولاد قصي واسمه زيد ، وإنما سمي بذلك لان أمه تزوجت بعد أبيه بربيعة

بن حرام بن عذرة فسافر بها إلى بلاده وابنها صغير فسمى قصيا لذلك . ثم عاد إلى مكة

وهو كبير ولم شعث قريش وجمعها من متفرقات البلاد وأزاح يد خزاعة عن البيت ،

وأجلاهم عن مكة ورجع الحق إلى نصابه ، وصار رئيس قريش على الاطلاق ، وكانت

إليه الرفادة * (هامش) * (2) ط : الوفادة . وهو خطأ . (*)

والسقاية ، وهو سنها ، والسدانة والحجاجة واللواء ، وداره دار الندوة كما

تقدم بسط ذلك كله . ولهذا قال الشاعر :

- قصي لعمرى كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل
من فهر -

وهو أخو زهرة ، كلاهما ابن كلاب أخى تيم ، ويقظه أبى مخزوم . ثلاثهم أبناء مرة

أخى عدى وهصيص .

وهم أبناء كعب ، وهو الذى كان يخطب قومه كل جمعة ويبشرهم بمبعث رسول الله

صلى الله عليه وسلم وينشد في ذلك أشعارا كما قدمنا . وهو أخو عامر وسامة وخزيمة

وسعد والحارث وعوف ، سبعتهم أبناء لؤى أخى تيم الادرم . وهما أبناء غالب أخى الحارث

-188-

ومحارب . ثلاثهم أبناء فهر ، وهو أخو الحارث ، وكلاهما ابن مالك . وهو أخو الصلت

ويخلد ، وهم بنو النضر الذى إليه جماع قريش على الصحيح كما قدمنا الدليل عليه ، وهو

أخو مالك وملكان وعبد مناة وغيرهم ، كلهم أولاد كنانة أخى أسد وأسد والهون ،

أولاد خزيمة ، وهو أخو هذيل . وهما ابنا مدركة ، واسمه عمرو ، أخو طابخة واسمه

عامر ، وقمعة ، ثلاثهم أبناء الياس ، وأخو الياس هو عيلان والد قيس كلها ، وهما ولدا

مضر أخى ربيعة . ويقال لهما الصريحان من ولد إسماعيل ، وأخواهما أنمار وإباد تيامنا ،

أربعتهم أبناء نزار أخى قضاة ، في قول طائفة ممن ذهب إلى أن قضاة حجازية عدنانية ،

وقد تقدم بيانه . كلاهما أبناء معد بن عدنان .

وهذا النسب بهذه الصفة لا خلاف فيه بين العلماء ، فجميع قبائل عرب الحجاز

ينتھون إلى هذا النسب ، ولهذا قال ابن عباس وغيره في قوله تعالى : (قل لا أسألكم

عليه أجرا إلا المودة في القربى) : لم يكن بطن من بطون قريش إلا ولرسول الله صلى الله

عليه وسلم نسب يتصل بهم .

وصدق ابن عباس رضی الله عنه فيما قال وأزید مما قال . وذلك أن جميع قبائل العرب

العدنانية تنتهى إليه بالآباء وكثير منهم بالامهات أيضا ، كما ذكره محمد بن إسحاق وغيره

في أمهاته رأمهات آباءه وأمهاتهم ما يطول ذكره .

وقد حرره ابن إسحاق رحمه الله والحافظ ابن عساكر .

وقد ذكرنا في ترجمة عدنان نسبه وما قيل فيه ، وأنه من ولد إسماعيل لا محالة ،

وإن اختلف في كم أبى بينهما ؟ على أقوال قد بسطناها فيما تقدم . والله أعلم .

وقد ذكرنا بقية النسب من عدنان إلى آدم ، وأوردنا قصيدة أبى العباس الناشئ

المتضمنة ذلك ، كل ذلك في أخبار عرب الحجاز ولله الحمد .

* (هامش) * (1) خ ط : كم بينها أبا . وهو لا ستقيم عربية . (*)

-189-

وقد تكلم الامام أبوجعفر بن جرير رحمه الله في أول تاريخه على ذلك كلاما

مبسوطا جيدا محررا نافعا * (هامش) * (1) وذلك في
الجزء الثانى . (*)

وقد ورد حديث في انتسابه عليه السلام إلى عدنان وهو
على المنبر ، ولكن الله أعلم
بصحته ، كما قال الحافظ أبوبكر البيهقى : أنبأنا أبو الحسن
على بن أحمد بن عمر بن حفص
المقرئ ، ببغداد ، حدثنا أبو عيسى بكر بن أحمد بن بكر
، حدثنا أبو جعفر أحمد
ابن موسى بن سعد ، إملاء سنة ست وتسعين ومائتين ،
حدثنا أبو جعفر محمد بن أبان
القلانسى ، حدثنا أبو محمد عبدالله بن محمد بن ربيعة
القدامى ، حدثنا مالك بن أنس ، عن
الزهري ، عن أنس ، وعن أبي بكر بن عبدالرحمن بن
الحارث بن هشام . قال : بلغ النبى صلى
الله عليه وسلم أن رجلا من كندة يزعمون أنهم منه وأنه
منهم فقال (إنما كان يقول ذلك
العباس وأبوسفيان بن حرب فيأمننا بذلك ، وإنا لن نتفى
من آبائنا ، نحن بنو النضر
ابن كنانة) .

قال : وخطب النبى صلى الله عليه وسلم فقال (أنا محمد
بن عبدالله بن ع بدالمطلب

ابن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن
كعب بن لؤى بن غالب بن فهر

ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن
الياس بن مضر بن نزار ، وما افترق

الناس فرقتين إلا جعلنى الله في خيرهما ، فأخرجت من بين أبوى فلم يصبنى شئ من عهر

الجاهلية ، وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبى

وأمى ، فأنا خيركم نفسا ، وخيركم أبا .

وهذا حديث غريب جدا من حديث مالك . تفرد به القدامى وهو ضعيف .

ولكن سنذكر له شواهد من وجوه آخر .

-190-

فمن ذلك قوله (خرجت من نكاح لا من سفاح) قال عبدالرزاق : أخبرنا ابن

عبيدة ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه أبى جعفر الباقر في قوله تعالى (لقد جاءكم رسول

من أنفسكم) قال : لم يصبه شئ من ولادة الجاهلية .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنى خرجت من نكاح ولم أخرج

من سفاح) .

وهذا مرسل جيد .

وهكذا رواه البيهقى عن الحاكم عن الاصم ، عن محمد بن إسحاق الصنعانى ، عن

يحيى بن أبى بكير ، عن عبدالغفار بن القاسم ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله أخرجنى من النكاح ولم يخرجنى

من السفاح) .

وقد رواه ابن عدى موصولا فقال : حدثنا أحمد بن حفص ،
حدثنا محمد بن أبي عمرو

العدنى المكى ، حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن على
بن الحسين ، قال أشهد على أبي حدثنى

عن أبيه ، عن جده ، عن على بن أبى طالب أن النبى
صلى الله عليه وسلم قال : (خرجت

من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدنى
أبى وأمى ، ولم يصبنى من سفاح

الجاهلية شئ) .

هذا غريب من هذا الوجه ولا يكاد يصح .

وقال هشيم : حدثنا المدينى ، عن أبى الحويرث ، عن ابن
عباس ، قال : قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم : (ما ولدنى من نكاح أهل
الجاهلية شئ ، ما ولدنى إلا نكاح

كنكاح الاسلام) .

وهذا أيضا غريب أورده الحافظ ابن عساكر ، ثم أسنده
من حديث أبى هريرة ، في

إسناده ضعف والله أعلم .

-191-

وقال محمد بن سعد : أخبرنا محمد بن عمر ، حدثنى
محمد بن عبدالله بن مسلم ، عن

.....
- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 191 سطر 1 الى ص
200 سطر 22

وقال محمد بن سعد : أخبرنا محمد بن عمر ، حدثنى
محمد بن عبدالله بن مسلم ، عن

عمه الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ولدت

من نكاح غير سفاح) .

ثم أورد ابن عساكر من حديث أبي عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن

ابن عباس في قوله تعالى : (وتقلبك في الساجدين) قال : من نبى إلى نبى حتى أخرجت

نبيا) . ورواه عن عطاء .

وقال محمد بن سعد : أخبرنا هشام بن محمد الكلبي ، عن أبيه ، قال : كتبت

للنبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم ، فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان من

أمر الجاهلية .

وثبت في صحيح البخارى من حديث عمرو بن أبى عمرو عن سعيد المقبرى ، عن أبى

هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا

فقرنا ، حتى بعثت من القرن الذى كنت فيه) .

وفى صحيح مسلم من حديث الازاعى عن شداد أبى عمار ، عن وائلة بن الاسقع ،

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ،

واصطفى من بنى إسماعيل بنى كنانة ، واصطفى من بنى كنانة قريشا ، واصطفى من قريش

بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم) .

وقال الامام أحمد : حدثنا أبونعيم ، عن سفيان ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن

عبدالله بن الحارث بن نوفل ، عن المطلب بن أبي وداعة قال : قال العباس : بلغه صلى

الله عليه وسلم وبعض ما يقول الناس قال : (فصعد المنبر فقال : من أنا ؟) قالوا : أنت

رسول الله قال : (أنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ، إن الله خلق الخلق فجعلنى في خير

-192-

خلقه ، وجعلهم فرقتين فجعلنى في خير فرقة ، وخلق القبائل فجعلنى في خير قبيلة ،

وجعلهم بيوتا فجعلنى في خيرهم بيتا ، فأنا خيركم بيتا وخيركم نفسا) * (هامش) * (1) مسند أحمد تحقيق أحمد شاكر حديث رقم 1788 (*)

صوات الله وسلامه

عليه دائما أبدا إلى يوم الدين .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسماعيل بن أبي خالد ،

عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبدالله بن الحارث بن نوفل ، عن العباس بن عبدالمطلب ،

قال : قلت يا رسول الله إن قريشا إذا التقلوا لقى بعضهم بعضا بالبشاشة ، وإذا لقونا لقونا

بوجوه لانعرفها . فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك غضبا شديدا ثم قال :

(والذى نفس محمد بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى
يحكم لله ولسوله) .

فقلت : يا رسول الله إن قريشا جلسوا فتذاكروا أحسابهم
فجعلوا مثلك كمثله نخلة في

كبوة * (هامش) * (2) رواها ابن الجوزى . في كبا .
وروى عن شمر أنه لم يسمع كبوة . (*)

من الارض .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله يوم
خلق الخلق جعلنى في خيرهم ،

ثم لما فرقهم - قبائل - جعلنى في خيرهم قبيلة ، ثم
حين جعل البيوت جعلنى في خير

بيوتهم ، فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا) .

ورواه أبوبكر بن أبى شيبه ، عن ابن فضيل ، عن يزيد
بن أبى زياد ، عن

عبدالله بن الحارث ، عن ربيعة بن الحارث قال : بلغ النبى
صلى الله عليه وسلم فذكره

بنحو ماتقدم ولم يذكر العباس .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنى يحيى بن عبدالحميد ،
حدثنى قيس بن عبدالله ،

عن الاعمش ، عن عليلة بن ربيعى ، عن ابن عباس ،
قال : قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم : (إن الله قسم الخلق قسمين فجعلنى في خيرهما
. قسما ، فذلك قوله : (واصحاب

-193-

اليمين) (وأصحاب الشمال) ، فأنا من أصحاب اليمين ،
وأنا خير أصحاب اليمين ، ثم جعل

القسمين أثلاثا فجعلنى خيرها ثلثا ، فذلك قوله (وأصحاب الميمنة) (والسابقون)

(السابقون) فأنا من السابقين ، وأنا خير السابقين .

ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلنى في خيرها قبيلة ، فذلك قوله : (وجعلناكم شعوبا

وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) وأنا أتقى ولد

آدم وأكرمهم على الله ولافخر .

ثم جعل القبائل بيوتا فجعلنى في خيرها بيتا ، وذلك قوله : (إنما يريد الله ليذهب

عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا * (هامش) * (1) سورة الاحزاب 33 . (*)

(فأنا وأهل بيتى مطهرون

من الذنوب) .

وهذا الحديث فيه غرابة ونكارة .

وروى الحاكم والبيهقى من حديث محمد بن ذكوان ، خال ولد حماد بن زيد ، عن

عمرو بن دينار ، عن ابن عمر قال : إنا لقعود بفناء النبى صلى الله عليه وسلم إذ مرت به

امرأة ، فقال بعض القوم : هذه ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال أبوسفیان :

مثل محمد في بني هاشم مثل الريحانة في وسط التتن . فانطلقت المرأة فأخبرت النبى صلى

الله عليه وسلم .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف في وجهه الغضب . فقال (ما بال أقوال

تبلغنى عن أقوام ؟ ! إن الله خلق السماوات سبعا فاختر
العلياء منها فاسكنها من شاء

من خلقه ، ثم خلق الخلق فاختر من الخلق بنى آدم ،
واختار من بنى آدم العرب ،

(13 - السيرة - 1)

194

واختار من العرب مضر ، واختار من مضر قريشا ، واختار
من قريش بنى هاشم ،

واختارنى من بنى هاشم ، فأناخيار من خيار ، فمن أحب
العرب فبحبى أحبهم ، ومن

أبغض العرب فببغضى أبغضهم) .

هذا أيضا حديث غريب .

وثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : (أنا سيد ولد آدم يوم

القيامة ولا فخر) .

وروى الحاكم والبيهقى أيضا من حديث موسى بن عبيدة ،
حدثنا عمرو بن عبدالله

بن نوفل ، عن الزهرى ، عن أبى أسامة أو أبى سلمة ،
عن عائشة رضى الله عنها قالت :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قال لى جبريل :
قلبت الارض من مشارقها ومغاربها

فلم أجد رجلا أفضل من محمد ، وقلبت الارض مشارقها
ومغاربها فلم أجد بنى أب أفضل

من بنى هاشم) .

قال الحافظ البيهقي : وهذه الاحاديث وإن كان في روايتها من لا يحت به فبعضها

يؤكد بعضا ، ومعنى جميعها يرجع إلى حديث واثلة بن الاسقع . والله أعلم .

قلت : وفي هذا المعنى يقول أبوطالب يمتدح النبي صلى الله عليه وسلم :

- إذا اجتمعت يوما قريش لمخفر * فعبدمناف سرها
وصميمها -

- فإن حصلت أشراف عبد منافها * ففى هاشم أشرافها
وقديمها -

- وإن فخرت يوما فإن محمدا * هو المصطفى من سرها
وكريمها -

- تداعت قريش غثها وسمينها * علينا فلم تظفر وطاشت
حلومها -

وكنا قديما لانقر ظلامه * إذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها -

- ونحمى حماها كل يوم كريمة * ونضرب عن أجارها من
يرومها -

-195-

- بنا انتعش العود الذواء وإنما * بأكنافنا تندى وتنمى أرومها
-

وقال أبوالسكن زكريا بن يحيى الطائى في الجزء
المنسوب إليه المشهور : حدثنى

عمر بن أبى زحر بن حصين ، عن جده حميد بن منهب ،
قال : قال جدى خريم بن

أوس : هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقدمت عليه منصرفه من تبوك ،

فأسلمت ، فسمعت العباس بن ع بدالمطلب يقول : يا رسول الله إنى أريد أن أمتدحك ،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل ، لايفضض الله فاك . فأنشأ يقول :

- من قبلها طبت في الظلال وفى * مستودع حيث يخصف الورق -

- ثم هبطت البلاد لابشراً ن * - ت ولا مضغة ولا علق -

- بل نطفة تركب السفين وقد * ألجم نسرا وأهله الغرق -

- تنقل من صلب * (هامش) * (1) الشفا والبدء والتاريخ : من صالب . (*)

إلى رحم * إذا مضى عالم بدا طبق -

- حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق * (هامش) * (2) النطق : جمع ناطق . (*) -

- وأنت لما ولدت أشرقت الار * ض وضاءت بنورك الافق -

فنحن في ذلك الضياء وفى ال * - نور وسبل الرشاد نخترق -

وقد روى هذا الشعر لحسان بن ثابت .

فروي الحافظ أبوالقاسم بن عساكر من طريق أبي الحسن بن أبي الحديد : أخبرنا

محمد بن أبي نصر ، أنبأنا عبدالسلام بن محمد بن أحمد القرشى ، حدثنا أبو حصين محمد

ابن إسماعيل بن محمد التميمي ، حدثنا محمد بن عبدالله الزاهد الخراساني . حدثني إسحاق

ابن إبراهيم بن سنان ، حدثنا سلام بن سليمان أ بوالعباس المكفوف المدائني ، حدثنا

ورقاء بن عمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن عطاء ومجاهد
عن ابن عباس قال : سألت

-196-

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : فداك أبى وأمى
، أين كنت وأدم في الجنة ؟ قال :

فتبسم حتى بدت نواجذه ثم قال : (كنت في صلبه ،
وركب بى السفينة في صلب أبى

نوح ، وقذف بى في صلب أبى إبراهيم ، لم يلتق أبواى
على سفاح قط ، لم يزل الله ينقلنى

من الاصلاب الحسبية إلى الارحام الطاهرة صفيا مهذبا)
(1) * (هامش) * (1) المطبوعة : صفتى مهدى ، وهو
تحريف . (*)

لا تتشعب شعبتان إلا كنت

في خيرهما ، وقد أخذ الله بالنبوة ميثاقى وبالاسلام عهدى
، ونشر في التوراة والانجيل

ذكرى ، وبين كل نبى صفتى ، تشرق الارض بنورى
والغمام بوجهى ، وعلمنى كتابه

وزادنى - شرفا - في سمائه ، وشق لى اسما من أسمائه
، فذو العرش محمود وأنا محمد وأحمد ،

ووعدنى أن يحبونى بالحوض والكوثر ، وأن يجعلنى أول
شافع وأول مشفع ،

ثم أخرجنى من خير قرن لامتى ، وهم الحمادون يأمرون
بالمعروف وينهون

عن المنكر) .

قال ابن عباس : فقال حسان بن ثابت في النبى صلى
الله عليه وسلم :

- من قبلها طبت في الظلال وفي * مستودع يوم يخصف
الورق -

ثم سكنت البلاد لابشر أن * - ت ولا نطفة ولا علق -
- مطهر تركب السفين وقد * أجم نسرا وأهله الغرق -
- تنقل من صلب إلى رحم * إذا مضى طبق بدا طبق -
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (يرحم الله حسانا)
فقال على بن أبي طالب :

وجبت الجنة لحسان ورب الكعبة .

ثم قال الحافظ ابن عساكر : هذا حديث غريب جدا .

-197-

قلت : بل منكر جدا . والمحفوظ أن هذه الابيات للعباس
رضى الله عنه . ثم أوردتها

من حديث أبي السكن زكريا بن يحيى الطائى كما تقدم .

قلت : ومن الناس من يزعم أنها للعباس بن مرداس
السلمى . فالله أعلم .

تنبيه : قال القاضى عياض في كتابه (الشفاء) : (وأما
أحمد الذى أتى في الكتب

وبشرت به الانبياء فمنع الله بحكمته أن يسمى به أحد
غيره ولا يدعى به مدعو قبله ،

حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك .

وكذلك محمد - أيضا - لم يسم به أحد من العرب
ولاغيرهم ، إلى أن شاع قبيل

وجوده وميلاده أن نبيا يبعث اسمه محمد ، فسمى قوم
قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء

أن يكون أحدهم هو والله أعلم حيث يجعل رسالته .

وهم : محمد بن أحيحة بن الجلاح الاوسى ، ومحمد بن مسلمة (1) * (هامش) * (1) المطبوعة : سلمة ، وهو خطأ . (*)

الانصارى ،

ومحمد بن براء البكرى (2) * (هامش) * (2) كذا في الشفاء . وكان الاصل : اين البراء الكندى . (*)

، ومحمد بن سفيان بن مجاشع ، ومحمد بن حمران الجعفى ،

ومحمد بن خزاعى السلمى لاسابع لهم .

ويقال إن أول من سمى محمدا محمد بن سفيان (بن مجاشع) (3) * (هامش) * (3) ليست في الشفاء (*) واليمن تقول : بل محمد بن اليحمد من الازد .

ثم إن الله حمى كل من تسمى به أن يدعى النبوة أو يدعيها له أحد ، أو يظهر

عليه سبب يشكك (4) * (هامش) * (4) المطبوعة : يشكل وهو خطأ . (*)

أحدا في أمره ، حتى تحققت الشيمتان له صلى الله عليه وسلم لم يناع

فيهما (5) * (هامش) * (5) الشفاء 190 الطبعة العثمانية . (*)

هذا لفظه .

-198-

باب مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولد صلوات الله عليه وسلامه يوم الاثنين .

لما رواه مسلم في صحيحه من حديث غيلان بن جرير عن
(1) * (هامش) * (1) ط : جرير بن عبدالله ، وهو خطأ
فاحش . (*)

عبدالله بن معبد الزمانى (2) * (هامش) * (2) نسبة
إلى زمان بن مالك بطن من ربيعة . (*)

عن أبى قتادة أن أعرابيا قال : يا رسول الله ، ما تقول
في صوم يوم الاثنين ؟ فقال : (ذاك

يوم ولدت فيه وأنزل على فيه) .

وقال الامام أحمد : حدثنا موسى بن داود ، حدثنا ابن
لهيعة ، عن خالد بن أبى عمران ،

عن حنش الصنعانى ، عن ابن عباس ، قال : ولد رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم

الاثنين ، واستنبت يوم الاثنين ، وخرج مهاجرا من مكة إلى
المدينة يوم الاثنين ، وقدم

المدينة يوم الاثنين ، وتوفى يوم الاثنين ، ورفع الحجر يوم
الاثنين .

تفرد به أحمد ، ورواه عمرو بن بكير عن ابن لهيعة ،
وزاد : نزلت سورة المائدة يوم

الاثنين (اليوم أكملت لكم دينكم) .

وهكذا رواه بعضهم عن موسى بن داود به ، وزاد أيضا :
وكانت وقعة بدر

يوم الاثنين . وممن قال هذا يزيد بن حبيب . وهذا منكر
جدا .

قال ابن عساكر : والمحفوظ أن بدرا ونزول (اليوم أكملت
لكم دينكم) يوم

الجمعة وصدق ابن عساكر .

وروى عبدالله بن عمر ، عن كريب ، عن ابن عباس : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

يوم الاثنين وتوفى يوم الاثنين . وهكذا روى من غير هذا الوجه عن ابن عباس أنه ولد

يوم الاثنين .

199

وهذا مالا خلاف فيه أنه ولى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين .

وأبعد بل أخطأ من قال : ولد يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من ربيع الاول .

نقله الحافظ ابن دحية فيما قرأه في كتاب (إعلام الروى بأعلام الهدى) لبعض الشيعة .

ثم شرع ابن دحية في تضعيفه وهو جدير بالتضعيف إذ هو خلاف النص .

ثم الجمهور على أن ذلك كان في شهر ربيع الاول ، ف قيل : لليلتين خلتا منه . قاله

ابن عبدالبر في الاستيعاب ، ورواه الواقدي عن أبى معشر نجيح بن عبدالرحمن المدنى .

وقيل لثمان خلون منه . حكاه الحميدى عن ابن حزم . ورواه مالك وعقيل ويونس

ابن يزيد وغيرهم عن الزهرى عن محمد بن جبير بن مطعم .

ونقل ابن عبدالبر عن أصحاب التاريخ أنهم صحوه وقطع به الحافظ الكبير محمد

ابن موسى الخوارزمى . ورجحه الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه : (التنوير في

مولد البشر النذير) .

وقيل لعشر خلون منه نقله ابن دحية في كتابه . ورواه
ابن عساكر عن أبي جعفر

الباقر ورواه مجالد عن الشعبي كما مر .

وقيل لثنتي عشرة خلت منه . نص عليه ابن إسحاق .
ورواه ابن أبي شيبة في

مصنفه عن عفان ، عن سعيد بن ميناء ، عن جابر وابن
عباس أنهما قالوا : ولد رسول الله

صلى الله عليه وسلم عام الفيل يوم الاثنين الثاني عشر
من شهر ربيع الاول وفيه بعث

وفيه عرج به إلى السماء ، وفيه هاجر وفيه مات . وهذا
هو المشهور عند الجمهور

والله أعلم .

وقيل لسبعة عشر خلت منه : كما نقله ابن دحية عن
بعض الشيعة .

وقيل لثمان بقين منه : نقله ابن دحية من خط الوزير أبي
رافع بن الحافظ أبي محمد

-200-

ابن حزم عن أبيه . والصحيح عن ابن حزم الاول أنه لثمان
مضين منه ، كما نقله عنه

الحميدى وهو أثبت .

والقول الثاني : أنه ولد في رمضان . نقله ابن عبد البر عن
الزبير بن بكار ، وهو قول

غريب جدا ، وكان مستنده أنه عليه الصلاة والسلام أوحى إليه في رمضان بلا خلاف

وذلك على رأس أربعين سنة من عمره ، فيكون مولده في رمضان وهذا فيه نظر

والله أعلم .

وقد روى خيثمة بن سليمان الحافظ ، عن خلف بن محمد كردوس الواسطي ، عن

المعلی بن عبدالرحمن ، عن عبدالحميد بن جعفر ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبدالله ،

عن ابن عباس قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين في ربيع الاول ،

وأنزلت عليه النبوة يوم الاثنين في أول شهر ربيع الاول ، وأنزلت عليه البقرة يوم الاثنين

في ربيع الاول .

وهذا غريب جدا . رواه ابن عساكر .

قال الزبير بن بكار : حملت به أمه في أيام التشريق في شعب أبي طالب عند الجمرة

الوسطي . وولد بمكة بالدار المعروفة بدار محمد بن يوسف أخى الحجاج بن يوسف لثنتي عشرة

ليلة خلت من شهر رمضان .

ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق محمد بن عثمان بن عقبة مكرم ، عن المسيب

ابن شريك . عن شعيب بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : حمل برسول الله

صلى الله عليه وسلم في يوم عاشوراء في المحرم ، وولد يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من

شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة أصحاب الفيل .

وذكر غيره أن الخيزران ، وهى أم هارون الرشيد ، لما
حجت أمرت ببناء هذه

الدار مسجدا . فهو يعرف بها اليوم .

-201-

وذكر السهيلي أن مولده عليه الصلاة والسلام كان في
العشرين من نيسان . وهذا

.....
- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 201 سطر 1 الى ص
210 سطر 21

وذكر السهيلي أن مولده عليه الصلاة والسلام كان في
العشرين من نيسان . وهذا

أعدل الزمان والفصول ، وذلك لسنة اثنتين وثمانين
وثمانمائة لذي القرنين فيما ذكر

أصحاب الزيغ .

وزعموا أن الطالع كان لعشرين درجة من الجدى ، وكان
المشترى وزحل مقترنين في

ثلاث درج من العقرب وهى درجة وسط السماء . وكان
موافقا من البروج الحمل ،

وكان ذلك عند طلوع القمر أول الليل . نقله كله ابن دحية
والله أعلم .

قال ابن إسحاق : وكان مولده عليه الصلاة والسلام عام
الفيل .

وهذا هو المشهور عن الجمهور . قال إبراهيم بن المنذر الحزامي (1) * (هامش) * (1) نسبة إلى جده الأعلى خالد بن حزام . (*)

: وهو الذى لايشك

فيه أحد من علمائنا أنه عليه الصلاة والسلام ولد عام الفيل ، وبعث على رأس أربعين سنة

من الفيل .

وقد رواه البيهقي من حديث أبي إسحاق السبيعي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس

قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني المطلب بن عبدالله بن قيس بن مخرمة ، عن أبيه

عن جده قيس بن مخرمة ، قال ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ،

كنا لدين (2) * (هامش) * ابن هشام : فنحن لدان . (*)

قال وسأل عثمان رضى الله عنه قباث بن أشيم أخا بنى يعمر بن ليث ، أنت أكبر

أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر منى ،

وأنا أقدم منه في الميلاد . ورأيت خزق الفيل . (3) * (هامش) * (3) خزق الفيل : روثه . (*)

أخضر محيلا . ورواه الترمذى والحاكم

من حديث محمد بن إسحاق به .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
عام عكاظ ابن عشرين سنة .

وقال ابن إسحاق : كان الفجار بعد الفيل بعشرين سنة ،
وكان بناء الكعبة بعد

الفجار بخمس عشرة سنة ، والمبعث بعد بنائها بخمس
سنين .

وقال محمد بن جبير بن مطعم : كانت عكاظ بعد الفيل
بخمس عشرة سنة ، وبناء

الكعبة بعد عكاظ بعشر سنين ، والمبعث بعد بنائها بخمس
عشرين سنة .

وروى الحافظ البيهقي من حديث عبدالعزيز بن أبي ثابت
المديني : حدثنا الزبير

ابن موسى ، عن أبي الحويرث قال : سمعت عبد الملك بن
مروان يقول لقيث بن أشيم

الكناني ثم الليثي : يا قباث أنت أكبر أم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ؟ قال :

رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر مني ، وأنا أسن .
ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

عام الفيل ، ووقفت بي أمي على روث الفيل محيلا أعقله
، وتبأ رسول الله صلى الله

عليه وسلم على رأس أربعين سنة .

وقال يعقوب بن سفيان حدثنا يحيى بن عبدالله بن بكير ،
حدثنا نعيم ، يعنى

ابن ميسرة ، عن بعضهم ، عن سويد بن غفلة أنه قال :
أنا لدة رسول الله صلى الله

عليه وسلم ولدت عام الفيل .

قال البيهقي : وقد روى عن سويد بن غفلة أنه قال : أنا
أصغر من رسول الله صلى الله

عليه وسلم بسنتين .

قال يعقوب : وحدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا عبدالعزيز
بن أبي ثابت ، حدثني

عبدالله بن عثمان بن أبي سليمان النوفلي ، عن أبيه ،
عن محمد بن جبير بن مطعم . قال : ولد

رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، وكانت بعده
عكاظ (1) * (هامش) * (1) عكاظ : يوم من أيام
العرب . (*)

بخمسة عشرة سنة ،

-203-

وبنى البيت على رأس خمس وعشرين سنة من الفيل ،
وتنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم

على رأس أربعين سنة من الفيل .

والمقصود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد عام
الفيل على قول الجمهور .

ف قيل بعده بشهر ، وقيل بأربعين يوما ، وقيل بخمسين
يوما ، وهو أشهر .

وعن أبي جعفر الباقر : كان قدوم الفيل للنصف من
المحرم ، ومولد رسول الله

صلى الله عليه وسلم بعده بخمس وخمسين ليلة .

وقال آخرون : بل كان عام الفيل قبل مولد رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعشر

سنين . قاله ابن أبي

وقيل بثلاث وعشرين سنة رواه شعيب بن شعيب عن أبيه
عن جده كما تقدم .

وقيل : بعد الفيل بثلاثين سنة . قاله موسى بن عقبة عن
الزهري رحمه الله . واختاره

موسى بن عقبة أيضا رحمه الله .

وقال أبوزكريا العجلاني : بعد الفيل بأربعين عاما ، رواه
ابن عساكر وهذا غريب جدا .

وأغرب منه ما قاله خليفة بن خياط : حدثني شعيب بن
حبان ، عن عبدالواحد

ابن أبي عمرو عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن
عباس ، قال : ولد رسول الله

صلى الله عليه وسلم قبل الفيل بخمس عشرة سنة .
وهذا حديث غريب ومنكر

وضعيف أيضا .

قال خليفة بن خياط : والمجمع عليه أنه عليه السلام ولد
عام الفيل .

-204-

صفة مولده الشريف عليه الصلاة والسلام

قد تقدم أن ع بدالمطلب لما ذبح تلك الابل المائة عن
ولده عبدالله ، حين كان نذر

ذبحه فسلمه الله تعالى ، لما كان قدر في الازل من
ظهور النبي الامى صلى الله عليه وسلم

خاتم الرسل وسيد ولد آدم من صلبه ، ذهب كما تقدم
فزوجه أشرف عقيلة في قريش ،

آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة الزهرية ، فحين
دخل بها وافضى إليها حملت

برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد كانت أم قتال رقيقة بنت نوفل ، أخت ورقة بن نوفل ، توسمت ما كان بين

عيني عبدالله قبل أن يجامع آمنة من النور ، فودت أن يكون ذلك متصلا بها لما

كانت تسمع من أخيها من البشارات بوجود محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه قد أرف

زمانه فعرضت نفسها عليه . قال بعضهم : ليتزوجها وهو أظهر . والله أعلم ، فامتنع عليها ،

فلما انتقل ذلك النور الباهر إلى آمنة بمواقعة إياها كأنه ندم على ما كانت عرضك

عليه . فتعرض لها لتعاوده . فقالت : لاجحة لى فيك . وتأسفت على ما فاتها من ذلك

وأنشدت في ذلك ما قدمناه من الشعر الفصيح البليغ . وهذه الصيانة لعبد الله ليست له

وإنما هي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه كما قال تعالى (الله أعلم حيث

يجعل رسالته) .

وقد تقدم الحديث المروى من طريق جيد أنه قال عليه الصلاة والسلام : (ولدت

من نكاح لا من سفاح) .

والمقصود أن أمه حين حملت به توفى أبوه عبدالله وهو حمل في بطن أمه

على المشهور .

قال محمد بن سعد : حدثنا محمد بن عمر ، هو الواقدي ، حدثنا موسى بن عبيدة اليزيدي ،

وحدثنا سعيد بن أبي زيد ، عن أيوب بن عبدالرحمن بن
أبي صعصعة ، قال : خرج

عبدالله بن ع بدالمطلب إلى الشام إلى غزة في غير من
عيران قريش يجمعونه تجارات ،

ففرغوا من تجارتهم ، ثم انصرفوا فمروا بالمدينة ،
وعبدالله بن ع بدالمطلب يومئذ مريض ،

فقال أتخلف عند أخوالي بني عدى بن النجار .

فأقام عندهم مريضا شهرا ومضى أصحابه فقدموا مكة ،
فسألهم ع بدالمطلب عن ابنه

عبدالله ، فقالوا : خلفناه عند أخواله بني عدى بن النجار
وهو مريض .

فبعث إليه ع بدالمطلب أكبر ولده الحارث ، فوجده قد
توفى ودفن في دار النابغة
فرجع إلى أبيه فأخبره .

فوجد عليه ع بدالمطلب وإخوته وأخواته وجدا شديدا .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ حمل ، ولعبد
الله بن ع بدالمطلب يوم توفى

خمس وعشرون سنة .

قال الواقدي : هذا هو أثبت الاقاويل في وفاة عبدالله
وسنة عندنا .

قال الواقدي : وحدثني معمر عن الزهري ، أن ع
بدالمطلب بعث عبدالله إلى المدينة

يمتار لهم تمرا فمات .

قال محمد بن سعد : وقد أنبأنا هشام بن محمد بن
السائب الكلبي عن أبيه ، وعن

عوانه الحكم . قالا : توفى عبدالله بن ع بدالمطلب بعد
مأتى على رسول الله صلى

الله عليه وسلم ثمانية وعشرون شهرا ، وقيل سبعة أشهر

وقال محمد بن سعد : والاول أثبت ، أنه توفى ورسول
الله صلى الله عليه

وسلم حمل .

وقال الزبير بن بكار : حدثنى محمد بن حسن ، عن
عبدالسلام ، عن ابن خربوذ ،

-206-

قال : توفى عبدالله بالمدينة ورسول الله صلى الله عليه
وسلم ابن شهرين ، وماتت

أمه وهو ابن أربع سنين ، ومات جده وهو ابن ثمان سنين
فأوصى به إلى عمه

أبى طالب .

والذى رجحه الواقدي وكاتبه الحافظ محمد بن سعد أنه
عليه الصلاة والسلام توفى

أبوه وهو جنين في بطن أمه .

وهذا أبلغ اليتيم وأعلى مراتبه .

وقد تقدم في الحديث (ورؤيا أمى الذى رأته حين حملت
بى كأنه خرج منها نور

اضاءت له قصور الشام) .

وقال محمد بن إسحاق : فكانت آمنة بنت وهب أم رسول
الله صلى الله عليه

وسلم تحدث أنها أتيت حين حملت برسول الله صلى الله
عليه وسلم فقيل لها : إنك قد حملت

بسيده هذه الامه ، فاذا وقع إلى الارض فقولى :

أعيذه بالواحد ، من شر كل حاسد ، من كل بر عاهد *
(هامش) * (1) الذى فى ابن هشام إلى قوله : حاسد .
وهذه الزيادة باختلاف فى الوفا والدلائل . (*)

وكل عبد رائد ، يزود

عنى ذائد ، فإنه عند الحميد الماجد ، حتى أراه قدأتى
المشاهد .

وأية ذلك أنه يخرج معه نور يملا قصور بصرى من أرض
الشام ، فإذا وقع فسميه

محمدا ، فإن اسمه فى التوراة أحمد ، يحمده أحمد ،
يحمده أهل السماء وأهل الارض ، واسمه فى الانجيل

أحمد ، يحمده أهل السماء وأهل الارض ، واسمه فى
القرآن محمد .

وهذا وذاك يقتضى أنها رأت حين حملت به عليه السلام
كانه خرج منها

نور أضاءت له قصور الشام ، ثم لما وضعته رأت عيانا
تأويل ذلك كما رآته قبل ذلك

هاهنا . والله أعلم .

-207-

وقال محمد بن سعد : أنبأنا محمد بن عمر ، هو الواقدى
، حدثنا محمد بن عبدالله بن

مسلم ، عن الزهرى . وقال الواقدى : حدثنا موسى بن
عبدة ، عن أخيه ، ومحمد بن كعب

القرظى ، وحدثنى عبدالله بن جعفر الزهرى ، عن عمته
أم بكر بنت المسور عن أبيها .

وحدثنا عبدالرحمن بن إبراهيم المزني وزياد ابن حشرج ،
عن أبي وجزة . وحدثنا معمر ، عن

أبي نجيح ، عن مجاهد . وحدثنا طلحة بن عمرو ، عن
عطاء ، عن ابن عباس . دخل حديث

بعضهم في حديث بعض : أن آمنة بنت وهب قالت : لقد
علقت به - تعنى رسول الله صلى الله

عليه وسلم - فما وجدت له مشقة حتى وضعته ، فلما
فصل منى خرج معه نور أضاء له ما بين

المشرق والمغرب ، ثم وقع إلى الارض معتمدا على يديه
، ثم أخذ قبضة من التراب

فقبضها ورفع رأسه إلى السماء .

وقال بعضهم : وقع جاثيا على ركبتيه ، وخرج معه نور
أضاءت له قصور الشام

وأسواقها ، حتى رؤيت أعناق الابل ببصرى ، رافعا رأسه
إلى السماء .

وقال الحافظ أبوبكر البيهقي : أنبأنا محمد بن عبدالله
الحافظ ، وأنبأنا محمد بن إسماعيل

أنبأنا محمد بن إسحاق ، حدثنا يونس بن مبشر بن الحسن
، حدثنا يعقوب بن محمد

الزهري ، حدثنا عبدالعزيز بن عمران حدثنا عبدالله بن
عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن

مطعم ، عن أبيه ، عن ابن أبي سويد الثقفي ، عن
عثمان بن أبي العاص ، حدثتني أمي : أنها

شهدت ولادة آمنة بنت وهب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليلة ولادته ، قالت : فما شئ

أنظره في البيت إلا نور ، وإنى أنظر إلى النجوم تدنو
حتى إنى لاقول لتقعن على .

وذكر القاضي عياض عن الشفاء أم عبدالرحمن بن عوف
أنها كانت قابلته ، وأنها

أخبرت به حين سقط على يديها واستهل سمعت قائلاً
يقول : يرحمك الله . وإنه سطم منه

نور رثيت منه قصور الروم .

-208-

قال محمد بن إسحاق : فلما وضعته بعثت إلى ع
بدالمطلب جاريتها ، وقد هلك أبوه

وهى حبلى ، ويقال إن عبدالله هلك والنبي صلى الله عليه
وسلم ابن ثمانية وعشرين شهرا ،

فا لله أعلم أى ذلك كان - فقالت : قد ولد لك غلام
فانظر إليه .

فلما جاءها أخبرته وحدثته بما كانت رأت حين حملت به ،
وما قيل لها فيه ، وما

أمرت أن تسميه .

فأخذه ع بدالمطلب فأدخله على هبل في جوف الكعبة ،
فقام ع بدالمطلب يدعو

ويشكر الله عزوجل ويقول :

- الحمد لله الذى أعطانى * هذا الغلام الطيب الاردان -

- قد ساد في المهدي على الغلمان * أعيذه بالبيت ذى
الاركان -

- حتى يكون بلغة الفتيان * حتى أراه بالغ البنيان -

- أعيذه من كل ذى شنان * من حاسد مضطرب العنان -

- ذى همة ليس له عينان * حتى أراه رافع اللسان -

- أنت الذى سميت في القرآن * في كتب ثابتة المثانى -

* أحمد مكتوب على اللسان *

وقال البيهقي : أنبأنا أ بو عبدالله الحافظ ، أنبأنا أبوبكر محمد بن أحمد بن حاتم الدرابردي (1) * (هامش) * (1) كذا ولعلها نسبة إلى دراورد . (*)

- بمرؤ - حدثنا أ بو عبدالله البوشنجي ، حدثنا أبوأيوب سليمان بن

سلمة الخبائري ، حدثنا يونس بن عطاء بن عثمان بن ربيعة بن زياد بن الحارث الصدائي

بمصر ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن أبيه العباس

ابن عبد المطلب رضى الله عنه . قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مختونا

-209-

مسرورا . قال : فأعجب جدّه ع بدالمطلب وحظي عنده ، وقال : ليكونن لابني هذا شأن . فكان له شأن .

وهذا الحديث في صحته نظر .

وقد رواه الحافظ ابن عساكر ، من حديث سفيان بن محمد المصيصي ، عن هشيم ،

عن يونس بن عبيد ، عن الحسن عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(من كرامتى على الله أنى ولدت مختونا ولم ير سواتى أحد) .

ثم أورده من طريق الحسن بن عرفة عن هشيم به .

ثم أورده من طريق محمد بن محمد بن سليمان - هو الباغندي - حدثنا عبدالرحمن

ابن أيوب الحمصي ، حدثنا موسى بن أبي موسى
المقدسي ، حدثني خالد بن سلمة ، عن نافع ،

عن ابن عمر ، قال : ولد رسول الله صلى الله عليه
وسلم مسرورا مختونا .

وقال أبونعيم : حدثنا أبوأحمد محمد بن أحمد الغطريفى ،
حدثنا الحسين بن أحمد بن

عبدالله المالكي ، حدثنا سليمان بن سلمة الخبائري ،
حدثنا يونس بن عطاء ، حدثنا الحكم

ابن أبان ، حدثنا عكرمة ، عن ابن عباس ، عن أبيه
العباس ، قال : ولد رسول الله صلى

الله عليه وسلم مختونا مسرورا ، فأعجب ذلك جده عبد
المطلب وحظى عنده ، وقال

ليكونن لابنى هذا شأن . فكان له شأن .

وقد ادعى بعضهم صحته لما ورد له من الطرق ، حتى
زعم بعضهم أنه متواتر .

وفى هذا كله نظر .

ومعنى مختونا : أى مقطوع الختان . ومسرورا : أى مقطوع
السرة من

بطن أمه .

(14 - السيرة - 1)

-210-

وقد روى الحافظ ابن عساكر من طريق عبدالرحمن بن
عيينة البصرى ، حدثنا على

ابن محمد المدائنى السلمى ، حدثنا سلمة بن محارب بن
مسلم بن زياد ، عن أبيه ، عن أبي

بكرة ، أن جبريل ختن النبي صلى الله عليه وسلم حين
طهر قلبه .

وهذا غريب جدا .

وقد روى أن جده ع بدالمطلب ختنه وعمل له دعوة جمع
قريشا عليها .

والله أعلم .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأني محمد بن
كامل القاضي - شفاها -

أن محمد بن إسماعيل حدثه - يعنى السلمى - حدثنا
أبو صالح عبدالله بن صالح ، حدثني

معاوية بن صالح ، عن أبي الحكم التنوخي . قال : كان
المولود إذا ولد في قريش دفعوه

إلى نسوة من قريش إلى الصبح يكفان عليه برمة ، فلما
ولد رسول الله صلى الله عليه

وسلم دفعه ع بدالمطلب إلى نسوة فكفأن عليه برمة ،
فلما أصبحن أتين فوجدن البرمة قد

انفلقت عنه باثنتين ، ووجدنه مفتوح العينين شاخصا ببصره
إلى السماء . فاتاهن عبد

المطلب فقلن له : ما رأينا مولودا مثله ، وجدناه قد
انفلقت عنه البرمة ، ووجدناه

مفتوحا عينيه شاخصا ببصره إلى السماء .

فقال : احفظنه فإنى أرجو أن يكون له شأن ، أو أن
يصيب خيرا .

فلما كان اليوم السابع ذبح عنه ودعا له قريشا ، فلما
أكلوا قالوا : يا ع بدالمطلب ،

أرأيت ابنك هذا الذي أكرمتنا على وجهه ، ما سميته ؟
قال : سميته محمدا . قالوا : فما

رغبت به عن أسماء أهل بيته ؟ قال : أردت أن يحمد
الله في السماء وخلق في الأرض .

قال أهل اللغة : كل جامع لصفات الخير يسمى محمدا ،
كما قال بعضهم :

- إليك - أبيت اللعن - أعملت ناقتي * إلى الماجد القرم
الكريم المحمد

-211-

وقال بعض العلماء : ألهمهم الله عزوجل أن سموه محمدا
لما فيه من الصفات الحميدة ،

.....

- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 211 سطر 1 الى ص
220 سطر 21

وقال بعض العلماء : ألهمهم الله عزوجل أن سموه محمدا
لما فيه من الصفات الحميدة ،

ليلتقى الاسم والفعل ، ويتطابق الاسم والمسمى في
الصورة والمعنى ، كما قال عمه أبوطالب ،

ويروى لحسان : - وشق له من إسمه ليحمله * فذو العرش
محمود وهذا محمد -

وسنذكر أسماءه عليه الصلاة والسلام وشمائله ، وهى
صفاته الظاهرة وأخلاقه الطاهرة

ودلائل نبوته وفضائل منزلته في آخر السيرة إن شاء الله

.

قال الحافظ أبوبكر البيهقي : أنبأنا أ بو عبدالله الحافظ ،
حدثنا أ بوالعباس محمد بن

يعقوب ، حدثنا أحمد بن شيبان الرملى ، حدثنا أحمد بن
إبراهيم الحبلى ، حدثنا الهيثم

ابن جميل ، حدثنا زهير ، عن محارب بن دثار ، عن
عمرو بن يثربى ، عن العباس بن

ع بدالمطلب ، قال قلت : يا رسول الله ، دعانى إلى
الدخول في دينك أمانة لنبوتك ،

رأيتك في المهد تناغى القمر وتشير إليه بإصبعك ، فحيث
أشرت إليه مال . قال :

(إنى كنت أحدثه وبحدثنى ويلهينى عن البكاء ، واسمع
وجبته حين يسجد

تحت العرش) .

ثم قال : تفرد به - أحمد بن إبراهيم الحبلى - وهو مجهول
* (هامش) * الاصل : تفرد به الليثى . وما أثبتته عن
الخصائص . وليس في السند الليثى . وهذا الخبر أخرجه
أيضا

الخطيب وابن عساكر في تاريخهما . وهو غريب الاسناد
والمتن . (*)

فصل

فيما وقع من الآيات ليلة مولده عليه الصلاة والسلام
قد ذكرنا في باب هواتف الجان ما تقدم من خرور كثير
من الاصنام ليلتئذ

لوجوهها وسقوطها عن أماكنها ، وما رآه النجاشى ملك
الحبشة ، وظهور النور معه

حتى أضاءت له قصور الشام حين ولد ، وما كان من
سقوطه جاثيا رافعا رأسه إلى

السماء ، وانفلاق تلك البرمة عن وجهه الكريم ، وما
شوهده من النور في المنزل الذي ولد

فيه ودنو النجوم منهم وغير ذلك .

حكى السهيلي عن تفسير بقى بن مخلد الحافظ ، أن
إبليس رن أربع رنات :

حين لعن ، وحين أهبط ، وحين ولد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وحين

أنزلت الفاتحة .

قال محمد بن إسحاق : وكان هشام بن عروة يحدث عن
أبيه عن عائشة قالت : كان

يهودى قد سكن مكة يتجر بها ، فلما كانت الليلة التي ولد
فيها رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال في مجلس قريش : يا معشر قريش هل ولد
فيكم الليلة مولود ؟ فقال القوم :

والله ما نعلمه . فقال الله أكبر ، أما إذا أخطأكم فلا بأس
، انظروا واحفظوا ما أقول

لكم : ولد هذه الليلة نبي هذه الأمة الاخيرة ، بين كتفيه
علامة فيها شعرات متواترات

كأنهن عرف فرس ، لا يرضع ليلتين ، وذلك أن عفريتا من
الجن أدخل أصبعه في فمه

فمنعه الرضاع .

فتصدع القوم من مجلسهم وهم يتعجبون من قوله وحديثه
، فلما صاروا إلى منازلهم

أخبر كل إنسان منهم أهله فقالوا : قد والله ولد لعبد الله بن ع بدالمطلب غلام سموه محمدا .

فالتقى القوم فقالوا : هل سمعتم حديث اليهودى وهل بلغكم مولد هذا الغلام ؟ فانطلقوا

حتى جاءوا اليهودى فأخبروه الخبر . قال فذهبوا معى حتى أنظر إليه . فخرجوا به حتى

أدخلوه على آمنة فقالوا : أخرجى إلينا ابنك . فأخرجته وكشفوا له عن ظهره . فرأى

تلك الشامة ، فوقع اليهودى مغشيا عليه ، فلما أفاق قالوا له : مالك ويحك ؟ قال : قد ذهبت والله

-213-

النبوة من بنى إسرائيل ، فرحتم بها يا معشر قريش ؟ والله ليسطون بكم سطوة يخرج

خبرها من المشرق والمغرب (1) * (هامش) * (1) كان الرسول نبى رحمة ولم يكن نبى عذاب ، (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) لذلك لا بد من

الاحتراس في فهم هذه النصوص التى تكررت مثل قوله فيما سبق :

- ولهم آخر الزمان نبى * يكثر القتل فيهم والخموشا -

ولعلها من تزيد الرواة . (*)

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى صالح بن إبراهيم - بن عبدالرحمن بن عوف - (2) * (هامش) * (2) سقطت من المطبوعة . (*)

عن

يحيى - بن عبدالله - (2) * (هامش) * (2) سقطت من المطبوعة . (*)

بن عبدالرحمن بن سعد بن زرارة قال : حدثنى من شئت من

رجال قومى - ممن لأتهم - (3) * (هامش) * (3) ليست في ابن هشام . (*)

عن حسان بن ثابت . قال : إنى لسلام يفة ابن سبع سنين - أو ثمان ، أعقل ما رأيت وسمعت (4) * (هامش) (4) * ابن هشام : (أعقل كل

ما سمعت ، إذ سمعت يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أظمة يثرب : يا معشر يهود حتى إذا اجتمعوا إليه . .)

وهذا مثل على عدم التزام المؤلف للنص فيما ينقل . (*) إذا بيهودى في يثرب يصرخ ذات غداة :

يا معشر يهود . فاجتمعوا إليه - وأنا أسمع - فقالوا ويلك مالك ؟ قال : قد طلع نجم أحمد

الذى يولد به في هذه الليلة .

وروى الحافظ أبونعيم في كتاب (دلائل النبوة) من حديث أبى بكر بن

عبدالله العامرى ، عن سليمان بن سحيم وذريح (5) * (هامش) * (5) دلائل النبوة : ورميح بن عبدالرحمن (*)

بن عبدالرحمن ، كلاهما عن عبدالرحمن

ابن أبى سعيد عن أبيه ، قال : سمعت أبى مالك بن سنان يقول : جئت بنى عبد الاشهل

يوما لاتحدث فيهم ، ونحن يومئذ في هدنة من الحرب ، فسمعت يوشع اليهودى يقول :

أظل خروج نبى يقال له أحمد يخرج من الحرم . فقال له خليفة بن ثعلبة الاشهل ،

كالمستهزئ به : ما صفته ؟ فقال رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ، في عينيه حمرة ، يلبس

الشملة ويركب الحمار ، سيفه على عاتقه وهذا البلد مهاجرة . قال : فرجعت إلى قومي

-214-

بنى خدرة وأنا يومئذ أتعجب مما يقول يوشع ، فأسمع رجلا منا يقول : ويوشع يقول هذا

وحده ؟ ! كل يهود يثرب يقولون هذا .

قال أبى مالك بن سنان : فخرجت حتى جئت بنى قريظة فأجد جمعا ، فتذاكروا

النبي صلى الله عليه وسلم . فقال الزبير بن باطا : قد طلع الكوكب الاحمر الذى لم يطلع

إلا لخروج نبي أو ظهوره ، ولم يبق أحد إلا أحمد ، وهذا مهاجرة . قال أبوسعيد : فلما قدم

النبي صلى الله عليه وسلم أخبره أبى هذا الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لو أسلم

الزبير لاسلم ذووه من رؤساء اليهود ، إنما هم له تبع) .

وقال أبونعيم : حدثنا عمر بن محمد ، حدثنا إبراهيم بن السندی ، حدثنا النضر بن سلمة ،

حدثنا إسماعيل بن قيس بن سليمان بن زيد بن ثابت ، عن إبراهيم بن يحيى بن ثابت ،

سمعت زيد بن ثابت يقول : كان أحبار يهود بنى قريظة والنضير يذكرون صفة النبي

صلى الله عليه وسلم ، فلما طلع الكوكب الاحمر أخبروا أنه نبي وأنه لانبى بعده ، واسمه

أحمد ومهاجره إلى يثرب ، فلما قدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم المدينة أنكروا

وحسدوا وكفروا . وقد أورد هذه القصة الحافظ أبو نعيم في
كتابه من طرق أخرى

ولله الحمد .

وقال أبو نعيم ومحمد بن حبان : حدثنا أبو بكر بن أبي عاصم
، حدثنا وهب بن بقية

حدثنا خالد ، عن محمد بن عمر ، عن أبي سلمة ويحيى
بن عبدالرحمن بن حاطب ، عن

أسامة بن زيد ، قال : قال زيد بن عمرو بن نفيل : قال
لى حبر من أحبار الشام : قد خرج

في بلدك نبى ، أو هو خارج ، قد خرج نجمه ، فارجع
فصدقه واتبعه .

-215-

ذكر ارتجاس الايوان

وسقوط الشرفات ، وخبود النيران ، ورؤيا الموبدان ،
وغير ذلك من الدلالات

قال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطى
في كتاب هواتف الجان :

حدثنا على بن حرب ، حدثنا أبو أيوب يعلى بن عمران ،
من آل جرير بن عبدالله

البيجلى ، حدثنى مخزوم بن هانئ المخزومى ، عن أبيه -
وأنت عليه خمسون ومائة سنة -

قال : لما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ارتجس إيوان كسرى ،

وسقطت منه أربع عشرة شرفة ، وخدمت نار فارس ،
ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ،

وغاضت بحيرة ساوة . ورأى الموبدان إبلا صعبا تقود خيلا
عرايا قد قطعت دجلة

وانتشرت في بلادهم ، فلما أصبح كسرى أفزعه ذلك
فتصبر عليه تشجعا ، ثم رأى أنه

لايدخر ذلك عن مرازبته ، فجمعهم ولبس تاجه وجلس
على سريره . ثم بعث إليهم فلما

اجتمعوا عنده . قال : أتدرون فيم بعثت إليكم ؟ قالوا : لا
إلا أن يخبرنا الملك . فبينما

هم كذلك إذ ورد عليهم كتاب خمود النيران فازداد غما
إلى غمه ، ثم أخبرهم بما

رأى وما هاله .

فقال الموبدان : وأنا ، أصلح الله الملك ، قد رأيت في
هذه الليلة رؤيا . ثم قص عليه

رؤياه في الابل . فقال : أى شئ يكون هذا يا موبدان ؟
قال : حدث يكون في ناحية

العرب . وكان أعلمهم من أنفسهم .

فكتب عند ذلك : من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن
المنذر ، أما بعد فوجه

إلى برجل عالم بما أريد أن أسأله عنه . فوجه إليه بعبد
المسيح بن عمرو بن حيان بن

بقيلة * (هامش) * (1) المطبوعة : نفيلة وهو خطأ .
(*)

الغسانى ، فلما ورد عليه قال له : ألك علم بما أريد أن
أسألك عنه ؟ فقال : لتخبرنى

أو ليسلنى الملك عما أحب ، فإن كان عندى منه علم وإلا
أخبرته بمن يعلم . فأخبره بالذى

-216-

وجه به إليه فيه . قال : علم ذلك عند خال لى يسكن
مشارف الشام يقال له سطيح . قال

فأته فاسأله عما سألتك عنه ثم انتهى بتفسيره .

فخرج عبد المسيح حتى انتهى إلى سطيح وقد أشفى على
الضريح ، فسلم عليه وكلمه

فلم يرد إليه سطيح جواباً فأنشأ يقول :

- أصم أم يسمع غطريف اليمن * أم فاد فازلم به شأو
العنن * (هامش) * (1) فاد : مات . قال :

رعى خرزات الملك عشرين حجة * وعشرين حتى فاد
والشيب شامل -

وازلم : ذهب مسرعاً . والاصل فيه ازلام فحذفت الهمزة
تخفيفاً . وقيل : أصلها ازلام ، كاشهاب

فحذفت الالف تخفيفاً أيضاً . وشأو العنن : اعتراض الموت
على الخلق . وقيل : ازلم : قبض . والعنن :

الموت . أى عرض له الموت فقبضه . وقد تصحفت الرواية
في النهاية : أن فار . انظر النهاية 2 / 139 . (*)

-

يا فاصل الخطة أعيت من ومن * أتاك شيخ الحى من آل
سنن -

وأمه من آل ذئب بن حجن * أزرق نهم الناب صرار الاذن
* (هامش) * (2) صرار الاذن : ينصبها للاستماع . (*)

-

- أبيض فضفاض الرداء والبدن * رسول قيل العجم يسرى
للوسن * (هامش) * (3) وتروى : ينمى للسون . والوسن
: أول النوم . (*)

-

- تجوب بي الارض علنداة شزن * لا يرهب الرعد ولاريب
الزمن * (هامش) * (4) العلنداة : القوية من النوق .
والشزن : التي تمشى من نشاطها على جانب . شزن فلان
إذا نشط .

وقيل : الشزن : المعى من الحلفاء .

هذا والمشهور في رواية البيت :

- تجوب بي الارض علنداة شزن * ترفعنى وجنا وتهوى بي
وجن -

أما الشطر الثانى هنا فيروى :

- رسول قيل العجم ينمى للوسن * لا يرهب الوغد ولا
ريب الزمن -

-

ترفعنى وجنا وتهوى بي وجن * حتى أتى عارى الجأجى
والقطن * (هامش) * (5) الوجن بفتح فسكون ويفتحين
: الارض الغليظة الصلبة . ويروى بالضم جمع وحين .
والجأجى :

جمع جؤجؤ ، وهو عظام الصدر . والقطن بفتح الطاء :
أسف الظهر . وقيل : الصواب القطن بكسر

الطاء جمع قطنة وهى ما بين الفخذين . (*)

-

تلفه في الريح بوغاء الدمن * كأنما حثثت من حضنى تكن
(1) * (هامش) * (1) البوغاء : التراب الناعم . والدمن :
ما تدمن منه ، أى تجمع وتلبد . وتشهد له الرواية الأخرى
:

* تلفحه الريح ببوغاء الدمن *

وحثثت : حرك . والثكن : جبل .

وقد وردت هذه القصة في لسان العرب 3 / 312 ، وفى
الاكتفا للكلاعى بتحقيقى باختلاف وزيادة ونقص

قال الأزهرى وهو حديث حسن غريب . (*)

قال : فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه يقول : عبد
المسيح ، على جمل مشيح ، أتى

سطيح ، وقد أوفى على الضريح ، بعثك ملك بنى ساسان
، لارتجاس الأيوان ، وخمود

النيران ، ورؤيا الموبدان ، رأى إبلا صعبا ، تقود خيلا
عرابا ، قد قطعت دجلة ،

وانتشرت في بلادها .

يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة ، وظهر صاحب الهراوة ،
وفاض وادى السماوة ،

وغاضت بحيرة ساوة ، وخدمت نار فارس ، فليس الشام
لسطيح شاما . يملك منهم ملوك

وملكات ، على عدد الشرفات وكلما هو آت آت .

ثم قضى سطيح مكانه .

فنهض عبد المسيح إلى راحلته وهو يقول :

- شمر فإنك ماضى العزم شمير * لايفزعنك تفريق وتغيير
-

إن يمس ملك بنى ساسان أفرطهم * فإن ذا الدهر أطوار
دهارير -

- فربما ربما اضحوا بمنزلة * يخاف صولهم الاسد المهاصير
-

- منهم أخو الصرح بهرام وإخوته * والهرمزان وسابور
وسابور -

- والناس أولاد علات فمن علموا * أن قد أقل فمحذور
ومهجور -

- ورب قوم لهم صحبان ذى أذن * بدت تلهيهم فيه
المزامير -

وهم بنو الام إما إن رأوا نشبا * فذاك بالغيب محفوظ
ومنصور -

-218-

- والخير والشر مقرونان في قرن * فالخير متبع والشر
محذور -

قال : فلما قدم عبد المسيح على كسرى أخبره بما قال
له سطيح ، فقال كسرى : إلى

أن يملك منا أربعة عشر ملكا كانت أمور وأمور !

فملك منهم عشرة في أربع سنين ، وملك الباقيون إلى
خلافة عثمان رضى الله عنه .

ورواه البيهقى من حديث عبدالرحمن بن محمد بن إدريس
، عن على بن حرب

الموصلى بنحوه .

قلت : كان آخر ملوكهم - الذى سلب منه الملك يزدجرد
بن شهريار بن أبرويز بن

هرمز بن أنوشروان وهو الذى انشق الايوان في زمانه .
وكان لاسلافه في الملك ثلاثة

آلاف سنة ومائة وأربعة وستون سنة . وكان أول ملوكهم
جيومرت * (1) (هامش) * (1) ويقال له : كيومرت .
رفى ط : خيومرت (*)

بن أميم بن

لاوذ بن سام بن نوح - وقد تقدم ترجمة شق وسطيح في
أخبار أهل اليمن - (2) * (هامش) * (2) . من
المخطوطة ا . (*)

أما سطيح هذا فقال الحافظ ابن عساكر في تاريخه : هو
الربيع بن ربيعة بن مسعود

ابن مازن بن ذئب بن عدى بن مازن بن الازد . ويقال
الربيع بن مسعود وأمه ردعا بنت

سعد بن الحارث الحجورى . وذكر غير ذلك في نسبه .
قال : وكان يسكن الجابية .

ثم روى عن أبى حاتم السجستاني قال : سمعت المشيخة
منهم أبوعبيدة وغيره قالوا :

وكان من بعد لقمان بن عاد . ولد في زمن سيل العرم
وعاش إلى ملك ذى نواس وذلك

نحو من ثلاثين قرنا ، وكان مسكنه البحرين وزعمت
عبدالقيس أنه منهم وتزعم الازد أنه

منهم وأكثر المحدثين يقولون هو من الازد ولاندرى ممن
هو غير أن ولده يقولون

إنه من الازد . * (هامش) * ؟ (3) من هنا إلى قال
أبونعيم مكتوب بحاشية الحلبية لم يرد في النسخة ا
واكتفى بقوله : وقد تقدم . . (*)

وروى عن ابن عباس أنه قال : لم يكن شئ من بنى آدم يشبه سطيحا ، إنما كان لحما

على وضم ليس فيه عظم ولاعصب إلا في رأسه وعينه وكفيه ، وكان يطوى كما يطوى

الثوب من رجليه إلى عنقه ، ولم يكن فيه شئ يتحرك إلا لسانه .

وقال غيره : إنه كان إذا غضب انتفخ وجلس .

ثم ذكر ابن عباس أنه قدم مكة فتلقاه جماعة من رؤسائهم منهم عبد شمس

وعبد مناف أبناء قصى ، فامتحنوه في أشياء فأجابهم فيها بالصدق ، فسألوه عما يكون في

آخر الزمان ، فقال : خذوا منى ومن إلهام الله إياي : أنتم الآن يا معشر العرب في زمان

الهرم ، سواء بصائرکم وبصائر العجم ، لا علم عندكم ولا فهم ، وينشئ من عقبكم ذووفهم ،

يطلبون أنواع العلم فيكسرون الصنم ، ويتبعون الردم ، ويقتلون العجم ، يطلبون الغنم .

ثم قال : والباقي الابد ، والبالغ الامد ليخرجن من ذاالبلد ، نبي مهتد ، يهدى إلى

الرشد ، يرفض يغوث والفند ، يبرأ عن عبادة الضد ، يعبد ربا انفراد ، ثم يتوفاه الله بخير

دار محمودا ، من الارض مفقودا ، وفي السماء مشهودا ، ثم يلي أمره الصديق ، إذا قضى

صدق ، وفي رد الحقوق لا خرق ولا نزق ، ثم يلي أمره الحنيف ، مجرب غطريف ، قد

أضاف المضيف ، وأحكم التحنيف . ثم ذكر عثمان ومقتله وما يكون بعد ذلك من أيام

بنى أمية ثم بنى العباس . وما بعد ذلك من الفتن
والملاحم . ساقه ابن عساكر بسنده عن

ابن عباس بطوله .

وقد قدمنا قوله لربيعة بن نصر ملك اليمن حين أخبره
برؤياه قبل أن يخبره بها ، ثم

ما يكون في بلاد اليمن من الفتن وتغيير الدول ، حتى
يعود إلى سيف بن ذي يزن فقال له :

أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع .
قال : ومن يقطعه ؟ قال نبي زكى

يأتيه الوحي من قبل العلى . قال : وممن هذا النبي ؟ قال
: من ولد غالب بن فهر ، بن مالك

-220-

ابن النضر ، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر . قال :
وهل للدهر من آخر ؟ قال :

نعم ، يوم يجمع فيه الاولون والآخرون ، يسعد فيه
المحسنون ويشقى فيه المسيئون . قال

أحق ما تخبرني ؟ قال : نعم والشفق والغسق والقمر إذا
اتسق إن ما أنباتك عليه لحق .

ووافقه على ذلك شق سواء بسواء بعبارة أخرى كما تقدم

ومن شعر سطيح قوله :

- عليكم بتقوى الله في السر والجهر * ولا تلبسوا صدق
الامانة بالقدر -

- وكونوا لجار الجنب خصنا وجنة * إذا ما عرته النائبات من
الدهر -

وروى ذلك الحافظ ابن عساكر ، ثم أورد ذلك المعافى بن زكريا الجريري فقال :

وأخبار سطّيح كثيرة وقد جمعها غير واحد من أهل العلم .
والمشهور أنه كان كاهنا ، وقد

أخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن نعته ومبعثه .
وروى لنا بإسناد الله به أعلم أن

النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن سطّيح فقال : (نبي
ضيعه قومه) .

قلت : أما هذا الحديث فلا أصل له في شئ من كتب
الاسلام المعهودة ، ولم أره

بإسناد أصلا ، ويروى مثله في خبر خالد بن سنان العبسى
ولا يصح أيضا .

وظاهر هذه العبارات تدل على علم جيد لسطّيح ، وفيها
روائح التصديق ، لكنه

لم يدرك الإسلام كما قال الجريري . فإنه قد ذكرنا في
هذا الاثر أنه قال لابن أخته :

يا عبدالمسيح إذا كثرت التلاوة ، وظهر صاحب الهراوة ،
وفاض وادى السماوة ، وغاضت

بحيرة ساوة ، وخدمت نار فارس ، فليس الشام لسطّيح
شاما ، يملك منهم ملوك

وملكات ، على عدد الشرفات وكل ماهو آت آت . ثم
قضى سطّيح مكانه وكان ذلك

بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهر - أو شيعه
* (هامش) (1) المطبوعة : أوشية . وهو تحريف . (*)

- أى أقل منه .

وكانت وفاته بأطراف الشام مما يلي أرض العراق . فالله أعلم بأمره

.....
- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 221 سطر 1 الى ص 230 سطر 22

وكانت وفاته بأطراف الشام مما يلي أرض العراق . فالله أعلم بأمره

وما صار إليه .

وذكر ابن طرار الجريري * (هامش) * (1) ابن طرار الجريري : هو الامام المشهور أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريري النهروانى . وقد

ذكره ابن كثير قريبا باسمه . اللباب 1 / 224 . (*)

أنه عاش سبعمائة سنة . وقال غيره خمسمائة سنة ، وقيل ثلاثمائة سنة فالله أعلم .

وقد روى ابن عساكر أن ملكا سأل سطيحا عن نسب غلام اختلف فيه ، فأخبره

على الجلية في كلام طويل مليح فصيح . فقال له الملك يا سطيح ألا تخبرنى عن علمك هذا ؟

فقال : إن علمى هذا ليس منى ولا بجزم ولا بظن ، ولكن أخذته عن أخ لى قد سمع الوحى

بطور سيناء . فقال له أرأيت أخاك هذا الجنى أهو معك لايفارقك ؟ فقال : إنه ليزول

حيث أزول ، ولا أنطلق إلا بما يقول .

وتقدم أنه ولد هو وشق بن مصعب بن يشكر بن رهم بن بسر بن عقبة الكاهن

الآخر ، ولدا في يوم واحد ، فحملا إلى الكاهنة طريفة
بنت الحسين الحميدية فتفلت في

أفواههما فورثا منها الكهانة ، وماتت من يومها . وكان
نصف إنسان ويقال إن خالد بن

عبدالله القسرى من سلالة ، وقد مات شق قبل سطيح
بدهر .

وأما عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن ببيعة *
(هامش) * (2) المطبوعة : نفيمة . وهو خطأ . (*)

الغسانى النصرانى

فكان من المعمرين .

وقد ترجمه الحافظ بن عساكر في تاريخه وقال هو الذى
صالح خالد بن الوليد على

- الحيرة * (هامش) * (3) سقطت من الاصل وهى من
الاشتقاق لابن دريد 485 . (*) - وذكر له معه قصة طويلة
وأنه أكل من يده سم ساعة فلم يصبه سوء ، لانه

لما أخذه قال : بسم الله وبالله رب الارض والسما الذى
لايضر مع اسمه أذى . ثم أكله

-222-

فعلته غشية فضرب بيديه على صدره ، ثم عرق وأفاق
رضى الله عنه وذكر لعبد المسيح

أشعارا غير ما تقدم * (هامش) * (1) إلى هنا آخر
الحاشية التى أثبتتها المطبوعة عن النسخة الحلبية (*)

وقال أبونعيم : حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن ، حدثنا
محمد بن عثمان بن أبى

شبية ، حدثنا عقبة بن مكرم ، حدثنا المسيب بن شريك ،
حدثنا محمد بن شريك ، عن

شعيب بن شعيب ، عن أبيه عن جده قال : كان بمر
الظهران راهب من الرهبان يدعى

عيسا من أهل الشام ، وكان مخفرا بالعاص بن وائل ،
وكان الله قد آتاه علما كثيرا

وجعل فيه منافع كثيرة لاهل مكة من طيب ورفق وعلم .

وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة في كل سنة فيلقى
الناس ويقول : إنه يوشك أن

أن يولد فيكم مولود يا أهل مكة يدين له العرب ويملك
العجم ، هذا زمانه ، ومن أدركه

واتعبه أصاب حاجته ، ومن أدركه فخالفه خطأ حاجته ،
وبالله ما تركت أرض الخمر والخمير

والامن ولاحللت بأرض الجوع والبؤس والخوف إلا في طلبه .

وكان لا يولد بمكة مولد إلا يسأل عنه ، فيقول ما جاء بعد
فيقال له :

فصفه . فيقول لا .

ويكتم ذلك للذي قد علم أنه لاق من قومه ، مخافة على
نفسه أن يكون ذلك داعية

إلى أدنى ما يكون إليه من الاذى يوما .

ولما كان صبيحة اليوم الذي ولد فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم خرج عبدالله

ابن ع بدالمطلب حتى أتى عيسا ، فوقف في أصل
صومعته ثم نادى : يا عيساه . فناداه من

هذا ؟ فقال : أنا عبدالله . فأشرف عليه فقال : كن أباه
فقد ولد المولود الذي كنت أحدثكم عنه يوم الاثنين ،
ويبعث يوم الاثنين ، يموت الاثنين .

قال : فإنه قد ولد لى مع انصبح مولود . قال فما سميته ؟ قال : محمدا قال : والله لقد

كنت أشتهى أن يكون هذا المولود فيكم أهل البيت لثلاث خصال نعرفه بها ، منها

أن نجمه طلع البارحة ، وأنه ولد اليوم ، وأن اسمه محمد . انطلق إليه فإن الذى كنت

أخبركم عنه ابنك . قال فما يدريك أنه ابنى ؟ ولعله أن يولد في هذا اليوم مولود غيره ؟

قال : قد وافق ابنك الاسم ، ولم يكن الله ليشبه علمه على العلماء فإنه حجة . وأية ذلك

أنه الآن وجع فيشتكى أياما ثلاثة ، فيظهر به الجوع ثلاثا ثم يعافى . فاحفظ لسانك ،

فإنه لم يحسد أحد حسده قط ، ولم يبغ على أحدكما يبغى عليه ، إن تعش حتى يبدو مقاله

ثم يدعو لظهر لك من قومك ما لاتحتمله إلا على صبر وعلى ذل ، فاحفظ لسانك ودار

عنه . قال : فما عمره ؟ قال : إن طال عمره وإن قصر لم يبلغ السبعين ، يموت في وتر

دونها من الستين في إحدى وستين أو ثلاث وستين في أعمار جل أمته .

قال : وحمل برسول الله صلى الله عليه وسلم في عاشر المحرم . وولد يوم الاثنين لثنتى

عشرة خلت من رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة أصحاب الفيل .

هكذا رواه أبونعيم (1) * (هامش) * (1) ورواه أيضا ابن عساكر (*)

وفيه غرابة .

ذكر حواضنه ومراضعه عليه الصلاة والسلام

كانت أم أيمن واسمها بركة تحضنه ، وكان قد ورثها عليه الصلاة والسلام

من أبيه فلما كبرأعتقها وزوجها مولاه زيد بن حارثة ، فولدت له أسامة بن زيد

رضى الله عنهم .

وأرضعته مع أمه عليه الصلاة والسلام مولاة عمه أبي لهب ثوية قبل

حليمة السعدية .

-224-

أخرج البخارى ومسلم في صحيحهما من حديث الزهرى عن عروة بن الزبير ، عن

زينب بنت أم سلمة ، عن أم حبيبة بنت أبى سفيان ، قالت : يا رسول الله انكح أختى

بنت أبى سفيان ولمسلم : (عزة بنت أبى سفيان) .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أو تحبين ذلك ؟) قلت : نعم لست لك بمخلية

وأحب من شاركنى في خير أختى .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (فإن ذلك لايجل لى) .

قالت : فإننا تحدث أنك تريد أن تنكح بنت أبى سلمة ، وفى رواية : (درة بنت

أبى سلمة) قال : (بنت أم سلمة ؟) قلت : نعم . قال : (إنها لو لم تكن ربيبتى فى

حجرتى ما حلت لى ، إنها لابنة أختى من الرضاعة ،
أرضعتنى وأبا سلمة ثوية ، فلا تعرضن على بناتكن ولا
أخواتكن)

زاد البخارى : قال عروة : وثوية مولاة لآبى لهب أعتقها
فأرضعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم .

فلما مات أبولهب أراه بعض أهله بشر خيبة ، فقال له :
ماذا لقيت ؟ فقال أبولهب :

لم ألق بعدكم خيرا ، غير أنى سقيت فى هذه بعتاقتى
ثوية . أشار إلى النقرة التى بين
الابهام والتى تليها من الاصابع .

وذكر السهلى وغيره : أن الرأى له هو أخوه العباس .
وكان ذلك بعد سنة من

وفاة أبى لهب بعد وقعة بدر . وفيه إن أبالهب قال
للعباس : إنه ليخفف على فى مثل

يوم الاثنين .

قالوا : لانه لما بشرته ثوية بميلاد ابن أخيه محمد بن
عبدالله أعتقها من ساعته ،

فجوزى بذلك لذلك .

-225-

ذكر رضاعه عليه الصلاة والسلام

من حليلة بنت أبى ذؤيب السعدية وما ظهر عليه من
البركة وآيات النبوة

قال محمد بن إسحاق : فاسترضع له عليه الصلاة والسلام
من حليلة بنت أبى ذؤيب ،

واسمه عبدالله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام بن
ناصره - بن فضية بن نصر - * (هاشم) * (1) من ابن
هشام . (*)

ابن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن
خصفة * (هاشم) * (2) المطبوعة : حفصة ، وهو خطأ .

بن قيس عيلان

ابن مضر .

قال : واسم أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي
أرضعه - يعنى زوج حليلة .

الحارث بن عبدالعزيز بن رفاعه بن ملان بن ناصره بن
سعد بن بكر بن هوازن .

وإخوته عليه الصلاة والسلام من الرضاعة : عبدالله بن
الحارث ، وأنيسة بنت

الحارث ، وخدامة * (هاشم) * (3) قال السهيلي : وقال
غيره حذافة بالحاء المضمومة وبالفاء مكان الميم . (*)

بنت الحارث ، وهى الشيماء ، وذكروا أنها كانت تحضن
رسول

الله صلى الله عليه وسلم مع أمه إذ كان عندهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى جهم بن أبى جهم - مولى
لامرأة من بنى تميم كانت عند

الحارث بن حاطب ، ويقال له - * (هاشم) * (4) ليست
في ابن هشام . (*)

مولى الحارث بن حاطب ، قال : حدثنى من سمع

عبدالله بن جعفر بن أبى طالب قال : حدثت عن حليلة
بنت الحارث أنها قالت : قدمت

مكة في نسوة - وذكر الواقدي بإسناده أنهن كن عشرة
نسوة من بنى سعد بن بكر

يلتمسن بها الرضعاء - من بنى سعد نلتمس بها الرضعاء
في سنة شهباء * (هامش) * (5) شهباء : مجدبة . (*)

، فقدمت

-226-

على أتان لى قمراء كانت أذمت بالركب * (هامش) * (1)
(القمراء التى يميل لونها إلى الخضرة . وقد ذكرها
السهيلي أولا : أذمت وقال : تريد أنها حبستهم

وكأنه من الماء الدائم وهو الواقف . ويروى : (حتى أذمت
(أى أذمت الاتان أى جاءت بما تدم

عليه) والمعنى أنها أبطأت عليهم حتى حبستهم . (*)

، ومعى صبى لنا ، وشارف لنا والله

ماتبض * (هامش) * (2) ماتبض : ماترشح . (*)

بقطرة ، وما ننام لينا ذلك أجمع مع صبينا ذاك ، ما نجد
* (هامش) * (3) العجيب أن ابن كثير رحمه الله يعدل
عن لفظ ابن إسحاق ويخلطه بما يفسد المعنى ، ولو أنه
أثبته

بنصه لكفى وأغنى ، وإليك نص ابن إسحاق : (وما ننام
ليلنا أجمع من صبينا الذى معنا ، من بكائه من

الجوع ، ما فى ثدى . . . الخ) ولو ذهبنا نتتبع مفارقات
المؤلف فى نقله عن ابن إسحاق لطال بنا الامر ،

ويكفى أن نعلم أن ابن كثير يلخص المعنى بعبارته ويزيد
ويحذف ولا يلتزم النص إلا قليلا . (*)

فى ثدى ما يغنيه

ولا في شارقنا ما يغذيه ، ولكننا كنا نرجو الغيث والفرج ،
فخرجت على أتاني تلك فلقد

أذمت بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفا وعجفا .

فقد منا مكة ، فو الله ما علمت منا امرأة إلا وقد عرض
عليها رسول الله صلى الله

عليه وسلم فتأباه إذا قيل إنه يتيم ، تركناه قلنا : ماذا
عسى أن تصنع إلينا أمه ؟ إنما نرجو

المعروف من أبي الولد ، فأما أمه فماذا عسى أن تصنع
إلينا ! فو الله ما بقى من صواحيب امرأة

إلا أخذت رضيعا غيرى .

فلما لم نجد غيره وأجمعنا الانطلاق قلت لزوجي الحارث
بن عبدالعزى : والله إنى

لاكره أن أرجع من بين صواحيب ليس معى رضيع ،
لانطلقن إلى ذلك اليتيم فلاخذنه .

فقال : لا عليك أن تفعلى ، فعسى أن يجعل الله لنا فيه
بركة .

فذهبت فأخذته ، فوالله ما أخذته إلا أنى لم أجد غيره .

فما هو إلا أن أخذته فجئت به رحلى فأقبل عليه ثدياى
بما شاء من لبن ، فشرب

حتى روى وشرب أخوه حتى روى ، وقام صاحبى إلى
شارقنا تلك فإذا إنها لحافل ،

فحلب ما شرب وشربت حتى روينا ، فبتنا بخير ليلة .

-227-

فقال صاحبى حين أصبحنا : يا حليلة والله إنى لاراك قد
أخذت نسمة مباركة ،

ألم ترى ما ابتنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه ؟ !
فلم يزل الله عزوجل

يزيدنا خيرا .

ثم خرجنا راجعين إلى بلادنا فو الله لقطعت أتانى بالركب
حتى ما يتعلق بها حمار ،

حتى أن صواحبى ليقلن : ويلك يا بنت أبى ذؤيب ! هذه
أتانك التى خرجت عليها معنا ؟

فأقول : نعم والله إنها لهى . فيقلن : والله إن لها لشأنا .

حتى قدمنا أرض بنى سعد ، وما أعلم أرضا من أرض الله
أجذب منها ، فإن كانت

غنمى لتسرح ثم تروح شباعا لبنا فنحلب ما شئنا ، وما
حوالينا أو حولنا أحد تبض له

شاة بقطرة لبن ، وإن أغنامهم لتروح جياعا ، حتى إنهم
ليقولون لرعاتهم أو لرعيانهم : ويحكم انظروا حيث تسرح
غنم بنت أبى ذؤيب فاسرحوا معهم . فيسرحون مع غنمى

حيث تسرح ، فتروح أغنامهم جياعا ما فيها قطرة لبن ،
وتروح أغنامى شباعا لبنا

نحلب ماشئنا .

فلم يزل الله يرينا البركة نتعرفها .

حتى بلغ سنتين فكان يشب شبابا لاثشبه الغلمان ، فو
الله ما بلغ السنيتين حتى كان

غلاما جفرا * (هامش) * (1) الجفر : الغليظ . (*)

فقدمنا به على أمه ونحن أضن شئ به مما رأينا فيه من
البركة ، فلما رآته

أمه ، قلت لها : دعينا نرجع بابننا هذه السنة الاخرى ، فإننا
نخشى عليه وباء مكة .

فو الله مازلنا بها حتى قالت : نعم . فسرحته معنا فأقمنا به شهرين أو ثلاثة .

فبينما هو خلف بيوتنا مع أخ له من الرضاعة في بهم لنا جاء أخوه ذلك يشتد ،

فقال : ذاك أخى القرشى جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعه فشقا بطنه .

-228-

فخرجت أنا وأبوه نشدت نحوه ، فنجدته قائما منتقعا لونه ، فاعتنقه أبوه وقال : يا بنى

ما شأنك ؟ قال : جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض ، أضجعانى وشقا بطنى ، ثم استخرجا

منه شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان . فرجعنا به معنا ، فقال أبوه : يا حليلة لقد خشيت أن

يكون ابنى قد أصيب فانطلقى بنا نرده إلى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف . قالت حليلة :

فاحتملناه فلم ترع أمه إلا به ، فقدمنا به عليها فقالت : مارد كما به ياظئر ، فقد كنتما عليه

حريصين ؟ فقالا : لا والله ، إلا أن الله قد أدى عنا وقضينا الذى علينا وقلنا نخشى الاتلاف

والاحداث نرده إلى أهله . فقالت : ماذا بكما ، فاصدقانى شأنكما . فلم تدعنا حتى أخبرناها

خبره ، فقالت : أخشيتما عليه الشيطان ؟ ! كلا والله مالىلشيطان عليه من سبيل ، والله إنه

لكائن لابنى هذا شأن ، ألا أخبركما خبره ؟ قلنا : بلى . قالت : حملت به فما حملت حملا

قط أخف منه * (هامش) * (1) يوهم ذلك أنها حملت بغيره ، وهو غير ثابت . (*)

، فأريت في النوم حين حملت به كأنه خرج منى نور
أضاءت له قصور

الشام ، ثم وقع حين ولدته وقوعا ما يقعه المولود ،
معتمدا على يديه رافعا رأسه إلى السماء ،
فدعاه عنكما .

وهذا الحديث قد روى من طرق آخر ، وهو من الاحاديث
المشهورة المتداولة بين
أهل السير والمغازى .

وقال الواقدي : حدثني معاذ بن محمد ، عن عطاء بن أبي
راح ، عن ابن عباس ،

قال : خرجت حليلة تطلب النبي صلى الله عليه وسلم
وقد وجدت البهم ثقيل ، فوجدته مع

أخته فقالت : في هذا الحر ؟ فقالت أخته : يا أمه ما وجد
أخي حرا ، رأيت غمامة تظل

عليه ، إذا وقف وقفت ، وإذا سار سارت ، حتى انتهى
إلى هذا الموضع .

وقال ابن إسحاق : حدثني ثور بن يزيد ، عن خالد بن
معدان ، عن أصحاب رسول

الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا له : أخبرنا عن
نفسك . قال : (نعم أنا دعوة أبي إبراهيم

-229-

وبشرى عيسى عليهما السلام ، ورأت أمى حين حملت بي
أنه خرج منهانور أضاءت له

قصور الشام ، واسترضعت في بنى سعد بن بكر ، فبينما
أنا في بهم لنا أتاني رجلان عليهما

ثياب بيض معهما طست من ذهب مملوء ثلجا ، فأضجعاني
فشقا بطني ثم استخرجا قلبي

فشقاه فأخرجا منه علقة سوداء فألقياها ، ثم غسلا قلبي
وبطني بذلك الثلج ، حتى إذا أنقياه

رداه كما كان ، ثم قال أحدهما لصاحبه . زنه بعشرة من
أمته . فوزنتني بعشرة فوزنتهم ،

ثم قال : زنه بمائة من أمته . فوزنتني بمائة فوزنتهم . ثم
قال زنه بألف من أمته . فوزنتني

بألف فوزنتهم ، فقال : دعه عنك ، فو وزنته بأمته لوزنهم
(.

وهذا إسناد جيد قوى .

وقد روى أبونعيم الحافظ في الدلائل من طريق عمر بن
الصبح ، وهو أبونعيم ، عن

ثور بن يزيد ، عن مكحول ، عن شداد بن أوس هذه
القصة مطولة جدا ، ولكن

عمر بن صبح هذا متروك كذاب متهم بالوضع . فلهذا لم
نذكر لفظ الحديث

إذ لا يفرح به .

ثم قال : وحدثنا أبو عمرو بن حمدان ، حدثنا الحسن بن
نغير ، حدثنا عمرو بن

عثمان ، حدثنا بقية بن الوليد ، عن بحير بن سعيد ، عن
خالد بن معدان ، عن عبدالرحمن

ابن عمرو السلمى ، عن عتبة بن عبدالله ، أنه حدثه أن
رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم

فقال : كيف كان أول شأن يا رسول الله ؟ قال : (كانت
حاضنتي من بنى سعد بن بكر ،

فانطلقت أنا وابن لها في بهم لنا ولم نأخذ معنا زادا ،
فقلت : يا أخی اذهب فائتنا بزاد

من عند أمنا . فانطلق أخی ومكثت عند البهم ، فأقبل
طائران أبيضان كأنهما نسران ،

فقال أحدهما لصحابه : أهو هو ؟ فقال نعم ! فأقبلا
يبتدراني ، فأخذاني فبطحاني للققا فشفا

بطني ثم استخرجا قلبي فشقا ، فأخرجا منه علقتين
سوداوين ، فقال أحدهما لصاحبه :

230

ائتنى بماء ثلج . فغسلا به جوفى . ثم قال : ائتنى بماء برد
. فغسلا به قلبي . ثم قال : ائتنى

بالسكينة فذرهما في قلبي . ثم قال أحدهما لصاحبه : خطه
. فخاطه وختم على قلبي بخاتم

النبوة ، فقال أحدهما لصاحبه : اجعله في كفة واجعل ألفا
من أمته في كفة . فإذا أنا أنظر

إلى الالف فوقى أشفق أن يخر على بعضهم . فقال : لو
أن أمته وزنت به لمال بهم . ثم

انطلقا فتركانى وفرقت فرقا شديدا ، ثم انطلقت إلى أمى
فأخبرتها بالذى لقيت ، فأشفقت

أن يكون قد لبس بى ، فقالت : أعيدك بالله . فرحلت بعيرا
لها وحملتني على الرحل .

وركبت خلفى ، حتى بلغنا إلى أمى ، فقالت : أديت أمانتى
وذمتى . وحدثتها

بالذى لقيت ، فلم يرعها ، وقالت : إني رأيت خرج منى
نور أضاءت منه

قصور الشام) .

ورواه أحمد من حديث بقية بن الوليد به . وهكذا رواه
عبدالله بن المبارك وغيره

عن بقية بن الوليد به .

وقد رواه ابن عساكر من طريق أبي داود الطيالسي ،
حدثنا جعفر بن عبدالله بن

عثمان القرشي ، أخبرني عمير بن عمر بن عروة بن
الزبير ، قال سمعت عروة بن الزبير يحدث

عن أبي ذر الغفاري قال : قلت يا رسول الله كيف علمت
أنك نبي حين علمت ذلك

واستيقنت أنك نبي ؟ قال : (يا أباذر ، أتانى ملكان وأنا
ببعض بطحاء مكة ، فوقع

أحدهما على الأرض ، وكان الآخر بين السماء والأرض ،
فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟

قال : هو هو . قال زنه برجل . فوزنتى برجل فرجته)
وذكر تمامه ، وذكر شق

صدره وخطاطته وجعل الخاتم بين كتفيه قال : (فما هو إلا
أن وليا عنى فكانما أعاين

الامر معاينة) .

ثم أورده ابن عساكر عن أبي بن كعب بنحو ذلك ، ومن
حديث شداد بن أوس

بأبسط من ذلك .

-231-

وثبت في صحيح مسلم من طريق حماد بن سلمة ، عن
ثابت ، عن أنس بن مالك :

.....

- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 231 سطر 1 الى ص
240 سطر 22

وثبت في صحيح مسلم من طريق حماد بن سلمة ، عن
ثابت ، عن أنس بن مالك :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه
السلام وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه

فصرعه فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب واستخرج منه
علقة سوداء ، فقال : هذا حظ

الشیطان ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ،
ثم لامه ، ثم أعاده في مكانه ، وجاء

الغلمان يسعون إلى أمه - یعنی ظئره - فقالوا : إن محمدا
قد قتل . فاستقبلوه وهو منتقع

اللون . قال أنس : وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في
صدره .

وقد رواه ابن عساكر من طريق ابن وهب ، عن عمرو
بن الحارث عن عبد ربه

ابن سعيد ، عن ثابت البناني ، عن أنس ، أن الصلاة
فرضت بالمدينة ، وأن ملكين

أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبا به إلى زمزم
فشقا بطنه فأخرجا حشوته في

طست من ذهب فغسلاه بماء زمزم ثم لبسا جوفه حكمة
وعلما .

ومن طريق ابن وهب أيضا ، عن يعقوب بن عبدالرحمن
الزهري ، عن أبيه عن

عبدالرحمن بن عامر بن عتبة بن أبي وقاص ، عن أنس
قال : أتى رسول الله صلى الله عليه

وسلم ثلاث ليال : قال خذوا خيرهم وسيدهم ، فأخذوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعمد
به إلى زمزم ، فشق جوفه ثم أتى بتور من ذهب فغسل
جوفه ثم ملئ حكمة وإيمانا .
وثبت من رواية سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس .
وفي الصحيحين من طريق شريك بن أبي نمر ، عن أنس ،
وعن الزهري عن
أنس ، عن أبي ذر وقتادة عن أنس ، وعن مالك بن
صعصة عن النبي صلى الله عليه
وسلم في حديث الاسراء كما سيأتى قصة شرح الصدر
ليلتئذ وأنه غسل بماء زمزم .
ولا منافاة لاحتمال وقوع ذلك مرتين ، مرة وهو صغير ،
ومرة ليلة الاسراء
ليتأهب للوفود إلى الملا الاعلى ولمناجاة الرب عزوجل
والمثول بين يديه
تبارك وتعالى .

-232-

وقال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لأصحابه : (أنا
أعربكم ، أنا قرشى واسترضعت في بني سعد بن بكر) .
وذكر ابن إسحاق : أن حلمية لما أرجعته إلى أمه بعد
فطامه مرت به على ركب من
النصارى فقاموا إليه عليه الصلاة والسلام فقلبوه وقالوا إنا
سنذهب بهذا الغلام إلى ملكنا
فإنه كائن له شأن . فلم تكذ تنفلت منهم إلا بعد جهد .

وذكر أنها لما ردتته حين تخوفت عليه أن يكون أصابه
عارض ، فلما قربت من

مكة افتقدته فلم تجده ، فجاءت جده ع بدالمطلب فخرج
هو وجماعة في طلبه ، فوجده

ورقة بن نوفل ورجل آخر من قريش فأتيا به جده ،
فأخذه على عاتقه وذهب فطاف به

يعوذه ويدعو له ثم رده إلى أمه آمنة .

وذكر الاموى من طريق عثمان بن عبدالرحمن الوقاصى ،
وهو ضعيف ، عن

الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، قصة مولده عليه
الصلاة والسلام ورضاعه من حليلة على

غير سياق محمد بن إسحاق . وذكر أن ع بدالمطلب أمر
ابنه عبدالله ان يأخذه فيطوف

به في أحياء العرب ليتخذ له مرضعة ، فطاف حتى
أستأجر حلمية على رضاعه ، وذكر أنه

أقام عندها ست سنين تزيهه جده في كل عام ، فلما
كان من شق صدره عندهم ما كان

ردته إليهم ، فأقام عند أمه حتى كان عمره ثمانى سنين
ماتت ، فكفله جده ع بدالمطلب

فمات وله عليه الصلاة والسلام عشر سنين ، فكفله عمه
شقيقا أبيه الزبير وأبوطالب ،

فلما كان له بضع عشرة سنة خرج مع عمه الزبير إلى
اليمن . فذكر أنهم رأوا منه آيات

في تلك السفارة ، منها أن فحلا من الابل كان قد قطع
بعض الطريق في واد ممرهم عليه ،

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم برك حتى حك
بكله الارض ، فركبه عليه

الصلاة والسلام ، ومنها أنه خاض بهم سيلا عرما فأيبسه
الله تعالى حتى جاوزوه ، ثم مات

عمه الزبير وله أربع عشرة سنة فانفرد به أبوطالب .

233

والمقصود أن بركته عليه الصلاة والسلام حلت على حليلة
السعدية وأهلها وهو

صغير ، ثم عادت على هوازن بكمالهم فواضله حين
أسرهم بعد وقعتهم ، وذلك بعد فتح

مكة بشهر . فمتوا إليه برضاعه فأعتقهم وتحن عليهم
وأحسن إليهم ، كما سيأتى مفصلا في

موضعه إن شاء الله تعالى .

قال محمد بن إسحاق في وقعة هوازن : عن عمرو بن
شعيب ، عن أبيه عن جده . قال :

كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنين ، فلما
أصاب من أموالهم وسبائهم أدركه

وقد هوازن بالجعرانة وقد أسلموا ، فقالوا يا رسول الله
إنا أهل وعشيرة ، وقد أصابنا

من البلاء ما لم يخف عليك ، فامن علينا من الله عليك .
وقام خطيبهم زهير بن سرد

فقال : يا رسول الله إن ما في الحظائر من السبائا
خالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ،

فلو أنا ملحنا (1) * (هامش) * (1) يعنى أرضعنا . وابن
أبى شمر هو الحارث الغساني . (*)

ابن أبى شمر ، أو النعمان بن المنذر ثم أصابنا منهما مثل
الذى أصابنا منك

رجونا عائدتهما وعطفهما ، وأنت خير المكفولين . ثم أنشد :

- امنن علينا رسول الله في كرم * فإنك المرء نرجوه
- وندخر -

- امنن على بيضة قد عاقها قدر * ممزق شملها في دهرها
- غير -

- أبقت لنا الدهر هتافا على حزن * على قلوبهم الغماء
- والغمر -

- إن لم تداركها نعماء تنشرها * يا أرجح الناس حلما حين
- يختبر -

- امنن على نسوة قد كنت ترضعها * إذ فوك يملؤه من
- محضها درر -

- امنن على نسوة قد كنت ترضعها * وإذ يزينك ما تأتي
- وماتذر -

- لاتجعلنا كمن شالت نعامته * واستبق منا فإننا معشر زهر
-

- إنا لنشكر للنعمى وإن كفرت * وعندنا بعد هذا اليوم
- مدخر -

- وقد رويت هذه القصة من طريق عبيد الله بن رماحس
الكلبي الرملي

-234-

عن زياد بن طارق الجشمي ، عن أبي صرد زهير بن
جرول ، وكان رئيس قومه ،

قال لما أسرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين
فبينا هو يميز بين الرجال

والنساء وثبت حتى قعدت بين يديه وأسمعته شعرا ، أذكره
حين شب ونشأ في هوازن

حيث أرضعوه :

- امنن علينا رسول الله في دعة * فإنك المرء نرجوه
وننتظر -
- امنن على بيضة قد عاقها قدر * ممزق شملها في دهرها
غير -
- أبقت لنا الحرب هتافا على حزن * على قلوبهم الغماء
والغمر -
- إن لم تداركها نعماء تنشرها * يا أرجح الناس حلما حين
يختبر -
- امنن على نسوة قد كنت ترضعها * إذ فوك تملؤه من
محضها الدرر -
- إذا أنت طفل صغير كنت ترضعها * وإذ يزيناك ما تأتي
وما تذر -
- لاتجعلنا كمن شالت نعامته * واستبق منا فإنا معشر زهر
-
- إنا لنشكر للنعمى وإن كفرت * وعندنا بعد هذا اليوم
مدخر -
- فألبس العفو من قد كنت ترضعه * من أمهاتك إن العفو
مشتهر -
- إنا نؤمل عفوا منك تلبسه * هذى البرية إذ تعفو وتنصر -
- فاغفر عفا الله عما أنت راهبه * يوم القيامة إذ يهدى لك
الظفر -
- قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أما ما
كان لى ولبنى ع بدالمطلب فهو لله
ولكم) فقالت الانصار : وما كان لنا فهو لله ولرسوله
صلى الله عليه وسلم .

وسياتى أنه عليه الصلاة والسلام أطلق لهم الذرية ،
وكانت ستة آلاف ما بين صبي

وامرأة ، وأعطاهم أنعاما وأناسى كثيرا . حتى قال
أبوالحسين بن فارس : فكان

قيمة ما أطلق لهم يومئذ خمسمائة ألف ألف درهم .

فهذا كله من بركته العاجلة في الدنيا ، فكيف ببركته على
من اتبعه في الدار الآخرة ؟ !

-235-

فصل - قال ابن إسحاق بعد ذكر رجوعه عليه الصلاة
والسلام إلى أمه آمنة بعد

رضاعة حلمية له .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه آمنة بنت
وهب وجده ع بدالمطلب في

كلاءة الله وحفظه ، ينبته الله نباتا حسنا ، لما يريد به
من كرامته ، فلما بلغ ست سنين

توفيت أمه آمنة بنت وهب .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبدالله بن أبى بكر بن محمد بن
عمرو بن حزم أن أم

رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنة توفيت وهو ابن
ست سنين بالابواء بين مكة والمدينة ،

كانت قد قدمت به على أخواله من بنى عدى بن النجار
بزيره إياهم ، فماتت وهى راجعة

به إلى مكة .

وذكر الواقدي بأسانيده أن النبى صلى الله عليه وسلم
خرجت به أمه إلى المدينة ومعها

أم أيمن وله ست سنين ، فزارت أخواله .

قالت أم أيمن : فجاءنى ذات يوم رجلان من يهود المدينة
فقالا لى : أخرجى إلينا

أحمد ننظر إليه فنظرا إليه وقلباه ، فقال أحدهما لصاحبه
: هذا نبى هذه الامة وهذه دار

هجرته ، وسيكون بها من القتل والسبى أمر عظيم .

فلما سمعت أمه خافت وانصرفت به ، فماتت بالابواء وهى
راجعة .

وقد قال الامام أحمد : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا
أيوب بن جابر ، عن سماك ،

عن القاسم بن عبدالرحمن ، عن ابن بريدة عن أبيه قال
: خرجنا مع رسول الله صلى الله

-236-

عليه وسلم حتى إذا كنا بودان قال (مكانكم حتى آتيكم)
فانطلق ثم جاءنا وهو

ثقل ، فقال : (إني أتيت قبر أم محمد فسألت ربي
الشفاعة - يعنى لها - فمنعنيها ، وإنى

كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزورها ، وكنت نهيتكم عن
لحوم الاضاحى بعد ثلاثة

أيام فكلوا وأمسكوا ما بدالكم ، ونهيتكم عن الاشرية في
هذه الاوعية فاشربوا

ما بدالكم) .

وقد رواه البيهقى من طريق سفيان الثورى ، عن علقمة
بن يزيد ، عن سليمان بن

بريدة عن أبيه قال : انتهى النبى صلى الله عليه وسلم
إلى رسم قبر فجلس وجلس الناس حوله

فجعل يحرك رأسه كالمخاطب ، ثم بكى . فاستقبله عمر فقال ما يبكيك يا رسول الله ؟ قال :

(هذا قبر آمنة بنت وهب استأذنت ربي في أن أزور قبرها فأذن لي ، واستأذنته في الاستغفار

لها فأبى علي ، وأدركتني رقتها فبكيت) . قال : فما رؤيت ساعة أكثر باكيا

من تلك الساعة .

تابعه محارب بن دثار عن بريدة عن أبيه .

ثم روى البيهقي عن الحاكم ، عن الاصم ، عن بحر بن نصر ، عن عبدالله بن وهب ،

حدثنا ابن جريح ، عن أيوب بن هانئ ، عن مسروق بن الأجدع ، عن عبدالله بن مسعود

قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر في المقابر ، وخرجنا معه ، فأمرنا

فجلسنا ، ثم تخطى القبور حتى انتهى إلى قبر منها - فواجه طويلا ثم ارتفع نحيب

رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا ، فبكينا لبكاء رسول الله صلى الله

عليه وسلم .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل علينا فتلناه عمر بن الخطاب فقال :

يا رسول الله ما الذي أبكاك ؟ لقد أبكنا وأفزعنا .

-237-

فجاء فجلس إلينا فقال : (افزعكم بكائي) ؟ قلنا نعم ! قال : (إن القبر الذي

رأيتموني أناجي قبر آمنة بنت وهب ، وإنى استأذنت ربي
في زيارتها فأذن لي ،

واستأذنت ربي في الاستغفار لها فلم يأذن لي فيه ، ونزل
على (ما كان للنبي والذين آمنوا

أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي من بعد ما
تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ،

وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ،
فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ

منه إن إبراهيم لأواه حلیم * (هامش) * (1) سورة التوبة
113 ، 114 . (*)

(فأخذني ما يأخذني الولد للوالدة من الرقة ، فذلك
الذي أبكاني) .

غريب ولم يخرجوه .

وروى مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن محمد بن
عبيد ، عن يزيد بن كيسان ،

عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : زار النبي صلى الله
عليه وسلم قبر أمه ، فبكى وأبكى

من حوله ثم قال : (استأذنت ربي في زيارة قبر أمي
فأذن لي ، واستأذنته في الاستغفار لها

فلم يأذن لي ، فزوروا القبور تذكركم الموت) .

وروى مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن عفان ، عن
حماد بن سلمة ، عن ثابت ،

عن أنس ، أن رجلا قال يا رسول الله أين أبي ؟ قال : (في النار)
فلما قفا دعاه فقال :

(إن أبي وأباك في النار) .

وقد روى البيهقي من حديث أبي نعيم الفضل بن دكين ،
عن إبراهيم بن سعد ، عن

الزهري ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه قال : جاء أعرابي
إلى النبي صلى الله عليه وسلم

فقال : إن أبي كان يصل الرحم ، وكان وكان ، فأين هو
؟ قال : (في النار) .

قال : فكأن الأعرابي وجد من ذلك ، فقال : يا رسول الله
أين أبوك ؟ قال : (حيثما

مررت بقبر كافر فبشره بالنار) .

-238-

قال : فأسلم الأعرابي بعد ذلك . فقال : لقد كلفني صلى
الله عليه وسلم تعباً ،

مامررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار !

غريب ولم يخروه من هذا الوجه .

وقال الامام أحمد : حدثنا أبو عبدالرحمن ، حدثنا سعيد -
هو ابن أبي أيوب -

حدثنا ربيعة بن سيف المعافري ، عن أبي عبدالرحمن
الجبلي ، عن عبدالله بن عمرو ،

قال : بينما نحن نمشي مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذ بصر بإمرأة لا يظن أنه عرفها ،

فلما توسط الطريق وقف حتى انتهت إليه ، فإذا فاطمة
بنت رسول الله صلى الله

عليه وسلم فقال : (ما أخرجك من بيتك يا فاطمة ؟)
ف قالت : أتيت أهل هذا البيت

فترحمت إليهم ميتهم وعزيتهم . قال : (لعلك بلغت معهم
الكدي) قالت : معاذ الله

أن أكون بلغتها معهم وقد سمعتك تذكر في ذلك ما تذكر

قال : (لو بلغتها معهم ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك

ثم رواه أحمد وأبوداود والنسائي والبيهقي من حديث ربيعة
بن سيف بن مانع المعافري

الصنمى الاسكندرى ، وقد قال البخارى عنده مناكير . وقال
النسائي :

ليس به بأس . وقال

مرة : صدوق ، وفى نسخة ضعيف . وذكره ابن حبان فى
الثقات وقال : كان يخطئ كثيرا .

وقال الدارقطنى : صالح . وقال ابن يونس فى تاريخ مصر
: فى حديثه مناكير . توفى قريبا

من سنة عشرين ومائة .

والمراد بالكدى : القبور . وقيل : النوح .

والمقصود أن ع بدالمطلب مات على ما كان عليه من
دين الجاهلية خلافا لفرقة الشيعة

فيه وفى ابنه أبى طالب . على ما سيأتى فى وفاة إلى
طالب .

وقد قال البيهقى - بعد روايت هذه الاحاديث فى كتابه
(دلائل النبوة) : وكيف

-239-

لايكون أبواه وجده عليه الصلاة والسلام بهذه الصفة فى
الآخرة ، وقد كانوا يعبدون

الوثن ، حتى ماتوا ولم يدينوا دين عيسى بن مريم عليه
السلام ، وكفرهم لايقدر فى

نسبه عليه الصلاة والسلام ، لان أنكحة الكفار صحيحة . ألا تراهم يسلمون مع زوجاتهم

فلا يلزمهم تجديد العقد ولا مفارقتهم ، إذا كان مثله يجوز في الاسلام . وبالله التوفيق .

انتهى كلامه .

قلت : وإخباره صلى الله عليه وسلم عن أبويه وجده ع بدالمطلب بأنهم من أهل النار

لاينافى الحديث الوارد عنه من طرق متعددة أن أهل الفترة والاطفال والمجانين والصم

يمتحنون في العرصات يوم القيامة ، كما بسطناه سندا ومتنا - في تفسيرنا - عند قوله تعالى

(وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا) فيكون منهم من يجب ومنهم من لايجب .

فيكون هؤلاء من جملة من لايجب فلا منافاة . والله الحمد والمنة .

وأما الحديث الذي ذكره السهيلي وذكر أن في إسناده مجهولين إلى ابن أبي الزناد ،

عن عروة ، عن عائشة رضى الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يحيى

أبويه ، فأحياهما وآمنا به ، فإنه حديث منكر جدا . وإن كان ممكنا بالنظر إلى قدرة الله

تعالى . لكن الذى ثبت في الصحيح يعارضه . والله أعلم .

فصل

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده ع بدالمطلب بن هاشم

- يعنى بعد موت أمه آمنة بنت وهب - فكان يوضع لعبد
المطلب فراش في ظل الكعبة

وكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه ،
لايجلس عليه أحد من

بنيه إجلالا له .

-240-

قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي وهو
غلام جفر حتى يجلس عليه ،

فياخذه أعمامه ليؤخروه عنه ، فيقول ع بدالمطلب : إذا
رأى ذلك منهم : دعوا ابني فو الله

إن له لشأنا . ثم يجلسه معه على فراشه ويمسح ظهره
بيده ويسره مايراه يصنع .

وقال الواقدي : حدثني محمد بن عبدالله ، عن الزهري .
وحدثنا عبدالله بن جعفر ،

عن عبدالواحد بن حمزة بن عبدالله . وحدثنا هاشم بن
عاصم الاسلمى ، عن المنذر بن

جهم . وحدثنا معمر عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد .
وحدثنا عبدالرحمن بن عبدالعزيز

عن أبي الحويرث . وحدثنا ابن أبي سبرة ، عن سليمان
بن سحيم ، عن نافع ، عن ابن

جبير - دخل حديث بعضهم في بعض - قالوا : كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يكون

مع أمه آمنة بنت وهب ، فلما توفيت قبضه إليه جده ع
بدالمطلب وضمه ورق عليه رقة

لم يرقها على ولده ، وكان يقر به منه ويدنيه ، ويدخل
عليه إذا خلا وإذا نام . وكان

يجلس على فراشه فيقول ع بدالمطلب إذا رأى ذلك :
دعوا ابني إنه يؤسس ملكا .

وقال قوم من بنى مدلج لعبد المطلب : احتفظ به ، فإننا
لم نر قدما اشبه بالقدم الذي
في المقام منه .

وقال ع بدالمطلب لابي طالب : اسمع ما يقول هؤلاء !
فكان أبوطالب
يحتفظ به .

وقال ع بدالمطلب لام أيمن - وكانت تحضنه - : يا بركة
لاتغفلى عن ابني ، فإنى
وجدته مع غلمان قريب من السدرة ، وإن أهل الكتاب
يزعمون أن ابني نبي
هذه الامة .

وكان ع بدالمطلب لا يأكل طعاما إلا يقول : على بابني .
فيؤتى به إليه .

فلما حضرت ع بدالمطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ
رسول الله صلى الله
عليه وسلم وحياطته .

-241-

ثم مات ع بدالمطلب ودفن بالحجون .

.....
- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 241 سطر 1 الى ص
250 سطر 20

ثم مات ع بدالمطلب ودفن بالحجون .

وقال ابن إسحاق : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمان سنين هلك جده

ع بدالمطلب بن هاشم .

ثم ذكر جمعه بناته وأمره إياهن أن يرثينه . وهن : أروى ، وأميمة ، وبرة ،

وصفية ، وعاتكة ، وأم حكيم البيضاء .

وذكر أشعارهن وما قلن في رثاء أبيهن وهو يسمع قبل موته ، وهذا أبلغ النوح .

وبسط القول في ذلك .

وقد قال ابن هشام : ولم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر .

قال ابن إسحاق : فلما هلك ع بدالمطلب بن هاشم ولى السقاية وزمزم بعده ابنه

العباس ، وهو من أحدث إخوته سنا .

فلم تنزل إليه حتى قام الاسلام وأقرها في يده رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده ع بدالمطلب مع عمه أبي طالب لوصية

ع بدالمطلب له به ، ولأنه كان شقيق أبيه عبدالله ، أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن

عمران بن مخزوم .

قال : فكان ابوطالب هو الذى يلى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان

إليه ومعه .

وقال الواقدي : أخبرنا معمر ، عن ابن نجيح ، عن مجاهد . وحدثنا معاذ بن

محمد الانصارى ، عن عطاء ، عن ابن عباس . وحدثنا
محمد بن صالح وعبدالله بن جعفر

(16 - السيرة - 1)

-242-

وإبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة - دخل حديث بعضهم
في حديث بعض - قالوا :

لما توفى ع بدالمطلب قبض أبوطالب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكان

يكون معه .

وكان أبوطالب لا مال وكان يحبه حبا شديدا لايحبه ولده ،
وكان لاينام إلا

إلى جنبه ، ويخرج فيخرج معه .

وصب به أبوطالب صباة لم يصب مثلها بشئ قط .

وكان يخصه بالطعام ، وكان إذا أكل عيال أبى طالب
جميعا أو فرادى لم يشبعوا ،

وإذا أكل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شبعوا .
فكان إذا أراد أن يغديهم

قال كما أتم حتى يأتى ولدى . فيأتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيأكل معهم فكانوا

يفضلون من طعامهم ، وإن لم يكن معهم لم يشبعوا
فيقول أبوطالب : إنك لمبارك .

وكان الصبيان يصبحون رمضا شعثا ويصبح رسول الله صلى
الله عليه وسلم

دهينا كحिला .

وقال الحسن بن عرفة : حدثنا على بن ثابت ، عن طلحة
بن عمرو ، سمعت عطاء

ابن أبي رباح ، سمعت ابن عباس يقول : كان بنو أبي طالب يصبحون رمصا عمصا

ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا .
وكان أبوطالب يقرب إلى الصبيان صفحتهم أول البكرة ،
فيجلسون وينتهبون ،

ويكف رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فلا ينتهب معهم . فلما رأى ذلك عمه عزل له طعامه على حدة .

وقال ابن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، أن أباه حدثه

أن رجلا من لهب كان عائفا ، فكان إذا قدم مكة أتاه رجال من قريش بغلمانهم ينظر إليهم ويعتاف لهم فيهم .

-243-

قال : فأتى أبوطالب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام مع من ياتيه . قال :

فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم شغله عنه شئ . فلما فرغ قال : الغلام على

به . فلما رأى أبوطالب حرصه عليه غيبه عنه ، فجعل يقول : ويلكم ردوا على الغلام

الذي رأيته آنفا فوالله ليكون له شأن .

قال : وانطلق به أبوطالب .

فصل

في خروجه عليه الصلاة والسلام مع عمه أبي طالب إلى الشام

وقصته مع بحيرى الراهب

قال ابن إسحاق : ثم إن أبا طالب خرج في ركب تاجرا إلى الشام .

فلما تهيأ للرحيل وأجمع السير صب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

فيما يزعمون .

فرق له ابوطالب وقال : والله لاخرجن به معى ولأفارقه ولايفارقنى أبدا

أو كما قال .

فخرج به . فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام وبها راهب يقال له بحيرى في

صومعة له . وكان إليه علم أهل النصرانية ، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط راهب

فيها إليه يصير علمهم عن كتاب ، فيما يزعمون ، يتوارثونه كابرا عن كابر .

فلما نزلوا ذلك العام ببحيرى - وكانوا كثيرا مايمرون به فلا يكلمهم ولايعرض

لهم ، حتى كان ذلك العام ، فلما نزلوا قريبا من صومعته صنع لهم طعاما كثيرا ، وذلك

فيما يزعمون عن شئ رآه وهو في صومعته ، يزعمون أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم

-244-

في الركب حتى أقبل وغمامة تظلله من بين القوم ، ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريبا

منه . فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله صلى

الله عليه وسلم حتى استظل تحتها .

فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته وقد أمر بطعام
فصنع ، ثم أرسل إليهم فقال :

إنى صنعت لكم طعاما يا معشر قريش ، فأنا أحب أن
تحضروا كلكم ، كبيركم

وصغيركم ، عبدكم وحرکم .

فقال له رجل منهم : والله يا بحرى إن لك لشأنا اليوم !
ما كنت تصنع هذا بنا ،

وقد كنا نمر بك كثيرا فما شأنك اليوم ؟

قال له بحيرى : صدقت قد كان ما تقول ، ولكنكم ضيف
، وقد أحببت أن

أكرمكم وأصنع لكم طعاما فتأكلون منه كلكم .

فاجتمعوا إليه ، وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم
من بين القوم لحدائة سنه

في رجال القوم تحت الشجرة

فلما رأهم بحيرى لم ير الصفة التى يعرف ويجده عنده
فقال : يامعشر قريش لا

يتخلفن أحد منكم عن طعامى .

قالوا : يا بحيرى ما تخلف أحد ينبغى له أن يأتيك إلا غلام
، وهو أحدثنا سنا

فتخلف في رحالنا . قال : لاتفعلوا ادعوه فليحضر هذا
الطعام معكم .

قال : فقال رجل من قريش مع القوم : واللوات والعزى إن
كان للؤم بنا أن يتخلف

محمد بن عبدالله بن ع بدالمطلب عن طعام من بيننا .
ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم .

فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر إلى
أشياء من جسده قد كان يجدها

-245-

عنده من صفته ، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم
وتفرقوا قام إليه بحيرى وقال له : يا غلام :

أسألك بحق اللات والعزى إلا أخبرتنى عما أسألك عنه .

وإنما قال له بحيرى ذلك لانه سمع قومه يحلفون بهما .

فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له :
لاتسألنى باللات والعزى شيئا ،

فو الله ما أبغضت شيئا قط بغضهما . فقال له بحيرى :
فبا لله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ؟

فقال له : سلنى عما بدالك .

فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره
، فجعل رسول الله صلى الله

عليه وسلم يخبره . فوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته .

ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه موضعه
من صفته التى عنده .

فلما فرغ أقبل على عمه أبى طالب فقال : ما هذا الغلام
منك ؟ قال : ابنى .

قال بحيرى : ما هو بابنك ، وما ينبغى لهذا الغلام أن
يكون أبوه حيا .

قال : فإنه ابن أختى . قال فما فعل أبوه ؟ قال : مات
وأمه حبلى به .

قال : صدقت ، ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه
اليهود ، فوالله لئن رأوه

وعرفوا منه ما عرفت لبيغنه شرا ، فإنه كائن لابن أخيك
هذا شأن عظيم فأسرع به

إلى بلاده .

فخرج به عمه أبوطالب سريعا حتى أقدمه مكة حين فرغ
من تجارته بالشام .

قال ابن إسحاق : فزعموا فيما روى الناس أن زريرا ،
وتامما ودريسا * (هامش) * (1) محرفة بالاصل : تامما
ودريسا . وما أثبتته من ابن هشام . (*)

- وهم نفر

من أهل الكتاب - قد كانوا رأوا - من * (هامش) * (2)
سقطت من الاصل . (*)

- رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلما رأى بحيرى

في ذلك السفر الذى كان فيه مع عمه أبى طالب ،
فأرادوه فردداهم عنه بحيرى ، فذكرهم الله

وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته ، وأنهم - إن *
(هامش) * (2) سقطت من الاصل . (*)

- أجمعوا لما أردوا به لم يخلصوا

-246-

إليه . حتى عرفوا ما قال لهم وصدقوه بما قال فتركوه
وانصرفوا عنه .

وقد ذكر يونس بن بكير عن ابن إسحاق ان أبا طالب قال
في ذلك

ثلاث قصائد .

هكذا ذكر ابن إسحاق هذا السياق من غير إسناد منه .
وقد ورد نحوه من طريق

مسند مرفوع .

فقال الحافظ ابوبكر الخرائطى : حدثنا عباس بن محمد
الدورى ، حدثنا قراد أبو

نوح ، حدثنا يونس ، عن ابن * (هاشم) * (1) الاصل
أبى وهو تحريف . (*)

إسحاق ، عن أبى بكر بن أبى موسى ، عن أبيه قال :

خرج أبوطالب إلى الشام ومعه رسول الله صلى الله عليه
وسلم في أشياخ من قريش ، فلما

أشرفوا على الراهب - يعنى بحيرى - هبطوا فحلوا رحالهم
، فخرج إليهم الراهب وكانوا

قبل ذلك يمرون به فلا يخرج ولا يلتفت إليهم .

قال : فنزل وهم يحلون رحالهم ، فجعل يتخللهم حتى جاء
فأخذ بيد النبى صلى الله عليه

وسلم فقال : هذا سيد العالمين .

وفى رواية البيهقى زيادة : هذا رسول رب العالمين ، بعثه
الله رحمة للعالمين .

فقال له أشياخ من قريش : وما علمك ؟ فقال إنكم حين
أشرفتم من العقبة لم يبق

شجر ولا حجر إلا خر ساجدا ، ولا يسجدون إلا لنبى ،
وإنى أعرفه بخاتم النبوة اسفل

من غضروف كتفه .

ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به - وكان هو في
رعية الابل - فقال : أرسلوا

إليه . فأقبل وغمامة تظله . فلما دنا من القوم قال :
انظروا إليه عليه غمامة . فلما دنا من

القوم وجدهم قد سبقوه إلى فئ الشجرة فلما جلس مال
فئ الشجرة عليه . قال : انظروا
إلى فئ الشجرة مال عليه .

-247-

قال فبينما هو قائم عليهم وهو ينشدهم ألا يذهبوا به إلى
الروم ، فإن الروم إن رأوه

عرفوه بالصفة فقتلوه ، فالتفت فإذا هو بسبعة نفر من
الروم قد أقبلوا . قال : فاستقبلهم

فقال ما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا أن هذا النبي خارج في
هذا الشهر ، فلم يبق طريق إلا بعث

إليه ناس ، وإنا أخبرنا خبره إلى طريقك هذه . قال : فهل
خلفكم أحد هو خير منكم ؟

قالوا : لا إنما أخبرنا خبره إلى طريقك هذه . قال : أفرايتم
أمرا أراد الله أن يقضيه هل

يستطيع أحد من الناس رده ؟ فقالوا : لا . قال : فبايعوه
واقاموا معه عنده .

قال : فقال الراهب : أنشدكم الله أيكم وليه ؟ قالوا :
أبوطالب .

فلم يزل يناشده حتى رده وبعث معه أبوبكر بلالا وزوده
الراهب من

الكعك والزيت .

هكذا رواه الترمذي عن أبي العباس الفضل بن سهل
الاعرج عن قراد أبي نوح به .

والحاكم والبيهقي وابن عساكر من طريق أبي العباس
محمد بن يعقوب الاصم عن عباس بن

محمد الدورى به .

وهكذا رواه غير واحد من الحفاظ من حديث أبي نوح
عبدالرحمن بن غزوان

الخرزاعى مولاهم ، ويقال له الضبى ويعرف بقراد ، سكن
بغداد وهو من الثقات الذين أخرج

لهم البخارى ، ووثقة جماعة من الائمة والحفاظ ولم أر
أحدا جرحه . ومع هذا في حديثه

هذا غرابة .

قال الترمذى : حسن غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه .

وقال عباس الدورى : ليس في الدنيا أحد يحدث به غير
قراد أبي نوح ، وقد

سمعه منه أحمد بن حنبل رحمه الله ويحىى بن معين
لغرابته وانفراده . حكاه البيهقى

وابن عساكر .

248-

قلت : فيه من الغرائب أنه من مرسلات الصحابة ، فإن
أبا موسى الاشعري إنما قدم

في سنة خبير سنة سبع من الهجرة . ولا يلتفت إلى قول
ابن إسحاق في جعله له من المهاجرة

إلى أرض الحبشة من مكة .

وعلى كل تقدير فهو مرسل ، فإن هذه القصة كانت
ولرسول الله صلى الله عليه وسلم

من العمر فيما ذكره بعضهم ثنتا عشرة سنة ، ولعل أبا
موسى تلقاه من النبى صلى الله عليه

وسلم فيكون أبلغ ، أو من بعض كبار الصحابة رضى الله عنهم ، أو كان هذا مشهورا
مذكورا أخذه من طريق الاستفاضة .

الثانى : أن الغمامة لم تذكر في حديث أصح من هذا .
الثالث : أن قوله : (وبعث معه أبوبكر بلالا) إن كان عمره عليه الصلاة والسلام

إذ ذاك ثنتى عشرة سنة فقد كان عمر أبى بكر إذ ذاك
تسع سنين أو عشرة ، وعمر بلال

أقل من ذلك ، فأين كان أبوبكر إذ ذاك ؟ ثم أين كان
بلال ؟ كلاهما غريب ، اللهم إلا

أن يقال إن هذا كان ورسول الله صلى الله عليه وسلم
كبيرا ، إما بأن يكون سفره

بعد هذا ، أو إن كان القول بأن عمره كان إذ ذاك ثنتى
عشرة سنة غير محفوظ ، فإنه إنما

ذكره مقيدا بهذا الواقدي . وحكى السهيلي عن بعضهم أنه
كان عمره عليه الصلاة والسلام

إذ ذاك تسع سنين والله أعلم .

قال الواقدي : حدثنى محمد بن صالح وعبدالله بن جعفر
وإبراهيم بن إسماعيل بن أبى

حبيبة ، عن داود بن الحصين . قالوا : لما بلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم اثنتى

عشرة سنة خرج به عمه أبوطالب إلى الشام في العير
التي خرج فيها للتجارة ونزلوا

بالراهب بحيرى . فقال لابى طالب بالسر ما قال . وأمره
أن يحتفظ به فرده معه

أبوطالب إلى مكة .

وشب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبى طالب
يكلؤه الله ويحفظه ويحوط من

أمر الجاهلية معائبها لما يريد من كرامته .

حتى بلغ أن كان رجلا أفضل قومه مرؤة ، وأحسنهم خلقا
، وأكرمهم

مخالطة ، وأحسنهم جوارا ، وأعظمهم حلما وأمانة ،
وأصدقهم حديثا ، وأبعدهم من

الفحش والاذى .

ما رؤى ملاحيا ولا مماريا أحدا ، حتى سماه قومه الامين ،
لما جمع الله فيه من

الامور الصالحة .

فكان أبوطالب يحفظه ويحوطه وينصره وبعضه حتى مات

وقال محمد بن سعد : أخبرنا خالد بن معدان ، حدثنا
معتمر بن سليمان ، سمعت أبى

يحدث عن أبى مجلز أن ع بدالمطلب أو أبا طالب - شك
خالد - قال : لما مات عبدالله

عطف على محمد ، فكان لايسافر سفرا إلا كان معه فيه

وإنه توجه نحو الشام فنزل منزلا فأتاه فيه راهب ، فقال
إن فيكم رجلا صالحا .

ثم قال : أين أبوهذا الغلام ؟ قال : فقال ها أنا ذاوليه - أو
قيل هذا وليه - قال : احتفظ

بهذا الغلام ولاتذهب به إلى الشام ، إن اليهود حسد وإنى
أخشاهم عليه . قال : ما أنت

تقول ذلك ، ولكن الله يقوله .

فرده وقال : اللهم إني أستودعك محمدا . ثم إنه مات .

قصة بحيرى

حكى السهيلي عن سير الزهرى أن بحيرى كان حبرا من
أخبار يهود .

قلت : والذى يظهر من سياق القصة أنه كان راهبا نصرانيا
والله أعلم .

-250-

وعن المسعودى أنه كان من عبدالقيس ، وكان اسمه
جرجيس .

وفى كتاب (المعارف) لابن قتيبة : سمع هاتف في
الجاهلية قبل الاسلام بقليل

يهتف ويقول : ألا إن خير أهل الارض ثلاثة ، بحيرى ،
ورئاب بن البراء الشنى ،

والثالث المنتظر . وكان الثالث المنتظر هو الرسول الله
صلى الله عليه وسلم .

قال ابن قتيبة : وكان قبر رئاب الشنى وقبر ولده من
بعده لا يزال يرى عندهما طش ،

وهو المطر الخفيف .

فصل

في منشئه عليه الصلاة والسلام ومرباه وكفاية الله له ،
وحياطته

وكيف كان يتيما فأواه وعائلا فأغناه

قال محمد بن إسحاق : فشب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يكلؤه الله ويحفظه ،

ويحوطه من أقدار الجاهلية ، لما يريد من كرامته ورسالته ، حتى بلغ أن كان رجلا

أفضل قومه مرؤة ، وأحسنهم خلقا وأكرمهم حسبا ، وأحسنهم جورا ، وأعظمهم

حلما ، وأصدقهم حديثا ، وأعضمهم أمانة ، وأبعدهم من الفحش والاخلاق التي تدنس

الرجال ، تنزها وتكرما .

حتى ما اسمه في قومه إلا الامين ، لما جمع الله فيه من الامور الصالحة .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما ذكر لى ، يحدث عما كان يحفظه به

في صغره وأمر جاهليته أنه قال : (لقد رأيتنى في غلمان من قريش تنقل الحجارة لبعض

ما يلعب الغلمان ، كلنا قد تعرى وأخذ إزاره وجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة ، فإنى

لاقبل معهم كذلك وأدبر إذ لكنى لاكم ما أراه لكمة وجيعة ، ثم قال : شد عليك

-251-

إزارك . قال فأخذته فشددته على ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتى وإزارى على

.....
- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 251 سطر 1 الى ص 260 سطر 21

إزارك . قال فأخذته فشددته على ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتى وإزارى على

من بين أصحابى) .

وهذه القصة شبيهة بما في الصحيح عند بناء الكعبة ، حين كان ينقل هو وعمه العباس

فإن لم تكنها فهي متقدمة عليها كالتوطئة لها . والله أعلم .

قال عبدالرزاق : أخبرنا ابن جريح ، أخبرني عمرو بن دينار ، أنه سمع جابر بن عبدالله

يقول : لما بنيت الكعبة ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة ، فقال

العباس لرسول الله صلى الله عليه وسلم : اجعل إزارك على عاتقك من الحجارة . ففعل

فخر إلى الارض وطمحت عيناه إلى السماء ، ثم قام فقال : (إزارى) فشد عليه إزاره .

أخرجاه في الصحيحين من حديث عبدالرزاق . وأخرجاه أيضا من حديث روح

ابن عبادة ، عن زكرياء بن أبى إسحاق ، عن عمرو بن دينار عن جابر بنحوه .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو بوعبدالله الحافظ وابوسعيد بن أبى عمرو ، قالا : أخبرنا

أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن إسحاق الصاغانى ، حدثنا محمد بن بكير

الحضرمى ، حدثنا عبدالرحمن بن عبدالله الدشتكى ، حدثنا عمرو بن أبى قيس ، عن

سماك ، عن عكرمة ، حدثنى ابن عباس عن أبيه أنه كان ينقل الحجارة إلى البيت حين

بنت قريش البيت ، قال : وافردت قريش رجلين رجلين ، الرجال ينقلون الحجارة ،

وكانت النساء تنقل الشيد * (هامش) * (1) الشيد : ما
طلّى به حائط من حص ونحوه . (*)

قال : فكنت أنا وابن أختي ، وكنا نحمل على رقابنا وازرنا
تحت الحجارة ، فإذا

غشينا الناس اثترزنا . فبينما أنا أمشي ومحمد أمامي قال
فخر وانبطح على وجهه ، فجئت أسعى

وألقيت حجري وهو ينظر إلى السماء ، فقلت : ما شأنك
؟ فقام وأخذ إزاره قال :

(إنى نهيت أن أمشي عريانا) . قال : وكنت أكتمها من
الناس مخافة أن يقولوا مجنون .

وروى البيهقي من حديث يونس بن بكير ، عن محمد بن
إسحاق ، حدثني محمد

-252-

ابن عبدالله بن قيس بن مخرمة ، عن الحسن بن محمد
بن علي بن أبي طالب ، عن أبيه ، عن

جده علي بن أبي طالب . قال : سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول (ما هممت

بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به من النساء ، إلا
ليلتين كلتاها عصمني الله

عزوجل فيهما .

قلت ليلة لبعض فتيان مكة - ونحن في رعاء غنم أهلها -
فقلت لصاحبي : أبصر لي

غنمي حتى أدخل مكة أسمر فيها كما يسمر الفتيان . فقال
بلى . قال : فدخلت حتى جئت

أول دار من دور مكة سمعت عزفا بالغرايبيل والمزامير ،
فقلت ما هذا ؟ قالوا : تزوج

فلان فلانة . فجلست أنظر وضرب الله على أذنى فو الله
ما أيقظنى الامس الشمس ، فرجعت

إلى صاحبي ، فقال : ما فعلت ؟ فقلت : ما فعلت شيئا .
ثم أخبرته بالذى رأيت .

ثم قلت له ليلة أخرى أبصر لى غنمى حتى اسمر . ففعل
، فدخلت فلما جئت مكة

سمعت مثل الذى سمعت تلك الليلة ، فسألت فقيل نكح
فلان فلانة ، فجلست أنظر

وضرب الله على أذنى ، فو الله ما أيقظنى إلا مس
الشمس .

فرجعت إلى صاحبي فقال : ما فعلت ؟ فقلت : لا شئ .
ثم أخبرته الخبر .

فو الله ما هممت ولاعدت بعدهما لشئ من ذلك حتى
أكرمنى الله عزوجل

بنبوته) .

وهذا حديث غريب جدا ، وقد يكون عن على نفسه ويكون
قوله في آخره :

(حتى أكرمنى الله عزوجل بنبوته) مقحما والله أعلم .

وشيخ ابن إسحاق هذا ذكره ابن حبان في الثقات . وزعم
بعضهم أنه من رجال

الصحيح . قال شيخنا في تهذيبه : ولم أقف على ذلك .
والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقي : حدثنى أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا
أبو العباس محمد بن يعقوب ،

حدثنا الحسن بن علي بن عفان العامري ، حدثنا أبو أسامة ،
حدثنا محمد بن عمرو ، عن

-253-

أبي سلمة ، ويحيى بن عبدالرحمن بن حاطب ، عن
أسامة بن زيد ، عن زيد بن حارثة ،

قال : كان صنم من نحاس يقال له إساف ونائلة يتمسح
به المشركون إذا طافوا ، فطاف

رسول الله صلى الله عليه وسلم وطففت معه ، فلما
مررت مسحت به ، فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : (لاتمسه) . قال زيد : فطفنا
فقلت في نفسي لامسنه حتى أنظر

ما يكون ، فمسحته فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : (ألم تنه) قال البيهقي : زاد

غيره عن محمد بن عمرو بإسناده قال زيد : فو الذي
أكرمه وأنزل عليه الكتاب ، ما استلم

صنما قط حتى أكرمه الله تعالى بالذي أكرمه وأنزل عليه

وتقدم قوله عليه الصلاة والسلام لبحيرى حين سأله باللات
والعزى (لاتسألنى بهما

فو الله ما أبغضت شيئاً بغضهما) .

فأما الحديث الذي قاله الحافظ أبوبكر البيهقي ، أخبرنا
أبوسعد الماليني ، أنبأنا أبو أحمد

ابن عبد الحافظ ، حدثنا إبراهيم بن أسباط ، حدثنا عثمان
بن أبي شيبة ، حدثنا جرير ،

عن سفيان الثوري ، عن محمد بن عبدالله بن محمد بن عقيل ، عن جابر بن عبدالله رضى

الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يشهد مع المشركين مشاهدتهم قال : فسمع

ملكين خلفه وأحدهما يقول لصاحبه : اذهب بنا حتى نقوم خلف رسول الله صلى الله عليه

وسلم . قال : كيف نقوم خلفه وإنما عهده باستلام الاصنام ؟ ! .

قال : فلم يعد بعد ذلك أن يشهد مع المشركين مشاهدتهم .

فهو حديث أنكره غير واحد من الائمة على عثمان أبى شيبه ، حتى قال الامام

أحمد فيه : لم يكن أخوه يتلفظ بشئ من هذا .

وقد حكى البيهقي عن بعضهم أن معناه أنه شهد مع من يستلم الاصنام ، وذلك قبل

قبل أن يوحى إليه والله أعلم .

وقد تقدم في حديث زيد بن حارثة أنه اعتزل شهود مشاهد المشركين حتى أكرمه

الله برسالته .

-254-

وثبت في الحديث أنه كان لايقف بالمزدلفة ليلة عرفة بل كان لايقف مع الناس

بعرفات . كما قال يونس بن بكير . عن محمد بن إسحاق ، حدثنى عبدالله بن أبى بكر ، عن

عثمان ابن أبى سليمان ، عن نافع بن جبير بن مطعم ، عن أبيه جبير . قال : لقد رأيت رسول

الله صلى الله عليه وسلم وهو على دين قومه ، وهو يقف على بعير له بعرفات من بين قومه

حتى يدفع معهم ، توفيقا من الله عزوجل له .

قال البيهقي : معنى قوله : (على دين قومه) ما كان بقى إرث إبراهيم

وإسماعيل عليهما السلام ، ولم يشرك بالله قط صلوات الله وسلامه عليه دائما .

قلت : ويفهم من قوله هذا أيضا أنه كان يقف بعرفات قبل أن يوحى إليه . وهذا

توفيق من الله له .

ورواه الامام أحمد عن يعقوب ، عن محمد بن إسحاق به . ولفظه (رأيت رسول

الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه وإنه لواقف على بعير له مع الناس بعرفات حتى

يدفع معهم توفيقا من الله .

وقال الامام أحمد : حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن محمد بن جبير بن مطعم ،

عن أبيه قال : أظلمت بعيرا لى بعرة * (هامش) * (1) عرنة : واد بحذاء عرفات . (*)

فذهبت أطلبه ، فإذا النبي صلى الله عليه وسلم

واقف فقلت إن هذا من الحمس * (هامش) * (2) الحمس : جمع أحمس وكان يسمى به قريش ، لما ابتدعوا في شعائر الحج . (*)

ما شأنه هاهنا ؟

وأخرجاه من حديث سفيان بن عيينة به .

ذكر شهوده عليه الصلاة والسلام حرب الفجار

قال ابن إسحاق : هاجت حرب الفجار ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن

عشرين سنة .

وإنما سمى يوم الفجار ، بما استحل فيه هذان الحيان -
كنانة وقيس عيلان -

من المحارم بينهم .

وكان قائد قريش وكنانة حرب بن أمية بن عبد شمس .
وكان الظفر في أول

النهار لقيس على كنانة ، حتى إذا كان وسط النهار كان
الظفر لكنانة على قيس .

وقال ابن هشام : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
أربع عشرة سنة - أو

خمس عشرة سنة - فيما حدثني به أبو عبيدة النحوي ، عن
أبي عمرو بن العلاء هاجت

حرب الفجار بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس
عيلان .

وكان الذي هاجها أن عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن
كلاب بن ربيعة بن عامر

ابن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن أجاز لطيمة -
أي تجارة - للنعمان بن المنذر .

فقال البراض بن قيس ، أحد بنى ضمرة بن بكر بن عبد
مناة بن كنانة ، : أتجيزها على

كنانة ؟ قال : نعم وعلى الخلق .

فخرج فيها عروة الرحال وخرج البراض يطلب غفلته ،
حتى إذا كان بتيمن ذى طلال

بالعالية غفل عروة فوثب عليه البراض فقتله في الشهر الحرام ، فلذلك سمي الفجار ، وقال

البراض في ذلك :

- وداهية تهم الناس قبلى * شددت لها بنى بكر ظلوعى -
 - هدمت بها بيوت بنى كلاب * وأرضعت الموالى بالضرع -
 - رفعت له بذي طلال كفى * فخر يمد كالجذع الصريع -
- 256-

وقال لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب :

- وأبلغ - إن عرضت - بنى كلاب * وعامر والخطوب لها موالى -
 - وأبلغ - إن عرضت - بنى نمير * وأخوال القتيل بنى هلال -
 - بأن الوافد الرحال أمسى * مقيما عند تيمن ذى طلال -
- قال ابن هشام : فأتى آت قريشا فقال : إن البراض قد قتل عروة ، وهو في الشهر الحرام بعكاظ . فارتحلوا وهوازن لاتشعر بهم . ثم بلغهم الخبر فاتبعوهم فأدركوهم قبل أن

يدخلوا الحرم . فاقتتلوا حتى جاء الليل فدخلوا الحرم فأمسكت هوازن عنهم .

ثم التقوا بعد هذا اليوم أياما والقوم متساندون على كل قبيل من قريش وكنانة

رئيس منهم ، وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم .

قال : وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أيامهم . أخرجه أعمامه معهم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كنت أنبل على
أعمامى) أى أرد عليهم نبل

عدوهم إذا رموهم بها .

قال ابن هشام : وحديث الفجار طويل هو أطول مما
ذكرت ، وإنما منعى من

استقصائه قطعه حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه
وسلم .

وقال السهيلي : والفجار بكسر الفاء على وزن قتال .
وكانت الفجارات في العرب

أربعة ذكرهن المسعودى .

وآخرهن ، فجار البراض هذا . وكان القتال فيه في أربعة
أيام ، يوم شمطة ، ويوم

العلاء ، وهما عند عكاظ ، ويوم الشرب - وهو أعظمها
يوما - وهو الذى حضره

رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قيد رئيس قريش
وبنى كنانة وهما حرب بن أمية

وأخوه سفيان أنفسهما لئلا يفروا . وانهزمت بومئذ قيس إلا
بنى نضر فإنهم ثبتوا . ويوم

-257-

الحريرة عند نخلة . ثم تواعدوا من العام المقبل إلى
عكاظ . فلما توافوا الموعد ركب عتبة

ابن ربيعة جملة ونادى : يا معشر مضر علام تقاتلون ؟
فقال له هوازن : ماتدعو إليه ؟

قال : الصلح . قالوا وكيف ؟ قال ندى قتلاكم ونرهنكم
رهائن عليها ، ونعفو عن دياتنا .

قالوا : ومن لنا بذلك ؟ قال أنا . قالوا : ومن أنت ؟ قال
: عتبة بن ربيعة .

فوقع الصلح على ذلك وبعثوا إليهم أربعين رجلا فيهم حكيم
بن حزام ،

فلما رأَت بنو عامر بن صعصعة الرهن في أيديهم عفوا
عن ديّاتهم وانقضت

حرب الفجار .

وقد ذكر الاموى حروب الفجار وایامها واستقصاها مطولا
فيما رواه عن الاثرم ،

وهو المغيرة بن على ، عن أبى عبدة معمر بن المثنى
فذكر ذلك .

فصل

(في شهوده عليه الصلاة والسلام حلف الفضول)

قال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبوسعّد الماليني ، أنبأنا
أبوأحمد بن عيد الحافظ ،

حدثنا يحيى بن على بن هاشم الخفاف ، حدثنا اسماعيل
بن عليه ، عن عبدالرحمن بن

إسحاق ، عن الزهرى ، عن محمد بن جبير بن مطعم عن
أبيه . قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : (شهدت مع عمومتى حلف المطيبين فما
أحب أن أنكته - أو كلمة نحوها

وإن لى حمر النعم) .

قال : وكذلك رواه بشر بن المفضل عن عبدالرحمن .

قال : وأخبرنا أبونصر بن قتادة ، حدثنا ابوعمرو بن مطر ،
حدثنا أبوبكر بن

(17 - السيرة - 1)

احمد بن داود السمنانى ، حدثنا معلى بن معدى ، حدثنا
أبوعوانة ، عن عمر بن أبى سلمة ،

عن أبيه ، عن أبى هريرة . قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : (ما شهدت حلفا لقريش

إلا حلف المطيبين ، وما أحب أن لى حمر النعم وأنى
كنت نقضته) .

قال : والمطيبون هاشم ، وأمىة ، وزهرة ، ومخزوم .

قال البيهقى : كذا روى هذا التفسير مدرجا في الحديث
ولا أدرى قائله .

وزعم بعض أهل السير أنه أراد حلف الفضول ، فإن النبى
صلى الله عليه وسلم لم يدرك

حلف المطيبين .

قلت : هذا لاشك فيه ، وذلك أن قريشا تحالفوا بعد موت
قصى وتنازعوا في الذى

كان جعله قصى لابنه عبد الدار من السقاية ، والرفادة ،
واللواء ، والندوة ، والحجابه ،

ونازعهم فيه بنو عبد مناف وقامت مع كل طائفة قبائل
من قريش وتحالفوا على

النصرة لحزبهم .

فأحضر أصحاب بنى عبد مناف جفنة فيها طيب ، فوضعوا
أيديهم فيها وتحالفوا -

فلما قاموا مسحوا أيديهم بأركان البى . فسموا المطيبين
كما تقدم وكان هذا قديما .

ولكن المراد بهذا الحلف حلف الفضول وكان في دار
عبدالله بن جدعان كما رواه

الحميدى ، عن سفيان بن عيينة ، عن عبدالله ، عن محمد و عبدالرحمن ابن أبى بكر قالا : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفا لو دعيت به

في الاسلام لاجبت ، تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها وألا يعز * (هامش) * (1) الاصل : يعد وما أثبتته منا لروض الانف . ومعنى يعز : يغلب . (*)

ظالم مظلوما) .

قالوا : وكان حلف الفضول قبل المبعث بعشرين سنة في شهر ذى القعدة ، وكان

بعد حرب الفجار بأربعة اشهر . وذلك لان الفجار كان في شعبان من هذه السنة .

-259-

وكان حلف الفضول أكرم حلف سمع به واشرفه في العرب ، وكان أول من

تكلم به ودعا إليه الزبير بن ع بدالمطلب . وكان سببه أن رجلا من زبيد قدم مكة

ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل فحبس عنه حقه ، فاستعدى عليه الزبيدى الاحلاف

عبد الدار ومخزوما وجمحا وسهما وعدى بن كعب ، فأبوا أن يعينوا على العاص بن وائل

وزبروه - أى انتهروه - فلما رأى الزبيدى الشر أوفى على أبى قبيس عند طلوع الشمس ،

وقريش أنديتهم حول الكعبة ، فنادى بأعلى صوته :

- يا آل فهر لمظلوم بضاعته * ببطن مكة نائى الدار والنفر

-

- ومحرم أشعث لم يقض عمرته * يا للرجال وبين الحجر
والحجر -

إن الحرام لمن تمت كرامته * ولا حرام لثوب الفاجر الغدر
-

فقام في ذلك الزبير بن ع بدالمطلب وقال : ما لهذا
مترك .

فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة في دار عبدالله بن
جدعان فصنع لهم طعاما ،

وتحالفوا في ذى القعدة في شهر حرام ، فتعاقدوا
وتعاهدوا بالله ليكونن يدا واحدة مع

المظلوم على الظالم حتى يؤدي إليه حقه ما بل بحر
صوفة ، وما رسى ثبير وحرء مكانهما ،

وعلى التآسى في المعاش .

فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول ، وقالو : لقد
دخل هؤلاء في فضل من

الامر . ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه سامة
الزبيدي فدفعواها إليه .

وقال الزبير بن ع بدالمطلب في ذلك :

- حلفت لنعقدن حلفا عليهم * وإن كنا جميعا أهل دار -
- نسميه الفضول إذا عقدنا * يعز به الغريب الذى الجوار -
- ويعلم من حوالى البيت أنا * أباة الضيم نمنع كل عار -

-260-

وقال الزبير أيضا : - إن الفضول تعاقدوا وتحالفوا * ألا يقيم
ببطن مكة ظالم -

- أمر عليه تعاقدوا وتواثقوا * فالجار والمعتر فيهم سالم -

وذكر قاسم بن ثابت - في غريب الحديث - : أن رجلا من
خثعم قدم مكة حاجا

أو معتمرا ، ومعه ابنة له يقال له القتول من أوصا نساء
العالمين ، فاغتصبها منه نبيه بن

الحجاج وغيبها عنه . فقال الخثعمي : من يعديني على هذا
الرجل ؟ فقيل له عليك

بحلف الفضول .

فوقف عند الكعبة ونادى يال حلف الفضول . فإذا هم
يعتقون إليه من كل

جانب ، وقد انتضوا أسيافهم يقولون : جاءك الغوث فما
لك ؟ فقال : إن نبيها ظلمنى في بنتى

وانتزعها منى قسرا .

فساروا معه حتى وقفوا على باب داره ، فخرج إليهم
فقالوا له : أخرج الجارية ، ويحك

فقد علمت من نحن وما تعاقدنا عليه ، فقال : أفعل ،
ولكن متعونى بها الليلة . فقالوا

لا والله ولاشخب لقحة * (هامش) * (1) الشخب : ما
خرج من الضرع من اللبن - واللحقة الناقة الحلوب . (*)

، فأخرجها إليهم وهو يقول :

- راح صحبى ولم أحيى القتولا * لم أودعهم وادعا جميلا -

- إذ أجد الفضول أن يمنعوها * قد أرانى ولا أخاف الفضولا
-

- لا تخالى أنى عشية راح الركب * - ب هنتم على أن لا
يزولا * (هامش) * (الروس لانف : ألا أقولا . (*))

وذكرا أبياتا آخر غير هذه .

وقد قيل إنما سمي هذا حلف الفضول لانه أشبه حلفا
تحالفته جرهم على مثل هذا

من نصر المظلوم على ظالمه . وكان الداعي إليه ثلاثة
من أشرفهم ، اسم كل واحد منهم :

-261-

فضل ، وهم الفضل بن فضالة ، والفضل بن وادعة ،
والفضل بن الحارث . هذا قول ابن قتيبة .

.....
- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 261 سطر 1 الى ص
270 سطر 20

فضل ، وهم الفضل بن فضالة ، والفضل بن وادعة ،
والفضل بن الحارث . هذا قول ابن قتيبة .

وقال غيره : الفضل بن شراعة ، والفضل بن بضاعة ،
والفضل بن قضاة . وقد أورد السهيلي

هذا رحمه الله .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار : وتداعت قبائل من
قريش إلى جلف فاجتمعوا له

في دار عبدالله بن جدعان لشرفه وسنه .

وكان حلفهم عنده بنو هاشم وبنو ع بدالمطلب وبنو أسد
بن عبدالعزيز وزهرة

بن كلاب وتيم بن مرة .

فتعاهدوا وتعاقدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها
وغيرهم ممن دخلها من

سائر الناس إلا كانوا معه وكانوا على من ظلمه حتى يرد
عليه مظلمته .

فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول .

قال محمد بن إسحاق : فحدثني محمد بن زيد بن المهاجر
- بن - * (هامش) * (سقطت من المطبوعة .) * (

قنفذ التيمي * (هامش) * (2) هو محمد بن زيد بن
المهاجر بن قنفذ التيمي الجدعاني المدني . (*)

،
أنه سمع طلحة بن عبدالله بن عوف الزهري يقول : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفا ما أحب أن
لى به حمر النعم ولو دعى به

في الاسلام لاجبت) .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن عبدالله بن أسامة بن
الهادي * (هامش) * (3) ط : الهادي . (*)

الليثي * (هامش) * (4) هو يزيد بن عبدالله بن أسامة
بن الهادي الليثي المدني أبو عبدالله ، توفي

بالمدينة سنة 139 . وكان ثقة كثير الحديث . (*)

،
أن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي حدثه أن كان بين
الحسين بن علي بن أبي طالب

وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان - والوليد يومئذ أمير
المدينة ، أمره عليها عمه معاوية بن

أبي سفيان . - منازعة في مال كان بينهما بذي المروة * ()
هامش) * (ذو المروة : قرية بوادي القرى . (*)

، فكان الوليد تجامل على

-262-

الحسين في حقه لسلطانه ، فقال له الحسين : أحلف
بالله لتصفني من حقي أو لآخذن سيفي

ثم لاقومن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ثم لادعون بحلف الفضول .

قال : فقال عبدالله بن الزبير - وهو عند الوليد حين قال
له الحسين ما قال - وأنا

أحلف بالله لئن دعا به لآخذن سيفي ثم لاقومن معه حتى
ينصف من حقه

أو نموت جميعا .

قال وبلغت المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري فقال
مثل ذلك .

وبلغت عبدالرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي فقال
مثل ذلك .

فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى
رضى .

فصل في تزويجه عليه الصلاة والسلام خديجة بنت

خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصبي

قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة
ذات شرف ومال ،

تستأجر الرجال على مالها مضاربة .

فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها
من صدق حديثه وعظم أماته

وكرم أخلاقه ، بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج لها في
مال تاجرا إلى الشام وتعطيه

أفضل ما تعطى غيره من التجار . مع غلام لها يقال له
ميسرة .

فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وخرج في
مالها ذاك ، وخرج معه غلامها

ميسرة حتى نزل الشام ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة قريبا من

صومعة راهب من الرهبان ، فاطلع الراهب إلى ميسرة فقال : من هذا الرجل الذى نزل

تحت الشجرة ؟ فقال ميسرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم .

-263-

فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي * (هامش) * (1) يريد : ما نزل الآن ، وإلا فلم يخل أن ينزل تحتها كثير من الناس غير أنبياء . (*)

ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سلعته - يعنى تجارته - التى خرج بها ، واشترى

ما أراد أن يشتري ، ثم أقبل قافلا إلى مكة ومعه ميسرة

فكان ميسرة - فيما يزعمون - إذا كانت الهاجرة واشتد الحر ، يرى ملكين

يضلانه من الشمس وهو يسير على بعيره .

فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به فأضعف أو قريبا ، وحدثها ميسرة

عن قول الراهب ، وعما كان يرى من إضلال الملائكة إياه

وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة ، مع ما أراد الله بها من كرامتها .

فلما أخبرها ميسرة ما أخبرها بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له

فيما يزعمون ، يا ابن عم إنى قد رغبت فيك لقرابتك
ووسطك * (هاشم) * (وسطك : توسطك في قومك
وكونك من أعرقهم . وتروى : وصيتك . (*)

في قومك ، وأماتك

وحسن خلقك وصدق حديثك . ثم عرضت نفسها عليه .

وكانت أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهن شرفا وأكثرهن
مالا ، : كل قومها كان

حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه .

فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر
ذلك لأعمامه ، فخرج معه عمه

حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه ،
فتزوجها عليه الصلاة والسلام .

قال ابن هشام : فأصدقها عشرين بكرة ، وكانت أول
أمرأة تزوجها ، ولم يتزوج

عليها غيرها حتى ماتت .

قال ابن إسحاق : فولدت لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ولده كلهم إلا إبراهيم :

القاسم وكان به يكنى ، والطيب والطاهر ، وزينب ، ورقية
، وأم كلثوم ، وفاطمة .

-264-

قال ابن هشام : أكبرهم القاسم ، ثم الطيب ، ثم الطاهر
، وأكبر بناته رقية ، ثم

زينب ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة .

قال البيهقي عن الحاكم قرأت بخط أبي بكر بن أبي
خيثة : حدثنا مصعب بن

عبدالله الزبيرى ، قال : أكبر ولده عليه الصلاة والسلام
القاسم ، ثم زينب ، ثم عبدالله ،

ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة ، ثم رقية .

وكان أول من مات من ولده القاسم ، ثم عبدالله .

وبلغت خديجة خمسا وستين سنة ، ويقال خمسين . وهو
أصح .

وقال غيره : بلغ القاسم أن يركب الدابة والنجية ثم مات
بعد النبوة .

وقيل : مات وهو رضيع ، فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : (إن له مرضعا في

الجنة يستكمل رضاعه) .

والمعروف أن هذا في حق إبراهيم .

وقال يونس بن بكير : حدثنا إبراهيم بن عثمان ، عن
القاسم ، عن ابن عباس قال :

ولدت خريجة رسول الله صلى الله عليه وسلم غلامين
وأربع نسوة : القاسم ، وعبدالله ،

وفاطمة ، وأم كلثوم ، وزينب ورقية .

وقال الزبير بن بكار : عبدالله هو الطيب وهو الطاهر ،
سمى بذلك لأنه ولد بعد

النبوة . - وأما الباقر - فماتوا قبل البعثة .

وأما بناته فأدركن البعثة ودخلن في الاسلام وهاجرن معه
صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وأما إبراهيم فمن مارية القبطية التي
أهداها له المقوقس صاحب

اسكندرية من كورة أنضاء * (هامش) * (1) مدينة
بالصعيد شرقى النيل . (*)

265-

وستكلم على أزواجه وأولاده عليه الصلاة والسلام في باب
مفرد لذلك في آخره السيرة

إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

قال ابن هشام : وكان عمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين تزوج خديجة خمساً

وعشرين سنة ، فيما حدثنى غير واحد من أهل العلم ،
منهم أبو عمرو المدنى .

وقال يعقوب بن سفيان : كتبت عن إبراهيم بن المنذر :
حدثنى عمر بن أبى بكر

المؤملى ، حدثنى غير واحد أن عمرو بن أسد زوج خديجة
من رسول الله صلى الله عليه وسلم

وعمره خمس وعشرون سنة وقريش تبنى الكعبة .

وهكذا نقل البيهقى عن الحاكم أنه كان عمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم

حين تزوج خديجة خمساً وعشرين سنة ، وكان عمرها إذ
ذاك خمساً وثلاثين . وقيل

خمساً وعشرين سنة .

وقال البيهقى : (باب ما كان يشتغل به رسول الله صلى
الله عليه وسلم قبل أن

يتزوج خديجة) .

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو بكر بن عبد الله ،
أخبرنا الحسن بن

سفيان ، حدثنا سويد بن سعيد ، حدثنا عمرو بن أبي يحيى بن سعيد القرشي ، عن

جده سعيد عن أبي هريرة ، قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما بعث الله

نبيا إلا راعي غنم) فقال له أصحابه : وأنت يا رسول الله ؟ قال : (وأنا راعيها لاهل

مكة بالقراريط) .

رواه البخارى عن أحمد بن محمد المكي عن عمرو بن يحيى به .

ثم روى البيهقي من طريق الربيع بن بدر ، وهو ضعيف ، عن أبي الزبير عن

-266-

جابر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أجرت نفسي من خديجة

سفرتين بقلوص) .

وروى البيهقي من طريق حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن عمار بن أبي عمار ،

عن ابن عباس : أن أبا خديجة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو - أظنه

قال - سكران .

ثم قال البيهقي : أخبرنا أبو الحسن بن الفضل القطان ، أنبأنا عبدالله بن جعفر ،

حدثنا يعقوب بن سفيان ، قال حدثني إبراهيم بن المنذر ، حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي

حدثني عبدالله بن أبي عبيد بن محمد بن عمار بن ياسر ،
عن أبيه ، عن مقسم بن أبي

القاسم مولى عبدالله بن الحارث بن نوفل ، أن عبدالله
بن الحارث حدثه أن عمار بن

ياسر كان إذا سمع ما يتحدث به الناس عن تزويج رسول
الله صلى الله عليه وسلم خديجة

وما يكثرون فيه يقول

أنا أعلم الناس بتزويجه إياها ، إنى كنت له تربا وكنت له
إلفا وخذنا ، وإنى خرجت

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم حتى إذا
كنا بالحزورة أجزنا على أخت خديجة

وهى جالسة على آدم تبيعها ، فنادتني فانصرفت إليها
ووقف لى رسول الله صلى الله عليه

وسلم . فقالت : أما بصاحبك هذا من حاجة في تزويج
خديجة ؟ .

قال عمار : فرجعت إليه فأخبرته فقال : (بلى لعمرى) .

فذكرت لها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
: اغدوا علينا إذا أصبحنا .

فغدونا عليهم فوجدناهم قد ذبحوا بقرة البسوا أبا خديجة
حلة ، وصفرت لحيته ، وكلمت

أخاها فكلم أباه وقد سقى خمرا ، فذكر له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومكانه ،

وسأله أن يزوجه فزوجه خديجة ، وصنعوا من البقرة
طعاما فأكلنا منه ونام أبوها ثم

استيقظ صاحبا . فقال : ما هذه الحلة وما هذه الصفة
وهذا الطعام ؟ فقالت له ابنته التي

كانت قد كلمت عمارا : هذه حلة كساها محمد بن عبدالله
ختك ، وبقرة أهداها لك ،

فذبناها حين زوجته خديجة .

فأنكر أن يكون زوجه ، وخرج يصيح حتى جاء الحجر ،
وخرج بنو هاشم

برسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءوه فكلموه . فقال
: أين صاحبكم الذى تزعمون أنى

زوجته خديجة ؟ فبرز له رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما نظر إليه قال : إن كنت زوجته

فسبيل ذاك ، وإن لم أكن فعلت فقد زوجته .

وقد ذكر الزهرى في سيره أن أباه زوجها منه وهو
سكران . وذكر نحو

ما تقدم . حكاة السهيلي .

قال المؤملى : المجتمع عليه أن عمها عمرو بن أسد هو
الذى زوجها منه .

وهذا هو الذى رجحه السهيلي . وحكاة عن ابن عباس
وعائشة . قالت : وكان

خويلد مات قبل الفجار ، وهو الذى نازع تبعا حين أراد
أخذ الحجر الاسود إلى اليمن ،

فقام في ذلك خويلد وقام معه جماعة من قريش ، ثم
رأى تبع في منامه ما روعه ، فنزع عن

ذلك وترك الحجر الاسود مكانه .

وذكر ابن إسحاق في آخر السيرة أن أخاها عمرو بن
خويلد هو الذى زوجها رسول

الله صلى الله عليه وسلم فالله أعلم .

فصل

قال ابن إسحاق : وقد كانت خديجة بنت خويلد ذكرت
لورقة بن نوفل بن اسد بن

عبدالعزى بن قصى وكان ابن عمها - وكان نصرانيا قد تتبع
الكتب وعلم من علم

-268-

الناس ، ما ذكر لها غلامها من قو لاراهب وما كان يرى
منه إذ كان

الملكان يضلانه .

فقال ورقة : لئن كان هذا حقا يا خديجة إن محمدا لنبى
هذه الامة ، قد عرفت أنه كائن

لهذه الامة نبى ينظر هذا زمانه . أو كما قال .

فجعل ورقة يستبطن الامر ويقول حتى متى ؟ وقال في
ذلك :

- لججت وكنت في الذكرى لجوجا * لهم طالما بعث
النشيجا -

- ووصف من خديجة بعد وصف * فقد طال انتظارى يا
خديجا -

بطن المكتين * (هامش) * (1) المكتين : جانبا مكة ، أو
بطاحها وظواهرها (*)

على رجائى * حديثك أن أرى منه خروجا -

- بما خبرتنا من قول قس * من الرهبان أكره أن يعوجا -

- بأن محمدا سيسود يوما * (هامش) * (2) ط : قوما
وهو خطأ . وفى ابن هشام :

سيسود فينا . (*)

* ويخصم من يكون له حجيجا -

- ويظهر في البلاد ضياء نور * يقيم * (هامش) * (3) خ
ط : يقوم وهو خطأ ، وما أثبتته عن ابن هشام . (*)

به البرية أن تموجا -

- فليقى من يحاربه خسارا * ويلقى من يسالمه فلوجا *
(هامش) * (4) الفلوج : النجاح والظفر . (*)

-

- فياليتى إذا ما كان ذاكم * شهدت وكنت * (هامش) * (5)
ابن هشام : فكنت . (*)

أولهم ولوجا -

- ولوجا في الذى كرهت قریش * ولو عجت بمكتها عجيجا -

-

- أرجى بالذى كرهوا جميعا * إلى ذى العرش إن سفلوا
عروجا -

- وهل أمر السفالة غير كفر * بمن يختار ، من سمك
البروجا -

- فإن يبقوا وأبق تكن أمور * يضج الكافرون لها ضجيجا -

- وإن أهلك فكل فتى سيلقى * من الاقدار متلفة خروجا *
(هامش) * (6) ط : خروجا . وهو خطأ . (*)

269-

وقال ورقة ايضا فيما رواه يونس بن بكير * (هامش) * (1)
ليست في ابن هشام ، لان ابن هشام أثبت رواية زياد
البكائى . (*)

عن ابن إسحاق عنه .

- أتبكر أم أنت العشيّة رائج * وفى الصدر من إضمارك
الحزن قاذح ؟ -

- لفرقة قوم لا أحب فراقهم * كأنك عنهم بعد يومين نازح
-

- وأخبار صدق خبرت عن محمد * يخبرها عنه إذا غاب
ناصح -

- أذاك * (هامش) * (2) الاكتفا : فتاك . (*)

الذى وجهت يا خير حرة * بغور وبالنجدين حيث الصحاح
* (هامش) * (3) الصحاح : جمع صحح وهى الارض
المستوية (*)

- إلى سوق بصرى فى الركاب التى غدت * وهن من
الاحمال قعص والح * (هامش) * (4) أى بطيئات مثقلات
الخطو . (*)

- فيخبرنا عن كل خير بعلمه * وللحق أبواب لهن مفاتيح -
- بأن ابن عبدالله أحمد مرسل * إلى كل من ضمت عليه
الاباطح -

- وظنى به أن سوف يبعث صادقاً * كما أرسل العبدان
هود وصالح -

- وموسى وإبراهيم حتى يرى له * بهاء ومنشور من الذكر
واضح -

- ويتبعه حيا لؤى وغالب * شبابهم والاشيون الجحاح -

- فإن أبق حتى يدرك الناس دهره * فإنى به مستبشر الود
فارح -

- وإلا فإنى يا خديجة فاعلمى * عن ارضك في الارض
العريضة سائح -

وزاد الاموى :

- فمتيع دين الذى أسس البنا * وكان له فضل على الناس
راجح -

- وأس بنيانا بمكة ثابتا * تلالا فيه بالظلام المصباح -

- مثابا لافناء القبائل كلها * تخب إليه اليعملات الطلائح *
(هامش) * (5) اليعملات : جمع يعملة ، وهى الناقة
النجبية . والطلائح : المتعبات . (*)

-

- حراجيح * (هامش) * (6) الحراجيح : الطوال (*)

- أمثال القداح من السرى * يعلق في أرساغهن السرائح -

270

ومن شعره فيما أورده أبوالقاسم السهيلي في روضه :

- لقد نصحت لاقوام وقلت لهم * أنا النذير فلا يغركم أحد
-

- لاتعبدن إليها غير خالقكم * فإن دعوكم فقولوا بيننا حد *
(هامش) * (1) الحد : الخصومة . (*)

-

سبحان ذى العرش سبحانا يدوم له * وقبلنا سبح الجودى
والجمد -

- مسخر كل ماتحت السماء له * لاينبغى أن يناو يملكه
أحد -

- لاشئ مما ترى تبقى بشاشته * يبقى الاله ويودى المال
والولد -

- لم تغن عن هرمز يوما خزائنه * والخلد قد حاولت عاد
فما خلدوا -
- ولا سليمان إذ تجرى الرياح به * والجن والانس فيما بينها
مرد -
- أين الملوك التي كانت لعزتها * من كل أوب إليها وافد
يفد -
- حوض هنا لك مورود بلا كذب * لابد من ورده يوما كما
وردوا -
- ثم قال : هكذا نسبه أبوالفرج إلى ورقة . قال : وفيه أبيات
تنسب إلى أمية
ابن أبي الصلت .

قلت : وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضى الله عنه أنه كان يستشهد

في بعض الاحيان بشئ من هذه الابيات . والله أعلم .
فصل

في تجديد قريش بناء الكعبة قبل المبعث بخمس سنين
ذكر البيهقي بناء الكعبة قبل تزويجه عليه الصلاة والسلام
خديجة .

والمشهور أن بناء قريش الكعبة بعد تزويج خديجة كما
ذكرناه بعشر سنين .

-271-

ثم شرع البيهقي في ذكر بناء الكعبة في زمن إبراهيم كما
قدمناه في قصته ، وأورد

.....

- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 271 سطر 1 الى ص
280 سطر 21

ثم شرع البيهقي في ذكر بناء الكعبة في زمن إبراهيم كما قدمناه في قصته ، وأورد

حديث ابن عباس المتقدم في صحيح البخارى ، وذكر ماورد من الاس رائليات في بنائه

في زمن آدم .

ولا يصح ذلك ، فإن ظاهر القرآن يقتضى أن إبراهيم أول من بناه مبتدئاً ، وأول

من أسسه ، وكانت بقعته معظمة قبل ذلك معتنى بها مشرفة في سائر الاعصار والاقوات .

قال الله تعالى : (إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى

للعالمين ، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج

البيت من استطاع إليه سبيلا) * (هامش) * (1) سورة آل عمران . (*)

وثبت في الصحيحين عن أبى ذر قال : قلت يا رسول الله أى مسجد وضع أول ؟

قال : (المسجد الحرام) قلت ثم أى ؟ قال (المسجد الاقصى) قلت كم بينهما ؟ قال :

أربعون سنة) وقد تكلمنا على هذا * (هامش) * (2) وذلك في الجزء الاول من البداية والنهاية للمؤلف . (*)

وأن المسجد الاقصى اسسه إسرائيل وهو يعقوب

عليه السلام .

وفى الصحيحين (إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والارض فهو

حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة) .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو
بوعبدالله الصفار ، حدثنا أحمد

ابن مهران ، حدثنا عبيد الله ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي
يحيى ، عن مجاهد ، عن عبدالله

ابن عمرو . قال : كان البيت قبل الارض بألفى سنة ،
(وإذا الارض مدت) . قال :

من تحته مدت .

قال : وقد تابعه منصور عن مجاهد .

-272-

قلت : وهذا غريب جدا ، وكأنه من الزاملتين اللتين
أصابهما عبدالله بن عمرو

يوم اليرموك ، وكان فيهما إس رائليات يحدث منها ،
وفيهما منكرات وغرائب

ثم قال البيهقي : أخبرنا أبو عبدالله الحافظ ، أخبرنا
أبوجعفر محمد بن محمد بن محمد

ابن عبدالله البغدادي ، حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح ،
حدثنا أبو صالح الجهني ، حدثني

ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي الخير ، عن عبدالله بن
عمرو بن العاص ، قال : قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم : (بعث الله جبريل إلى آدم
وحواء فقال لهما ابنيا لى

بيتا ، فخط لهما جبريل ، فجعل آدم يحفر وحواء تنقل ،
حتى أجابه الماء نودى من تحته

حسبك يا آدم . فلما بنيا أوحى الله تعالى إليه أن يطوف
به ، وقيل له أنت أول الناس ،

وهذا أول بيت ، ثم تناسخت القرون حتى حجه نوح ، ثم تناسخت القرون حتى رفع إبراهيم القواعد منه) .

قال البيهقي : تفرد به ابن لهيعة هكذا مرفوعا .

قلت : وهو ضعيف ، ووقفه على عبدالله بن عمرو أقوى وأثبت . والله أعلم .

وقال الربيع : أنبأنا الشافعي ، أنبأنا سفيان ، عن ابن أبي لييد ، عن محمد بن كعب

القرظي - أو غيره - قال : حج آدم فلقيته الملائكة فقالوا : بر نسكك يا آدم ، لقد حججنا قبلك بألفى عام .

وقال يونس بن بكير : عن ابن اسحاق حدثني بقية - أو قال ثقة من

أهل المدينة - عن عروة بن الزبير أنه قال : ما من نبي إلا وقد حج البيت ، إلا ما كان

من هود وصالح .

قلت : وقد ذكرنا حجهما إليه * (هامش) * (1) وذلك في الجزء الاول من البداية والنهاية للمؤلف . (*) المقصود الحج إلى محله وبقعته وان لم يكن ثم بناء والله اعلم

-273-

ثم اورد البيهقي حديث ابن عباس المذكور في قصة إبراهيم عليه السلام بطوله وتمامه

وهو في الصحيح البخاري .

ثم روى البيهقي من حديث سماك بن حرب ، عن خالد بن عرعة . قال : سألت

رجل عليا عن قوله تعالى (إن أول بيت وضع للناس للذي
ببكة مباركا وهدى

للعالمين) أهو أول بيت بنى في الارض ؟

قال : لا ، ولكنه أول بيت وضع فيه البركة للناس والهدى
، ومقام إبراهيم ومن دخله

كان آمنا . وإن شئت نباتك كيف بناؤه !

إن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم أن ابن لى بيتا في
الارض . فضاق به ذرعا فأرسل

إليه السكينة وهى ريح خجوج * (هامش) * (الخجوج :
الريح الشديدة المر أو الملتوية في هبوبها .) *

لها رأس ، فاتبع أحدهما صاحبه حتى انتهت ثم تطوقت

في موضع البيت تطوق الحية ، فبنى إبراهيم حتى بلغ
مكان الحجر ، قال لابنه : ابغنى

حجرا . فالتمس حجرا حتى أتاه به ، فوجد الحجر الاسود
قد ركب . فقال لابييه : من أين

لك هذا ؟ قال : جاء به منلايتكل على بنائك ، جاء به
جبريل من السماء . فأنمه .

قال : فمر عليه الدهر فانهدم ، فبنته العمالقة ، ثم انهدم
فبنته جرهم .

ثم انهدم فبنته قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يومئذ رجل شاب .

فلما أرادوا أن يرفعوا الحجر الاسود اختصموا فيه فقالوا :
نحكم بيننا أول رجل يخرج

من هذه السكة ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
أول من خرج عليهم ، فقضى

بينهم أن يجعلوه في مرط * (هامش) * (2) المرط :
كساء من صوف أو خز . (*)

ثم ترفعه جميع القبائل كلهم .

وقال ابوداود الطيالسي : حدثنا حماد بن سلمة وقيس
وسرم كلهم عن سماك

ابن حرب ، عن خالد بن عرعة ، عن علي بن أبي
طالب قال : لما انهدم البيت بعد جرهم

بنته قريش ، فلما أرادوا وضع الحجر تشاجروا من يضعه .

(18 - السيرة - 1)

274

فاتفقوا أن يضعه أول من يدخل من هذا الباب .

فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب بني
شيبية فأمر بثوب فوضع الحجر في

وسطه وأمر كل فخذ أن يأخذوا بطائفة من الثوب .
فرفعوه وأخذ رسول الله صلى الله

عليه وسلم فوضعه .

قال يعقوب بن سفيان : أخبرني اصبح بن فرج ، أخبرني
ابن وهب ، عن يونس عن

ابن شهاب ، قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه
وسلم الحلم جمرت امرأة الكعبة فطارت

شرارة من مجمرها في ثياب الكعبة فاحترقت ، فهدموها ،
حتى إذا بنوها فبلغوا موضع

الركن اختصمت قريش في الركن : أي القبائل تلى رفعه .

فقالوا : تعالوا نحكم أول من يطلع علينا ، فطلع عليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو غلام عليه وشاح نمرة ، فحكموه فأمر بالركن فوضع
في ثوب ، ثم أخرج سيد

كل قبيلة فأعطاه ناحية من الثوب ، ثم ارتقى هو فرفعوا
إليه الركن ، فكان هو يضعه .

فكان لايزداد على السن إلا رضى حتى دعوه الامين قبل
أن ينزل عليه الوحي ،

فطفقوا لاينحرون جزورا إلا التمسوه فيدعو لهم فيها .

وهذا سياق حسن ، وهو من سير الزهرى .

وفيه من الغرابة قوله : (فلما بلغ الحلم) والمشهور أن
هذا كان ورسول الله

صلى الله عليه وسلم عمره خمس وثلاثون سنة ، وهو
الذى نص عليه محمد بن إسحاق بن

يسار رحمه الله .

وقال موسى بن عقبة : كان بناء الكعبة قبل المبعث
بخمس عشرة سنة .

وهكذا قال مجاهد ، وعروة ، ومحمد بن جبير بن مطعم ،
وغيرهم . فالله أعلم .

وقال موسى بن عقبة : كان بين الفجار وبين بناء الكعبة
خمس عشرة سنة .

-275-

قلت : وكان الفجار وحلف الفضول في سنة واحدة ، إذ
كان عمر رسول الله صلى الله

عليه وسلم عشرون سنة وهذا يؤيد ما قال محمد بن
إسحاق والله أعلم .

قال موسى بن عقبة : وإنما حمل قريشا على بنائها أن
السيول كانت تأتي من

فوقها ، من فوق الردم الذى صفوه فخربه ، فخافوا أن يدخلها الماء .

وكان رجل يقال له مليح سرق طيب الكعبة . فأرادوا أن يشيدوا بنيانها وأن

يرفعوا بابها حتى لايدخلها إلا من شاءوا .

فأعدوا لذلك نفقة وعمالا ، ثم غدوا إليها ليهدموها على شفق وحذر أن يمنعهم

- الله - * (هامش) * (1) من ابن هشام . (*)

الذى أرادوا .

فكان أول رجل طلها وهدم منها شيئا الوليد بن المغيرة ، فلما رأوا الذى فعل

الوليد تتابعوا فوضعوها فأعجبهم ذلك .

فلما أرادوا أن يأخذوا في بنيانها أحضروا عمالهم فلم يقدر رجل منهم أن يمضى أمامه

موضع قدم .

فزعموا أنهم رأوا حية قد أحاطت بالبيت ، رأسها عند ذنبها ، فاشفقوا منها

شفقة شديدة ، وخشوا أن يكونوا قد وقعوا مما عملوا في هلكة .

وكانت الكعبة حرزهم ومنعتهم من الناس وشرفا لهم ، فلما سقط في أيديهم

والتبس عليهم أمرهم قام فيهم المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم ، فذكر ما كان من

نصحه لهم وأمره إياهم أن لايتشاجروا ولا يتحاسدوا في بنائها ، وأن يقتسموها أرباعا ،

وأن لايدخلوا في بنائها مالا حراما .

وذكر أنهم لما عزموا على ذلك ذهبت الحية في السماء
وتغيبت عنهم رأوا أن ذلك
من الله عزوجل .

-276-

قال : ويقول بعض الناس : إنه اختطفها طائر وألقاها نحو
أجباد .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار : فلما بلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين

سنة اجتمعت قريش لبناء الكعبة ، وكانوا يهتمون بذلك
ليسقفوها ويهابون هدمها ،

وإنما كانت رضما * (هامش) * (1) أى حجارة نضد
بعضها على بعض من غير ملاط . (*)

فوق القامة ، فأرادوا رفعها وتسقيفها .

وذلك أن نفرا سرقوا كنز الكعبة ، وإنما كان - يكون - *
(هامش) * (2) من ابن هشام . (*)

في بئر في

جوف الكعبة .

وكان الذى وجد عند الكنز دويك مولى لبنى مليح بن
عمرو بن * (هامش) * (3) ابن هشام : من خزاعة .
(*)

خزاعة .

فقطعت قريش يده .

وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دويك .

وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من تجار
الروم ، فتحطمت . فأخذوا

خشبها فأعدوه لتسقيفها .

قال الاموى : كانت هذه السفينة لقيصر ملك الروم تحمل آلات البناء من الرخام

والخشب والحديد ، سرحها قيصر مع باقوم الرومى إلى الكنيسة التى احرقها الفرس

للحبشة ، فلما بلغت مرساها من جدة بعث الله عليها ريحا فحطمتها .

قال ابن إسحاق : وكان بمكة رجل قبطى نجار ، فتهياً لهم في أنفسهم

بعض ما يصلحها .

وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التى كانت تطرح فيها ما يهدى إليها كل يوم ،

فتشرق * (هامش) * (4) تتشرق : تبرز للشمس . وفى ط : تتشرف ، وهو خطأ . (*)

على جدار الكعبة ، وكانت مما يهابون ، وذلك أنه كان لايدنو منها أحد

-277-

إلا احزألت وكشت * (هامش) * (1) احزألت : رفعت رأسها . وكشت : صوتت من جلدها لا من فيها . (*)

وفتحت فاهها ، فكانوا يهابونها ، فبينما هى يوما تشرف على

جدار الكعبة كما كانت تصنع ، بعث الله عليها طائرا فاختطفها فذهب بها .

فقال قريش : إنا لنرجو أن يكون الله تعالى قد رضى ما أردنا ، عندنا عامل

رفيق وعندنا خشب ، وقد كفانا الله الحية .

وحكى السهيلي عن رزين ، أن سارقا دخل الكعبة في
أيام حرهم ليسرق كنزها ،
فانهار البئر عليه حتى جاءوا فأخرجوه وأخذوا منه ما كان
أخذه ، ثم سكنت هذا البئر
حية رأسها كرأس الجدى ، وبطنها أبيض وظهرها أسود ،
فأقامت فيها خمسمائة عام .
وهى التى ذكرها محمد بن اسحاق .

قال محمد ابن اسحاق : فلما أجمعوا أمرهم لهدمها *
(هامش) * (2) ابن هشام : فى هدمها . (*)
وبنيانها قام أبووهب - بن - * (هامش) * (3) سقطت
من ط . (*)

-
عمرو بن عائذ * (هامش) * (4) ط : عايد ، وهو خطأ .
(*)

بن عبد بن عمران بن مخزوم - وقال ابن هشام : عائذ *
(هامش) * (4) ط : عايد ، وهو خطأ . (*)

بن عمران بن

مخزوم - فتناول من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع
إلى موضعه . فقال :

يا معشر قريش لاتدخلوا فى بنيانها من كسبكم إلا طيباً ،
لايدخل * (هامش) * (5) ابن هشام : لاتدخلوا . (*)

فيها مهر بغي

ولابيع ربا ، ولا مظلمة أحد من الناس . والناس ينحلون
هذا الكلام الوليد بن المغيرة

ابن عبدالله بن عمر * (هامش) * (6) ط : عمرو ، وهو
خطأ . (*)

بن مخزوم . ثم رجح ابن اسحاق أن قائل ذلك أبووهب
ابن عمرو . قال : وكان خال أبي النبي صلى الله عليه
وسلم وكان شريفا ممدحا .

قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا تجزأت الكعبة . فكان شق
الباب لبني عبد مناف

وزهرة ، وما بين الركن الاسود والركن اليماني لبني
مخزوم وقبائل من قريش انضموا

-278-

إليهم . وكان ظهر الكعبة لبني جمح وسهم . وكان شق
الحجر لبني عبد الدار بن قصي ،

ولبني اسد بن عبدالعزيز ولبني عدي بن كعب رهو *
(هامش) * (1) الرهو : ما اطمأن من الارض وارتفع ما
حوله . وفي المطبوعة : وهو ، وهذا تحريف . (*)

الخطيم .

ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه ، فقال الوليد بن
المغيرة : أنا أبدؤكم في هدمها .

فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول : اللهم لم ترع *
(هامش) * (2) أي لم نزع الكعبة . ويروى : اللهم لم
نزع . (*)

، اللهم إنا لانريد إلا الخير .

ثم هدم من ناحية الركنين ، فتربص الناس تلك الليلة ،
وقالوا : ننظر فإن

أصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت ، وإن لم
يصبه شيء فقد رضى الله

ما صنعنا - من هدمها * (هامش) * (3) ليست في ابن
هشام . (*)

. -
فأصبح الوليد غاديا على عمله ، فهدم وهدم الناس معه ،
حتى إذا انتهى الهدم بهم
إلى الاساس ، أساس إبراهيم عليه السلام ، أفضوا إلى
حجارة خضر كالاسنة أخذ
بعضها بعضا .

ووقع في صحيح البخاري عن يزيد بن رومان (كأسنة
الابل) قال السهيلي : وأرى
رواية السيرة (كالاسنة * (هامش) * (4) ط : كالاسنة
وهو تحريف . (*)
(وهما والله أعلم .

قال ابن إسحاق : فحدثني بعض من يروى الحديث : أن
رجلا من قريش ممن كان
يهدمها أدخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما ،
فلما تحرك الحجر انتفضت * (هامش) * (5) ابن هشام :
نقضت . (*)
مكة بأسرها ، فانتفخوا عن ذلك الاساس .

وقال موسى بن عقبة : وزعم عبدالله بن عباس أن أولية
قريش كانوا يحدثون أن
رجلا من قريش لما اجتمعوا لينزعوا الحجارة إلى تأسيس
إبراهيم وإسماعيل عليهما

السلام ، عمد رجل منهم إلى حجر من الاساس الاول
فرفعه وهو لا يدري أنه من

-279-

الاساس الاول ، فابصر القوم برقعة تحت الحجر كادت
تلتمع بصر الرجل ونزا الحجر من

يده فوقع في موضعه ، وفزع الرجل والبناء . فلما ستر الحجر عنهم ما تحته إلى مكانه عادوا

إلى بنيانهم ، وقالوا لاتحركوا هذا الحجر ولاشيئا بحذائه .

قال ابن اسحاق : وحدثت أن قريشا وجدوا في الركن كتابا ب السريانية فلم يعرفوا

ما هو ، حتى قرأه لهم رجل من يهود ، فإذا هو أنا الله ذو بكة ، خلقتها يوم خلقت

السموات والارض ، وصورت الشمس والقمر ، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء لاتزول

حتى يزول أخشباها - قال ابن هشام : يعنى جبلاها - مبارك لاهلها في الماء واللبن .

قال ابن اسحاق : وحدثت أنهم وجدوا في المقام كتابا فيه : مكة - بيت * (هامش) * (1) سقطت من المطبوعة . (*)

- الله

الحرام ، يأتيها رزقها من ثلاثة سبل ، لايجلها أول من أهلها .

قال : وزعم ليث بن أبي سليم أنهم وجدوا - حجرا * (هامش) * (2) سقطت من المطبوعة . (*)

- في الكعبة قبل مبعث

النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة ، إن كان ما ذكر حقا ، مكتوبا فيه : من يزرع خيرا

يحصد غبطة ، ومن يزرع شرا يحصد ندامة ، تعملون السيئات وتجزون الحسنات ؟ ! أجل

كما - لا * (هامش) * (3) من ابن هشام . (*)

- يجتنى من الشوك العنب .

وقال سعيد بن يحيى الاموى : حدثنا المعتمر بن سليمان
الرقى ، عن عبدالله بن بشر

الزهري - يرفع الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم -
قال : (وجد في المقام ثلاثة

أصفح ، في الصفح الاول : إني أنا الله ذو بكة ، صنعتها
يوم صنعت الشمس والقمر ،

وحففتها بسبعة أملاك حنفاء ، وباركت لاهلها في اللحم
واللبن .

-280-

وفى الصفح الثانى : إني أنا الله ذو بكة ، خلقت الرحم
وشققت لها من اسمى ، فمن

وصلها وصلته ، ومن قطعها بتته .

وفى الصفح الثالث : إني أنا الله ذو بكة ، خلقت الخير
والشر وقدرته ، فطوبى لمن

أجريت الخير على يديه ، وويل لمن أجريت الشر على
يديه .

قال ابن اسحاق : ثم إن القبائل من قريش جمعت
الحجارة لبنائها ، كل قبيلة

تجمع على حدة .

ثم بنوها حتى بلغ البناء موضع الركن ، فاخصموا فيه ،
كل قبيلة تريد أن ترفعه

إلى موضعه دون الاخرى . حتى تجاوزوا * (هامش) *)
1 (وتروى : تحاوروا بالزاي . أى امحازت كل قبيلة إلى
جهة . في ط : تحاوروا أو تحالفوا وهو خطأ . (*)

وتحالفوا ، وأعدوا للقتال فقربت بنو

عبد الدار جفنة مملوءة دما ، ثم تعاقدوا هم وبنو عدى بن كعب بن لؤى على الموت ،

وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة . فسموا لعقة الدم .

فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا ، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد

فتشاوروا وتنافصوا .

فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر * (هامش) * (2) ط : عمرو ، وهو خطأ (*) .

بن مخزوم -

وكان عامئذ أسن قريش كلها ، قال : يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من

يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه ، ففعلوا .

فكان أول داخل دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا : هذا الامين

رضينا ، هذا محمد . فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(هلموا إلى ثوبا) . فأتى به وأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال : (لتأخذ كل قبيلة

-281-

بناحية من الثوب . ثم ارفعوه جميعا) ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده

.....
- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 281 سطر 1 الى ص 290 سطر 19

بناحية من الثوب . ثم ارفعوه جميعا) ففعلوا حتى إذا بلغوا
به موضعه وضعه هو بيده

صلى الله عليه وسلم . ثم بنى عليه .

وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الامين .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبدالصمد ، حدثنا ثابت - يعنى
أبا يزيد - حدثنا هلال

يعنى ابن حبان ، عن مجاهد عن مولاة - وهو السائب بن
عبدالله - أنه حدثه أنه كان

فيمن بنى الكعبة في الجاهلية قال : وكان لى حجر أنا
نحته أعبده من دون الله ، قال :

وكنت أجيء باللبن الخاثر الذى أنفه على نفسى فأصبه
عليه فيجئ الكلب فيلحسه ثم

يشغر فيبول عليه ، قال : فبيننا حتى بلغنا موضع الحجر
ولايرى الحجر أحد . فإذا هو

وسط أحجارنا مثل رأس الرجل يكاد يتراءى منه وجه
الرجل . فقال بطن من قريش :

نحن نضعه . وقال آخرون : نحن نضعه . فقالوا : اجعلوا
بينكم حكما . فقالوا : أول رجل

يطلع من الفج . فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا : أتاكم الامين . فقالوا له ، فوضعه

في ثوب . ثم دعا بطونهم فرفعوا نواحيه فوضعه هو صلى
الله عليه وسلم * (هامش) * (1) القباطى : نوع من
التياب كان ينسج بمصر . (*)

قال ابن إسحاق : وكانت الكعبة على عهد النبی صلى الله
عليه وسلم ثمانى عشرة ذراعا

وكانت تكسى القباطى * (هامش) * (2) المطبوعة :
البرور وهو خطأ . (*)

. ثم كسيت بعد البرود * (هامش) * (2) المطبوعة :
البرور وهو خطأ . (*)

. وأول من كساها الديباج

الحجاج بن يوسف .

قلت : وقد كانوا أخرجوا منها الحجر - وهو ستة أذرع أو
سبعة أذرع من ناحية

الشام - قصرت بهم النفقة ، أى لم يتمكنوا أن يبنوه على
قواعد إبراهيم . وجعلوا للكعبة

بابا واحدا من ناحية الشرق . وجعلوه مرتفعا لئلا يدخل
إليها كل أحد فيدخلوا من

شاءوا ويمنعوا من شاءوا .

-282-

وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال لها : (ألم ترى أن قومك قصرت بهم النفقة . ولولا
حدثان قومك بكفر لنقضت

الكعبة وجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا ، وأدخلت فيها
الحجر) .

ولهذا لما تمكن ابن الزبير بناها على ما اشار إليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وجاءت

في غاية البهء والحسن والسناء كاملة على قواعد الخليل
، لها بابان ملتصقان بالارض شرقيا

وغربيا ، يدخل الناس من هذا ويخرجون من الآخر .

فلما قتل الحجاج ابن الزبير كتب إلى عبدالملك بن مروان ، وهو الخليفة يومئذ ، فيما

صنعه ابن الزبير ، اعتقدوا أنه فعل ذلك من تلقاء نفسه .

فأمر بإعادتها إلى ما كانت عليه فعمدوا إلى الحائط الشامى فحصوه وأخرجوا منه

الحجر ورسوا حجارته في أرض الكعبة ، فارتفع باباها وسدوا الغربى ، واستمر الشرقى على

ما كان عليه ، فلما كان في زمن المهدي - أو ابنه المنصور - استشار مالكا في إعادتها على

ما كان صنعه ابن الزبير . فقال مالك رحمه الله : إني أكره أن يتخذها الملوك ملعبة

فتركها على ما هي عليه . فهي إلى الآن كذلك

وأما المسجد الحرام : فأول من أخرج البيوت من حول الكعبة عمر بن الخطاب

رضى الله عنه ، اشتراها من أهلها وهدمها ، فلما كان عثمان اشترى دورا وزادها فيه ، فلما

ولى ابن الزبير أحكم بنيانه ، وحسن جدرانه وأكثر أبوابه . ولم يوسعه شيئا آخر .

فلما استبد بالامر عبدالملك بن مروان زاد في ارتفاع جدرانه ، وأمر بالكعبة

فكسيت الديباج . وكان الذى تولى ذلك بأمره الحجاج بن يوسف .

وقد ذكرنا قصة بناء البيت والاحاديث الواردة في ذلك في تفسير سورة البقرة عند

قوله (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل)
وذكرنا ذلك مطولا

مستقصى ، فمن شاء كتبه هاهنا . والله الحمد والمنة .
قال ابن إسحاق : فلما فرغوا من البنيان وبنوها على ما
أرادوا قال الزبير بن

ع بدالمطلب * (هامش) * (1) يبدو على تلك الابيات
الصنعة والتكلف ، ولاتصح نسبتها إلى الزبير . (*)

، فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب بنيان
الكعبة لها :

- عجت لما تصوبت العقاب * إلى الثعبان وهى لها
اضطرب -

- وقد كانت تكون لها كشيئ * وأحيانا يكون لها وثاب -

- إذا قمنا إلى التأسيس شدت * تهيينا البناء وقد نهاب -

- فلما أن خشينا الزجر جاءت * عقاب تتلئب * (هامش)
* (2) تتلئب : تقيم صدرها ورأسها . والفعل : اتلاب . (*)

لها انصباب -

- فضمتها إليها ثم خلت

لنا البنيان ليس لها حجاب -

- فقمنا حاشدين إلى بناء * لنا منه القواعد والتراب

غداة يرفع التأسيس منه * وليس على مساوينا ثياب

أغز به المليك بن لؤى * فليس لاصله منهم ذهاب

- وقد حشدت هناك بنو عدى * ومرة قد تقدمها كلاب -

- فبو أنا المليك بذاك عزا * وعند الله يلتمس الثواب -

وقد قدمنا في فصل ما كان الله يحوط به رسول الله
صلى الله عليه وسلم من أقدار

الجاهلية ، أنه كان هو والعباس عمه ينقلان الحجارة ، وأنه
عليه الصلاة والسلام لما وضع

إزاره تحت الحجارة على كتفه نهى عن خلع إزاره ،
فأعادته إلى سيرته الأولى .

-284-

فصل

وذكر ابن إسحاق ما كانت قريش ابتدعوه في تسميتهم
الحمس ، وهو الشدة في

الدين والصلابة .

وذلك لانهم عظموا الحرم تعظيما زائدا بحيث التزموا بسببه
أن لا يخرجوا منه

ليلة عرفة . وكانوا يقولون : نحن أبناء الحرم وقطان بيت
الله .

فكانوا لا يقفون بعرفات مع علمهم أنها مشاعر إبراهيم عليه
السلام ، حتى لا يخرجوا

عن نظام ما كانوا قرروه من البدعة الفاسدة . وكانوا
لا يدخرون من اللبن أقطا

ولاسمنا ولا يسلون شحما وهم حرم . ولا يدخلون بيتا من
شعر ولا يستظلون إن استظلوا إلا

ببيت من أدم . وكانوا يمنعون الحجيج والعمار - ماداموا
محرمين - أن يأكلوا إلا من

طعام قريش ، ولا يطوفوا إلا في ثياب قريش ، فإن لم
يجد أحد منهم ثوب أحد من

الحمس ، وهم قريش وما ولدوا ومن دخل معهم من
كنانة وخزاعة ، طاف عربانا ، ولو

كانت امرأة ، ولهذا كانت المرأة إذا اتفق طوافها لذلك
وضعت يدها على

فرجها وتقول :

- اليوم يبدو بعضه أو كله * وما بدا منه فلا أحله -

فإن تكرم أحد ممن يجد ثوب أحمس فطاف في ثياب
نفسه فعليه إذا فرغ من

الطواف أن يلقيها فلا ينتفع بها بعد ذلك . وليس له ولا
غيره أن يمسه . وكانت العرب

تسمى تلك الثياب : (اللقى) قال بعض الشعراء .

- كفى حزنا كرى عليه كأنه * لقى بين أيدي الطائفين
حريم -

قال ابن إسحاق : فكانوا كذلك حتى بعث الله محمدا صلى
الله عليه وسلم وأنزل

-285-

عليه القرآن ردا عليهم فيما ابتدعوه فقال (ثم أفيضوا من
حيث أفاض الناس) * (هامش) * (1) سورة البقرة 199
(*) .

أى

جمهور العرب من عرفات (واستغفروا الله إن غفور رحيم
(*) هامش) * (2) سورة الاعراف 32 ، 31 (*)

.

وقد قدمنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقف
بعرفات قبل أن ينزل عليه

توفيقا من الله له .

وأنزل الله عليه ردا عليهم فيما كانوا حرموا من اللباس
والطعام على الناس (يا بنى

آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا
إنه لا يحب المسرفين :

قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من
الرزق) * (هامش) * (2) سورة الاعراف 31 ، 32 (*)
الآية .

وقال زياد البكائي * (هامش) * (3) هو : أبو محمد زياد .

ابن عبدالله بن طفيل القيسى العامري البكائي راوى
السيرة عن ابن إسحاق . توفى سنة 183 هـ (*)

، عن ابن إسحاق : ولا أدري أكان ابتداعهم لذلك قبل
الفيل أو بعده .

-286-

كتاب مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا
وذكر شئ من البشارات بذلك

قال محمد إسحاق رحمه الله : وكانت الاحبار من اليهود ،
والرهبان من النصارى ،

والكهان من العرب * (هامش) * (1) العبارة محرفة في
المطبوعة والمخطوطة : (وكانت الاحبار من اليهود والكهان
من النصارى ومن

العرب) وما أثبتته من ابن هشام . (*)

قد تحدثوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل
مبعثه لما

تقارب زمانه .

أما الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى فعما وجدوا
في كتبهم من صفته وصفة

زمانه ، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه .

قال الله تعالى : (الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى
يجدونه مكتوبا عندهم

في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
ويحل لهم الطيبات

ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التى
كانت عليه فالذين

آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه
أولئك هم المفلحون * (هامش) * (2) سورة الاعراف
157 . (*) .

وقال الله تعالى : (وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى
اسرائيل إنى رسول الله

إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول
يأتى من بعدى

اسمه أحمد) * (هامش) * (3) سورة الصف 6 . (*)
وقال الله تعالى : (محمد رسول الله والذين معه أشداء
على الكفار

رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله
ورضوانا ، سيماهم في وجوههم

من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في
الانجيل كزرع أخرج شطاه

فآزره فاسنغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ
بهم الكفار وعد الله

الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) *
(هامش) * (1) سورة الفتح 29 . (*)

. وقال الله تعالى : (وإذ

أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم
جاءكم رسول مصدق

لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أقررتم وأخذتم على
ذلكم إصرى ؟ قالوا

أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين * (هامش)
* (2) سورة آل عمران 81 (*) وفى صحيح البخارى عن
ابن عباس قال : (ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق ،

لئن بعث محمد وهو حى ليؤمنن ولينصرنه . وأمره أن يأخذ
على أمته الميثاق لئن بعث

محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه وليتبعنه) .

تعلم من هذا أن جميع الانبياء بشروا وأمروا باتباعه .

وقد قال إبراهيم عليه السلام فيما دعا به لاهل مكة :
(ربنا وابعث فيهم رسولا منهم

يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك
أنت العزيز الحكيم) * (هامش) * (3) سورة البقرة 129
(*) .

وقال الامام أحمد : حدثنا أبوالنضر ، حدثنا الفرج بن فضالة
، حدثنا لقمان بن عامر ،

سمعت أبا أمامة قال : قلت : يا رسول الله ، ما كان بدء
أمرك .

قال : (دعوة أبى إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمى
أنه يخرج منها نور

أضاءت له قصور الشام) .

وقد روى محمد بن إسحاق عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان عن اصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه مثله .

ومعنى هذا أنه أراد : بدء أمره بين الناس واشتهار ذكره وانتشاره ، فذكر دعوة

إبراهيم الذي تنسب إليه العرب ، ثم بشرى عيسى الذي هو خاتم أنبياء بنى إسرائيل

كما تقدم . يدل هذا على أن من بينهما من الانبياء بشروا به أيضا .

-288-

أما في الملا الاعلى فقد كان أمره مشهورا مذكورا معلوما من قيل خلق آدم عليه

الصلاة والسلام . كما قال الامام أحمد :

حدثنا عبدالرحمن بن مهدي ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن سعيد بن سويد الكلبي

عن عبدالاعلى بن هلال السلمى ، عن العرباض بن سارية ، قال : قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم : (إني عند * (هامش) * (1) ط : عبد . وهو خطأ . (*)

الله خاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته ، وسأنيئكم

بأول ذلك ، دعوة أبى إبراهيم ، وبشارة عيسى بي ، ورؤيا أمى التى رأت ، وكذلك

أمهات المؤمنين) .

وقد رواه الليث عن معاوية بن صالح وقال : إن أمه رأت حين وضعته نورا أضاءت

منه قصور الشام .

وقال الامام أحمد أيضا : حدثنا عبدالرحمن ، حدثنا منصور بن سعد ، عن بديل بن

ميسرة ، عن عبدالله بن شقيق ، عن ميسرة الفجر قال : قلت يا رسول الله ، متى كنت

نبيا ؟ قال : (وآدم بين الروح والجسد) .

تفرد بهن أحمد .

وقد رواه عمر بن أحمد بن شاهين في كتاب (دلائل النبوة) من حديث أبي هريرة

فقال : حدثنا عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز - يعنى أبا القاسم البغوى - حدثنا أبوهمام

الوليد بن مسلم ، عن الاوزاعى ، حدثنى يحيى ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة قال :

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم متى وجبت لك النبوة ؟ قال : (بين خلق آدم ونفخ

الروح فيه) .

ورواه من وجه آخر عن الاوزاعى به . وقال : (وآدم منجدل في طينته) .

وروى عن البغوى أيضا عن أحمد بن المقدم ، عن بقية بن سعيد بن بشير ، عن

-289-

قتادة ، عن أبى هريرة - مرفوعا - في قول الله تعالى : (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم

ومنك ومن نوح * (هامش) * (1) سورة الاحزاب . (*)

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كنت أول النبيين في

الخلق وآخرهم في البعث) .

ومن حديث أبي مزاحم ، عن قيس بن الربيع ، عن جابر ،
عن الشعبي ، عن

ابن عباس قيل : يا رسول الله متى كنت نبيا ؟ قال :
(وأدم بين الروح والجسد) .

وأما الكهان من العرب فأتتهم به الشياطين من الجن مما
تسترق من السمع ،

إذ كانت وهى لاتحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم ، وكان
الكاهن والكاهنة لايزال

يقع منهما بعض ذكر أموره * (هامش) * (2) الضمير
يرجع إلى الرسول صلوات الله عليه . (*)

، ولايلقى العرب لذلك فيه بالا . حتى بعثه الله تعالى ،
ووقعت تلك الامور التى كانوا يذكرون فعرفوها .

فلما تقارب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر
زمان مبعثه حجت الشياطين

عن السمع ، وحيل بينها وبين المقاعد التى كانت تقعد
لاستراق السمع فيها ، فرموا

بالنجوم ، فعرفت الشياطين أن ذلك لامر حدث من أمر
الله عزوجل .

قال : وفى ذلك أنزل الله على رسول الله صلى الله عليه
وسلم (قل أوحى إلى أنه استمع

نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجا يهدى إلى
الرشد فأمنا به ولن نشرك بربنا

أحدا) إلى آخر السورة .

وقد ذكرنا تفسير ذلك كله فى كتابنا التفسير ، وكذا قوله
تعالى : (وإذ صرفنا

إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا :
أنصتوا ، فلما قضى ولوا

(19 - السيرة 1)

..290

إلى قومهم منذرين ، قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل
من بعد موسى مصدقا
لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم (الآيات
، ذكرنا تفسير ذلك
كله هناك .

قال محمد بن إسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة
بن الاخنس ، أنه حدث أن

أول العرب فزع للرمى بالنجوم حين رمى بها - هذا الحى
من ثقيف - وأنهم جاءوا إلى

رجل منهم يقال له : عمرو بن أمية أحد بنى علاج ، وكان
أدهى العرب وأنكرها * (هامش) * (1) أنكرها : من النكر
بمعنى الدهاء . وفى ط خ : وأمكرها وهو تحريف . (*)

فقالوا له : يا عمرو ألم تر ما حدث فى السماء من
القذف بهذه النجوم ؟

قال : بلى ، فانظروا فإن كانت معالم النجوم التى يهتدى
بها فى البر والبحر ،

ويعرف بها الانواء من الصيف والشتاء ، لما يصلح الناس
فى معاشتهم هى التى يرمى بها ،

فهو والله طى الدنيا ، وهلاك هذا الخلق ، وإن كانت
نجوما غيرها وهى ثابتة على حالها

فهذا لامر أراد الله به هذا الخلق فما هو ؟ .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم أن امرأة من بنى سهم - يقال لها الغيطة -

كانت كاهنة في الجاهلية ، جاءها صاحبها ليلة من الليالي فانقض تحتها ، ثم قال : أدر

ما أدر * (هامش) * (2) في الاكتفاء للكلاعى : بدر ما بدر . وهو أصح . (*)

، يوم عقر ونحر ؟ قالت قريش حين بلغها ذلك : ما يريد ؟

ثم جاءها ليلة أخرى فانقض تحتها ثم قال : شعوب * (هامش) * (3) شعوب : جمع شعب . ويشير إلى ذلك قوله : فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأحد بالشعب . (*)

ما شعوب ؟ تصرع فيه كعب

لجنوب . فلما بلغ ذلك قريشا قالوا : ماذا يريد ؟ إن هذا لامر هو كائن فانظروا ما هو .

-291-

فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأحد بالشعب ، فعرفوا أنه كان الذى جاء به

.....

- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 291 سطر 1 الى ص 300 سطر 24

فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأحد بالشعب ، فعرفوا أنه كان الذى جاء به

إلى صاحبه .

قال ابن إسحاق : وحدثني على بن نافع الجرشي أن جنبا - بطنا من اليمن - كان

لهم كاهن في الجاهلية ، فلما ذكر أمر رسول الله صلى
الله عليه وسلم وانتشر في العرب ،

قالت له جنب : انظر لنا في أمر هذا الرجل . واجتمعوا له
في أسفل جبله .

فنزل إليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائما متكئا
على قوس له فرفع رأسه إلى

السماء طويلا ، ثم جعل ينزو ، ثم قال : أيها الناس إن
الله أكرم محمدا واصطفاه ، وطهر

قلبه وحشاه ، ومكثه فيكم أيها الناس قليل . ثم اشتد في
جبله راجعا من حيث جاء .

ثم ذكر ابن إسحاق قصة سواد بن قارب . وقد أخرجها
إلى هواتف الجان .

فصل

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن
رجال من قومه ، قالوا إن

مما دعانا إلى الاسلام - مع رحمة الله تعالى وهداه لنا -
أن كنا نسمع من رجل من يهود * (هاشم) * (1) ابن
هشام : لما كنا نسمع من رجال من يهود . (*)

-

كنا أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب عندهم
علم ليس لنا ، وكانت لاتزال

بيننا وبينهم شرور ، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا
لنا : إنه قد تقارب زمان

نبي يبعث الآن نقلتكم معه قتل عاد وإرم .

فكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم .

فلما بعث الله رسول الله صلى الله عليه وسلم أجبناه
حين دعانا إلى الله ، وعرفنا

ما كانوا يتوعدوننا به . فبادرناهم إليه ، فأما به وكفروا
به .

ففيما وفيهم نزلت هذه الآية . (ولما جاءهم كتاب من عند
الله مصدق لما

-292-

معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما
جاءهم ما عرفوا كفروا به

فلعنة الله على الكافرين) * (هامش) * (1) سورة
البقرة . (*) .

وقال ورقاء : عن ابن أبي نجيح ، عن علي الأزدي : كانت
اليهود تقول : اللهم

أبعث لنا هذا النبي يحكم بيننا وبين الناس يستفتحون به -
أى يستنصرون به .

رواه البيهقي .

ثم روى من طريق عبدالمك ابن هارون بن عنبرة ، عن
أبيه ، عن جده ،

عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كانت اليهود
بخير تقاتل غطفان ، فكلما

التقوا هزمت يهود خيبر ، فعادت اليهود بهذا الدعاء فقالوا
: اللهم نسألك بحق محمد

النبي الامى الذى وعدتنا أن تخرجه في آخر الزمان إلا
نصرتنا عليهم .

قال : فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان .

فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كفروا به . فأنزل الله عزوجل (وكانوا من

قبل يستفتحون على الذين كفروا) الآية .

وروى عطية عن ابن عباس نحوه . وروى عن عكرمة من قوله نحو ذلك أيضا .

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف ، عن محمود

ابن لبيد ، عن سلمة بن سلام * (هامش) * (2) ابن هشام : بن سلامة . (*)

بن وقش ، وكان من أهل بدر ، قال : كان لنا جار من يهود في بني عبد الاشهل ، قال فخرج علينا يوما من بيته حتى وقف على

بني عبد الاشهل .

قال سلمة : وأنا يومئذ أحدث من فيه سنا على فروة لى مصطجع فيها

بفناء أهلى .

-293-

فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار .

قال : فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان ، لا يرون أن بعثا كائن

بعد الموت .

فقالوا له : ويحك يا فلان ! أو ترى هذا كائنا ، أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار

فيها جنة ونار يحزون فيها بأعمالهم ؟

قال : نعم ، والذي يحلف به ، ويود * (هامش) * (1)
ابن هشام : ولود . (*)

أن له تحطة من تلك النار أعظم تنور في
في الدار يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبقونه عليه وأن ينجو
من تلك النار غدا .

قالوا له : ويحك يا فلان فما آية ذلك ؟

قال : نبى مبعوث من نحو هذه البلاد . وأشار بيده إلى
نحو مكة واليمن .

قالوا : ومتى نراه ؟

قال : فنظر إلى وأنا من أحدثهم سنا - فقال : إن يستنفذ
هذا الغلام

عمره يدركه .

قال سلمة : فو الله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله
رسوله الله صلى الله عليه وسلم وهو

حى بين أظهرنا ، فأما به وكفر به بغيا وحسدا !

قال : فقلنا له ويحك يا فلان ! ألسنت بالذى قلت لنا فيه
ما قلت ؟

قال : بلى ، ولكن ليس به .

رواه أحمد عن يعقوب عن أبيه عن ابن عباس . ورواه
البيهقى عن الحاكم بإسناده

من طريق يونس بن بكير .

وروى أبونعيم في الدلائل عن عاصم بن عمر بن قتادة ،
عن محمود بن لبيد ، عن محمد

ابن سلمة ، قال : لم يكن في بنى عبد الاشهل إلا يهودى واحد يقال له يوشع ، فسمعتة

يقول ، وإنى لغلام في إزار : قد أظلكم خروج نبى يبعث من نحو هذا البيت . ثم أشار

بيده إلى بيت الله ، فمن أدركه فليصدقه .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمنا وهو بين أظهرنا لم يسلم حسدا وبغيا .

وقد قدمنا حديث أبى سعيد عن أبيه في إخبار يوشع هذا عن خروج رسول الله

صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته ، وإخبار الزبير بن باطا عن ظهور كوكب مولد رسول الله

صلى الله عليه وسلم .

ورواه الحاكم عن البيهقى بإسناده من طريق يونس بن بكير عنه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بنى قريظة قال

قال لى : هل تدرى عم كان إسلام ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية ، وأسد بن

عبيد - نفر من بنى هذل ، إخوة بنى قريظة كانوا معهم في جاهليتهم ، ثم كانوا

ساداتهم في الاسلام ؟

قال : قلت لا .

قال : فإن رجلا من اليهود من أرض الشام يقال له ابن الهيبان قدم علينا

قبل الاسلام بسنين . فحل بين أظهرنا ، لا والله مارأينا رجلا قط لا يصلى الخمس

أفضل منه .

فأقام عندنا فكنا إذا قحط عنا المطر قلنا له : اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا .

فيقول : لا والله حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة .
فنقول له : كم ؟ فيقول : صاعا
من تمر ، أو مدين من شعير .

295

قال : فنخرجها ، ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرتنا فيستسقى لنا ، فوالله ما يبرح مجلسه

حتى يمر السحاب ويسقى . قد فعل ذلك غيره مرة
ولامرتين ولاثلاثا .

قال : ثم حضرته الوفاة عندنا ، فلما عرف أنه ميت قال :
يا معشر يهود ، ما ترونه

أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟

قال : قلنا أنت أعلم .

قال : فإنى إنما قدمت هذه البلدة أتوكف خروج نبي قد
أظل زمانه ، هذه البلدة

مهاجره فكنت أرجوا أن يبعث فأتبعه ، وقد أظلكم زمانه
فلا تسبقن إليه يا معشر

يهود ، فإنه يبعث بسفك الدماء وسبى الذراري ممن خالفه
، فلا يمنعكم ذلك منه .

فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصر بنى
قريظة قال هؤلاء الفتية ، وكانوا

شبابا أحداثا ، : يا بنى قريظة والله إنه للنبي الذي عهد
إليكم فيه ابن الهيبان .

قالوا : ليس به . قالوا : بلى والله ، إنه لهو بصفته .
فنزّلوا فأسلموا فأحرزوا دماءهم
وأموالهم وأهليهم .

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنا عن أخبار يهود .

قلت : وقد قدمنا في قدوم تبع اليماني ، وهو أبوكرب
تبان ؟ أسعد ، إلى المدينة

ومحاصرته إياها ، وأنه خرج إليه ذاك الحبران من اليهود
فقالا له : إنه لاسيل لك

عليها ، إنها مهاجر نبي يكون في آخر الزمان . فثناه ذلك
عنها .

وقد روى أبونعيم في الدلائل من طريق الوليد بن مسلم ،
حدثنا محمد بن حمزة بن

يوسف بن عبدالله بن سلام ، عن أبيه عن جده . قال :
قال عبدالله بن سلام : إن الله

لما أراد هدى زيد بن سعية قال زيد : لم يبق شئ من
علامات النبوة إلا وقد عرفتها في

-296-

وجه محمد صلى الله عليه وسلم ، حين نظرت إليه إلا
اثنتين لم أخبرهما منه : يسبق حلمه

جهله ، ولايزيده شدة الجهل عليه إلا حلما .

قال : فكنت أتلف له لان أخالطه فأعرف حلمه وجهله ،
فذكر قصة إسلافه للنبي

صلى الله عليه وسلم مالا في ثمرة . قال : فلما حل
الاجل أتته فأخذت بمجامع قميصه

وردائه - وهو في جنازة مع أصحابه - ونظرت إليه بوجه
غليظ ، وقلت : يا محمد ألا تقصيني

حقى ؟ فو الله ما علمتكم بنى ع بدالمطلب لمطل .

قال : فنظر إلى عمر وعيناه تدوران في وجهه كالفلك
المستدير . ثم قال : يا عدو الله

أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع ،
وتفعل ما أرى ؟ فو الذى بعثه بالحق لولا

ما أحاذر لومه لضربت بسيفى رأسك .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى عمر في
سكون وتؤدة وتبسم . ثم قال :

(أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر ، أن تأمرنى
بحسن الاداء ، وتأمره بحسن

التباعة ، اذهب به يا عمر فاقضه حقه . وزد عشرين صاعا
من تمر) .

فأسلم زيد بن سعية رضى الله عنه . وشهد بقية المشاهد
مع رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، وتوفى عام تبوك رحمه الله .

ثم ذكر ابن إسحاق رحمه الله : إسلام سلمان الفارسى
رضى الله عنه وأرضاه ، فقال :

حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة الانصارى ، عن محمود بن
ليبيد ، عن عبدالله بن

عباس ، قال : حدثنى سلمان الفارسى - من فيه - قال :

كنت رجلا فارسيا من أهل أصبهان ، من أهل قرية يقال
لها جى ، وكان

أبى دهقان قرينه ، وكنت أحب خلق الله إليه ، فلم يزل
حبه إياى حتى حبسنى في بيته

كما تحبس الجارية .

واجتهدت في المجوسية ، حتى كنت قطن النار الذى
يوقدها لا يتركها

تخبو ساعة .

قال : وكانت لابي ضيعة عظيمة ، قال : فشغل في بنيان
له يوما فقال لى : يا بنى ابنى

قد شغلت في بنيانى هذا اليوم عن ضيعتى ، فاذهب إليها
فاطلعها ، وأمرنى فيها ببعض

ما يريد . ثم قال لى : ولا تحتبس عنى فإنك إن احتبست
عنى كنت أهم إلى من ضيعتى

وشغلتنى عن كل شئ من أمرى .

قال : فخرجت أريد ضيعة التى بعثنى إليها ، فمررت
بكنيسة من كنائس النصارى ،

فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون . وكنت لأدرى ما أمر
الناس ، لحبس أبى إياى في

بيته ، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون
، فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم

ورغبت في أمرهم . وقلت : هذا والله خير من الدين الذى
نحن عليه

فو الله ما برحتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبى
فلم أتها .

ثم قلت لهم : أين أصل هذا الدين ؟ قالوا : بالشام .

فرجعت إلى أبى وقد بعث في طلبى وشغلته عن أمره
كله . فلما جئت قال : أى

بنى أين كنت ؟ ألم أكن أعهد إليك ما عهدته ؟ قال :
قلت يا أبت مررت بأناس

يصلون في كنيسة لهم ، فأعجبني ما رأيت من دينهم ،
فو الله ما زلت عندهم حتى

غربت الشمس .

قال : أي بنى ، ليس في ذلك الدين خير ، دينك ودين
آبائك خير منه .

قال : قلت : كلا والله إنه لخير من ديننا .

قال : فخافني فجعل في رجلى قيذا ثم حبسنى في بيته .

قال : وبعثت إلى النصارى فقلت لهم : إذا قدم عليكم
ركب من الشام فأخبروني

298

بهم . قال : فقدم عليهم ركب من الشام فجاءونى النصارى
فأخبرونى بهم . فقلت : إذا

قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فأذنونى .

قال : فلما ارادوا الرجعة إلى بلادهم أخبرونى بهم ،
فألقيت الحديد من رجلى ثم

خرجت معهم حتى قدمت الشام ، فلما قدمتها قلت : من
أفضل أهل هذا الدين علما ؟ قالوا

الاسقف في الكنيسة .

قال فجئته فقلت له : إنى قد رغبت في هذا الدين
وأحببت أن أكون معك وأخدمك

في كنيستك وأتعلم منك فأصلى معك . قال : ادخل

فدخلت معه ، فكان رجل سوء ، يأمرهم بالصدقة ويرغبهم
فيها ، فإذا جمعوا له

شيئا كنزه لنفسه ولم يعطه المساكين ، حتى جمع سبع
قلال من ذهب وورق .

قال : وأبغضته بغضا شديدا لما رأته يصنع .

ثم مات واجتمعت له النصارى ليدفنوه . فقلت لهم : إن هذا كان رجلا

سوء ، يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها ، فإذا جئتموه بها كنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئا .

قال : فقالوا لى : وما علمك بذلك ؟ قال : فقلت لهم أنا أدلكم على كنزه . قالوا :

فدلنا . قال : فأريتهم موضعه ، فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهبا وورقا ، فلما رأوها قالوا :

لاندفنه أبدا . قال : فصلبوه ورجموه بالحجارة .

وجاءوا برجل آخر فوضعه مكانه . قال سلمان : فما رأيت رجلا لا يصلى الخمس

أرى أنه أفضل منه ، وأزهد في الدنيا ولاأرغب في الآخرة ، ولاأدأب ليلا ونهارا .

قال : فأحبته حبا لم أحب شيئا قبله مثله .

قال : فأقمت معه زمانا ، ثم حضرته الوفاة ، فقلت له : إنى قد كنت معك ،

-299-

وأحببتك حبا لم أحبه شيئا قبلك ، وقد حضرنا ما ترى من أمر الله تعالى ، فإلى من

توصى بى ؟ وبم تأمرين * (هامش) * (1) الاصل : وبم تأمرنى به . وهو لا يستقيم . (*)

؟ قال : أى بنى والله ما أعلم اليوم أحدا على ما كنت عليه ،

لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه ، إلا رجلا
بالموصل ، وهو فلان ،

وهو على ما كنت عليه فالحق به .

قال : فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل . فقلت : يا
فلان ، إن فلانا أوصانى

عند موته أن ألحق بك ، وأخبرنى أنك على أمره . فقال
لى : أقم عندى .

فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه ، فلم
يلبث أن مات ، فلما حضرته

الوفاة قلت له : يا فلان إن فلانا أوصى بى إليك وامرنى
باللحقوق بك ، وقد حضرك من

أمر الله ما ترى ، فألى من توصى بى ، وبم تأمرنى ؟
قال : يا بنى والله ما أعلم رجلا على

مثل ما كنا عليه ، إلا رجلا بنصيبين ، وهو فلان ، فالحق
به .

فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين ، فأخبرته خبرى
وما أمرنى به صاحباى .

فقال : أقم عندى . فأقمت عنده ، فوجدته على أمر
صاحبيه ، فأقمت مع خير رجل ،

فو الله ما لبث أن نزل به الموت ، فلما حضر قلت له :
يا فلان إن فلانا كان أوصى

بى إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إلى فلان ، ثم أوصى
بى فلان إليك ، فألى من توصى

بى وبم تأمرنى ؟

قال : يا بنى والله ما أعلمه بقى أحد أمرنا آمرك أن تأتبه
، إلا رجلا بعمورية

من أرض الروم ، فإنه على مثل ما نحن عليه . فإن
أحببت فائته ، فإنه على أمرنا .

فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية ، فأخبرته خبر ،
فقال : أقم عندي . فأقمت

عند خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم . قال : واكتسبت
حتى كانت لى بقرات وغنيمة .

-300-

قال : ثم نزل به أمر الله ، فلما حضر قلت له : يا فلان
إنى كنت مع فلان فأوصى بى

إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إلى فلان ، ثم أوصى بى
فلان إلى فلان . ثم أوصى بى فلان

إليك ، فإلى من توصى بى وبم تأمرنى ؟

قال : أى بنى ، والله ما أعلم أصبح أحد على مثل ما كنا
عليه من الناس أمرك أن

أن تأتبه ، ولكنه قد أظل زمان نبى مبعوث بدين إبراهيم
يخرج بأرض العرب ، مهاجره

إلى أرض * (هامش) * (1) ط ح : الارض وهو تحريف)
(*

بين حرتين بينهما نخل ، به علامات لاتخفى : يأكل الهدية
ولا يأكل

الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تحلق
بتلك البلاد فافعل .

قال : ثم مات وغيب ، ومكثت بعمورية ما شاء الله أن
أمكث .

ثم مر بى نفر من كلب تجار ، فقلت لهم احملونى إلى
أرض العرب وأعطيكم بقراتى

هذه وغنيمتى هذه . قالوا : نعم . فأعطيتهموها وحملونى معهم ، حتى إذا بلغوا وادى القرى

ظلمونى فباعونى من رجل يهودى عبدا ، فكنت عنده ، ورأيت النخل ، فرجوت أن

يكون البلد الذى وصف لى صاحبى ، ولم يحق فى نفسى .

فبينما أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من بنى قريظة من المدينة ، فابتاعنى

منه ، فاحتملنى إلى المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبى لها ،

فأقمت بها .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقام بمكة ما أقام ، ولا أسمع له بذكر مما أنا فيه

من شغل الرق ، ثم هاجر إلى المدينة .

فوالله إنى لفى راس عذق * (هامش) * (2) العذق : النخلة . (*)

لسيدى أعمل فيه بعض العلم ، وسيدى جالس تحتى

إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال : يا فلان قاتل الله بنى قيلة * (هامش) * (3) بنو قيلة : الانصار . (*)

. والله إنهم

لمجتمعون الآن بقاء على رجل قدم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي .

-301-

قال سلمان : فلما سمعتها أخذتنى الرعدة حتى طننت أنى ساقط على سيدى ، فنزلت

.....

- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 301 سطر 1 الى ص
310 سطر 25

قال سلمان : فلما سمعتها أخذتني الرعدة حتى ظننت أني
ساقط على سيدي ، فنزلت

عن النخلة ، فجعلت أقول لابن عمه ماذا تقول ؟ ماذا
تقول ؟

قال : فغضب سيدي فلكمني لكمة شديدة . ثم قال مالك
ولهذا ؟ أقبل على عملك .

قال : فقلت لاشئ إنما أردت أن أستثبته عما قال .

قال : وقد كان عندي شئ قد جمعته ، فلما أمسيت أخذته
، ثم ذهبت به إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقاء ، فدخلت
عليه فقلت له : إنه قد بلغني أنك رجل

صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة ، وهذا شئ كان
عندي للصدقة ، فرأيتكم أحق

به من غيركم .

قال : فقربته إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لأصحابه : (كلوا) وأمسك

يده فلم يأكل .

فقلت في نفسي : هذه واحدة .

ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً ، وتحول رسول الله صلى
الله عليه وسلم إلى المدينة ،

ثم جئته فقلت له : إنى قد رأيتك لاتأكل الصدقة ، وهذه
هدية أكرمتك بها . قال :

فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأمر أصحابه
فأكلوا معه .

قال : فقلت في نفسي هاتان ثنتان .

قال : ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
ببقيع الغرق قد تبع جنازة رجل

من أصحابه وعليه شملتان وهو جالس في أصحابه ،
فسلمت عليه ، ثم استدبرته أنظر إلى

ظهره ، هل أرى الخاتم الذى وصف لى صاحبي ؟ فلما
رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم

استدبرته عرف أنى أستثبت في شئ وصف لى ، فألقى
رداءه عن ظهره فنظرت إلى

الخاتم فعرفته ، فأكبت عليه أقبله وأبكى ، فقال لى
رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(تحول) فتحولت بين يديه ، فقصصت عليه حديثى كما
حدثتك يا ابن عباس .

-302-

فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسمع ذاك
أصحابه .

ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بدر وأحد .

قال سلمان : ثم قال لى رسول الله صلى الله عليه
وسلم (كاتب يا سلمان) فكاتبته

صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحييها له بالفقير * (هامش) *
(1) الفقير : البئر تغرس فيها الفسيلة . (*)

وأربعين أوقية . فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، لاصحابه : (أعيّنوا أحاكم) فأعانوني في
النخل : الرجل بثلاثين ودية * (هامش) * (2) الودية :
كغنية : صغار الفسيل . (*)

والرجل بعشرين ودية ، والرجل بخمس عشرة ودية ،
والرجل بعشرة ، يعين الرجل

بقدر ما عنده ، حتى اجتمعت لى ثلاثمائة ودية . فقال لى
رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(اذهب يا سلمان ففقر لها ، فإذا فرغت فائتنى أكن أنا
أضعها بيدي) .

قال : ففقرت ، وأعاننى اصحابى ، حتى إذا فرغت جئته
فأخبرته . فخرج رسول الله

صلى الله عليه وسلم معى إليها ، فجعلنا نقرب إليه
الوادى ، ويضعه رسول الله صلى الله

عليه وسلم بيده ، حتى إذا فرغنا ، فو الذى نفس سلمان
بيده ما ماتت منها ودية واحدة .

فأدبت النخل وبقي على المال . فأتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بمثل بيضة

الدجاجة من ذهب من بعض المعادن . فقال : (ما فعل
الفارسى المكاتب ؟) قال :

فدعيت له قال : (خذ هذه فأدها مما عليك يا سلمان) .

قال : قلت : وأين تقع هذه مما على يا رسول الله ؟ قال
: (خذها فإن الله سيؤدى

بها عنك) قال : فأخذتها فوزنت لهم منها ، والذى نفس
سلمان بيده ، أربعين أوقية ،

فأوفيتهم حقهم .

وعتق سلمان ، فشهدت مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم الخندق حرا ثم لم يفتنى

معه مشهد .

-303-

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن رجل من عبدالقيس ، عن

سلمان أنه قال : لما قلت : وأين تقع هذه من الذي على يا رسول الله ؟ أخذها رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقلبها على لسانه ، ثم قال : (خذها فأوفهم منها) فأخذتها فأوفيتهم

منها حقهم كله أربعين أوقية .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، حدثني من لأتهم ، عن

عمر بن عبدالعزيز بن مروان قال : حدثت عن سلمان أنه قال لرسول الله صلى الله

عليه وسلم حين أخبره أن صاحب عمورية قال له : إيت كذا وكذا من أرض الشام ،

فإن بها رجلا بين غيضتين يخرج كل سنة من هذه الغيضة مستجيزا ، يعترضه ذوو الاسقام

فلا يدعو لاحد منهم إلا شفى فأسأله عن هذا الدين الذي تبتغى ، فهو يخبرك عنه .

قال سلمان : فخرجت حتى جئت حيث وصف لى ، فوجدت الناس قد اجتمعوا

بمرضاهم هناك حتى يخرج لهم تلك الليلة مستجيزا من إحدى الغيضتين إلى الأخرى ، فغشيه

الناس بمرضاهم لايدعو لمريض إلا شفى ، وغلبونى عليه فلم أخلص إليه حتى دخل الغيضة

التي يريد أن يدخل إلامنكبه . قال : فتناولته فقال : من هذا ؟ والتفت إلى . قال : قلت

يرحمك الله ! اخبرني عن الحنيفة دين ابراهيم قال : إنك لتسأل عن شيء ما يسأل عنه الناس اليوم ، قد أظلك زمان نبي يبعث

بهذا الدين من أهل الحرم ، فأتته فهو يحملك عليه . ثم دخل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسلمان : (لئن كنت صدقتني يا سلمان لقد لقيت

عيسى بن مريم) .

هكذا وقع في هذه الرواية ، وفيها رجل مبهم ، وهو شيخ عاصم بن عمر بن قتادة .

-304-

وقد قيل إنه الحسن بن عمارة ، ثم هو منقطع بل معضل بين عمر بن عبدالعزيز وسلمان

رضى الله عنه .

قوله : (لئن كنت صدقتني يا سلمان لقد لقيت عيسى بن مريم) غريب جدا بل

منكر ، فإن الفترة أقل ما قيل فيها أنها أربعمئة سنة ، وقيل ستمائة سنة بالشمسية ،

وسلمان أكثر ما قيل أنه عاش ثلاثمئة سنة وخمسين سنة . وحكى العباس بن يزيد

البحراني إجماع مشايخه على أنه عاش مائتين وخمسين سنة . واختلفوا فيما زاد إلى

ثلاثمئة وخمسين سنة والله أعلم . والظاهر أنه قال لقد لقيت وصى عيسى بن مريم فهذا

ممکن بالصواب .

وقال السهيلي : الرجل المبهم هو الحسن بن عماره وهو ضعيف ، وإن صح لم يكن

فيه نكارة . لان ابن جرير ذكر أن المسيح نزل من السماء بعد ما رفع فوجد أمه

وامرأة أخرى يبكيان عند جذع المصلوب ، فأخبرهما أنه لم يقتل ، وبعث الحواريين

بعد ذلك .

قال : وإذا جاز نزوله مرة جاز نزوله مرارا ثم يكون نزوله الظاهر حين يكسر

الصليب ويقتل الخنزير ، ويتزوج حينئذ امرأة من بنى جذام ، وإذا مات دفن في حجرة

روضة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد روى البيهقي في كتاب دلائل النبوة قصة سلمان هذه من طريق يونس

ابن بكير ، عن محمد بن إسحاق كما تقدم ورواها أيضا عن الحاكم عن الاصم بن يحيى

ابن أبي طالب .

حدثنا على بن عاصم ، حدثنا حاتم بن أبي صفرة ، عن سماك بن حرب ، عن يزيد

ابن صوحان ، أنه سمع سلمان يحدث كيف كان أوله إسلامه . فذكر قصة طويلة وذكر أنه

-305-

كان من رامهرمز ، وكان له أخ أكبر منه غنى ، وكان سلمان فقيرا في كنف أخيه ،

وأن ابن دهقانها * (هامش) * (1) الدهقان : رئيس
الاقليم أو زعيم فلاحى العجم . معرب . (*)

كان صاحباً له ، وكان يختلف معه إلى معلم لهم ، وأنه
كان يختلف

ذلك الغلام إلى عباد من النصارى في كهف لهم ، فسأله
سلمان أن يذهب به معه إليهم ،

فقال له : إنك غلام وأخشى أن تتم عليهم فيقتلهم أبى .
فالتزم له أن لا يكون منه
شئ يكرهه .

فذهب به معه فإذا هم ستة أو سبعة ، كأن الروح قد
خرجت منهم من العبادة ،

يصومون النهار ويقومون الليل ، يأكلون الشجر وما وجدوا
.

فذكر عنهم أنهم يؤمنون بالسل المتقدمين ، وأن عيسى
عبدالله ورسوله وابن
أمته ، أيده ب المعجرات .

وقالوا له : يا غلام إن لك ربا ، وإن لك معادا ، وإن بين
يديك جنة ونارا ، وإن

هؤلاء القوم الذين يعبدون النيران أهل كفر وضلالة ،
لايرضى الله بما يصنعون وليسوا
على دينه .

ثم جعل يتردد مع ذلك الغلام إليهم ، ثم لزمهم سلمان
بالكلية ، ثم أجلاهم ملك

تلك البلاء ، وهو أبوذلك الغلام الذى صحبه سلمان إليهم
عن أرضه ، واحتبس الملك

ابنه عنده ، وعرض سلمان دينهم على أخيه الذى هو أكبر منه فقال : إنى مشغل بنفسى

في طلب المعيشة .

فارتحل معهم سلمان حتى دخلوا كنيسة الموصل ، فسلم عليهم أهلها ثم أرادوا أن

يتركونى عندهم ، فأبيت إلا صحبتهم . فخرجوا حتى أتوا واديا بين جبال ، فتحدر إليهم

رهبان تلك الناحية يسلمون عليهم واجتمعوا إليهم ، وجعلوا يسألونهم عن غيبتهم عنهم

ويسألونهم عن فيثون على خيرا .

(20 - السيرة - 1)

-306-

وجاء رجل معظم فيهم فخطبهم فأثنى على الله بما هو أهله ، وذكر الرسل وما أيدوا

به ، وذكر عيسى بن مريم ، وأنه كان عبدالله ورسوله ، وأمرهم بالخير ونهاهم عن الشر ،

ثم لما أرادوا الانصراف تبعه سلمان ولزمه . قال فكان يصوم النهار ويقوم الليل من

الاحد إلى الاحد ، فيخرج إليهم ويعظهم ويأمرهم وينهاهم ، فمكث على ذلك مدة

طويلة ، ثم أراد أن يزور بيت المقدس فصحبه سلمان إليه .

قال : فكان فيما يمشى يلتفت إلى ويقبل على فيعظنى ويخبرنى أن لى ربا ، وأن

بين يدي جنة ونارا وحسابا ويعلمنى ويذكرنى نحو ما كان يذكر القوم يوم

الاحد . قال فيما يقول لى : يا سلمان إن الله سوف يبعث رسولا اسمه أحمد ، يخرج من

تهامة ، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم - النبوة - وهذا زمانه الذى

يخرج فيه قد تقارب ، فأما أنا فإنى شيخ كبير ولا أحسبني أدركه ، فإن أدركته أنت

فصدقه واتبعه . قلت له : وإن أمرنى بترك دينك وما أنت عليه ؟ قال : وإن أمرك ، فإن

الحق فيما يجئ به ورضا الرحمن فيما قال .

ثم ذكر قدومهما إلى بيت المقدس ، وأن صاحبه صلى فيه هاهنا وهاهنا ، ثم نام وقد

أوصاه أنه إذا بلغ الظل مكان كذا أن يوقظه ، فتركه سلمان حيناً آخر أزيد مما قال ليستريح ،

فلما استيقظ ذكر الله ولام سلمان على ترك ما أمره من ذلك . ثم خرجا من بيت المقدس

فسأله مقعد فقال : يا عبدالله سألتك حين وصلت فلم تعطنى شيئاً ، وها أنا أسألك . فنظر

فلم يجد أحداً فأخذ بيده وقال : قم بسم الله . فقام وليس به بأس ولا قلبية * (هامش) * (1) القلبية : محركة داء وألم من علة . (*)

كأنما

نشط من عقال . فقال لى : يا عبدالله ، احمل على متاعى حتى أذهب إلى أهلى فأبشرهم ،

فاشتغلت به ، ثم أدركت الرجل فلم ألحقه ولم أدر أين ذهب ، وكلما سألت عنه قوما

قالوا : أمامك .

حتى لقيني ركب من العرب من بنى كلب فسألتهم ، فلما
سمعوا لغتى أناخ رجل منهم

بعيره فحملنى خلفه حتى أتوا بى بلادهم .

فباعونى فاشترتنى امرأء من الانصار فجعلتنى فى حائط
لها .

وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم ذكر ذهابه إليه بالصدقة والهدية ليستعلم ما قال صاحبه
، ثم تطلب النظر إلى خاتم

النبوة ، فلما رآه آمن من ساعته ، وأخبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم خبره الذى

جرى له .

قال : فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبابكر
الصديق فاشتراه من سيده فاعتقه .

قال : ثم سأله يوماً عن دين النصارى فقال : لا خير فيهم
قال : فوقع فى نفسى

من أولئك الذين صحبتهم ، ومن ذلك الرجل الصالح الذى
كان معى ببيت المقدس ، فدخلنى

من ذلك أمر عظيم ، حتى أنزل الله رسول الله صلى
الله عليه وسلم (لتجدن أشد الناس

عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم
مودة للذين آمنوا الذين

قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم
لا يستكبرون) فدعانى رسول

الله صلى الله عليه وسلم فجئت وأنا خائف ، فجلست
بين يديه فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم

(ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون)
الآيات . ثم قال : (يا سلمان

أولئك الذين كنت معهم وصاحبك لم يكونوا نصارى كانوا
مسلمين) فقلت : يا رسول الله

والذى بعثك بالحق لهو أمرنى باتباعك ، فقلت له : فإن
أمرنى بترك دينك وما أنت عليه ؟

قال : نعم فاتركه ، فإن الحق وما يرضى الله فيما يأمرك
.

وفى هذا السياق غرابة كثيرة وفيه بعض المخالفة لسياق
محمد بن إسحاق ، وطريق

محمد بن إسحاق أقوى إسنادا وأحسن اقتصاصا وأقرب
إلى مارواه البخارى فى صحيحه من

-308-

حديث معتمر بن سليمان بن طرخان التيمى ، عن أبيه ،
عن أبى عثمان النهدي ، عن

سلمان الفارسي ، أنه تداوله بضعة عشر ، من رب إلى
رب ، أى من معلم إلى معلم ومرب

إلى مثله . والله أعلم .

قال السهيلي : تداوله ثلاثون سيدا من سيد إلى سيد ،
فالله أعلم .

وكذلك استقصى قصة إسلامه الحافظ أبونعيم فى (الدلائل
(وأورد لها أسانيد

وألفاظا كثيرة ، وفى بعضها أن اسم سيدته التى كاتبته
حليسة . فالله أعلم .

ذكر أخبار غريبة فى ذلك

قال أبونعيم في الدلائل : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا محمد بن زكرياء الغلابي * (هامش) * (1) هو أبوبكر محمد بن زكريا بن دينار الغلابي البصري يعرف بزكرويه . (*)

حدثنا العلاء بن الفضل بن عبدالمك بن أبي السوية المنقري ، حدثنا عباد بن كسيب ،

عن أبيه ، عن أبي عتوارة الخزاعي ، عن سعيير بن سودة العامري قال : كنت عشيقا

لعقيلة من عقائل الحى ، أركب لها الصعب والذلول لأبقى من البلاد مسرحا أرجو

ريحا في متجر إلا أتيته ، فانصرفت من الشام بحرث وأثاث أريد به كبة الموسم * (هامش) * (2) الكبة : الزحام . (*)

ودهما

العرب ، فدخلت مكة بليل مسدف ، فأقمت حتى تعرى عنى قميص الليل فرفعت رأسى

فإذا قباب مسامته شعف الجبال ، مضروبة بأنطاع الطائف ، وإذا جزر تنحر وأخرى

تساق ، وإذا أكلة وحثثة على الطهارة يقولون ألا عجلوا ألا عجلوا ، وإذا رجل يجهر على

نشر من الارض ينادى : يا وفد الله ميلوا إلى الغداء . وأنيسان على مدرجة يقول : يا وفد

الله من طعم فليرح إلى العشاء . فجهرنى * (هامش) * (3) جهرنى : راعنى . (*)

ما رأيت فأقبلت أريد عميد القوم ، فعرف

رجل الذى بى ، فقال : أمامك . وإذا شيخ كأن فى خديه
الاساربع * (هامش) * (1) الاساربع لها معان كثيرة منها
: دود بيض حمر الرءوس (*)

، وكان

الشعرى * (هامش) * (2) الشعرى : نجم عظيم . (*)

توقد من جبينه ، قد لاث على رأسه عمامة سوداء قد
أبرز من ملاءها جمعة * (هامش) * (3) الجمعة : مجتمع
شعر الرأس . (*)

فيناة كأنها سماسم * (هامش) * (4) السماسم : الاولى
عيدان السمسم ، والثانية خشب أسود . (*)

. قال فى بعض الروايات : تحته كرسى سماسم * (هامش)
(*) (4) السماسم : الاولى عيدان السمسم ، والثانية
خشب أسود . (*)

وممن دونها

غرفة ، بيده قضيب متخصر به ، حوله مشايخ جلس
نواكس الازقان ، ما منهم أحد

يفيى بكلمة . وقد كان نمى إلى خبر من أخبار الشام أن
النبى الامى هذا أوان نجومه ،

فلما رأته ظننته ذلك فقلت : السلام عليك يا رسول الله
. فقال : مه مه ، كلا وكان قد ،

وليتنى إياه . فقلت : من هذا الشيخ ؟ فقالوا هذا أبونضلة
، هذا هاشم بن عبد مناف ،

فوليت وأنا أقول : هذا والله المجد لامجد آل جفنة - يعنى
ملوك عرب الشام من

غسان كان يقال لهم آل جفنة - . وهذه الوظيفة التى
حكاها عن هاشم هى ؟ ؟ فادة يعنى

إطعام الحجيج زمن الموسم .

وقال أبونعيم : حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر ، حدثنا محمد بن أحمد بن أبي يحيى ،

حدثنا سعيد بن عثمان ، حدثنا علي بن قتيبة الخراساني ، حدثنا خالد بن الياس ، عن أبي

بكر بن عبدالله بن أبي الجهم ، عن أبيه عن جده . قال سمعت أبا طالب يحدث عن

ع بدالمطلب قال : بينا أنا نائم في الحجر إذ رأيت رؤيا هالتي ، ففزعت منها فزعا شديدا ،

فأتيت كاهنة قريش وعلى مطرف خز وجمتي ترب منكبي ، فلما نظرت إلى عرفت

في وجهي التغير ، وأنا يومئذ سيد قومي فقالت : ما بال سيدنا قد أتانا متغير اللون ؟ هل

رأبه من حدثان الدهر شيء ؟ فقلت لها : بلى !

-310-

وكان لا يكملها أحد من الناس حتى يقبل يدها اليمنى ، ثم يضع يده على أم رأسها

ثم يذكر حاجته ، ولم أفعل لاني - كنت * (هامش) * (1) من الدلائل . (*)

- كبير قومي .

فجلست فقلت : إنى رأيت الليلة وأنا نائم في الحجر كأن شجرة نبتت * (هامش) * (2) الاصل : تنبت ، وهو تحريف . (*)

قد نال

رأسها السماء وضربت بأغصانها المشرق والمغرب ، وما رأيت نورا أزهر منها أعظم من

نور الشمس سبعين ضعفا ، ورأيت العرب والعجم ساجدين
لها وهى تزداد كل ساعة عظما

ونورا وارتفاعا ، ساعة تخفى وساعة تزهر ، ورأيت رهطا
من قريش قد تعلقوا بأغصانها ،

ورأيت قوما من قريش يريدون قطعها ، فإذا دنوا منها
أخرهم شاب لم أرقط أحسن منه

وجها ولا أطيب منه ريحا ، فيكسر أظهرهم * (هامش) *
(3) الدلائل : أطلعهم . وفى

الخطائص : أظهرهم . وما أثبتته من الدلائل . (*)

ويقلع أعينهم . فرفعت يدي لاتناول

منها نصيبا ، فمنعنى الشاب ، فقلت : لمن النصيب ؟
فقال : النصيب لهؤلاء الذين تعلقوا بها

وسبقوك إليها . فانتبهت مذعورا فزعا .

فرأيت وجه الكاهنة قد تغير ، ثم قالت : لئن صدقت
رؤياك ليخرجن من صلبك

رجل يملك المشرق والمغرب ويدين له الناس . ثم قال -
يعنى ع بدالمطلب - لابی طالب

لعلك تكون هذا المولود * (هامش) * (4) كذا بالاصل
ودلائل النبوة وهو تحريف ، وصوابه رواية ابن الجوزى في
الوفا حيث قال : (ثم

قالت لابی طالب : لعلك أن تكون عم هذا المولود) الوفا
80 بتحقيقى . (*)

قال : فكان أبوطالب يحدث بهذا الحديث بعد ما ولد
رسول الله صلى الله عليه

وسلم وبعد ما بعث . ثم قال * (هامش) * (5) الدلائل :
(فكان)

أبو طالب يحدث بهذا الحديث والنبي صلى الله عليه وسلم
قد خرج ويقول : كانت الشجرة . اخ . (*)

كانت الشجرة والله أعلم أبا القاسم الامين ، فيقال لابي
طالب : ألا تؤمن ؟ فيقول : السبة والعار !

-311-

وقال أبو نعيم : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا محمد بن
زكرياء الغلابي ، حدثنا

.....
- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 311 سطر 1 الى ص
320 سطر 21

وقال أبو نعيم : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا محمد بن
زكرياء الغلابي ، حدثنا

العباس بن بكار الضبي ، حدثنا أبوبكر الهذلي ، عن
عكرمة ، عن ابن عباس ، قال :

قال العباس : خرجت في تجارة إلى اليمن في ركب -
منهم أبوسفيان بن حرب ، فقدمت

اليمن فكنت أصنع يوما طعاما وأنصرف بأبي سفيان وبالنفر
، ويصنع أبوسفيان يوما ،

ويفعل مثل ذلك ، فقال لي في يومى الذى كنت أصنع
فيه : هل لك يا أبا الفضل أن

تنصرف إلى بيتى وترسل إلى غداءك ؟ فقلت : نعم .

فانصرفت أنا والنفر إلى بيته وأرسلت إلى الغداء ، فلما
تغدى القوم قاموا واحتبسنى .

فقال : هل علمت يا أبا الفضل أن ابن أخيك يزعم أنه رسول الله ؟ فقلت : أى بنى أخى ؟

فقال أبوسفیان : إياى تكتم ؟ ! وأى بنى أخيك ينبغى أن يقول هذا إلا رجل واحد !

قلت وأيهم على ذلك ؟ قال : هو محمد بن عبدالله .
فقلت : قد فعل ؟ قال :

بلى قد فعل .

وأخرج كتابا باسمه من ابنه حنظلة بن أبى سفیان فيه :
أخبرك أن محمدا قام بالابطح

فقال : (أنا رسول أدعوكم إلى الله عزوجل) فقال
العباس : قلت أجده يا أبا

حنظلة صادقا .

فقال : مهلا يا أبا الفضل ، فوالله ما أحب أن يقول مثل
هذا ، إني لأخشى أن

يكون على ضير من هذا الحديث يا بنى ع بدالمطلب ، إنه
والله ما برحت قريش تزعم أن

لكم هنة وهنة ، كل واحدة منهما غاية ! لنشدتك يا أبا
الفضل هل سمعت ذلك ؟ قلت :

نعم قد سمعت . قال فهذه والله شؤمكم . قلت : فلعلها
يمنتنا .

قال : فما كان بعد ذلك إلا ليال حتى قدم عبدالله بن
حذافة بالخبر وهو مؤمن

ففشا ذلك في مجالس اليمن ، وكان أبوسفیان يجلس
مجلسا باليمن يتحدث فيه خبر من

أخبار اليهود ، فقال له اليهودى : ما هذا الخبر ؟ بلغنى أن فيكم عم هذا الرجل الذى

قال ما قال ؟

قال أبوسفیان : صدقوا ، وأنا عمه ، فقال اليهودى : أخو أبيه ؟ قال : نعم .

قال : فحدثنى عنه .

قال : لاتسألنى ! ما أحب أن يدعى هذا الامر أبدا ، وما أحب أن أعيبه

وغيره خير منه .

فرأى اليهودى أنه لا يغمس عليه ولا يحب أن يعيبه .

فقال اليهودى : ليس به بأس على اليهود ، وتوراة موسى .

قال العباس : فنادانى الحبر ، فجئت فخرجت حتى جلست ذلك المجالس من الغد ،

وفيه أبوسفیان بن حرب والحبر ، فقلت للحبر : بلغنى أنك سألت ابن عمى عن رجل منا

زعم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبرك أنه عمه ، وليس بعمه ، ولكن ابن عمه ،

وأنا عمه وأخو أبيه . قال : أخو أبيه ؟ قلت : أخو أبيه .

فاقبل على أبى سفيان فقال : صدق ؟ قال : نعم صدق . فقلت : سلنى فإن كذبت

فليرد على .

فاقبل على فقال : نشدتك هل كان لابن أخيك صبوة أو سفهة .

قلت : لا وإله ع بدالمطلب ، ولا . كذب ولاخان ، وإنه كان اسمه عند

قريش الامين .

قال : فهل كتب بيده ؟

قال العباس : فظننت أنه خير له أن يكتب بيده ، فأردت أن أقولها ، ثم ذكرت

مكان أبي سفيان يكذبني ويرد على فقلت : لا يكتب .

-313-

فوثب الحبر ونزل رداؤه وقال : ذبحت يهود ، وقتلت يهود !

قال العباس : فلما رجعنا إلى منزلنا ، قال أبوسفيان : يا أبا الفضل ، إن اليهود تفرع

من ابن أخيك . قلت : قد رأيت ما رأيت ، فهل لك يا أبا سفيان أن تؤمن به ، فإن كان

حقا كنت قد سبقت ، وإن كان باطلا فمعك غيرك من أكفائك .

قال : لا أو من به حتى أرى الخيل في كداء * (هامش)
* (1) كداء : ثنية بأعلى مكة عند المحصب . (*)

. قلت : ما تقول ؟ قال : كلمة جاءت على فمي ، إلا أنني أعلم أن الله لا يترك خيلا

تطلع من كداء .

قال العباس : فلما استفتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ونظرنا إلى الخيل وقد

طلعت من كداء ، قلت : يا أبا سفيان تذكر الكلمة ؟ !

قال : إي والله إنى لذاكرها ! فالحمد لله الذي هدانى للإسلام .

وهذا سياق حسن عليه البهاء والنور وضياء الصدق ، وإن كان في رجال من هو

متكلم فيه . والله أعلم .

وقد تقدم ما ذكرناه في قصة أبي سفيان مع أمية بن أبي الصلت ، وهو شبيه بهذا

الباب ، وهو من أغرب الاخبار وأحسن السياقات وعليه النور .

وسياتى أيضا قصة أبي سفيان مع هرقل ملك الروم حين سأله عن صفات رسول الله صلى

الله عليه وسلم وأحواله ، واستدلله بذلك على صدقه ونبوته ورسالته . وقال له : كنت

أعلم أنه خارج ، ولكن لم أكن أظن أنه فيكم ، ولو أعلم أنى أخلص إليه لتجشمت لقاءه ،

ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ، ولئن كان ما تقول حقا ليملكن موضع قدمى هاتين .

وكذلك وقع ولله الحمد والمنة .

-314-

وقد أكثر الحافظ أبونعيم من إيراد الآثار والخبار عن الرهبان والاحبار والعرب ،

فأكثره أطنب وأحسن وأطيب . رحمها لله ورضى عنه .

قصة عمرو بن مرة الجهنى * (هامش) * (1) هذه القصة ليست في النسخة ا وهى مثبتة في المطبوعة من النسخة الحلبية . (*)

قال الطبرانى : حدثنا على بن إبراهيم الخزاعى الالهوازى ، حدثنا عبدالله

ابن داود بن دلهات بن إسماعيل بن عبدالله بن شريح بن ياسر بن سويد صاحب

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حدثنا أبى ، عن أبيه
دلهاث ، عن أبيه إسماعيل ، أن

أباه عبدالله حدثه عن أبيه ، أن أباه ياسر بن سويد حدثه
عن عمرو بن مرة

الجهنى قال :

خرجت حاجا في جماعة من قومي في الجاهلية ، فرأيت
في نومي وأنا بمكة ،

نورا ساطعا - خرج * (هامش) * (2) من الوفا . (*)

- من الكعبة حتى وصل إلى جبل يثرب وأشعر جهينة *
(هامش) * (3) هو جبل جهينة ينحدر على ينبع من أعلاه
(*) .

فسمعت صوتا بين النور وهو يقول : انقشعت الظلماء ،
وسطع الضياء ، وبعث

خاتم الانبياء .

ثم اضاء إضاءة أخرى ، حتى نظرت إلى قصور الحيرة
وأبيض المدائن * (هامش) * (4) أبيض المدائن : قصر
كسرى . (*)

وسمعت صوتا من النور وهو يقول : ظهر الاسلام ،
وكسرت الاصنام ،

ووصلت الارحام .

فانتبهت فزعا فقلت لقومي : والله ليحدثن لهذا الحى من
قريش حدث . وأخبرتهم

بما رايت

فلما انتهينا إلى بلادنا جاءنى - الخبرأن رجلا (1) - .
(هامش) * (1) من الوفا . (*)

- يقال له أحمد قد بعث .

فأتيته (2) * (هامش) * (2) الوفا : فخرجت حتى أتيته .
(*)

فأخبرته بما رأيت . فقال - لى * (هامش) * (1) من
الوفا . (*)

- (يا عمرو بن مرة أنا النبى المرسل إلى

العباد كافة ، أدعوهم إلى الاسلام ، وأمرهم بحقن الدماء
وصلة الارحام ، وعبادة الله

ورفض الاصنام ، وحج البيت ، وصيام شهر رمضان - شهر
* (هامش) * (1) من الوفا . (*)

- من اثنى عشر

شهرًا . فمن أجاب فله الجنة ، ومن عصى فله النار .
فأمن يا عمرو يؤمنك الله من

هول جهنم) .

فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، آمنت
بما جئت من حلال وحرام ،

وإن أرغم ذلك كثيرا من الاقوام . ثم أنشدته أبياتا قلتها
حين سمعت به . وكان

لنا صنم ، وكان أبى سادنا له فقمت إليه فكسرتة . ثم
لحقت بالنبى صلى الله عليه وسلم

وأنا أقول :

- شهدت بأن الله حق وأننى * لآلهة الاحجار أول تارك -

- وشمرت عن ساقى الازار مهاجرا * إليك أجوب القفر بعد
الدكادك * (هامش) * (3) الدكادك : أرض فيها غلظ .

وفى الوفا : أجوب إليك الدعث بعد الدكادك . والدعث :
الأرض المستوية (*)

-

- لاصحب خير الناس نفسا ووالدا * رسول مليك الناس
فوق الحبائك -

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (مرحبا بك يا عمرو
بن مرة) . فقلت :

يا رسول الله ابعثنى إلى قومى ، لعل الله يمن عليهم بى
كما من على بك .

فبعثنى إليهم . وقال : (عليك بالرفق والقول السديد .
ولاتكن فظا . ولامتكبرا

ولاحسودا) .

فذكر أنه أتى قومه ، فدعاهم إلى ما دعاه إليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا

-316-

كلهم ، إلا رجلا واحدا منهم ، وأنه وفد بهم إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم . فرحب

بهم وحياهم . وكتب لهم كتابا هذه نسخته :

(بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب - أمان * (هامش)
* (1) من الوفا . (*)

- من الله على لسان رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، بكتاب صادق ، وحق ناطق مع
عمرو بن مرة الجهنى لجهينة بن

زيد : إن لكم بطون الارض وسهولها ، وتلاع الاودية
وظهورها * (هامش) * (2) في الوفا : إن لكم بطون
الارض وظهورها وتلاع الاودية وسهولها . وهو أصح وأولى

والتلاع : جمع تلعة : ما ارتفع من الارض . (*)

، تزرعون * (هامش) * (3) الوفا : ترعون نباته ، وهو
أصح . (*)

نباته

وتشربون صافيه ، على أن تقرؤا بالخمس ، وتصلوا صلاة
الخمس ، وفى التبعية والصريمة

- شاتان * (هامش) * (1) من الوفا . (*)

- إن اجتمعتا وإن تفرقتا شاة شاة ، ليس على أهل
الميرة صدقة ، ليس الوردة

اللبقة وشهد على نبينا صلى الله عليه وسلم من حضر
من المسلمين * (هامش) * (4) الوفا : والله يشهد على
ما بيننا ومن حضر من المسلمين . (*)

بكتاب قيس

ابن شماس

وذكر شعرا قاله عمرو بن مزة في ذلك كما هو مبسوط
من المسند الكبير وبالله الثقة

وعليه الكتلان .

وقال الله تعالى : (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
ومن نوح وإبراهيم

وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا *
(هامش) * (5) سورة الاحزاب آية 7 . (*)

.(

قال كثيرون من السلف : لما أخذ الله ميثاق بنى آدم يوم
(ألسن برلكم ؟) أأذ

من النبلن ميثاقا خاصا ، وأأذ مع هؤلاء الخمسة أولى
العزم أصحاب الشرائع الكبار

الذبن أولهم نوح وأأرهم محمد صلوات الله وسلامه عليهم
أأمعبن .

-317-

وقد روى الءافظ أبونععم فى كتاب (دلائل النبوة) من
طرق عن الوليد بن مسلم ،

ءءنا الاوزاعى ، ءءنا يحى بن أبى كءر عن أبى سلمة
، عن أبى هريرة : سئل النبى

صلى الله عليه وسلم : متى وءبت لك النبوة ؟ قال :
(بين ءلق آدم ونفء الروح فىه) .

وهكذاه رواه الترمذى من طريق الوليد بن مسلم . وقال :
ءسن ءرهب من ءءبء

أبى هريرة ، لانعرفه إلا من هذا الوجه

وقال أبونععم : ءءنا سليمان بن أءمء ، ءءنا يعقوب بن
إسءاق بن الزببر الءلبى

ءءنا أبوءعفر النفىلى ، ءءنا عمرو بن واقد ، عن عروة
بن روم ، عن الصناءى * (ءامش) * (1) الصناءى :
بضم الصاد وفتح النون وبعء الالف باء موءءة مكسورة ثم
ءاء ، نسبة إلى صناء بن

زاهر بن عامر بن عوئبان بن زاهر بن يحابر ، اللباب 2 /
(*) 6

قال : قال عمر : يا رسول الله ، متى ءعلت نبىا ؟ قال :
(وأءم منءل فى الطبن) .

ثم رواه من حديث نصر بن مزاحم ، عن قيس بن ربيع ،
عن جابر الجعفي ، عن

الشعبي ، عن ابن عباس قال : قيل يا رسول الله متى
كنت نبيا ؟ قال : (وأدم بين

الروح والجسد) .

وفى الحديث الذى أوردناه فى قصة آدم حين استخرج الله
من صلبه ذريته خص

الانبياء بنور بين أعينهم . والظاهر - والله أعلم - أنه كان
على قدر منازلهم ورتبهم

عند الله .

وإذا كان الامر كذلك فنور محمد صلى الله عليه وسلم
كان أظهر وأكبر وأعظم

منهم كلهم .

وهذا تنويه عظيم وتنبيه ظاهر على شرفه وعلو قدره .

وفى هذا المعنى الحديث الذى قال الامام أحمد ، حدثنا
عبد الرحمن بن مهدي ،

حدثنا معاوية بن صالح ، عن سعيد بن سويد الكلبى ، عن
عبد الاعلى بن هلال السلمى ،

-318-

عن العرياض بن سارية . قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : (إني عند الله لخاتم

النبين وإن آدم لمنجدل فى طينته ، وسأنبئكم بأول ذلك :
دعوة أبى إبراهيم ، وبشارة

عيسى بنى ، ورؤيا أمى التى رأت ، وكذلك أمهات
المؤمنين يرين) .

ورواه الليث وابن وهب عن عبدالرحمن بن مهدي ،
وعبدالله بن صالح عن معاوية

ابن صالح وزاد (إن أمه رأت حين وضعت نورا أضاءت
منه قصور الشام) .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبدالرحمن ، حدثنا منصور بن
سعيد ، عن بديل ، عن

عبدالله بن شقيق ، عن ميسرة الفجر قال : قلت : يا
رسول الله متى كنت نبيا ؟ قال :

(وآدم بين الروح والجسد) .

إسناده جيد أيضا .

وهكذا رواه إبراهيم بن طهمان ، وحماد بن زيد وخالد
الحذاء عن بديل بن

ميسرة به .

ورواه أبونعيم عن محمد بن عمر بن اسلم ، عن محمد
بن بكر بن عمرو الباهلي ، عن

شيبان ، عن الحسن بن دينار ، عن عبدالله بن سفيان ،
عن ميسرة الفجر قال : قلت

يا رسول الله متى كنت نبيا ؟ قال : (وآدم بين الروح
والجسد) .

وقال الحافظ أبونعيم في كتابه (دلائل النبوة) * (هامش
(*) (1) ليس في دلائل النبوة المطبوع . (*)

: حدثنا أبوعمر بن حمدان ،

حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا
الوليد بن مسلم ، عن خليد بن

دعبلج ، وسعيد ، عن قتادة ، عن الحسن عن أبي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في قوله

تعالى (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) قال : (كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم

في البعث) .

319

ثم رواه من طريق هشام بن عمار عن بقية ، عن سعيد بن نسير ، عن قتادة ، عن

الحسن ، عن أبي هريرة مرفوعا مثله .

وقد رواه من طريق سعيد بن أبي عروبة وشيبان ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثله . وهذا أثبت وأصح والله أعلم .

وهذا إخبار عن التنويه بذكره في الملا الاعلى وأنه معروف بذلك بينهم بأنه خاتم

النبيين وآدم لم ينفخ فيه الروح ، لان علم الله تعالى بذلك سابق قبل خلق السموات

والارض لامحالة ، فلم يبق إلا هذا الذى ذكرناه من الاعلام به في الملا الاعلى

والله أعلم .

وقد أورد أبو نعيم من حديث عبد الرازق عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة

الحديث المتفق عليه : (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة * (هامش) * (1) الذى في دلائل النبوة المطبوع إلى هنا ولم يستكمل الحديث ولم يذكر التعليق المذكور هنا ، وهذا

يؤكد أن النسخة المطبوعة إنما هى مختصر لكتاب دلائل النبوة وليست هى الكتاب نفسه . انظر دلائل

النبوة ص 17 (*)

المقضى لهم قبل الخلائق

بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم) .

وزاد أبو نعيم في آخره : فكان صلى الله عليه وسلم
آخرهم في البعث وبه ختمت

النبوة . وهو السابق يوم القيامة ، لانه أول مكتوب في
النبوة والعهد .

ثم قال : ففي هذا الحديث الفضيلة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم لما أوجب الله له

النبوة قبل تمام خلق آدم ، ويحتمل أن يكون هذا الإيجاب
هو ما أعلم الله ملائكته

ما سبق في علمه وقضائه من بعثته له في آخر الزمان .

وهذا الكلام يوافق ما ذكرناه ولله الحمد .

وروي الحاكم في مستدركه من حديث عبدالرحمن بن زيد
بن أسلم - وفيه كلام -

-320-

عن أبيه ، عن جده ، عن عمر بن الخطاب رضى الله
عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم : (لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب أسألك بحق
محمد إلا غفرت لى ، فقال الله :

يا آدم كيف عرفت محمدا ولم أخلقه بعد ؟ فقال : يا رب
لأنك لما خلقتنى بيدك ونفخت

في من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوادم العرش
مكتوبا : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك
فقال الله : صدقت يا آدم إنه

لاحب الخلق إلى ، وإذ قد سألتني بحقه فقد غفرت لك ،
ولولا محمد ما خلقتك) .

قال البيهقي : تفرد به عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ، وهو
ضعيف والله أعلم .

وقد قال الله تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم
من كتاب وحكمة

ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه .
قال أقررتم وأخذتم

عل يذلكم إصرى ؟ قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم
من الشاهدين . فمن تولى

بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) * (هامش) * (1) سورة
آل عمران آية 81 ، 82 (*)

قال على بن أبى طالب وعبدالله بن عباس رضى الله
عنهما : ما بعث الله نبيا من

الانبياء إلا أخذ عليه الميثاق : لئن بعث محمد صلى الله
عليه وسلم وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه - وأمره أن يأخذ
الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به

ولينصرنه - * (هامش) * (2) سقطت من ا . (*)

وهذا تنويه وتنبيه على شرفه وعظمته في سائر الملل
وعلى السنة الانبياء ، وإعلام لهم

ومنهم برسالته في آخر الزمان . وأنه أكرم المرسلين
وخاتم النبيين .

وقد أوضح أمره وكشف خبره وبين سره ، وجلى مجده
ومولده وبلده إبراهيم

الخليل في قوله عليه السلام حين فرغ من بناء البيت
(ربنا وابعث فيهم رسولا منهم)

-321-

يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكهم أنك
أنت العزيز الحكيم) * (هامش) * (1) سورة البقرة 129
(*)

.....

- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 321 سطر 1 الى ص
330 سطر 23

يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكهم أنك
أنت العزيز الحكيم) * (هامش) * (1) سورة البقرة 129
(*)

فكان أول بيان أمره على الجلية والوضوح بين أهل الارض
، على لسان إبراهيم

الخليل أكرم الانبياء على الله بعد محمد صلوات الله عليه
وسلامه عليهما وعلى

سائر الانبياء .

ولهذا قال الامام أحمد : حدثنا أبوالنضر ، حدثنا الفرغ -
يعنى ابن فضالة - حدثنا

لقمان بن عامر ، سمعت أبا أمامة قال : قلت يا نبى الله
ما كان بدء أمرك ؟ قال : (دعوة

أبى إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمى أنه خرج منها
نور أضاءت منه

قصور الشام) .

تفرد به الامام أحمد ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة .

وروى الحافظ أبوبكر بن أبي عاصم في كتاب (المولد) من طريق بقية ،

عن صفوان بن عمرو ، عن حجر بن حجر ، عن أبي مريق ، أن أعرابيا قال : يا رسول الله

أى شئ كان أول أمر نبوتك ؟

فقال (أخذ الله منى الميثاق كما أخذ من النبيين ميثاقهم - ورأت أم رسول الله

صلى الله عليه وسلم في منامها أنه خرج من بين رجليها سراج أضاءت له قصور

الشام - * (هامش) * (2) ليست في ا (*)

وقال الامام محمد بن إسحاق بن يسار : حدثنى ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان

عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا : يا رسول الله ، أخبرنا

عن نفسك .

21 السيرة - 1)

-322-

قال : (دعوة أبى إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمى حين حبلت كأنه خرج

منها نور أضاءت له بصرى من أرض الشام) .

إسناده جيد أيضا .

وفيه بشارة لاهل محلتنا أرض بصرى ، وأنها أول بقعة من أرض الشام خلص إليها

نور النبوة ، ولله الحمد والمنة . ولهذا كانت أول مدينة
فتحت من أرض الشام ، وكان

فتحها صلحا في خلافة أبى بكر رضى الله عنه . وقد
قدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم

مرتين في صحبة عمه أبى طالب وهو ابن اثنتى عشرة
سنة ، وكانت عندها قصة بحيرى

الراهب كما بيناه . والثانية ومعه ميسرة مولى خديجة في
تجارة لها . وبها مبارك الناقة التى

يقال لها ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بركت
عليه فأثر ذلك فيها فيما يذكر ،

ثم نقل وبنى عليه مسجد مشهور اليوم . وهى المدينة
التى أضاعت أعناق الابل عندها

من نور النار التى خرجت من أرض الحجاز سنة أربع
وخمسين وستمائة وفق ما أخبر به

رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله (تخرج نار من
أرض الحجاز تضئ لها أعناق

الابل ببصرى) .

وقال الله تعالى : (الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى
يجدونه مكتوبا

عندهم في التوراة والانجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم
عن المنكر ويحل لهم

الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال
التى كانت عليهم ،

فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل
معه أولئك

هم المفلحون) * (هامش) * (1) سورة الاعراف 157 .)
(*

قال الامام أحمد : حدثنا إسماعيل ، عن الجريري ، عن
أبي صخر العقيلي ، حدثني

رجل من الاعراب قال : جلبت جلوبة إلى المدينة في حياة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

فلما فرغت من بيعي قلت لالقين هذا الرجل فلاسمعن
منه .

قال : فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون ، فتبعتهم حتى
أتوا على رجل من اليهود

ناشر التوراة يقرأها يعزي بها نفسه عن ابن له في
الموت كأحسن الفتیان وأجملهم . فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنشدك بالذي أنزل
التوراة ، هل تجدني في كتابك

ذا صفتي ومخرجي ؟) فقال برأسه هكذا - أى لا - فقال
ابنه : إى والذي أنزل التوراة ،

إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك وأشهد أن لا إله إلا
الله ، وأنت رسول الله . فقال :

(أقيموا اليهودى عن أخيكم) ثم ولى كفته والصلاة عليه .

هذا إسناد جيد وله شواهد في الصحيح عن أنس بن مالك
رضى الله عنه .

وقال أبو القاسم البغوى : حدثنا عبدالواحد بن غياث - أبو بحر
- حدثنا عبدالعزيز

ابن مسلم ، حدثنا عاصم بن كليب ، عن أبيه ، عن
الصلتان بن عاصم وذكر أن خاله قال :

كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ شخص
بصره إلى رجل ، فإذا يهودى عليه

قميص وسراويل ونعلان . قال : فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يكلمه وهو يقول :

يا رسول الله . فقال صلى الله عليه وسلم : (وسلم أتشهد أنى رسول الله ؟) قال : لا .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أتقرأ التوراة ؟) قال : نعم . قال : (أتقرأ

الانجيل ؟) قال : نعم . قال : (والقرآن ؟) قال : لا . ولو تشاء قرأته .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (فبم تقرأ التوراة والانجيل ، أتجدنى نبيا ؟) قال :

إننا نجد نعتك ومخرجك ، فلما خرجت رجونا أن تكون فينا ، فلما رأيناك عرفناك

أنك لست به .

-324-

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ولم يا يهودى ؟) قال : إننا نجده مكتوبا : يدخل

من أمته الجنة سبعون ألفا بغير حساب ، ولانرى معك إلا نفرا يسيرا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن أمتى لاكثر من سبعين ألفا

وسبعين ألفا) .

هذا حديث غريب من هذا الوجه ، ولم يخرجوه .

وقال محمد بن إسحاق عن سالم مولى عبدالله بن مطيع ، عن أبى هريرة قال : أتى

رسول الله صلى الله عليه وسلم - يهود - فقال (أخرجوا أعلمكم) فقالوا : عبدالله بن

صوريا . فخلا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فناشده بدينه ، وما أنعم الله به عليهم ،

واطعمهم من المن والسلوى ، وظللهم به من الغمام
(أتعلمنى رسول الله ؟) قال :

اللهم نعم . وإن القوم ليعرفون ما أعرف ، وإن صفتك
ونعتك لمبين في التوراة ،

ولكنهم حسدوك .

قال (فما يمنعك أنت ؟) قال : أكره خلاف قومى .
وعسى أن يتبعوك

ويسلموا فأسلم .

وقال سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق ، عن محمد
بن أبى محمد ، عن عكرمة ، عن

ابن عباس أنه كان يقول : كتب رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلى يهود خيبر (بسم الله

الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله صاحب موسى ،
وأخيه ، والمصدق بما جاء به موسى ،

ألا إن الله قال لكم : يا معشر يهود وأهل التوراة ، إنكم
تجدون ذلك في كتابكم : إن محمدا

(رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم
تراهم ركعا سجدا يبتغون

فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر
السجود . ذلك مثلهم في التوراة

ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ
فاستوى على سوقه يعجب

الزراع ليغيظ بهم الكفار . وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة
وأجرا عظيما) . وإنى أنشدكم بالله وبالذى أنزل عليكم ،
وأنشدكم بالذى أطعم من كان
قبلكم من أسلافكم واسباطكم المن والسلوى ، وأنشدكم
بالذى أيبس البحر لآبائكم
حتى أنجاكم من فرعون وعمله ، إلا أخبرتمونا هل تجدون
فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا
بمحمد ؟ فإن كنتم لاتجدون ذلك في كتابكم فلا كره
عليكم قد تبين الرشد من الغى .
وإدعوكم إلى الله وإلى نبيه صلى الله عليه وسلم) .
وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في كتاب (المبتدأ)
عن سعيد بن بشير ، عن
قتادة عن كعب الاحبار ، وروى غيره عن وهب بن منبه
أن بختنصر بعد أن خرب
بيت المقدس ، واستذل بنى إسرائيل بسبع سنين ، رأى
في المنام رؤيا عظيمة هالته ،
فجمع الكهنة والحزار ، وسألهم عن رؤياه تلك . فقالوا :
ليقصها الملك حتى نخبره
بتأويلها . فقال : إني نسيتها ، وإن لم تخبروني بها إلى
ثلاثة أيام قتلكم
عن آخركم .

فذهبوا خائفين وجلين من وعيده . فسمع بذلك دانيال عليه السلام وهو في سجنه .

فقال للسبحان : اذهب إليه فقل له : إن هاهنا رجلا عنده علم رؤياك وتأويلها .

فذهب إليه فأعلمه فطلبه ، فلما دخل عليه لم يسجد له .
فقال له : ما منعك من

السجود لى ؟ فقال : إن الله آتاني علما وعلمنى وأمرنى
أن لا أسجد لغيره . فقال له

بختنصر : إني أحب الذين يوفون لآربابهم بالعهود . فأخبرنى
عن رؤياى .

قال له دانيال : رأيت صنما عظيما رجلاه في الارض
ورأسه في السماء ، أعلاه من ذهب

ووسطه فضة ، وأسفله من نحاس ، وساقاه من حديد ،
ورجلاه من فخار ، فيينا أنت تنظر إليه

قد أعجبك حسنه وإحكام صنعته قذفه الله بحجر من
السماء ، فوقع على قمة رأسه طحنه

-326-

واختلط ذهبه وفضته ونحاسه وحديده وفخاره ، حتى تخيل
لك أنه لو اجتمع الانس والجن

على أن يميزوا بعضه من بعض لم يقدروا على ذلك .
ونظرت إلى الحجر الذى قذف

به يربو ويعظم وينتشر ، حتى ملا الارض كلها فصرت
لا ترى إلا الحجر والسماء .

فقال له بختنصر : صدقت ، هذه الرؤيا التى رأيتها ، فما
تأويلها ؟

فقال دانيال : أما الصنم فأمم مختلفة في أول الزمان
وفى وسطه وفى آخره ، وأما

الحجر الذى قذف به الصنم فدين يقذف الله به هذه الامم
في آخر الزمان فيظهره عليها ،

فبيعت الله نبيا أميا من العرب فيدوخ به الامم والاديان
كما رأيت الحجر دوخ أصناف

الصنم ، ويظهر على الاديان والامم كما رأيت الحجر ظهر
على الارض كلها ، فيمحص الله

به الحق ويزهق به الباطق ويهدى به أهل الضلالة ، ويعلم
بن الاميين ويقوى به الضعفة

ويعز به الازلد ، وينصر به ا لمستضعفين .

وذكر تمام القصة في إطلاق بختنصر بنى إسرائيل على
يدى دانيال عليه السلام .

وذكر الواقدي بأسانيده عن المغيرة بن شعبة في قصة
وفوده على المقوقس ملك

الاسكندرية وسواله له عن صفات رسول الله صلى الله
عليه وسلم قريبا من سؤال هرقل

لابى سفيان صخر بن حرب ، وذكر أنه سأل أساقفة
النصارى في الكنائس عن صفة

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروه عن ذلك ، وهى
قصة طويلة ذكرها الحافظ أبونعيم

في الدلائل * (هامش) * (1) دلائل النبوة . (*)

وثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
مر بمدارس * (هامش) * (2) المدارس : هو البيت الذى
يقراً فيه اليهود كتبهم . وفى ط : بمدارس ، وهو تحريف .
(*)

اليهود فقال

-327-

لهم : (يا معشر اليهود أسلموا ، فو الذى نفسى بيده
إنكم لتجدون صفتى في

كتبكم) الحديث .

وقال الامام أحمد : حدثنا موسى بن داود ، حدثنا فليح بن سليمان ، عن هلال بن

على ، عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبدالله بن عمرو بنا لعاص فقلت : أخبرنى عن

صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة . فقال : أجل والله إنه لموصوف في

التوراة بصفته في القرآن ، يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وحرزا

للاميين ، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ، لافظ ولاغليظ ولاصخاب في

الاسواق ، ولايدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيمو الملة

العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله ، يفتح به أعينا عميا وأذنا صما وقلوبا غلفا .

ورواه البخارى عن محمد بن سنان العوفى عن فليح بن .

ورواه أيضا عن عبدالله - قيل بن رجاء ، وقيل ابن صالح - عن عبدالعزيز بن

أبى سلمة ، عن هلال بن علوية ، ولفظه قريب من هذا وفيه زيادة .

ورواه ابن جرير من حديث فليح ، عن هلال عن عطاء ، وزاد : قال عطاء : فلقيت

كعبا فسألته عن ذلك فما اختلف حرفا . وقال : (في البيوع) . وقال : سعيد عن هلال عن

عطاء عن عبدالله بن سلام .

قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرناه أبوالحسين بن المفضل القطان ، حدثنا عبدالله

بن جعفر ، حدثنا يعقوب بن سفيان ، حدثنا أبو صالح ،
حدثنا الليث ، حدثني خالد بن

يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال بن أسامة ، عن عطاء بن
يسار ، عن ابن سلام أنه كان

يقول : إنا لنجد صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم :
إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا

ونذيرا وحرزا للاميين ، أنت عبدى ورسولى ، سميته
المتوكل ، ليس بفظ ولاغليظ

ولاصخاب في الاسواق ، ولايجزى السيئة بمثلها ولكن يعفو
ويتجاوز ، ولن يقبضه

-328-

حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يشهدوا أن لا إله إلا الله
، يفتح به أعينا عميا وأذانا صما

وقلو باغلفا .

وقال عطاء بن يسار : وأخبرني الليثى أنه سمع كعب
الاحبار يقول مثل

ما قال ابن سلام .

قلت : وهذا عن عبدالله بن سلام اشبه ، ولكن الرواية
عن عبدالله بن عمرو

أكثر ، مع أنه كان قد وجد يوم اليرموك زاملتين من كتب
أهل الكتاب ، وكان يحدث

عنهما كثيرا .

وليعلم أن كثيرا من السلف كانوا يطلقون (التوراة) على
كتب أهل الكتاب ،

فهى عندهم أعم من التى أنزلها الله على موسى . وقد
ثبت شاهد ذلك من الحديث .

وقال يونس : عن محمد بن إسحاق ، حدثني محمد بن ثابت شر حيل ، عن ابن

أبي أوفى ، عن أم الدرداء : قالت : : قلت لكعب الاحبار : كيف تجدون صفة رسول

الله صلى الله عليه وسلم في التوراة ؟

قال : نجده : محمد رسول الله ، اسمه المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب

في الاسوق ، وأعطى المفاتيح ، فيبصر الله به اعينا عورا ، ويسمع أذانا وقرا ،

ويقيم به ألسنا معوجة ، حتى شهدوا أن لا إله إلا الله واحدا شريك له ، يعن به المظلوم ويمنعه .

وقد روى عن كعب من غير هذا الوجه .

وروى البيهقي ، عن الحاكم ، عن أبي الوليد الفقيه ، عن الحسن بن سفيان ، حدثنا

عتبة بن مكرم ، حدثنا أبوقطن عمرو بن الهيثم ، حدثنا حمزة بن الزيات ، عن سليمان

الاعمش ، عن على بن مدرك ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة (وما كنت بجانب الطور

-329-

إذ نادينا) قال : نودوا : يا أمة محمد استجبت لكم قبل أن تدعوني ، وأعطيتكم قبل

أن تسألوني .

وذكر وهب بن منبه أن الله تعالى أوحى إلى داود في الزبور : يا داود إنه سيأتي

من بعدك نبي اسمه أحمد ومحمد ، صادقا سيدا لأغضب عليه أبدا ، ولايغضبني أبدا ،

وقد غفرت له قبل أن يعصيني ما تقدم من ذنبه وما تأخر ،
وأتمه مرحومة ، أعطيتهم من

النوافل مثل ما أعطيت الانبياء ، وفرضت عليهم الفرائض
التي افترضت على الانبياء

والرسل ، حتى يأتوني يوم القيامة ونورهم مثل نور الانبياء

إلى أن قال : يا داود إني فضلت محمدا وأتمه على الامم
كلها .

والعلم بأنه موجود في كتب أهل الكتاب معلوم من الدين
ضرورة ، وقد دل على

ذلك آيات كثيرة في الكتاب العزيز تكلمنا عليها في
مواضعها ولله الحمد .

فمن ذلك قوله (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به
يؤمنون ، وإذا يتلى

عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله
مسلمين) * (هامش) * (1) سورة القصص 52 ، 53
(*)

وقال تعالى : (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون
أبناءهم وإن فريقا منهم

ليكتُمون الحق وهم يعلمون) * (هامش) * (2) سورة
البقرة 146 (*)

وقال تعالى (إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى
عليهم يخرون للاذقان

سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا *
(هامش) * (3) سورة الاسراء 107 ، 108 (*)

(أى إن كان وعدنا

ربنا بوجود محمد وإرساله لكائن لامحالة . فسبحان القدير
على مايشاء لايعجزه شئ .

وقال تعالى إخبارا عن القسيسين والرهبان : (وإذا سمعوا
ما أنزل إلى الرسول

330

ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون
ربنا آمنة فاكتبنا

مع الشاهدين * (هامش) * (1) سورة المائدة 83 . (*)
(.

وفى قصة النجاشى وسلمان وعبدالله بن سلام وغيرهم .
كما سيأتى شواهد كثيرة

لهذا المعنى . والله الحمد والمنة .

وذكرنا في تضاعيف قصص الانبياء * (هامش) * (2)
وذلك في الجزء الاول من البداية والنهاية (*)

وصفهم لبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم

ونعته وبلد مولده ودار مهاجره ونعت أمته ، في قصة
موسى وشعيا وأرمياء

ودانيال وغيرهم .

وقد أخبر الله تعالى عن آخر أنبياء بنى إسرائيل وخاتمهم
عيسى بن مريم أنه قام في

بنى إسرائيل خطيبا قائلا لهم : (إني رسول الله إليكم
مصدقا لما بين يدي من التوراة

ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد * (هامش) *
(3) سورة الصف 6 . (*)

(.

وفى الانجيل البشارة بالفار قليط ، والمراد محمد صلى
الله عليه وسلم .

وروى البيهقي عن الحاكم ، عن الاصم ، عن أحمد بن
عبدالجبار ، عن يونس بن

بكير ، عن يونس بن عمرو ، عن العيزار بن حرب ، عن
عائشة رضى الله عنها أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (مكتوب في
الانجيل لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في

الاسواق ، ولا يجزى بالسيئة مثلها بل يعفو ويصفح) .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا فيض البجلي ، حدثنا سلام
بن مسكين ، عن

مقاتل بن حيان قال : أوحى الله عزوجل إلى عيسى بن
مريم : جد في أمرى واسمع

واطع يا ابن الطاهرة البكر البتول ، أنا خلقتك من غير
فحل فجعلتك آية للعالمين ،

فإياى فاعبد . فبين لاهل سوران ب السريانية ، بلغ من
بين يديك أنى أنا الحق القائم

-331-

الذى لأزول ، صدقوا بالنبي الامى العربى صاحب الجمل
والمدرعة والعمامة ، وهى التاج ،

.....

- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 331 سطر 1 الى ص
340 سطر 10

الذى لأزول ، صدقوا بالنبي الامى العربى صاحب الجمل
والمدرعة والعمامة ، وهى التاج ،

والنعلين ، والهراوة ، وهى القضيب ، الجعد الرأس ،
الصلت * (هامش) * (1) الصلت : الواضح (*)

الجبين ، المقرون الحاجبين ،

الانجل العينين ، الاهدب الاشفار ، الادعج العينين ، الاقنى
الانف ، الواضح الخدين ،

الكث اللحية ، عرقه في وجهه كاللؤلؤ ، ريح المسك ينضح
منه ، كأن عنقه إبريق فضة ،

وكان الذهب يجرى في تراقيه ، له شعرات من لبتة إلى
سرتة تجرى كالقضيب ،

ليس في بطنه شعر غيره ، شثن * (هامش) * (2) أى
غليظ أصابعهما . وذلك جمال في الرجال . (*)

الكف والقدم ، إذا جاء مع الناس غمرهم ،

وإذا مشى كأنما يتقلع من الصخر ويتحدر من صلب ، ذو
النسل القليل - وكأنه أراد

الذكور من صلبه .

هكذا رواه البيهقى في دلائل النبوة من طريق يعقوب بن
سفيان .

وروى البيهقى عن عثمان بن الحكم بن رافع بن سنان * ()
هامش (*) (3) رواه

بن الجوزى في الوفا : عن عمر بن حفص وكان من خيار
الناس . قال : كان عند أبى أو عند جدى ورقة

توارثونها قبل الاسلام بزمان . (*)

حدثنى بعض عمومتى

وآبائى أنهم كانت عندهم ورقة ي توارثونها في الجاهلية
حتى جاء الله بالاسلام

وبقيت عندهم ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ذكروها له وأتوه بها

مكتوب فيها : بسم الله وقوله الحق وقو الظالمين في تباب . هذا الذكر لامة تأتي في

آخر الزمان ، يغسلون * (هامش) * (4) الاصل : ليلون . وما أثبتته عن الوفا لابن الجوزى . (*)

أطرافهم ويأتزون * (هامش) * (5) المطبوعة : ويوتزون ، وهو تحريف . (*)

على أوساطهم ، ويخوضون البحور إلى

أعدائهم ، فيهم صلاة لو كانت في قوم نوح ما أهلكوا بالطوفان ، وفى عاد ما أهلكوا

بالريح ، وفى ثمود ما أهلكوا بالصيحة . بسم الله وقوله الحق وقو الظالمين في تباب .

ثم ذكر قصة أخرى . قال فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأت عليه فيها .

-332-

وذكرنا عند قوله تعالى في سورة الاعراف (الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة

والانجيل) قصة هشام بن العاص الاموى ، حين بعثه الصديق في سرية إلى هرقل يدعوه

إلى الله عزوجل . فذكر أنه أخرج لهم صور الانبياء في رقعة من آدم إلى محمد صلوات

الله عليه وسلامه عليهم أجمعين ، على النعت والشكل الذى كانوا عليه . ثم ذكر أنه لما

أخرج صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم قام قائما إكراما له . ثم جلس وجعل ينظر

إليها ويتأملها . قال : فقلنا له من أين لك هذه الصورة ؟
فقال : إن آدم سأل ربه أن

يريه جميع الانبياء من ذريته * (هاشم) * (1) خ ط : من
ذلك وهو تحريف . (*)

، فأنزل عليه صورهم ، فكان في خزانة آدم عليه السلام
عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين ، فدفعها إلى
دانيال .

ثم قال : أما والله إن نفسى قد طابت بالخروج من ملكى
وأنى كنت عبدا

لاشركم ملكة حتى أموت . ثم أجازنا فأحسن جائزتنا
وسرحنا .

فلما أتينا أبا بكر الصديق فحدثناه بما رأينا وما أجازنا وما
قال لنا ، قال : فبكى وقال :

مسكين لو أراد الله به خيرا لفعل . ثم قال : أخبرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم

واليهود يجدون نعت محمد عندهم .

رواه الحاكم بطوله . فليكتب هاهنا من التفسير . ورواه
البيهقى في

دلائل النبوة .

وقال الاموى : حدثنا عبدالله بن زياد عن ابن إسحاق قال
: وحدثنى يعقوب بن

عبدالله بن جعفر بن عمرو بن أمية ، عن أبيه ، عن جده
عمرو بن أمية قال : قدمت

برقيق من عند النجاشى أعطانيهم فقالوا لى : يا عمرو لو
رأينا رسول الله لعرفناه من غير

أن تخبرنا ، فمر أبوبكر فقلت أهو هذا ؟ قالوا : لا . فمر
عمر فقلت : أهو هذا ؟ قالوا :

-333-

لا . فدخلنا الدار فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنادوني : يا عمرو هذا رسول الله

صلى الله عليه وسلم . فنظرت فإذا هو هو من غير أن
يخبرهم به أحد ، عرفوه بما كانوا

يجدونه مكتوبا عندهم .

وقد تقدم إنذار سبأ لقومه وبشارته لهم بوجود رسول الله
صلى الله عليه وسلم في شعر

أسلفناه في ترجمته . فأغنى عن إعادته ، وتقدم قوما
لحبرين من اليهود لتبع اليماني حين

حاصر أهل المدينة أنها مهاجر نبي يكون في آخر الزمان .
فرجع عنها ونظم شعرا * (هامش) * (1) هذا الشعر
المنسوب إلى تبع مختلق مصنوع كما حقق ذلك بعض
الباحثين ، لانه كان من حمير ولسانهم

غير لسان عدنان . (*)

يتضمنا لسلام على النبي صلى الله عليه وسلم .

-334-

قصة سيف بن ذى يزن الحميرى

وبشارته بالنبي الامى

وقال الحافظ أبوبكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطى
في كتابه (هواتف الجان)

حدثنا على بن حرب ، حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم ،
حدثنا عمرو بن بكر - هو ابن

بكار القعنبي - عن أحمد بن القاسم ، عن محمد بن
السائب الكلبي ، عن أبي صالح ،

عن عبدالله بن عباس . قال : لما ظهر سيف بن ذي يزن
- قال ابن المنذر : واسمه النعمان

ابن قيس - على الحبشة ، وذلك بعد مولد رسول الله
صلى الله عليه وسلم بستين أته

وفود العرب وشعراؤها تهنئه وتمدحه وتذكر ما كان من
حسن بلائه .

وأناه فيمن أتاه وفود قريش فيهم عبد المطلب بن هاشم
، وأميه بن عبد شمس ،

وعبدالله بن جدعان ، وخويلد بن أسد ، في أناس من
وجوه قريش . فقدموا عليه صنعاء ،

فإذا هو في رأس غمدان الذي ذكره أميه بن أبي الصلت
:

- واشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا * في رأس غمدان دارا
منك محلا -

فدخل عليه الآذن ، فأخبره بمكانهم فاذن لهم ، فدنا عبد
المطلب فاستأذنه في الكلام

فقال له : إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنا
لك . فقال له ع بدالمطلب : إن الله

قد أحلك أيها الملك محلا رفيعا صعبا منيعا ، شامخا باذخا
، وأنتك منبتا طابت أرومته

وعزت * (هامش) * (1) الاصل : وعذيت . وما أثبتته عن
الاكتفا للكلاعي 179 / 1 . (*)

جرثومته ، وثبت أصله ، وبسوق فرعه ، في أكرم موطن
واطيب معدن ،

فأنت - أبيت اللعن - ملك العرب ، وربيعها الذى تخصب به
البلاد ، ورأس العرب الذى

له تنقاد ، وعمودها الذى عليه العماد ، ومعقلها الذى يلجأ
إليه العباد . وسلفك خير سلف ،

335

وأنت لنا منهم خير خلف . فلن يخمل * (هامش) * (1)
الاكتفا : فلم يخمل من أنت سلفه . وفى دلائل النبوة :
فلم يخمل ذكر من أنت سلفه . (*)

من هم سلفه ولن يهلك من أنت خلفه ، ونحن

أيها الملك أهل حرم الله وسدنة بيته ، أشخصنا إليك الذى
أبهجك * (هامش) * (2) الاكتفا : أبهجنا . (*)

من كشف الكرب

الذى قد فدحنا - فنحن - * (هامش) * (3) سقطت من
الاصل والمطبوعة . (*)

، وفد التهئة لاوفد المرزئة .

قال : وأيهم أنت أيها المتكلم .

قال : أنا ع بدالمطلب بن هاشم . قال : ابن أختنا ؟ قال
: نعم . قال ادن * (هامش) * (4) الاكتفا : ادنه . (*)

، فأدناه .

ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال : مرحباوأهلا وناقة ورحلا ،
ومستناخا سهلا ، وملكا

رحلا * (هامش) * (5) رحلا : كثير العطاء . (*)

يعطى عطاء جزلا . قد سمع الملك مقالتم وعرف
قرايتكم ، وقبل وسيلتكم ،

فأنتم أهل الليل والنهار ، ولكم الكرامة ما أقمتم والحباء
إذا ظعنتم .

ثم نهضوا إلى دار الكرامة والوفود ، فأقاموا شهرا
لايصلون إليه ولايأذن لهم

بالانصراف ، ثم انتبه لهم انتباهة فأرسل إلى ع بدالمطلب
فأدنى مجلسه وأخلاه ثم قال :

يا ع بدالمطلب إني مفض * (هامش) * (6) الاكتفا
والدلائل : إني مفوض ، وهو الاصح . وفي الاكتفا :

من سنى . (*)

إليك من سر علمى ما لو يكون غيرك لم أبح به . ولكنى

رأيتك معدنه فأطلعتك عليه ، فليكن عندك مطويا حتى
يأذن الله فيه ، فإن الله

بالغ أمره .

إنى أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذى اخترناه
* (هامش) * (7) ط : اخترناه . (*)

لانفسنا

واحتجناه * (هامش) * (8) ط : احتجناه ، وهو تحريف .
(*)

دون غيرنا خبرا عظيما ، وخطرا جسيما فيه شرف الحياة
وفضيحة الوفاة ،

للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة .

فقال ع بدالمطلب : أيها الملك مثلك سر وبر ، فما هو ،
فداؤك أهل الوبر

زمر بعد زمر ؟

-336-

قال : إذا ولد بتهامة ، غلام به علامة ، بين كتفيه شامة ،
كانت له الامامة ، ولكم

به الزعامة إلى يوم القيامة .

قال ع بدالمطلب : أبيت اللعن ، لقد أبت بخير ما آب به
وافد ، ولولا هيبة الملك

وإجلاله وإعظامه لسألته من بشارته إياي ما أزداد به
سرورا .

قال ابن ذى يزن : هذا حينه الذى يولد فيه أوقد ولد ،
واسمه محمد ، يموت أبوه

وأمه ، ويكفله جده وعمه ، ولدناه مرارا والله باعته جهارا
، وجاعل له منا أنصارا ،

يعزبهم أوليائه ويذل بهم أعداءه ، ويضرب بهم الناس عن
عرض ، ويستبيح بهم

كرائم الارض ، يكسر الاوثان ويخمد النيران ، يعبد الرحمن
ويدحر الشيطان ، قوله

فصل ، وحكمه عدل ، يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن
المنكر ويبطله .

فقال ع بدالمطلب : أيها الملك - عز جدك ، وعلا كعبك ،
ودام ملكك ، وطال

عمرك - فهذا نجارى - * (هامش) * (1) ليست في
الاكتفا ولا في الدلائل ولا في الوفا . والنجار : الاصل .
(*)

فهل الملك سار * (هامش) * (2) المراجع : سارى .
(*)

لى بإفصاح فقد أوضح لى بعض الايضاح

فقال ابن ذى يزن : والبيت ذى الحجب والعلامات على
النصب * (هامش) * (3) ط خ : النقب وهو تحريف . وما
أثبته عن المراجع السابقة . (*)

إنك يا ع بدالمطلب لجده

غير كذب

فخر ع بدالمطلب ساجدا فقال : ارفع رأسك ، ثلج صدرك ،
وعلا أمرك ، فهل

أحسست شيئا مما ذكرت لك ؟

فقال : أيها الملك كان لى ابن وكنت به معجبا وعليه رفيقا ،
فزوجته كريمة

من كرائم قومه آمنة بنت وهب ، فجاءت بسلام سميته
محمدا ، فمات أبوه وأمه وكفلته

أنا وعمه .

قال ابن ذى يزن : إن الذى قلت لك كما قلت ، فاحتفظ
بابنك واحذر عليه اليهود ،

337

فإنهم له أعداء ، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا ، واطو
ما ذكرت لك دون هؤلاء

الرهط الذين معك ، فإنى لست آمن أن تدخل لهم *
(هامش) * (1) المراجع : أن تدخلهم . (*)

النفاسة من أن تكون لكم

الرياسة ، فيطلبون له الغوائل ، وينصبون له الحبائل ،
فهم * (هامش) * (2) الاكتفا : وهم . (*)

فاعلون أو أبناؤهم ، ولولا

أنى أعلم أن الموت مجتاحى قبل مبعثه لسرت بخيلى
ورجلى حتى أصير بيثرب دار

مملكته * (هامش) * (3) الاكتفا : دار ملكه . (*)

، فإنى أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق أن يشرب
استحكام أمره وأهل

نصرته وموضع قبره ، ولولا أنى أقيه الآفات وأحذر عليه
العاهات لاعلنت على

حادثة سنه أمره ولاوطأت أسنان العر عقبه ، ولكنى
صارف ذلك إليك عن * (هامش) * (4) الاكتفا : عن . *)
(

غير تقصير بمن معك .

قال : ثم أمر لكل رجل منهم بعشرة أعبد وعشرة إماء
وبمئة من الابل

وحلتين من البرود وبخمسة أرتال من الذهب وعشرة
أرتال فضة وكرش

مملوء عنبرا .

وأمر لعبد المطلب بعشرة اضعاف ذلك وقال له : إذا حال
الحول فائتنى ، فمات ابن

ذى يزن قبل أن يحول الحول .

فكان ع بدالمطلب كثيرا ما يقول : - يا معشر قريش - *
(هامش) * (5) من الاكتفا . (*)

لايغبطنى رجل منكم بجزيل

عطاء الملك - وإن كثر - * (هامش) * (5) من الاكتفا .
(*)

فإنه إلى نفاذ ، ولكن ليغبطنى بما يبقى لى ولعقبى من
بعدى

ذكره وفخره وشرفه .

فإذا قيل له : متى ذلك ؟ قال : سيعلم ولو بعد حين .

قال : وفى ذلك يقول أمية بن عبد شمس * (هامش) * (6)
الاييات فى الوفا لابن الجوزى باختلاف . (*)

(22 - السيرة 1)

-338-

- جلبنا الصنح تحقبه * (هامش) * (1) الاصل : تحقبه .
(*)

المطايا * على أكوار أجمال ونوق -

- مقلفة مراتعها تعالى * إلى صنعاء من فج عميق *
(هامش) * (2) المراتع : جمع مرتع . ومقلفة : بها القلفة
بالكسر وهو ضرب من

النبات أخضر له ثمرة صغيرة تحرص عليها الابل . (*)

-

- تؤم بنا ابن ذى يزن وتفري * بذات بطونهازم * (هامش)
(*) (3) الوفا : أم الطريق . (*)

الطريق -

- وترعى من مخايله بروقا * مواصلة الوميض إلى بروق -

- فلما واصلت صنعاء حلت * بدار الملك والحسب العريق -

وهكذا رواه الحافظ أبونعيم فى الدلائل من طريق عمرو
بن بكير بن بكار القعنبي .

ثم قال أبونعيم * (هامش) * (4) ليس فى

دلائل أبى نعيم المطبوعة . (*)

: أخبرت عن أبى الحسن على بن إبراهيم بن عبد ربه بن
محمد

ابن عبدالعزيز بن عفير بن عبدالعزيز بن السفر بن عفير
بن زرعة بن سيف بن ذى

يزن ، حدثني أبي أبويزن إبراهيم ، حدثنا عمي أحمد بن محمد أبورجاء به ، حدثنا عمي

محمد بن عبدالعزيز ، حدثني عبدالعزيز بن عفير ، عن أبيه ، عن زرعة بن سيف بن ذي يزن

الحميري قال : لما ظهر جدى سيف بن ذي يزن على الحبشة . وذكره بطوله .

وقال أبوبكر الخرائطى : حدثنا أبو يوسف يعقوب بن إسحاق القلوسى ، حدثنا العلاء

ابن الفضل بن أبي سوية ، أخبرنى أبى عن أبيه عبدالملك بن أبى سوية ، عن جده أبى

سوية ، عن أبيه خليفة قال : سألت محمد بن عثمان بن ربيعة بن سواة بن خثعم بن سعد

فقلت : كيف سماك أبوك محمدا ؟ فقال : سألت أبى عما سألتنى عنه ، فقال : خرجت رابع

أربعة من بنى تميم أنا منهم ، وسفيان بن مجاشع بن دارم ، وأسامة بن مالك بن جندب

ابن العقيد ، ويزيد بن ربيعة بن كنانة بن حربوص بن مازن ، ونحن نريد ابن جفنة ملك

غسان ، فلما شارفنا الشام نزلنا على غدير عليه شجرات فتحدثنا ، فسمع كلامنا راهب ،

فأشرك علينا فقال : إن هذه لغة ماهى بلغة هذه البلاد . فقلنا : نعم نحن قوم من مضر ،

339

قال : من أى المضرين ؟ قلنا : من خندف . قال : أما إنه سيبعث وشيكا نبى خاتم

النبين ، فسارعوا إليه وخذوا بحظكم منه ترشدوا . فقلنا له : ما اسمه ؟ قال :

اسمه محمد .

قال : فرجعنا من عند ابن جفنة فولد لكل واحد منا ابن
فسماه محمدا .

يعنى أن كل واحد منهم طمع في أن يكون هذا النبى
المبشر به ولده .

وقال الحافظ أبوبكر الخرائطى : حدثنا عبدالله بن أبى
سعد ، حدثنا حازم بن عقال

ابن الزهر بن حبيب بن المنذر بن أبى الحصين بن
المسؤال بن عاديا ، حدثنى جابر بن جدان

ابن جميع بن عثمان بن سماك بن الحصين بن المسؤال
بن عاديا قال : لما حضرت الاوس بن

حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر الوفاة ، اجتمع إليه
قومه من غسان فقالوا : إنه قد

حضرك من أمر الله ما ترى ، وكنا نأمرك بالتزوج في
شبابك فتأبى ، وهذا أخوك

الخرزج له خمسة بنين ، وليس لك ولد غير مالك . فقال
: لن يهلك هالك ترك مثل

مالك ، إن الذى يخرج النار من الوثيمة * (هامش) *)
1 (الوثيمة : الحجارة . (*)

قادر أن يجعل لمالك نسلا ورجالا بسلا ، وكل
إلى الموت .

ثم أقبل على مالك وقال : أى بنى : المنية ولا الدنية ،
العقاب ولا العتاب ، التجلد

ولا التلدد ، القبر خير من الفقر ، إنه من قل ذل ، ومن
كر فر ، من كرم الكريم

الدفع عن الحریم . والدھر یومان : فیوم لك ویوم علیك ،
فإذا كان لك فلا تبطر ، وإذا

كان علیك فاصطبر ، وكلاهما سینحسر ، لیس یثبت منهما
الملك المتوج ، ولا اللئیم المعلهج * (هامش) * (2)
المعهج : الرجل الاحمق الهذر اللئیم . اللسان 3 / 152 .
(*)

سلم لیومك حیاك ربك ، ثم أنشأ یقول :

- شهدت السبايا یوم آل محرق * وأدرك عمری * (هامش)
(*) (3) كذا فی ا والحصائص . وفی المطبوعة : أمری .
(*)

صیحة الله فی الحجر -

-340-

- فلم أر ذا ملك من الناس واحدا * ولا سوقة إلا إلى
الموت والقبر -

- فعل الذی أردی ثمودا وجرهما * سيعقب لی نسلا علی
آخر الدهر -

- تفر بهم من آل عمرو بن عامر * عیون لدى الداعی إلى
طلب الوتر -

- فإن لم تك الايام أبلین جدتی * وشیین رأسی والمشیب
مع العمر -

- فإن لنا ربا علا فوق عرشه * علیما بما یأتی من الخیر
والشر -

- ألم یأت قومی أن لله دعوة * یفوز بها أهل السعادة
والبر -

- إذا بعث المبعوث من آل غالب * بمكة فیما بین مكة
والحجر -

- هنالك فابغوا نصره ببلادكم * بنى عامر إن السعادة في النصر -

قال : ثم قضى من ساعته .

-341-

باب في هواتف الجان

.....
- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 341 سطر 1 الى ص 350 سطر 22

باب في هواتف الجان

وهو ما ألقته الجان على ألسنة الكهان ومسموعا من الاوثان * (هامش) * (1) كان القدماء رحمهم الله يحتفلون ب الغيبات التي كانت تجد لدى العامة قبولا ورواجا ، ولكنها لم

تكن تستحق هذا الاحتمال ؟ ، وليس لها من الناحية العلمية وزن ، إذ أن فيها مجالا واسعا للتخيل والاختلاق

وأهم من ذلك أن الاسلام وهو دين يعتمد في صحته على حقائق الحياة وشهادة التاريخ لا يحتاج في

إثباته وصدق رسوله إلى هتاف جان أو سجع كهان ، وخاصة أن الاسلام أبطل الكهانة وقضى عليها ،

فكيف يستشهد بأقوال الكهان على صدقه أو تنطق الاوثان بصحته ؟ ! . (*)

وقد تقدم كلام شق وسطيح لربيعة بن نصر ملك اليمن في البشارة بوجود رسول

الله صلى الله عليه وسلم : (رسول زكى يأتي إليه الوحي من قيل العلى) .

وسياتى في المولد قول سطيح لعبد المسيح : (إذا كثرت
التلاوة ، وغاضت بحيرة

ساوة ، وجاء صاحب الهراوة) يعنى بذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما سياتى

بيانه مفصلا * (هامش) * (2) ليس في ا . (*)

وقال البخارى : حدثنا يحيى بن سليمان الجعفى ، حدثنى
ابن وهب ، حدثنى عمرو -

هو محمد بن زيد - أن سالما حدثه عن عبدالله بن عمر
قال : ما سمعت عمر يقول لشيء قط :

(إنى لاظنه) إلا كان كما يظن .

بينما عمر بن الخطاب جالس إذ مر به رجل جميل ،
فقال : لقد أخطأ ظنى أو إن هذا

على دينه في الجاهلية ، أو لقد كان كاهنهم ، على الرجل

فدعى به . فقال له ذلك فقال : ما رأيت كاليوم أستقبل
به رجلا مسلما .

-342-

قال : فإنى أعزم عليك إلا ما أخبرتنى . قال : كنت كاهنهم
في الجاهلية ، قال : فما

ما جاءتك به جنيتك ؟

قال : بينما أنا في السوق يوما جاءتنى أعرف فيها الفزع ،
فقلت :

ألم تر الجن وإبلاسها ، ويأسها من بعد أنكاسها ، ولحوقها

بالقلاص وأحلاسها ؟

قال عمر : صدق ، بينا أنا نائم عند آلهتهم جاء رجل بعجل فذبحه ، فصرخ

به صارخ لم أسمع صارخا قط أشد صوتا منه ، يقول : يا جليح ، أمر نجيح رجل فصيح ،

يقول لا إله إلا الله . فوثب القوم ، فقلت : لأبرح حتى أعلم ما وراء هذا .

ثم نادى : يا جليح أمر نجيح ، رجل فصيح ، يقول لا إله إلا الله . فقامت فما نشبنا أن

قيل هذا نبى .

تفرد به البخارى .

وهذا الرجل هو سواد بن قارب الازدى ، ويقال السدوسى من أهل السراة من

جبال البلقاء له صحبة ووفادة . قال أبوحاتم وابن منده : روى عنه سعيد بن جبير ،

وأبوجعفر محمد بن على ، وقال البخارى : له صحبة . وهكذا ذكره في أسماء الصحابة أحمد

ابن روح البرزعى الحافظ ، و الدارقطنى ، وغيرهما وقال الحافظ عبد الغنى بن سعيد

المصرى : سواد بن قارب بالتخفيف . وقال عثمان الوقاصى : عن محمد بن كعب القرظى :

كان من أشرف أهل اليمن .

ذكره أبونعيم في الدلائل . وقد روى حديثه من وجوه آخر مطولة بالبسط من

رواية البخارى .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني من لأتهم عن عبدالله بن كعب مولى عثمان بن

-343-

عفان أنه حدث أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بينما هو جالس في الناس في مسجد

رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقبل رجل من العرب داخل المسجد يريد عمر بن

الخطاب . فلما نظر إليه عمر قال : إن الرجل لعلى شركه ما فارقه بعد ، أو لقد كان

كاهنا في الجاهلية .

فسلم عليه الرجل ثم جلس ، فقال له عمر : هل أسلمت ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين .

قال : فهل كنت كاهنا في الجاهلية ؟

فقال الرجل : سبحان الله يا أمير المؤمنين ، لقد خلت في و استقبلتني بأمر ما أراك

قلته لاحد من رعيك منذ وليت ما وليت .

فقال عمر : اللهم غفرا ، قد كنا في الجاهلية على شر من هذا ، نعبد الاصنام ونعتنق

الاوثنان ، حتى أكرمنا الله برسوله وبالاسلام .

قال : نعم والله يا أمير المؤمنين لقد كنت كاهنا في الجاهلية .

قال : فأخبرني ما جاء به صاحبك قال : جاءني قبل الاسلام بشهر أو شيعه * (هامش) * (1) أى دونه بقليل ، وشيع كل شئ : ما هو له تبع . (*)

فقال : ألم تر إلى الجن وإبلاسها ، وإياسها من دينها ، ولحوقها بالقلاص وأحلاسها .

قال ابن إسحاق : هذا الكلام سجع ليس بشعر .
فقال عمر : عند ذلك يحدث الناس : والله إنى لعند وثن
من أوثان الجاهلية في نفر
من قريش ، قد ذبح له رجل من العرب عجلا ، فنحن
نتنظر قسمه أن يقسم لنا منه ،
إذ سمعت من جوف العجل صوتا ما سمعت صوتا قط
أشد منه ، وذلك قبل الاسلام بشهر
أو شيعه يقول : يا ذريح ، أمر نجيح ، رجل يصيح يقول لا
إله إلا الله .
قال ابن هشام : ويقال رجل يصيح ، بلسان فصيح ، يقول
لا إله إلا الله .
-344-

قال : وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر :
- عجت للجن وإبلاسا * وشدها العيس بأحلاسا -
- تهوى إلى مكة تبغى الهدى * ما مؤمنو الجن كأنجاسها -
- وقال الحافظ أبويعلى الموصلى : حدثنا يحيى بن حجر بن
النعمان الشامى ، حدثنا على
ابن منصور الانبارى ، عن محمد بن عبدالرحمن الوقاصى ،
عن محمد بن كعب القرظى ،
قال : بينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذات يوم
جالس إذ مر به رجل ، فقيل ،
يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المار ؟ قال : ومن هذا ؟
قالوا : هذا سواد بن قارب ، الذى أتاه
رئيه بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال : فأرسل إليه عمر فقال له : أنت سواد بن قارب ؟
قال : نعم .

قال : فأنت على ما كنت عليه من كهانتك ؟

قال : فغضب وقال : ما استقبلنى بهذا أحد منذ أسلمت يا أمير المؤمنين .

فقال عمر : يا سبحان الله ! ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك ،

فأخبرنى ما أنبأك ربيك * (هامش) * (1) فأخبرنى بإتيانك ربيك . (*)

بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : نعم يا أمير المؤمنين بينما أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتانى ربي

فضربنى برجله وقال : قم يا سواد بن قارب ، واسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل ، إنه

قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته . ثم أنشأ يقول :

- عجت للجن وتطلابها * وشدها العيس بأقتابها -

- تهوى إلى مكة تبغى الهدى * ما صادق الجن ككذابها -

- فارحل لى الصفوة من هاشم * ليس قدامها كأذئابها -

-345-

قال : قلت دعنى أنام فإنى أمسيت ناعسا .

قال : فلما كانت الليلة الثانية أتانى فضربنى برجله وقال : قم يا سواد بن قارب واسمع

مقالتي ، واعقل إن كنت تعقل ، إنه بعث رسول من لؤى بن غالب ، يدعو إلى الله وإلى

عبادته ، ثم أنشأ يقول :

- عجبت للجن وتخبارها * (هامش) * (1) المطبوعة :
وتحيارها . وهو تحريف . وما أثبتته من ا . (*)

وشدها العيس بأكوارها -

- تهوى إلى مكة تبغى الهدى * ما مؤمنو الجن ككفارها -

- فارحل إلى الصفوة من هاشم * بين روايبها وأحجارها -

قال : قلت دعنى أنام ، فإنى أمسيت ناعسا .

فلما كانت الليلة الثالثة أتانى فضربنى برجله وقال : قم يا
سواد بن قارب ، فاسمع مقالتي ،

واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لوى بن
غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته

ثم أنشأ يقول :

- عجبت للجن وتحساسها * وشدها العيس بأحلاسها -

- تهوى إلى مكة تبغى الهدى * ما خير الجن كأنجاسها -

- فارحل إلى الصفوة من هاشم * واسم بعينيك إلى راسها -

قال : فقمتم وقلت : قد امتحن الله قلبى ، فرحلت ناقتى
، ثم أتيت المدينة - يعنى

مكة - فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ،
فدنوت فقلت : اسمع مقالتي

يا رسول الله . قال : هات . فأنشأت أقول :

- أتانى بحىي بعد هدهء ورقدة * ولم يك فيما قد بلوت *
(هامش) * (2) خ ط : قلوت . وهو تحريف ، وما أثبتته
عن الاكتفا (*)

بكاذب -

- ثلاث ليال قوله كل ليلة * أتاك رسول من لؤى بن غالب
-

-346-

- فشمرت عن ذيلي الازار ووسطت * بي الذعلب الوجناء
عبر السباب -

- فأشهد أن الله لا شئ غيره * وأنك مأمون على كل غائب
* (هامش) * (1) الاصل غالب . وما أثبتته عن الدلائل
والوفا . (*)
-

وأنك أدنى المرسلين وسيلة * إلى الله يا ابن الاكرمين
الاطايب -

- فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى * وإن كان فيما جاء
شيب الذوائب -

- وكن لى شفيعا يوم لادو شفاعه * سواك بمغن عن سواد
بن قارب -

قال : ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه
بمقالتي فرحا شديدا ، حتى رئي

الفرح في وجوههم .

قال : فوثب إليه عمر بن الخطاب فالتزمه وقال : قد كنت
أشتهى أن أسمع هذا

الحديث منك ، فهل يأتيك ربيك اليوم .

قال : أما منذ قرأت القرآن فلا ، ونعم العوض كتاب الله
من الجن .

ثم قال عمر : كنا يوما في حى من قريش يقال لهم آل
ذريح وقد ذبحوا عجلا لهم

والجزار يعالجه ، إذ سمعنا صوتا من جوف العجل ولانرى
شيئا ، قال : يا آل ذريح ،

أمر نجيح ، صائح يصيح ، بلسان فصيح يشهد أن لا إله إلا
إلا الله .

وهذا منقطع من هذا الوجه ويشهد له رواية البخارى . وقد
تساعدوا على أن السامع

الصوت من العجل هو عمر بن الخطاب والله أعلم .

وقال الحافظ أبوبكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطى
في كتابه الذى جمعه في

هواتف الجان : حدثنا أبو موسى عمران بن موسى المؤدب
، حدثنا محمد بن عمران بن محمد

ابن عبدالرحمن بن أبى ليلى ، حدثنا سعيد بن عبيد الله
الوصابى * (هامش) * (2) نسبة إلى وصاب بن سهل بن
عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن
وائل . (*)

، عن أبيه ، عن أبى

جعفر محمد بن على قال : دخل سواد بن قارب
السدوسى على عمر بن الخطاب رضى الله

-347-

عنه فقال : نشدتك بالله يا سواد بن قارب ، هل تحسن *
(هامش) * (1) لعلها : هل تحسن . بدليل قوله بعد : هل
تحسن اليوم منها بشئ . (*)

اليوم من كهانتك شيئا .

فقال : سبحان الله يا أمير المؤمنين ، ما استقبلت أحدا
من جلسائك بمثل

ما استقبلتنى به .

قال : سبحان الله يا سواد : ما كنا عليه من شركنا أعظم
مما كنت عليه من كهانتك ،

والله يا سواد لقد بلغنى عنك حديث إنه لعجب من العجب .

قال : إى والله يا أمير المؤمنين إنه لعجب من العجب .
قال : فحدثنيه .

قال : كنت كاهنا في الجاهلية ، فبينما أنا ذات ليلة نائم إذا
أتانى نجى فضربنى برجله

ثم قال : يا سواد اسمع أقل لك ، قلت : هات . قال :

- عجت للجن وإيجاسها * (هامش) * (2) ط : وأنجاسها
(*) .

* ورحلها العيس بأحلاسها -

- تهوى إلى مكة تبغى الهدى * ما مؤمنوها مثل أرجاسها -

- فارحل إلى الصفوة من هاشم * واسم بعينك إلى رأسها -
-

قال : فنمت ولم أحفل بقوله شيئاً . فلما كانت الليلة
الثانية أتانى فضربنى برجله ثم

قال لى : قم يا سواد بن قارب اسمع أقل لك . قلت :
هات . قال :

- عجت للجن وتطلابها * وشدها العيس بأقتابها -

- تهوى إلى مكة تبغى الهدى * ما صادق الجن ككذابها -

- فارحل إلى الصفوة من هاشم * ليس المقاديم كأذبابها -

قال : فحر قوله منى شيئاً ، ونمت . فلما كانت الليلة
الثالثة أتانى فضربنى برجله

ثم قال : يا سواد بن قارب أتعقل أم لاتعقل ؟ قلت : وما
ذاك ؟ قال : ظهر بمكة نبى يدعو

إلى عبادة ربه فالحق به ، اسمع أقل لك . قلت : هات .
قال :

-348-

- عجت للجن وتنفارها * ورحلها العيس بأكوارها -
- تهوى إلى مكة تبغى الهدى * ما مؤمنو الجن ككفارها -
- فارحل إلى الصفوة من هاشم * بين روايبها وأحجارها -
قال : فعلمت أن الله قد أراد بي خيرا . فقامت إلى بردة
لى ففتقتها ولبستها ووضع

رجلى في غرز ركاب الناقة ، وأقبلت حتى انتهت إلى
النبي صلى الله عليه وسلم فعرض

على الاسلام فاسلمت ، وأخبرته الخبر فقال : (إذا أجمع
المسلمون فأخبرهم) فلما اجتمع

المسلمون قمت فقلت :

- أتانى نجى بعد هده ورقدة * ولم يك فيما قد بلوت
بكاذب -

- ثلاث ليال قوله كل ليلة * أتاك رسول من لؤى بن غالب
-

- فشمرت عن ذيلى الازار ووسطت * بى الذعلب الوجناء
عبر السباب * (هامش) * (1) الذعلب : الناقة السريعة
، والوجناء : الشابة . والسباب : جمع سبب وهى الفلاة .
هذا ، وقد

حرفت فيف الاصل : غير السباب . (*)

- وأعلم أن الله لا رب غيره * وأنك مأمون على كل غائب
-

- وأنت أدنى المرسلين وسيلة * إلى الله يا ابن الاكرمين
الاطايب -

- فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل * وإن كان فيما جاء شيب
الذوائب -

قال : فسر السلمون بذلك .

فقال عمر : هل تحس اليوم منها بشئ ؟ قال : أما إذا
علمنى الله القرآن فلا .

وقد رواه محمد بن السائب الكلبي عن أبيه عن عمر بن
حفص . : لما ورد

سواد بن قارب على عمر قال : يا سواد بن قارب ما بقى
من كهانتك ؟

فغضب وقال : ما أظنك يا أمير المؤمنين استقبلت أحدا
من العرب بمثل هذا .

-349-

فلما رأى ما في وجهه من الغضب ، قال : أنظر سواد .
للذى كنا عليه قبل اليوم من

الشرك أعظم . ثم قال : يا سواد حدثنى حديثا كنت
أشتهى أسمعه منك .

قال : نعم ، بينا أنا في إبل لى بالسراة ليلا وأنا نائم ،
وكان لى نجى من الجن أتانى

فضربنى برجله فقال لى : قم يا سواد بن قارب فقد ظهر
بتهامه نبى يدعو إلى الحق وإلى

طريق مستقيم . فذكر القصة كما تقدم وزاد في آخر
الشعر :

- وكن لى شفيعا يوم لادو قرابة * سواك بمغن عن سواد
بن قارب -

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (سر في قومك
وقل هذا الشعر فيهم) .

ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق سليمان بن
عبدالرحمن ، عن الحكم بن

يعلى بن عطاء المحاربي ، عن عباد بن عبدالصمد ، عن
سعيد بن جبير ، قال : أخبرني

سواد بن قارب الأزدي قال : كنت نائما على جبل من
جبال السراة فأتاني أت فضربني

برجله . وذكر القصة أيضا .

ورواه أيضا من طريق محمد بن البراء ، عن أبي بكر بن
عياش ، عن أبي إسحاق ،

عن البراء . قال : قال سواد بن قارب : كنت نازلا بالهند
فجاءني ربي ذات ليلة فذكر

القصة . وقال بعد إنشاد الشعر الاخير : قضحك رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى بدت

نواجذه وقال : (أفلحت يا سواد) .

وقال أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة : حدثنا عبدالله بن
محمد بن جعفر ، حدثنا

عبدالرحمن بن الحسن ، حدثنا علي بن حرب ، حدثنا
أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب

عن أبيه عن عبدالله العماني قال : كان منا رجل يقال له
مازن بن العصب * (هامش) * (1) الدلائل : العصب
(*)

يسدن

صنما بقرية يقال لها سمايا ، من عمان ، وكانت تعظمه
بنو الصامت وبنو حطامة

ومهرة وهم أخوال مازن ، أمه زينب بنت عبدالله بن
ربيعة بن خويص * (هاشم) * (1) دلائل النبوة : حويص
بالحاء . (*)

أحد

بنى نمران .

قال مازن : فعترنا يوما عند الصنم عتيرة ، وهى الذبيحة ،
فسمعت صوتا من الصنم

يقول : يا مازن اسمع تسر ، ظهر خير وبطن شر ، بعث
نبي من مضر ، بدين الله

الاكبر ، فدع نحيتا من حجر ، تسلم من حرسقر .

قال : ففزعت لذلك فزعا شديدا .

ثم عترنا بعد أيام عتيرة أخرى ، سمعت صوتا من الصنم
يقول : أقبل إلى أقبل ،

تسمع ما لاتجهل ، هذا نبي مرسل ، جاء بحق منزل ،
فأمن به كى تعدل ، عن حر نار

تشعل ، وقودها الجندل .

قال مازن : فقلت إن هذا لعجب ، وإن هذا لخير يراد بى
، وقدم علينا رجل

من الحجاز فقلت : ما الخبر وراءك ؟ فقال : ظهر رجل
يقال له أحمد ، يقول من أتاه :

أجيوا داعى الله .

فقلت : هذا نيا ما سمعت . فثرت إلى الصنم فكسرتة جذ
إذا وذكبت راحلتى حتى

قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرح الله
صدرى للاسلام ، فأسلمت ، وقلت :

- كسرت يا جرا جذاذا * (هامش) * (2) الاصل باجرا .
وهو تحريف . وما أنبته عن الاكتفا للكلاعى . وفى الدلائل
محرفة : باجرا .

والاجذاذ : جمع الجذ بكسر الجيم وهو الجزء المقطوع . (*)

وكان لنا * ربا نطيف به ضلا بتضلال -

- بالهاشمى هدانا من ضلالتنا * ولم يكن دينه منى على
بال -

يا ؟ راكبا بلغن عمرا وإخوتها * أنى لمن قال ربي يا جر
قالى -

يعنى بمعرو : الصامت . وإخوتها : حطامة .

-351-

فقلت : يا رسول الله إنى امرؤ موع بالطرب وبالهلوك
إلى النساء وشرب الخمر ،

.....

- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 351 سطر 1 الى ص
360 سطر 28

فقلت : يا رسول الله إنى امرؤ موع بالطرب وبالهلوك
إلى النساء وشرب الخمر ،

وألحت علينا السنون فأذهبن الاموال وأهزلن السرارى ،
وليس لى ولد ، فادع الله أن

يذهب عنى ما أجد ويأتينا بالحياء ، ويهب لى ولد .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (اللهم أبدله بالطرب
قراءة القرآن ، وبالحرمان الحلال

وبالاثم وبالعهـر عفة ، وآته بالحياء ، وهب له ولدا) .
قال فأذهب الله عنى ما أجد ، وأخصبت عمان ، وتزوجت
أربع حرائر ، وحفظت
شطر القرآن ، ووهب لى حيان بن مازن . وأنشأ يقول :
- إليك رسول الله خبت مطيتى * تجوب الفيافى من عمان
إلى العرج -

- لتشفع لى يا خير من وطى الحصى * فيغفر لى ربى
فأرجع بالفلج * (هامش) * (1) الفلج : الفوز والظفر .
(*)

-

- إلى معشر خالفت في الله دينهم * فلا رأيهم رأبى
ولا شرجهم شرجى * (هامش) * (2) الشرح : المثل .
(*)

-

وكنت امرءا بالخمـر والعهـر مولعا * شبابى حتى آذن الجسم
بالنهج -

- فبدلنى بالخمـر خوفا وخشية * وبالعهـر إحصانا فحصن لى
فرجى -

- فأصبحت همى في الجهاد ونيتى * فله ما صومى ولله
ما حجى -

قال : فلما أتيت قومى أنبونى وشتمونى ، وأمروا شاعرا
لهم فهجانى ، فقلت إن

رددت عليه فإنما أهجو نفسى .

فرحلت عنهم فأتتنى منهم زلفة عظيمة ، وكنت القيم
بأمورهم ، فقالوا : يا ابن عم :

؟ ؟ بنا عليك أمرا وكرهنا ذلك ، فإن أبيت ذلك فارجع
وقم بأمورنا ، وشأنك

وما تدين به .

فرجعت معهم وقلت :

-352-

- لبغضكم عندنا مر مذاقته * وبغضنا عندكم يا قومنا لبن -

- لايفطن الدهر إن بثت معائبكم * وكلكم حين يثنى عينا
فطن -

- شاعرنا مفحم عنكم وشاعركم * في حدبنا مبلغ في
شتمنا لسن -

- ما في القلوب عليكم فاعلموا وعر * وفي قلوبكم
البغضاء والاحن -

قال مازن : فهذهم الله بعد إلى الاسلام جميعا .

وروى الحافظ أبو نعيم من حديث عبدالله بن محمد بن
عقيل ، عن جابر بن عبدالله ،

قال : إن أول خبر كان بالمدينة بمبعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، أن امرأة بالمدينة كان

لها تابع من الجن ، فجاء في صورة طائر أبيض فوق
على حائط لهم ، فقالت له : لم لاتنزل

إلينا فتحدثنا ونحدثك ، وتخبرنا ونخبرك ؟ فقال لها : إنه
قد بعث نبي بمكة حرم الزنا

ومنع منا القرار .

وقال الواقدي : حدثني عبدالرحمن بن عبدالعزيز ، عن
الزهري ، عن علي بن

الحسين ، قال : إن أول خبر قدم المدينة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن امرأة

تدعى فاطمة كان لها تابع ، فجاءها ذات يوم ، فقام على الجدار فقالت : ألا تنزل ؟ فقال :

لا إنه قد بعث الرسول الذى حرم الزنا .

وأرسله بعض التابعين أيضا ، وسماه بابن لوزان ، وذكر أنه كان قد غاب عنها مدة ،

ثم لما قدم عاتبته فقال : إني جئت الرسول فسمعتة يحرم الزنا ، فعليك السلام .

وقال الواقدي : حدثني محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة قال : قال عثمان بن

عفان : خرجنا في غير إلى الشام ، قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كنا

بافواه الشام ، وبها كاهنة ، فتعرضتنا ، فقالت : أتانى صاحبى فوقف على بابى ، فقلت :

ألا تدخل ؟ فقال : لاسبيل إلى ذلك ، خرج أحمد وجاء أمر لا يطاق .

-353-

ثم انصرفت فرجعت إلى مكة فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة

يدعو إلى الله عزوجل .

وقال الواقدي : حدثني محمد بن عبدالله الزهرى قال :

كان الوحي يسمع ، فلما كان

الاسلام منعوا .

وكانت امرأة من بنى أسد يقال لها سعييرة لها تابع من الجن ، فلما رأى الوحي

لايستطاع أتاها فدخل في صدرها فضج في صدرها فذهب عقلها ، فجعل يقول من صدرها :

وضع العناق ، ومنع الرفاق ، وجاء أمر لا يطاق ، وأحمد
حرم الزنا .

وقال الحافظ أبوبكر الخرائطي : حدثنا عبدالله بن محمد
البلوي - بمصر - حدثنا

عمارة بن زيد ، حدثنا عيسى بن يزيد ، عن صالح بن
كيسان ، عن حدثه ، عن مرداس

بن قيس السدوسي قال : حضرت النبي صلى الله عليه
وسلم ، وقد ذكرت عنده

الكهانة وما كان من تغييرها عند مخرجه ، فقلت : يا
رسول الله قد كان عندنا في

ذلك شيء ، أخبرك أن جارية منا يقال لها الخلصة لم يعلم
عليها إلا خيرا ، إذا جاءتنا

فقلت : يا معشر دوس ، العجب العجب لما أصابني ، هل
علمتم إلا خيرا ؟ قلنا : وما ذاك ؟

قالت . إنى لفي غنمي إذ غشيتني ظلمة ووجدت كحس
الرجل مع المرأة ، فقد خشيت

أن أكون حبلت . حتى إذا دنت ولادتها وضعت غلاما أغضف
له أذنان كأذني

الكلب ، فمكث فينا حتى إنه ليلعب مع الغلمان إذ وثب
وثبة وألقى إزاره وصاح بأعلى

صوته ، وجعل يقول : يا ويلة يا ويلة يا عولة يا عولة ، يا
ويل غنم ، يا ويل فهم ، من قابس

النار ، الخيل والله وراء العقبة ، فيهن فتیان حسان نجبة
.

قال : فركبنا وأخذنا للاداة وقلنا : يا ويلك ما ترى ؟ فقال
: - هل - من جارية

(23 - السيرة 1)

طامث ؟ فقلنا : ومن لنا بها ؟ فقال شيخ منا ؟ هي
والله عندي عفيفة الام فقلنا فعجلها .

فأتى بالجارية وطلع الجبل وقال للجارية : أطرحي ثوبك
واخرجي في وجوههم ، وقال

للقوم : اتبعوا أثرها ، وقال لرجل منا يقال له أحمد بن
حابس : يا أحمد بن حابس ، عليك

أول فارس . فحمل أحمد فطعن أول فارس فصرعه
وانهزموا فغنمناهم . قال : فابتينا عليهم

بيتا وسميناه ذا الخلصة ، وكان لايقول لنا شيئا إلا كان
كما يقول .

حتى إذا كان مبعثك يا رسول الله قال لنا يوما : يا معشر
دوس ، نزلت بنو الحارث

ابن كعب . فركبنا فقال لنا : اكدسوا الخيل كدسا ،
واحشوا القوم رمسا ، انفوهم

غدية ، واشربوا الخمر عشية .

قال : فلقيناهم فهزمونا وغلبونا فرجعنا إليه فقلنا : ما حالك
وما الذي صنعت بنا ؟

فنظرنا إليه وقد احمرت عيناه ، وانتصبت أذناه وانبرم
غضبانا حتى كاد أن ينفطر وقام .

فركبنا واغتفرنا هذه له ومكثنا بعد ذلك حيناً ، ثم دعانا
فقال : هل لكم في غزوة

تهب لكم عزا وتجعل لكم حرزا ويكون في ايديكم كنزا ؟
فقلنا : ما أحوجنا إلى

ذلك . فقال اركبوا . فركبنا فقلنا : ما تقول ؟ فقال : بنو
الحارث بن مسلمة . ثم قال :

قفوا ، فوقفنا ثم قال : عليكم بفهم ، ثم قال ليس لكم
فيهم دم ، عليكم بمضر ، هم أرباب

خيل ونعم . ثم قال : لا ، رهط دريد بن الصمة قليل
العدد وفى الذمة . ثم قال لا ،

ولكن عليكم بكعب بن ربيعة وأسكنوها ضيعة عامر بن
صعصة ، فليكن

بهم الوقية .

قال : فلقيناهم فهزمونا وفضحونا ، فرجعنا وقلنا : ويلك
ماذا تصنع بنا . قال :

ما أدري كذبنى الذى يصدقنى . اسجنونى فى بيتى ثلاثا ثم
ائتونى .

ففعلنا به ذلك ثم أتيناه بعد ثلاثة ففتحنا عنه فإذا هو كأنه
حجرة نار ، فقال : يا معشر

-355-

دوس ، حرست السماء وخرج خير الانبياء . قلنا : أين ؟
قال : بمكة ، وأنا ميت ،

فادفنونى فى رأس جبل فىنى سوف اضطرم نارا ، وإن
تركتمونى كنت عليكم

عارا ، فإذا رأيتم اضطرامى وتلهبى فاقدفونى بثلاثة أحجار
ثم قولوا مع كل حجر : باسمك

اللهم : فىنى أهدا وأطفى .

قال : وإنه مات فاشتعل نارا ، ففعلنا به ما أمر ، وقد
قدفناه بثلاثة أحجار نقول

مع كل حجر : باسمك اللهم ، فحمد وطفى .

وأقمنا حتى قدم علينا الحاج فأخبرونا بمبعثك يا رسول الله

غريب جدا .

وروى الواقدي عن أبيه عن ابن أبي ذئب ، عن مسلم بن جندب ، عن النضر بن

سفيان الهذلي ، عن أبيه . قال : خرجنا في غير لنا إلى الشام ، فلما كنا بين الزرقاء

ومعان قد عرشنا * (هامش * (1) الوفا : وقد عرشنا .
(*)

من الليل ، فإذا بفارس يقول وهو بين السماء والارض :
أيها النيام

هبوا ، فليس هذا بحين رقاد ، قد خرج أحمد ، فطردت *
(هامش) * (2) الوفا : وطردت . (*)

الجن كل مطرد .

ففرعنا ونحن رفقة حزاورة * (هامش) * (3) الاصل :
حزورة ، وما أثبتته من الدلائل لابي نعيم . والحزاورة جمع
حزور كجعفر وهو

الرجل القوي . (*)

كلهم قد سمع بهذا .

فرجعنا إلى أهلنا فإذا هم يذكرون اختلافا بمكة بين قريش
في نبي قد خرج فيهم

من بنى ع بدالمطلب اسمه أحمد .

ذكره أبونعيم .

وقال الخرائطي : حدثنا عبدالله بن محمد البلوي * (هامش)
(*) (4) بفتح الباء واللام نسبة إلى بلى بن عمرو بن
الحاف بن قضاة ، اللباب 1 / 144 . (*)

- بمصر حدثنا عمارة بن زيد ،

حدثني عبدالله بن العلاء ، حدثني يحيى بن عروة ، عن
أبيه ، أن نفرا من قريش منهم ورقة

ابن نوفل بن أسد بن عبدالعزيز بن قصي ، وزيد بن
عمرو بن نفيل ، وعبدالله بن جحش

بن رثاب ، وعثمان بن الحويرث ، كانوا عند صنم لهم
يجتمعون إليه ، قد اتخذوا ذلك اليوم من

كل سنة عيداً ، كانوا يعظمونه وينحرون له الجزور ، ثم
يأكلون ويشربون الخمر ويعكفون

عليه ، فدخلوا عليه في الليل فرأوه مكبوا على وجهه ،
فأنكروا ذلك فأخذوه فردوه

إلى حاله ، فلم يلبث أن انقلب انقلاباً عنيفاً ، فأخذوه
فردوه إلى حاله ، فانقلب الثالثة .

فلما رأوا ذلك اغتموا له وأعظموا ذلك . فقال عثمان بن
الحويرث : ماله قد

أكثر التنكس ؟ ! إن هذا لامر قد حدث . وذلك في الليلة
التي ولد فيها رسول الله

صلى الله عليه وسلم . فجعل عثمان يقول : -

- أيا صنم العيد الذي صف حوله * صنا ديد وفد من بعيد
ومن قرب -

- تنكست مغلوباً فما ذاك قل لنا * أذاك سفية أم تنكست
للعتب -

- فإن كان من ذنب أتينا فإننا * نبوء بإقرار ونلوى عن
الذنب -

- وإن كنت مغلوباً ونكست صاغراً * فما أنت في الاوثان
بالسيد الرب -

قال : فأخذوا الصنم فردوه إلى حاله . فلما استوى هتف
بهم هاتف من الصنم بصوت

جهير وهو يقول :

- تردى لمولود أنارت بنوره * جميع فجاج الارض في الشرق والغرب -

- وخرت له الاوثان طرا وأرعدت * قلوب ملوك الارض طرا من الرعب -

- ونار جميع الفرس باخت وأظلمت * وقد بات شاه الفرس في اعظم الكرب -

- وصدت عن الكهان بالغيب جنها * فلا مخبر عنهم بحق ولاكذب -

-357-

- فيا لقصى ارجعوا عن ضلالكم * وهبوا إلى الاسلام والمنزل الرحب * (هامش) * (1) لايستطاع تقبل هذه الاشعار ولا الرضا بهذه الاخبار المتكلفة التي تغلب عليها النزعة ؟ الاسطورية

ولقد كان الاقدمون لايجدون غضاضة في نقل هذه الاخبار وروايتها ، بل والسكوت عليها وكانت في

نظرهم تؤيد الدين وتخدمه ، أما في عصرنا الذي لايقبل الخبر إلا بعد التمحيص والنقد فلا تثبت أمثال هذه

الروايات أمام النظر العلمى ، وكل ما نريده أن يفهم القارئ أنه في حل من رفض هذه الروايات

الاسطورية ، هذا والجانب الاخير من الرواية وهو ما بعد هذا الشعر صحيح مقبول يثبت التاريخ وقد رواه

عدة ، منهم الكلاغى في الاكتفا . (*)

-

قال : فلما سمعوا ذلك خلصوا نجيا ، فقال بعضهم لبعض : تصادقوا وليكنتم

بعضكم على بعض .

فقالوا : أجل !

فقال لهم ورقة بن نوفل : تعلمون والله ما قومكم على دين ، ولقد أخطأوا الحجة

وتركوا دين إبراهيم ، ما حجر تطيفون به لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر ؟ !

يا قوم التمسوا لانفسكم الدين .

قال : فخرجوا عند ذلك يضربون في الارض ويسألون عن الحنيفية دين إبراهيم

عليه السلام .

فأما ورقة بن نوفل فتنصر وقرأ الكتب حتى علم علما .

وأما عثمان بن الحويرث فسار إلى قيصر فتنصر وحسنت منزلته عنده .

وأما زيد بن عمرو بن نفيل فأراد الخروج فحبس .

ثم إنه خرج بعد ذلك فضرب في الارض حتى بلغ الرقة من أرض الجزيرة ، فلقى

بها راهبا عالما فأخبره بالذي يطلب ، فقال له الراهب : إنك لتطلب دينا ما تجد من

يحملك عليه ، ولكن قد أظلك زمان نبي يخرج من بلدك يبعث بدين الحنيفية .

فلما قال له ذلك رجع يريد مكة فغارث * (هامش) * (2)
(كذا والقياس أغارث . (*)

عليه لحم فقتلوه .

وأما عبدالله بن جحش فأقام بمكة حتى بعث النبي صلى
الله عليه وسلم ، ثم
خرج مع من خرج إلى أرض الحبشة ، فلما صار بها تنصر
وفارق الاسلام ، فكان بها
حتى هلك هنا لك نصرانيا .

تقدم في ترجمة زيد بن عمر بن نفييل له شاهد .
وقد قال الخرائطى : حدثنا أحمد بن إسحاق بن صالح
أبو بكر الوراق ، حدثنا عمرو
ابن عثمان ، حدثنى أبى ، حدثنا عبدالله بن عبدالعزيز ،
حدثنى محمد بن عبدالعزيز ، عن
الزهري ، عن عبدالرحمن بن أنس السلمى ، عن العباس
بن مرداس أنه كان يعر * (هامش) * (1) أى يعالجها . (*)

في

لقاح له نصف النهار إذ طلعت عليه نعامة بيضاء عليها
راكب عليه ثياب بياض مثل اللبن
فقال : يا عباس بن مرداس ، ألم تر أن السماء قد كفت
أحراسها ، وأن الحرب تجرعت
أنفاسها ، وأن الخيل وضعت أحلاسها ، وأن الذى نزل
بالبر والتقوى ، يوم الاثنين ليلة
الثلاثاء ، صاحب الناقة القصوى .

قال : فرجعت مرعوبا قد راعنى ما رأيت وسمعت ، حتى
جئت وثنا لنا يدعى

الضمار * (هامش) * (2) الاصل الضماد ، وما أثبتته من
الاكتفا وابن هشام ، وفى القاموس :

والضمار ككتاب . وصنم عبده العباس بن مرداس ورهطه .
(*)

وكنا نعبده ونكلم من جوفه فكنت ما حوله ثم تمسحت
به وقبلته فإذا

صائح من جوفه يقول :

- قل للقبائل من سليم كلها * هلك الضمار وفاز أهل
المسجد -

- هلك الضمار وكان يعبد مرة * قبل الصلاة مع النبي
محمد -

- إن الذى ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش
مهتدى -

قال : فخرجت مرعوبا حتى أتيت قومي فقصصت عليهم
القصة وأخبرتهم الخبر ،

-359-

وخرجت في ثلاثمائة من قومي بنى حارثة إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة ،

فدخلنا المسجد ، فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لى : (يا عباس كيف كان

إسلامك) ؟ فقصصت عليها لقصة . قال فسر بذلك
وأسلمت أنا وقومي .

ورواه الحافظ أبونعيم في الدلائل من حديث أبى بكر بن
أبى عاصم عن عمرو

ابن عثمان به .

ثم رواه أيضا من طريق الاصمعى ، حدثنى الوصافى *
(هامش) * (1) نسبة لاي وصاف وهو اسم جماعة منهم
وصاف بن عامر العجلي . ينسب إليه عبيد الله بن الوليد

ابن عبدالرحمن بن قيس الوصافي يروي عن عطية وعطاء ،
سمع منه يعلى بن عبيد ووكيع وغيرهما ، وكان

منكر الحديث اللباب 3 / 275 . (*)

، عن منصور بن

المعتمر ، عن قبيصة بن عمرو بن إسحاق الخزاعي ، عن
العباس بن مرداس

السلمي قال :

أول إسلامي أن مرداسا أبي ، لما حضرته الوفاة أوصاني
بصنم له يقال - له - ضمار * (هامش) * (2) الاصل :
ضماد وهو تحريف . (*)

فجعلته في بيت وجعلت آتية كل يوم مرة ، فلما ظهر
النبي صلى الله عليه وسلم

سمعت صوتا مرسلا في جوف الليل راعني ، فوثبت إلى
ضمار * (هامش) * (2) الاصل : ضماد وهو تحريف .
(*)

مستغيثا ، وإذا بالصوت

من جوفه وهو يقول :

- قل للقبيلة من سليم كلها * هلك الانيس وعاش أهل
المسجد -

- أودى ضمار وكان يعبد مرة * قبل الكتاب إلى النبي
محمد -

- إن الذي ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش
مهتدى -

قال : فكتمته الناس ، فلما رجع الناس من الاحزاب بينا
أنا في إبلى بطرق العقيق

من ذات عرق راقدا ، سمعت صوتا وإذا برجل على جناح
نعمة وهو يقول : النور الذى

-360-

وقع ليلة الثلاثاء مع صاحب الناقة العضباء في ديار إخوان
بنى العنقاء . فأجابه هاتف من

شماله وهو يقول :

بشر الجن وإبلاسها ، أن وضعت المطى أحلاسها ، وكلات
السماء أحراسها

قال : فوثبت مذعورا وعلمت أن محمدا مرسل ، فركبت
فرسى واحتشيت السير حتى

انتهيت إليه فبايعته ، ثم انصرفت إلى ضمار فأحرقته بالنار
، ثم رجعت إلى رسول الله صلى

الله عليه وسلم فأنشدته شعرا أقول فيه :

- لعمرک إنى يوم أجعل جاهلا * ضمارا لرب العالمين
مشاركا -

- وتركى رسول الله والاوز حوله * أولئك أنصار له ما
أولئكا -

- كتارك سهل الارض والحزن يبتغى * ليسلك في وعث
الامور المسالكا -

- فآمنت بالله الذى أنا عبده * وخالفت من أمسى يريد
المهالكا -

- ووجهت وجهى نحو مكة قاصدا * أباع نبي الاكرمين
المباركا -

- نبي أتانا بعد عيسى بناطق * من الحق فيه الفصل فيه
كذلكا -

- أمين على القرآن أول شافع * وأول مبعوث يجيب
- الملائكا -

- تلافى عرى الاسلام بعد انتفاضها * فاحكمها حتى أقام
- المناسكا -

- عينتك يا خير البرية كلها * توسطت في الفرعين والمجد
- مالكا -

- وأنت المصطفى من قريش إذا سمت * على ضميرها تبقى
- القرون المباركا -

- إذا انتسب الحيان كعب ومالك * وجدناك محضا والنساء
العواركا * (هامش) * (1) على ذلك الشعر - مع ما فيه
من ركافة - علامات الصنعة والافتراء منها :

1 - لم يخص الاوس بالذكر مع أنهم بعد الاسلام لم يعد
لهم ذكر مستقل بل هم والخزرج أنصار .

2 - وقوله : (ووجهت وجهي نحو مكة .) مع أنه يذكر أنه
يأبى ترك رسول الله والايوس حوله

وذلك في المدينة ، ومع أنه ذكر من قبل أن ذلك كان
بعد رجوع الناس من الاحزاب =

3 - وكيف علم العباس سريعا - مع أنه حديث الاسلام - أن
رسول الله أول شافع وأول من تنشق عنه

الارض مع أن ذلك من التفاصيل الدقيقة التي لم تكن
تقررت في ذلك الوقت ، وعلى كل فلا يستطيع

حديث عهد بالاسلام أن يحيط بها .

4 - كذلك قوله : تلافى عرى الاسلام بعد انتفاضها . إلا أن
يفسر الاسلام بالدين عموما ، وهذا فهم

خاص لايتكمن منه العباس في ذلك الوقت . وما معنى
أقام المناسكا .

إن هذا الشعر مثل واضح للصنعة والافتراء . (*)

قال الخرائطي : وحدثنا عبدالله بن محمد البلوي بمصر ،
حدثنا عمارة بن زيد ، حدثنا

.....
- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 361 سطر 1 الى ص
370 سطر 22

قال الخرائطي : وحدثنا عبدالله بن محمد البلوي بمصر ،
حدثنا عمارة بن زيد ، حدثنا

إسحاق بن بشر وسلمة بن الفضل ، عن محمد بن
إسحاق ، حدثني شيخ من الانصار

يقال له عبدالله بن محمود من آل محمد بن مسلمة ،
قال : بلغني أن رجلا من خثعم

كانوا يقولون : إن مما دعانا إلى الاسلام أنا كنا قوما نعبد
الاوثنان ، فبينا نحن ذات

يوم عند وثن لنا إذ أقبل نفر يتقاضون إليه يرجون الفرج
من عنده لشيء شجر بينهم ،

إذ هتف بهم هاتف يقول :

- يا أيها الناس ذوو الاجسام * من بين أشياخ إلى غلام * ()
هامش) * (1) الاكتفا : يا أيها الناس ذوو الاجسام .
ومسند الحكم إلى الاصنام . (*)

- ما أنتم وطائش الاحلام * ومسند الحكم إلى الاصنام -

- أكلكم في حيرة نيام * (هامش) * (2) الاكتفا : أكلكم
أوره كالكهام . والاوره : الاحمق . (*)

* أم لاترون ما الذي أمامي -

- من ساطع يجلودجى الظلام * قد لاح للناظر من تهم -
 - ذاك نبى سيد الانام * قد جاء بعد الكفر بالاسلام -
 - أكرمه الرحمن من إمام * ومن رسول صادق الكلام -
 - أعدل ذى حكم من الاحكام * (هامش) * (3) الاكتفا :
 - أعدل في الحكم من الحكام . (*)
 - * يأمر بالصلاة والصيام -
 - والبر والصلوات للارحام * ويزجر الناس عن الآثام -
- 362-

- والرجس والاوثن والحرام * من هاشم في ذروة السنام -

* مستعلنا * (هامش) * (1) الاكتفا : مستعلن . (*)
في البلد الحرام *

قال : فلما سمعنا ذلك تفرقنا عنه وأتينا النبى صلى الله عليه وسلم فأسلمنا .

وقال الخرائطى : حدثنا عبدالله البلوى ، حدثنا عمارة ، حدثنى عبيد الله بن

العلاء ، حدثنا محمد بن عكبر ، عن سعيد بن جبير ، أن رجلا من بنى تميم يقال له

رافع بن عمير ، وكان أهدى الناس للطريق وأسراهم بليل وأهجمهم على هول ،

وكانت العرب تسميه لذلك دعموص العرب ، لهدايته وجراءته على السير ، فذكر

عن بدء إسلامه قال :

إنى لاسير برمل عالج * (هامش) * (2) العالج : المرتفع (*) .

ذات ليلة إذ غلبني النوم فنزلت عن راحلتي وأنختها
وتوسدت ذراعها ونمت ، وقد تعوذت قبل نومى فقلت :
أعوذ بعظيم هذا الوادى
من الجن من أن أوذى أو أهاج . فرأيت في منامى رجلا
شابا يرصد ناقتى وييده حربة
يريد أن يضعها في نحرها ، فانتبهت لذلك فزعا فنظرت
يمينا وشمالا فلم أر شيئا ، فقلت :
هذا جلم . ثم عدت فغفوت فرأيت في منامى مثل رؤياى
الاولى ، فانتبهت فدرت
حول ناقتى فلم أر شيئا وإذا ناقتى ترعد ، ثم غفوت
فرأيت مثل ذلك فانتبهت فرأيت
ناقتى تضطرب ، والتفت فإذا أنا برجل شاب كالذى رأيت
في المنام بيده حربة ورجل
شيخ ممسك بيده يرده عنها وهو يقول :
- يا مالك بن مهلهل بن دثار * مهلا فدا لك مئزرى وإزارى
-
- عن ناقة الانسى لاتعرض لها * واختر بها ما شئت من
أثوارى -
- ولقد بدالى منك ما لم أحتسب * ألا رعيت قرابتى
وذمارى -
-363-
تسمو إليه بحربة مسمومة * تبا لفعلك يا أبا الغفار -
- لولا الحياء وأن أهلك جيرة * لعلمت ما كشفت من
أخبارى -
قال فأجابه الشاب وهو يقول :

- أردت أن تعلقو وتخفص ذكرنا * في غير مزرية أبا العيزار
-

- ما كان فيهم سيد فيما مضى * إن الخيارهم بنو الاخير -

- فاقصد لقصدك يا معكبر إنما * كان المجير مهلهل بن
دثار -

قال : فبينما هما يتنازعان إذ طلعت ثلاثة أثور من الوحش
فقال الشيخ للفتى :

قم يا ابن أخت فخذ أيها شئت فداء لناقة جارى الانسى .
فقام الفتى فأخذ منها ثورا

وانصرف . ثم التفت إلى الشيخ فقال : يا هذا إذا نزلت
واديًا من الاودية فخفت هول

فقل : أعوذ بالله رب محمد من هول هذا الوادى . ولاتعد
بأحد من الجن فقد

بطل أمرها . قال : فقلت له : ومن محمد هذا ؟ قال :
نبي عربى ، لاشرقى ولاغربى ، بعث

يوم الاثنين . قلت : وأين مسكنه ؟ قال : يثرب ذات النخل
. قال : فركبت راحلتى حين

برق لى الصبح وجددت السير حتى تقحمت المدينة ،
فرانى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فحدثنى بحدیثى قبل أن أذكر له منه شيئًا ودعانى إلى
الاسلام فأسلمت * (هامش) * (1) وهذا أيضا مما
لايترتب على ثبوته شئ ، وهو من أساطير العرب عن
الجن وما أكثرها . (*)

قال سعيد بن جبیر وكنا نرى أنه هو الذى أنزل الله فيه)
وأنه كان رجال من

الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا .)

وروي الخرائطي من طريق إبراهيم بن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة ، عن داود

ابن الحسين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن علي ، قال : إذا كنت بواد تخاف السبع

فقل أعوذ بدانيال والجب ، من شر الاسد .

-364-

وروي البلوي عن عمارة بن زيد ، عن إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ،

حدثني يحيى بن عبدالله بن الحارث ، عن أبيه ، عن ابن عباس قصة قتال علي الجن بالبئر

ذات العلم التي بالجحفة حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقى لهم الماء فأرادوا منعه

وقطعوا الدلو فنزل إليهم ، وهي قصة مطولة منكرة جدا والله أعلم .

وقال الخرائطي : حدثني أبو الحارث محمد بن مصعب الدمشقي وغيره ، حدثنا سليمان

ابن بنت شر حبيد الدمشقي ، حدثنا عبد القدوس بن الحجاج ، حدثنا خالد بن سعيد ،

عن الشعبي ، عن رجل . : كنت في مجلس عمر بن الخطاب وعنده جماعة من أصحاب

النبي صلى الله عليه وسلم يتذكرون فضائل القرآن فقال بعضهم : خواتيم سورة النحل .

وقال بعضهم : سورة يس . وقال علي : فأين أنتم عن فضيلة آية الكرسي : أما إنها

سبعون كلمة في كل كلمة بركة .

قال : وفى القوم عمرو بن معدى كرب لايحير جوابا ،
فقال : أين أنتم عن

بسم الله الرحمن الرحيم ؟ فقال عمر : حدثنا يا أبا ثور .

قال : بينا أنا في الجاهلية إذ جهدنى الجوع فأقحمت
فرسى في البرية فما أصبت

إلا بيض النعام ، فبينما أنا أسير إذا أنا بشيخ عربى في
خيمة ، وإلى جانبه جارية كأنها شمس

طالعة ومعه غنيمات له ، فقلت له : استأسر ثكلتك أمك .
فرفع رأسه إلى وقال : يافتى

إن أردت قرى فانزل وإن أردت معونة أعناك . فقلت له :
استأسر . فقال :

- عرضنا عليك النزل منا تكرما * فلم ترعوى جهلا كفعل
الاشائم -

- وجئت ببهتان وزور ودون ما * تمنيته بالبيض * (هامش)
* (1) يقصد بالبيض هنا : ابنته وحرime . (*)

حز الغلاصم -

قال : ووثب إلى وثبة وهو يقول : بسم الله الرحمن
الرحيم . فكأنى مثلث تحته .

-365-

ثم قال : أقتلك أم أخلى عنك ؟ قلت : بل خل عنى . قال
: فخلى عنى . ثم إن نفسى

جاذبتنى بالمعاودة . فقلت استأسر ثكلتك أمك فقال :

- بسم الله والرحمن فزنا * هنا لك والرحيم به قهرنا -

- وما تغنى جلادة ذى حفاظ * إذا يوما * (هامش) * (1)
الاصل : يوم . (*)

لمعركة برزنا -

ثم وثب لى وثبة كأنى مثلث تحته . فقال : أقتلك أم أخلى
عنك ؟ قال : قلت بل

خل عنى . فخلى عنى فانطلقت غير بعيد . ثم قلت في
نفسى : يا عمرو ايقهرك هذا الشيخ !

والله للموت خير لك من الحياة ، فرجعت إليه فقلت :
استأسر ثكلتك أمك . فوثب

إلى وثبة وهو يقول : بسم الله الرحمن الرحيم فكأنى
مثلث تحته ، فقال : أقتلك أم

أخلى عنك ؟ قلت : بل خل عنى . فقال : هيهات ، يا
جارية اثينى بالمدية . فأنته بالمدية

فجز ناصيتى ، وكانت العرب إذا ظفرت برجل فجزت
ناصيته استعبدته ، فكنت معه

أخذه مدة . ثم إنه قال : يا عمرو أريد أن تركب معى
البرية وليس بى منك وجل ، فأنى

ببسم الله الرحمن الرحيم لوائح .

قال : فسرنا حتى أتينا واديا أشبا مهولا مغولا . فنادى
باعلى صوته ببسم الله

الرحمن الرحيم . فلم يبق طير في وكره الاطار . ثم أعاد
القول فلم يبق سبع في مربضه

إلا هرب ، ثم أعاد الصوت فإذا نحن بحبشى قد خرج
علينا من الوادى كالنخلة السحوق ،

فقال لى : يا عمرو إذا رأيتنا قد اتحدنا فقل : غلبه صاحبى
ببسم الله الرحمن الرحيم . قال :

فلما رأيتهما قد اتحدا قلت : غلبه صاحبى باللات والعزى
فلم يصنع الشيخ شيئا . فرجع

إلى وقال : قد علمت أنك قد خالفت قولى . قلت : أجل
ولست بعائد . فقال : إذا رأيتنا

قد اتحدنا فقل غلبه صاحبي بيسم الله الرحمن الرحيم .
فقلت : أجل . فلما رأيتهما قد اتحدا

-366-

قلت : غلبه صاحبي بيسم الله الرحمن الرحيم ، فاتكأ عليه
الشيخ فبعجه بسيفه فاشتق

بطنه ، فاستخرج منه شيئاً كهيئة القنديل الاسود ثم قال :
يا عمرو هذا غشه وغله . ثم قال :

أتدرى من تلك الجارية ؟ قلت : لا . قال : تلك الفارعة
بنت السليل الجرهمى من خيار

الجن . وهؤلاء أهلها بنو عمها يغزوني منهم كل عام رجل
ينصرنى الله عليه بيسم الله

الرحمن الرحيم . ثم قال : قد رأيت ما كان منى إلى
الحبشى . وقد غلب على الجوع فأتتنى

بشئ آكله ، فأقحمت بفرسى البرية فما أصبت إلا بيض
النعام ، فأتيته به فوجدته نائماً ،

وإذا تحت رأسه شئ كهيئة الخشبة ، فاستلته فإذا هو
سيف عرضه شبر في سبعة اشبار ،

فضربت ساقيه ضربته أنبت الساقين مع القدمين ، فاستوى
على قفا ظهره وهو يقول

قاتلك الله ما أعذرك يا غدار . قال عمر : ثم ماذا صنعت
؟ قلت : فلم أزل أضربه بسيفى

حتى قطعته إربا إربا . قال فوجم لذلك ثم أنشأ يقول :

- بالغدر نلت أبا الاسلام عن كذب * ما إن سمعت كذا
في سالف العرب -

- والعجم تأنف مما جئته كرما * تبا لما جئته في السيد
الارب -

- إني لاعجب أنى نلت قتلته * أم كيف جازاك عند الذنب
لم تنب ؟ -

- قرم عفا عنك مرات وقد علقت * بالجسم منك يداه
موضع العطب -

- لو كنت آخذ في الاسلام ما فعلوا * في الجاهلية أهل
الشرك والصلب -

- إذا لنالتك من عدلى مشبة * (هامش) * (1) أى مهلكة
(*) .

* تدعو لذائقها بالويل والحرب -

قال : ثم ما كان من حال الجارية ؟ قلت : ثم إني أتيت
الجارية . فلما رأتنى

قالت : ما فعل الشيخ ؟ قلت : قتله الحبشى ، فقالت :
كذبت بل قتله أنت بغدرك

ثم أنشأت تقول :

-367-

- يا عين جودى للفارس المغوار * ثم جودى بواكفات غزار
-

- لاتملى البكاء إذ خانك الده * ر بواف - ذى - حقيقة
صبار -

- وتقى وذى وقار وحلم * وعديل الفخار يوم الفخار -

- لهف نفسى على بقائك عمرو * أسلمتك الاعمار للاقدار -

- ولعمرى لو لم ترمه بغدر * رمت ليثا كصارم بتار -

قال : فأحفظنى قولها فاستللت سيفى ودخلت الخيمة
لاقتلها فلم أر فى الخيمة أحدا .

فاستقت الماشية وجئت إلى أهلى .

وهذا أثر عجيب * (هامش) * (1) بل هو أسطورة
لاسيبيل إلى تصديقها . (*)

والظاهر أن الشيخ كان من الجان وكان ممن أسلم وتعلم
القرآن ، وفيما تعلمه

بسم الله الرحمن الرحيم . وكان يتعوذ بها .

وقال الخرائطى : حدثنا عبدالله بن محمد البلوى ، حدثنا
عمارة بن زيد ، قال :

حدثنى عبدالله بن العلاء ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه
، عن جدته أسماء بنت أبى بكر ،

قالت : كان زيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة بن نوفل
يذكران أنهما أتيا النجاشى بعد رجوع

أبرهة من مكة ، قالا : فلما دخلنا عليه قال لنا : اصدقانى
أيها القرشيان هل ولد فيكم

مولود اراد أبوه ذبحه فضرب عليه بالقداح فسلم ونحرت
عنه إبل كثيرة ؟ قلنا : نعم .

قال : فهل لكما علم به ما فعل ؟

قلنا : تزوج امرأة يقال لها آمنة بنت وهب تركها حاملا
وخرج . قال : فهل تعلمان

ولد أم لا ؟ قال ورقة بن نوفل : أخبرك أيها الملك ، إنى
ليلة بت عند وثن لنا كنا

نطيف به ، ونعبده إذ سمعت من جوفه هاتفًا يقول :

-368-

- ولد النبى فذلت الاملاك * ونأى الضلال وأدبر الاشرار -

ثم انتكس الصنم على وجهه فقال زيد بن عمرو بن نفيل
: عندي كخبيره أيها

الملك . قال : هات قال : أنا في مثل هذه الليلة التي ذكر
فيها حديثه خرجت من عند

أهلى وهم يذكرون حمل آمنة حتى أتيت جبل ابي قبيس
أريد الخلو فيه لامر رابني ،

إذ رأيت رجلا نزل من السماء له جناحان أخضر أن ،
فوقف على ابي قبيس ثم اشرف على

مكة فقال : ذل الشيطان وبطلت الاوثان ، ولد الامين . ثم
نشر ثوبا معه وأهوى به

نحو المشرق والمغوب . فرايته قد جلل ما تحت السماء
وسطع نور كاد أن يختطف بصري

وهالني ما رأيت . وخفق الهاتف بجناحيه حتى سقط على
الكعبة ، فسطع له نور أشرقت

له تهامة . وقال : ذكت الارض وأدت ربيعها . وأوماً إلى
الاصنام التي كانت على

الكعبة فسقطت كلها .

قال النجاشي : ويحكما أخبركما أصابني ، إني لنائم في
الليلة التي ذكرتما في

قبة وقت خلوتي ، إذ خرج على من الارض عنق وراس ،
وهو يقول : حل الويل

بأصحاب الفيل ، رمتهم طير أباييل ، بحجارة من سجيل
هلك الاشرم المعتدى المجرم ،

وولد النبي الامي ، المكي الحرمي ، من أجابه سعد ،
ومن أباه عتد . ثم دخل الارض

فغاب فذهبت أصبح فلم أطلق الكلام ، ورمت القيام فلم
أطق القيام ، فصرعت القبة

بيدي ، فسمع بذلك أهلى فجاءونى فقلت : احجبوا عنى
الحبشة ، فحجنوهم عنى ثم أطلق

عن لسانى ورجلى .

وسياتى * (هامش) * (1) قد مر ذلك . (*)

إن شاء الله تعالى في قصة المولد رؤيا كسرى في
سقوط أربع عشرة شرفة

من إيوانه ، وخمود نيرانه ورؤيا موبذانه ، وتفسير سطوح
لذلك على يدى عبد المسيح .

وروى الحافظ أبوالقاسم بن عساكر في تاريخه في ترجمة
الحارث بن هانىء بن المدلج بن

ابن المقداد بن زمل بن عمرو العذرى ، عن أبيه عن جده
، عن أبيه عن زمل بن عمرو العذرى ،

369

قال : كان لبنى عذرة صنم يقال له صمام ، وكانوا
يعظمونه ، وكان في بنى هند بن حرام

ابن ضبة بن عبد بن كبير * (هامش) * (1) الاصل : كثير
وهو تحريف . (*)

بن عذرة ، كان سادنه رجلا يقال له طارق ، وكانوا
يعترونها

عنده . فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعنا
صوتا يقول : يا بنى هند بن حرام ،

ظهر الحق وأودى صمام ، ودفع الشرك الاسلام . قال :
ففرعنا لذلك وهالنا . فمكتنا

أياما ثم سمعنا صوتا وهو يقول : يا طارق يا طارق ، بعث
النبي الصادق ، بوحي

ناطق ، صدع صاعد بأرض تهامة ، لناصريه السلامة ،
ولخاذليه الندامة ، هذا الوداع منى

إلى يوم القيامة .

قال زميل : فوقع الصنم لوجه . قال : فابتعت راحلة ورحلت
حتى أتيت النبي صلى الله

عليه وسلم مع نفر من قومي وأنشدته شعرا قلته :

- إليك رسول الله أعملت نصها * وكلفتها حزنا وغورا من
الرميل -

- لانصر خير الناس نصرا مؤزرا * وأعقد حبلا من حبالك
في حبلى -

- وأشهد أن الله لاشئ غيره * أدين به ما أثقلت قدمي
نعلى -

قال : فأسلمت وبايعته ، وأخبرناه بما سمعنا فقال : (ذاك
من كلام الجن) .

ثم قال : (يا معشر العرب ، إني رسول الله إليكم وإلى
الانام كافة ، أدعوهم إلى

عبادة الله وحده ، وأنى رسوله وعبده ، وأن تحجوا البيت
وتصوموا شهرا من اثني عشر

شهرا وهو رمضان ، فمن أجابني فله الجنة نزلا ، ومن
عصاني كانت النار له منقلبا) .

قال : فأسلمنا وعقد لنا لواء . وكتب لنا كتابا نسخته :
(بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد

رسول الله لزميل بن عمرو ومن أسلم معه خاصة ، إني
بعثته إلى قومه عامدا ، فمن أسلم

ففى حزب الله ورسوله . ومن أبى فله أمان شهرين .
شهد على بن أبى طالب ومحمد بن

مسلمة الانصارى) .

(24 - السيرة - 1)

370

ثم قال ابن عساكر : غريب جدا * (هامش) * (1) وما
الذى يحمل على رواية الاخبار الواهية ثم التعليق عليها
بأنها غريبة جدا ! لقد كان الاولى نبذها

وفى الثابت الصحيح غنية عن الغرائب والعجائب . (*)

وقال سعيد بن يحيى بن سعيد الاموى فى مغازيه : حدثنى
محمد بن سعيد - يعنى

عمه - قال : قال محمد بن المنكدر : إنه ذكر لى عن ابن
عباس قال : هتف هاتف من

من الجن على أبى قبيس فقال :

- فبح الله رأيكم آل فهر * ما أدق العقول والافهام -

- حين تغضى لمن يعيب عليها * دين آباؤها الحماة الكرام -

- حالف الجن جن بصرى عليكم * ورجال النخيل والآطام -

- يوشك الخيل أن تروها * (هامش) * (2) ط : أن تردها
. وهو تحريف . (*)

تهادى * تقتل القوم فى حرام بهام -

- هل كريم منكم له نفس حر * ماجد الوالدين والاعمام -

- ضارب ضربة تكون نكالا * ورواحا من كربة واغتمام -

قال ابن عباس : فأصبح هذا الشعر حديثا لاهل مكة
يتناشدونه بينهم . فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم : (هذا شيطان يكلم الناس في
الاوثنان ، يقال له مسعر ، والله

مخزيه) فمكثوا ثلاثة أيام فإذا هاتف يهتف على الجبل
يقول :

- نحن قتلنا في ثلاث مسعرا * إذ سفه الجن وسن المنكر
-

- قنعتة سيفا حساما مشهرا * بشتمه نبينا المطهرا -

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هذا عفريت من
الجن اسمه سمج

آمن بى سميته عبدالله ، أخبرنى أنه في طلبه ثلاثة أيام)
فقال على : جزاه الله خيرا

يا رسول الله .

-371-

وقد روى الحافظ أبونعيم في الدلائل قال : حدثنا عبدالله
بن محمد بن جعفر ، حدثنا

.....

- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 371 سطر 1 الى ص
380 سطر 21

وقد روى الحافظ أبونعيم في الدلائل قال : حدثنا عبدالله
بن محمد بن جعفر ، حدثنا

أبوالفضل محمد بن عبدالرحمن بن موسى بن أبى حرب
الصفار ، حدثنا عباس بن الفرغ

الرياشى ، حدثنا سليمان بن عبدالعزيز بن أبى ثابت ، عن
أبيه ، عن عبدالحميد بن بهرام ،

عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس ، عن سعد بن
عبادة قال : بعثنى رسول الله صلى الله

عليه وسلم إلى حضرموت في حاجة قبل الهجرة ، حتى
إذا كنت في بعض الطريق ساعة

من الليل فسمعت هاتفا يقول :

- أبا عمرو تناوبنى * (هامش) * (1) خ ط : ناوبنى .
(*)

السهود * وراح النوم وامتنع الهجود -

- لذكر عصاة سلفوا وبادوا * وكل الخلق قصرهم يبيد -

- تولوا واردين إلى المنايا * حياضا ليس منهلها الورود -

- مضوا لسبيلهم وبقيت خلفا * وحيدا ليس يسعفنى وحيد -

- سدى لأستطيع علاج أمر * إذا ما عالج الطفل الوليد -

- فلايا ما بقيت إلى أناس * وقد باتت بمهلكها ثمود -

- وعاد والقرون بذي شعوب * سواء كلهم إرم حصيد -

قال : ثم صاح به آخر : يا خرعب ، ذهب بك العجب ؟
إن العجب كل العجب بين

زهرة وبثرب .

قال : وما ذاك يا شاحب ؟ قال : نبى السلام ، بعث بخير
الكلام إلى جميع الانام ،

فاخرج من البلد الحرام إلى نخيل وآطام .

قال : ما هذا النبى المرسل والكتاب المنزل ، والامى
المفضل ؟ قال رجل من ولد

لؤى بن غالب ، بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة .

قال : هيهات فات عن هذا سنى ، وذهب عنه زمنى ، لقد رأيتنى والنضر بن كنانة

نرمى غرضا واحدا ، ونشرب حلبا باردا ، ولقد خرجت به من دوحة في غداة شبمة * (هامش) * (1) شبمة : باردة . (*)

وطلع مع الشمس وغرب معها ، ويروى ما يسمع ويثبت ما يبصر ، ولئن كان هذا من

ولده لقد سل السيف وذهب الخوف ، ودحض الزنا ، وهلك الربا .

قال : فأخبرنى ما يكون ؟ قال : ذهبت الضراء والبؤس والمجاعة ، والشدة والشجاعة

إلا بقية في خزاعة . وذهبت الضراء والبؤس ، والخلق المنفوس إلا بقية من الخزج

والاوس . وذهبت الخيلاء والفخر ، والنميمة والغدر ، إلا بقية في بنى بكر . يعنى بابن

هوازن . وذهب الفعل المندم والعمل المؤثم ، إلا بقية في خثعم .

قال : أخبرنى ما يكون ؟ قال : إذا غلبت البرة ، وكظمت الحرة ، فاخرج من بلاد

الهجرة ، وإذا كف السلام ، وقطعت الارحام ، فاخرج من البلد الحرام . قال : أخبرنى

ما يكون ؟ قال : لولا أذن تسمع ، وعين تلمع ، لاخبرتك بما تفزع . ثم قال :

- لامنام هداثة بنعيم * يا ابن غوط ولاصبح أتانا -

قال : ثم صرصر صرصرة كأنها صرصرة حبلى ، فذهب الفجر ، فذهبت لانظر فإذا

عظاية * (هامش) * (2) العظاية : دويبة ملساء تمشى
سريعا ثم تقف . (*)

وثعبان ميتان .

قال : فما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
هاجر إلى المدينة إلا

بهذا الحديث .

ثم رواه عن محمد بن جعفر ، عن إبراهيم بن علي ، عن
النضر بن سلمة ، عن حسان

ابن عبادة بن موسى ، عن عبدالحميد بن بهرام ، عن
شهر ، عن ابن عباس عن سعد بن

عبادة . قال : لما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة العقبة خرجت إلى حضرموت

لبعض الحاج ، قال : فقضيت حاجتي ثم أقبلت حتى إذا
كنت ببعض الطريق نمت ،

ففزعت من الليل بصائح يقول :

-373-

- أبا عمرو تناوبني السهود * وراح النوم وانقطع الهجود -
وذكر مثله بطوله .

وقال أبونعيم : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا إبراهيم بن
علي ، حدثنا النضر بن سلمة

حدثنا أبوغزية محمد بن موسى ، عن العطار بن خالد
الوصابي ، عن خالد بن سعيد ،

عن أبيه قال : سمعت تميما الدارى يقول : كنت بالشام
حين بعث النبي صلى الله عليه

وسلم ، فخرجت لبعض حاجتي فأدركنى الليل . فقلت : أنا
في جوار عظيم هذا الوادى

الليلة . قال : فلما أخذت مضجعي إذا أنا بمنادى ينادى
لأراه : عذ بالله ، فإن الجن

لاتجير أحدا على الله . فقلت أيم الله - ما - تقول ؟
فقال : قد خرج رسول الاميين رسول

الله ، وصلينا خلفه بالحجون . فأسلمنا واتبعناه ، وذهب كيد
الجن ورميت بالشهب ،

فانطلق إلى محمد رسول رب العالمين فأسلم .

قال تميم : فلما أصبحت ذهبت إلى دير أيوب ، فسألت
راها وأخبرته الخبر .

فقال الراهب : قد صدقوك ، يخرج من الحرم ، ومهاجره
الحرم ، وهو خير الانبياء

فلا تسبق إليه .

قال تميم : فتكلفت الشخصوص حتى جئت رسول الله صلى
الله عليه

وسلم ، فأسلمت .

وقال حاتم بن إسماعيل ، عن عبدالله بن يزيد الهذلي ،
عن عبدالله بن ساعدة

الهذلي ، عن أبيه قال : كنا عند صنمنا سواع ، وقد جلبنا
إليه غنما لنا مائتي شاة قد اصابها

جرب ، فأدنينها منه لنطلب بركته ، فسمعت مناديا من
جوف الصنم ينادى : قد ذهب

كيد الجن ورمينا بالشهب ، لنبي اسمه أحمد .

-374-

قال فقلت غويت والله . فصدفت وجه غنمي منجدا إلى
أهلي فرأيت رجلا ،

فخبرني بظهور النبي صلى الله عليه وسلم .

ذكره أبونعيم هكذا معلقا .

ثم قال : حدثنا عمر بن محمد بن جعفر ، حدثنا إبراهيم بن السندي ، حدثنا النضر

ابن سلمة ، حدثنا محمد بن مسلمة المخزومي ، حدثنا يحيى بن سليمان ، عن حكيم بن عطاء

الظفري - من بنى سليم من ولد راشد بن عبد ربه - عن أبيه ، عن جده ، عن راشد بن

عبد ربه قال : كان الصنم الذي يقال له سواع بالمعلاة من رهط تدين له هذيل وبنو ظفر

بن سليم ، فأرسلت بنو ظفر راشد بن عبد ربه بهدية من سليم إلى سواع .

قال راشد : فألقيت مع الفجر إلى صنم قبل صنم سواع ، فإذا صارخ يصرخ من

جوفه : العجب كل العجب من خروج نبي من بني ع بدالمطلب ، يحرم الزنا والربا

والذبح للاصنام ، وحرست السماء ورمينا بالشهب ، العجب كل العجب . ثم هتف

صنم آخر من جوفه : ترك الضمار وكان يعبد ، خرج النبي أحمد ، يصلى الصلاة

ويأمر بالزكاة والصيام ، والبر والصلوات للارحام . ثم هتف من جوف صنم آخر

هاتف يقول :

- إن الذي ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتدي -

نبي أتى يخبر بما سبق ، وبما يكون اليوم حقا أو غدا .

قال راشد : فألفيت سواعا مع الفجر وثلعبان يلحسان ما
حوله ، ويأكلان

ما يهدى له ، ثم يعوجان عليه ببولهما ، فعند ذلك يقول
راشد بن عبد ربه :

- أرب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه
الثعالب -

وذلك عند مخرج النبي صلى الله عليه وسلم ومهاجره إلى
المدينة وتسامع الناس به ،

-375-

فخرج راشد حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم المدينة
ومعه كلب له ، واسم راشد يومئذ

ظالم ، واسم كلبه راشد ، فقال النبي صلى الله عليه
وسلم (ما اسمك ؟) قال : ظالم . قال :

(فما اسم كلبك ؟) قال : راشد ، قال (اسمك راشد ،
واسم كلبك ظالم !) وضحك النبي

صلى الله عليه وسلم .

وبايع النبي صلى الله عليه وسلم وأقام بمكة معه ، ثم
طلب من رسول الله صلى الله عليه

وسلم قطيعة بوهاط - ووصفها له - فأقطعه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالمعلاة من

وهاط شأو الفرس ، ورميته ثلاث مرات بحجر ، وأعطاه
إدواة مملوءة من ماء وتفل فيها

وقال له (فرغها في أعلا القطيعة ولا تمنع الناس فضلها)
ففعل . فجعل الماء معينا يجرى

إلى اليوم ، فغرس عليها النخل . ويقال إن وهاط كلها
تشرب منه ، فسامها الناس ماء

الرسول صلى الله عليه وسلم . وأهل وهاط يغتسلون بها .
وبلغت رمية راشد الركب الذى

يقال له ركب الحجر ، وغدا راشد على سواع فكسره .

وقال أبونعيم : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا على بن إبراهيم الخزاعى

الاهوازى ، حدثنا أبو محمد عبدالله بن داود بن دلهات بن إسماعيل بن مسرع بن ياسر

ابن سويد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حدثنا أبى ، عن أبيه دلهات ، عن أبيه

إسماعيل ، أن أباه عبدالله حدثه أبيه مسرع بن ياسر ، أن أباه ياسر حدثه عن عمرو

ابن مرة الجهنى ، أنه كان يحدث قال :

خرجت حاجا في جماعة من قومي في الجاهلية . فرأيت في المنام وأنا بمكة نورا ساطعا

من الكعبة حتى أضاء في جبل يثرب وأشعر جهينة * (هامش) * (1) أشعر جهينة : جبل ينحدر على ينبع من أعلاه . معجم البلدان . (*)

. فسمعت صوتا في النور وهو

يقول : انقشعت الظلماء ، وسطع الضياء ، وبعث خاتم الانبياء .

-376-

ثم أضاء إضاء أخرى حتى نظرت إلى قصور الحيرة وأبيض المدائن * (هامش) * (1) أبيض المدائن : قصر كسرى . (*)

فسمعت صوتا في النور وهو يقول : ظهر الاسلام ،
وكسرت الاصنام ،

ووصلت الارحام .

فانتبهت فرعا ، فقلت لقومى : والله ليحدثن في هذا الحى
من قريش حدث ،

وأخبرتهم بما رأيت . فلما انتهينا إلى بلادنا جاءنا رجل
فأخبرنا أن رجلا يقال له أحمد قد

بعث ، فأتيته فأخبرته بما رأيت فقال : (يا عمرو بن مرة
، إنى المرسل إلى العباد كافة أدعوهم

إلى الاسلام ، وأمرهم بحقن الدماء وصلة الارحام ، وعبادة
الله ورفض الاصنام ، وحج

البيت ، وصيام شهر من اثنى عشر شهرا وهو شهر
رمضان ، فمن أحاب فله الجنة . ومن

عصى فله النار ، فأمن يا عمرو بن مرة يؤمنك الله من
نار جهنم) .

فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، آمنت
بكل ما جئت به

من حلال وحرام ، وإن أرغم ذلك كثيرا من الاقوام ، ثم
أنشدته أبياتا قلتها

حين سمعت به ، وكان لنا صنم وكان أبى سادنا له ،
فقلت إليه فكسرتة ثم لحقت النبى

صلى الله عليه وسلم وأنا أقول :

- شهدت بأن الله حق وأنتى * لآلهة الاحجار أول تارك -

- فشمرت عن ساقى إزار مهاجر * إليك أدب الغور بعد
الدكادك * (هامش) * (2) الوفا والخصائص :

- فشمرت عن ساقى الازار مهاجرا * إليك أجوب الدعث
بعد الدكادك

والدكادك : الارض المستوية (*)

-

- لاصحب خير الناس نفسا وولدا * رسول مليك الناس
فوق الحبائك -

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (مرحبا بك يا عمرو بن
مرة) . فقلت : يا رسول

بأبى أت وأمى ، ابعث بى إلى قومى ، لعل الله أن يمن
بى عليهم كما من

بك على .

-377-

فبعثنى إليهم وقال : (عليك بالقول السديد ، ولاتكن فظا
ولامتكبرا

ولاحسودا) .

فأتيت قومى فقلت لهم : يا بنى رفاعة ثم يا بنى جهينة ،
إنى رسول من رسول الله

إليكم ، أدعوكم إلى الجنة ، وأحذركم النار ، وأمركم بحقن
الدماء ، وصلة الارحام ، وعبادة

الله ، ورفض الاصنام ، وحج البيت ، وصيام شهر رمضان
، شهر من اثنى عشر شهرا .

فمن أجاب فله الجنة . ومن عصى فله النار ، يا معشر
جهينة : إن الله ، وله الحمد ، جعلكم

خيار من أنتم منه ، وبغض إليكم في جاهليتكم ما حب
إلى غيركم من الرفث ، لانهم

كانوا يجمعون بين الاختين ، ويخلف الرجل على امرأة أبيه ،
والترات في الشهر الحرام .

فأجيبوا هذا النبي المرسل صلى الله عليه وسلم من بنى
لؤى بن غالب ، تناولوا شرف الدنيا

وكرامة الآخرة ، سارعوا سارعوا في ذلك يكون لكم
فضيلة عند الله .

فأجابوا إلا رجلا منهم قام فقال : يا عمرو بن مرة ، أمر
الله عليك عيشك ! ، أتأمرنا أن

أن نرفض آلهتنا ونفرق جماعتنا بمخالفة دين آبائنا إلى ما
يدعو هذا القرشي من أهل تهامة ؟

لا ولا مرحبا ولاكرامة ، ثم أنشأ يقول :

- إن ابن مرة قد اتى بمقالة * ليست مقالة من يريد
صلاحا -

- إنى لاحسب قوله وفعاله * يوما وإن طال الزمان رياحا -

- أنسفه الاشياخ ممن قد مضى * من رام ذلك لأصاب
فلاحا -

فقال عمرو بن مرة : الكاذب منى ومنك أمر الله عيشه
وأبكم لسانه ،

وأكمه بصره .

قال عمرو بن مرة : والله مامات حتى سقط فوه ، وكان
لايجد طعم الطعام ،

وعمى وخرس .

وخرج عمرو بن مرة ومن أسلم من قومه حتى أتو النبي
صلى الله عليه وسلم ، فرحب

بهم وحباهم ، وكتب لهم كتابا هذه نسخته : (بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من

الله على لسان رسول الله بكتاب صادق ، وحق ناطق ، مع عمرو بن مرة الجهنى ،

لجهينة بن زيد : إن لكم بطون الارض وسهولها ، وتلاع الاودية وظهورها ، ترعون

نباته وتشربون صافيه . على أن تقرؤا بالخمسة ، وتصلوا الصلوات الخمسة ، وفى التبعة

والصريمة شاتان إن اجتمعتا ، وإن تفرقتا فشاة شاة . ليس على أهل الميرة صدقة ، ليس

الوردة اللبقة) . وشهد من حضرنا من المسلمين بكتاب قيس بن شماس رضى

الله عنهم .

وذلك حين يقول عمرو بن مرة :

- ألم تر أن الله أظهر دينه * وبين برهان القران لعامر -

- كتاب من الرحمن نور لجمعنا * وأخلافنا في كل باد وحاضر -

- إلى خير من يمشى على الارض كلها * وافضلها عند اعتكار الضرائر * (هامش) * (1) ط خ : الصرائر ، وما أثبتته عن الوفا (*)

-

- أطعنا رسول الله لما تقطعت * بطون الاعادى بالضبى والخواطر -

- فنحن قبيل قد بنى المجد حولنا * إذا اجتلبت في الحرب هام الاكابر -

- بنو الجرب نقريها * (هاشم) * (2) ط خ : نفيها ،
وما أثبتته عن الوفا . (*)

يأيد طويلة * وبيض تلالا في أكف المغاور -

- ترى حوله الانصار تحمى أميرهم * (هاشم) * (3) الوفا
: يحمون سره . (*)

* بسمر العوالى والصفاح البواتر -

- إذا الحرب دارت عند كل عزيمة * ودارت رحاها بالليوث
الهواصر -

- تبلج منه اللون وازداد وجهه * كمثل ضياء البدر بين
الزواهر -

وقال أبوعثمان سعيد بن يحيى الاموى في مغازيه : حدثنا
عبدالله ، حدثنا

بو عبدالله ، حدثنا المجالد بن سعيد ، والاجلح ، عن
الشعبى ، حدثنى شيخ من جهينة

379

قال : مرض منا رجل مرضا شديدا فثقل حتى حفرنا له
قبره وهيانا أمره ، فأغمى عليه

ثم فتح عينيه وأفاق فقال : أحفرتم لى ؟ قالوا : نعم ،
قال : فما فعل الفصل - وهو ابن

عم له - قلنا : صالح مر آنفا يسأل عنك . قال : أما إنه
يوشك أن يجعل في حفرتى ، إنه

أتانى آت حين أغمى على فقال : ابك هبل ، أما ترى
حفرتك تنتثل ، وأمك قد كادت

تثكل ؟ رأيتك إن حولناها عنك بالمحول ، ثم ملانها
بالجندل ، وقذفنا فيها الفصل ،

الذى مضى فاجزأك ، وطن أن لن يفعل ، اتشكر لربك
وتصل ، وتدع دين من أشرك

وصل ؟ قال : قلت نعم . قال : قم قد برئت .

قال : فبرئ الرجل . ومات الفصل فجعل في حفرته .

قال الجهينى : فرأيت الجهينى بعد ذلك يصلى ويسب
الاوثان ويقع فيها .

وقال الاموى : حدثنا عبدالله ، قال : بينما عمر بن الخطاب
رضى الله عنه في مجلس

يتحدثون عن الجن ، فقال خريم بن فاتك الاسدى : ألا
أحدثك كيف كان إسلامى ؟

قال : بلى .

قال : إنى يوما في طلب ذود لى أنا منها على أثر تنصب
وتصعد ، حتى إذا كنت

بأبرق العزاف * (هامش) * (1) أبرق العزاف : ماء لبنى
أسد في طريق القاصد إلى المدينة من البصرة . وفى
الاصل والمطبوعة :

أبرق العراق وهو تحريف . وما اثبتته عن الدلائل ومعجم
البلدان 84 / 1 أوربا . (*)

أنخت راحلتى وقلت : أعوذ بعظيم هذه البلدة ، أعوذ
برئيس هذا

الوادى ، فإذا بهاتف يهتف بى :

- ويحك ، عذ بالله ذى الجلال * والمجد والعلياء والافضال
-

- ثم اتل آيات من الانفال * ووجد الله ولاتبالى -

قال : فذعرت ذعرا شديدا ثم رجعت إلى نفسى فقلت :

- يا أيها الهاتف ما تقول * أرشد عندك أم تضليل ؟ -
- * بين هداك الله ما الحويل * (هاشم) * (1) الدلائل والوفا : بين هداك الله ما السبيل . (*) *

قال : فقال :

- هذا رسول الله ذو الخيرات * بيثرب يدعو إلى النجاة -
- يأمر بالبر وبالصلاة * ويزع الناس عن الهنات -
- قال قلت له : والله لأبرح حتى آتية وأومن به . فنصبت رجلى غرز
- راحلتى وقلت :

- أرشدنى أرشدنى هديتا * لاجعت ما عشت ولاعريتا -
- ولا برحت سيدا مقيتا * لو تؤثر الخير الذى أتيتا -
- * على جميع الجن ما بقيتا *

فقال :

- صاحبك الله وأدى رحلكا * وعظم الاجر وعافى نفسكا -
- آمن به أفلج ربى حقكا * وانصره نصرا عزيزا نصركا -
- قال : قلت : من أنت عافاك الله ، حتى أخبره إذا قدمت عليه ؟ فقال أنا ملك بن
- ملك ، وأنا نقيبته على جن نصيبين . وكفيت إبلك حتى اضمها إلى أهلك إن شاء الله .

قال : فخرجت حتى أتيت المدينة يوم الجمعة والناس أرسال إلى المسجد ، والنبي صلى

الله عليه وسلم على المنبر كأنه البدر يخطب الناس ،
فقلت أنيخ على باب المسجد حتى يصل
وأدخل عليه فأسلم وأخبره عن إسلامي ، فلما أنخت خرج
إلى أبوذر فقال : مرحبا
وأهلا وسهلا قد بلغنا إسلامك ، فادخل فصل . ففعلت ، ثم
جئت إلى رسول الله صلى

-381-

الله عليه وسلم فأخبرني بإسلامي . فقلت : الحمد لله .
قال : (أما إن صاحبك قد وفى لك

.....

- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 381 سطر 1 الى ص
390 سطر 21

الله عليه وسلم فأخبرني بإسلامي . فقلت : الحمد لله .
قال : (أما إن صاحبك قد وفى لك
وهو أهل ذلك ، وأدى إليك إلى أهلك) .

وقد رواه الطبراني * (هامش) * (1) هذه الرواية ليست
في ا . (*)

في ترجمة خريم بن فاتك من معجمه الكبير قائلا : حدثنا

الحسين بن إسحاق اليسيري ، حدثنا محمد بن إبراهيم
الشامي ، حدثنا عبدالله بن موسى

الاسكندري ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن سعيد بن أبي
سعيد المقبري ، عن أبي هريرة

قال : قال خريم بن فاتك لعمر بن الخطاب : يا أمير
المؤمنين ألا أخبرك كيف كان بدء

إسلامي ؟ قال : بلى .

فذكره ، غير أنه قال : فخرج إلى أبوبكر الصديق فقال :
ادخل ، فقد بلغنا

إسلامك ، فقلت : لأحسن الطهور . فعلمنى ، فدخلت
المسجد فرأيت رسول الله صلى الله

عليه وسلم كأنه البدر وهو يقول (ما من مسلم توجها
فأحسن الوضوء ثم صلى صلاة يحفظها

ويعقلها إلا دخل الجنة) .

فقال لى عمر : لتأتين على هذا بيينة أو لانكلن بك .
فشهد لى شيخ قريش عثمان بن

عفان فأجاز شهادته . ثم رواه عن محمد بن عثمان بن
أبى شيبة ، عن محمد بن تيم ، عن محمد

ابن خليفة ، عن محمد بن الحسن ، عن أبيه قال : قال
عمر بن الخطاب لخريم بن فاتك :

حدثنى بحديث يعجبنى . فذكر مثل السياق الاول سواء .

وقال أبونعيم : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا أبو
عبدالمك أحمد بن إبراهيم

القرشى الدمشقى ، حدثنا سليمان بن عبدالرحمن ابن بنت
شرحبيل ، حدثنا إسماعيل بن

عياش ، عن يحيى بن أبى عمرو الشيبانى ، عن عبدالله
بن الديلمى ، قال : أتى رجل ابن

عباس فقال : بلغنا أنك تذكر سطيحا ، تزعم أن الله خلقه
، لم يخلق من بنى آدم شيئا

-382-

يشبهه ؟ قال : قال : نعم إن الله خلق سطيحا الغسانى
لحما على وضم * (هامش) * (1) الوضم : شرائح من
جريد النخل . (*)

ولم يكن فيه عظم

ولاعصب إلا الجمجمة ، والكفان . وكان يطوى من رجليه
إلى ترقوته كما يطوى

الثوب ، ولم يكن فيه شئ يتحرك إلا لسانه . فلما أراد
الخروج إلى مكة حمل على وضمة

فأتى به مكة ، فخرج إليه أربعة من قريش : عبد شمس
، وهاشم ابنا عبد مناف بن قصي ،

والاحوص بن فهر ، وعقيل بن أبي وقاص ، فانتموا إلى
غير نسبهم وقالوا : نحن أناس

من جمح أتيناك ، بلغنا قدومك فرأينا أن إتياننا إياك حق
لك واجب علينا . وأهدى إليه

عقيل صفيحة هندية ، وصعدة ردينية ، فوضعت على باب
البيت الحرام ، لينظروا أهل

يراها سطيح أم لا .

فقال : يا عقيل : ناولنى يدك . فناوله يده فقال : يا عقيل
والعالم الخفية ، والغافر

الخطية ، والذمة الوفية ، والكعبة المبنية ، إنك للجائى
بالهدية ، الصفيحة الهندية ،

والصعدة الردينية . قالوا : صدقت يا سطيح . فقال : والآتى
بالفرح ، وقوس قزح ، وسائر

الفرح ، واللطيم المنبطح ، والنخل والرطب والبلح ، إن
الغراب حيث مر سنح ، فأخبر

أن القوم ليسوا من جمح ، وأن نسبهم من قريش ذى
البطح ، قالوا : صدقت يا سطيح نحن

أهل البيت الحرام ، أتيناك لنزورك لما بلغنا من علمك ،
فأخبرنا عما يكون في زماننا هذا

وما يكون بعده ، فلعل أن يكون عندك في ذلك علم .
قال : الآن صدقتم ، خذوا منى ومن إلهام الله إياي ، أنتم
يا معشر العرب في زمان

الهرم ، سواء بصائركم وبصائر العجم ، لا علم عندكم
ولافهم ، وينشو من عقبكم ذوو فهم ،
يطلبون أنواع العلم ، فيكسرون الصنم ، ويبلغون الردم ،
ويقتلون العجم ،
يطلبون الغنم .

-383-

قالوا : يا سطيح فمن يكون أولئك ؟ فقال لهم : والبيت
ذى الاركان ، والامن
والسكان ، لينشأن من عقبكم ولدان ، يكسرون الاوثان ،
وينكرون عبادة الشيطان ،
ويوحدون الرحمن ، وينشرون دين الديان ، يشرفون البنيان
، ويستفتون الفتیان .

قالوا : يا سطيح من نسل من يكون أولئك ؟
قال : وأشرف الاشراف ، والمفضى للاشراف ، والمزعزع
الاحقاف ، والمضعف
الاضعاف ، لينشون الالاف من عبد شمس وعبد مناف ،
نشوءا يكون
فيه اختلاف .

فالوا : يا سوء تاه يا سطيح مما تخبرنا من العلم بأمرهم
، ومن اى بلد يخرج أولئك ؟
فقال : والباقي الابد ، والبالغ الامد ، ليخرجن من ذا البلد
، فتى يهدى إلى الرشده ،

يرفض يغوث والفند ، يبرأ من عبادة الضد ، يعبد ربا
انفرد ، ثم يتوفاه الله محمودا ، من

الارض مفقودا ، وفى السماء مشهودا . ثم يلى أمره
الصديق إذا قضى صدق ، فى رد

الحقوق لاخرق ولانزق ، ثم يلى أمره الحنيف ، مجرب
غطريف ، ويترك قول العنيف ،

قد ضاف المضيف ، وأحكم التحنيف . ثم يلى أمره داعيا
لامره مجريا ، فتجتمع له جموعا

وعصبا ، فيقتلونه نقمة عليه وغضبا ، فيؤخذ الشيخ فيذبح
إربا ، فيقوم به رجال خطبا .

ثم يلى أمره الناصر ، يخلط الرأى برأى المناكر ، يظهر
فى الارض العساكر ، ثم يلى بعده

ابنه يأخذ جمعه ويقل حمده ، ويأخذ المال ويأكل وحده ،
ويكثر المال بعقبه من بعده ،

ثم يلى من بعده عدة ملوك ، لاشك الدم فيهم مسفوك ،
ثم بعدهم الصعلوك ، يطوبهم كطى

الدرنوك * (هامش) * (1) الدرنوك : نوع من البسط له
خمل . (*)

. ثم يلى من بعده عظهور * (هامش) * (2) الموجود فى
المعاجم : عظير كإردب ، وهو القوى الغليظ . (*)

يقضى الحق ويدنى مصر ، يفتح الارض افتتاحا

منكرا ، ثم يلى قصير القامة ، بظهره علامة ، يموت موتا
وسلامة . ثم يلى قليلا باكر ،

يترك الملك بائر ، يلى أخوه بسنته سائر ، يختص بالاموال
والمنابر ثم يلى من بعده أهوج ،

صاحب دنيا ونعيم مخلج ، يتشاوره معاشره وذووه ،
ينهضون إليه يخلعونه يأخذ الملك

ويقتلونه ، ثم يلى أمره من بعده السايح ، يترك الملك
محلا ضائع ، بنوه في ملكه كالمشوه

جامع ، عند ذلك يطمع في الملك كل عريان ، ويلي أمره
اللهفان . يرضى نزارا جمع

قحطان ، إذا التقيا بدمشق جمعان بين بنيان ولبنان ،
يصنف اليمن يومئذ صنغان : صنف

المشورة ، وصنف المخذول . لا ترى إلا حياء محلول .
وأسيرا مغلول ، بين القراب

والخيول . عند ذلك تخرب المنازل وتسلب الارامل ،
وتسقط الحوامل ، وتظهر الزلازل ،

وتطلب الخلافة وائل ، فتغضب نزار ، فتدنى العبيد
والاشرار ، وتقصى الامثال والاخيار .

وتغلو الاسعار في صفر الاصفار يقتل كل حيا منه ، ثم
يسيرون إلى خنادق وإنها ذات

أشعار وأشجار تصد له الانهار ويهزمهم أول النهار ، تظهر
الاخيار فلا ينفعهم نوم

ولاقرار . حتى يدخل مصرا من الامصار ، فيدركه القضاء
والاقدار . ثم يجئ الرماة

تلف مشاة ، لقتل الكماة ، وأسر الحماة . وتهلك الغواة ،
هنا لك يدرك في أعلى المياه . ثم

يبور الدين ، وتقلب الامور ، وتكفر الزبور ، وتقطع
الجسور ، فلا يفلت إلا من كان

في جزائر البحور ، ثم تبور الحبوب ، وتظهر الاعاريب ،
ليس فيهم معيب ، على أهل

الفسوق والريب ، في زمان عصيب ، لو كان للقوم حيا ،
وما تغنى المنى .

قالوا : ثم ماذا يا سطيح ؟ قال : ثم يظهر رجل من أهل
اليمن كالشطن ، يذهب الله
على رأسه الفتن .

وهذا أثر غريب كتبناه لغرابته وما تضمن من الفتن
والملاحم * (هامش) * (1) بل هو هذيان ما كان ينبغي
أن يسطر في الكتب . وما أشبهه بتنبؤات الفلكيين ! (*)

وقد تقدم قصة شق وسطيح مع ربيعة بن نصر ملك اليمن
، وكيف بشر بوجود

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك تقدم قصة
سطيح مع ابن أخته عبد المسيح ، حين

أرسله ملك بنى ساسان ، لارتجاس الايوان ، وخمود
النيران ، ورويا الموبدان . وذلك

ليلة مولد الذى نسخ بشريعته سائر الاديان .

-385-

باب كيفية بدء الوحي

(إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر أول شئ
أنزل عليه من القرآن العظيم)

كان ذلك وله صلى الله عليه وسلم من العمر أربعون سنة

وحكى ابن جرير عن ابن عباس وسعيد بن المسيب : أنه
كان عمره إذ ذاك ثلاثا

وأربعين سنة .

قال البخارى : حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ،

عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت :

أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة * (هامش) * (1) البخارى : الصالحة . (*)

في النوم ،

وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .

ثم حبب إليه الخلاء ، فكان * (هامش) * (2) البخارى : وكان . (*)

يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - هو التعبد -

الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة

فيتزود لمثلها .

حتى جاءه الحق وهو في غار حراء .

فجاءه الملك فقال : اقرأ . فقال : ما أنا بقارئ . قال : فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى

الجهد ثم أرسلنى . فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ . فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ

منى الجهد ثم أرسلنى . فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ

منى الجهد . ثم أرسلنى فقال : (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق ،

اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم) .

فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ،
فدخل على خديجة بنت

خويلد ، فقال : زملوني . فزملوه حتى ذهب عنه الروع .

فقال لخديجة - وأخبرها الخبر - : لقد خشيت على نفسي .

فقالت خديجة : كلا ، والله لا يخزيك الله أبدا . إنك لتصل
الرحم وتقرى الضيف ،

وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق

فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن
عبدالعزى ابن عم خديجة .

وكان امرءا قد تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب
العبرانى ، فيكتب من الانجيل

ب العبرانية ما شاء الله أن يكتب . وكان شيخا كبيرا قد
عمى .

فقالت له خديجة : يا بن عم ! اسمع من ابن أخيك . فقال
له ورقة : يا بن أخى ماذا

ترى ؟ فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما
رأى . فقال له ورقة : هذا الناموس

الذى كان ينزل على موسى ، يا ليتنى فيها جذعا ، ليتنى
أكون حيا ، إذ يخرجك قومك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أو مخرجى هم
؟) فقال : نعم ، لم يأت أحد

بمثل ما جئت به إلا عودى ، وإن يدركنى يومك أنصرك
نصرا مؤزرا .

ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتى الوحي * (هامش) * (1) إلى هنا رواية البخارى في صحيحه في باب بدء الوحي 3 / 1 (*)

فترة . حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنا - حزنا غدا منه مرارا كى يتردى من رءوس شواهد الجبال . فكلما أوفى بذروة جبل لكى ياقى نفسه تبنى له جبريل فقال : يا محمد ، إنك رسول الله حقا . فيسكن لذلك جاشه ، وتقر نفسه ، فيرجع . فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا كمثل ذلك . قال : فإذا أوفى بذورة جبل تبنى له جبريل فقال له : مثل ذلك . هكذا وقع مطولا في باب التعبير من البخارى .

-387-

قال ابن شهاب : وأخبرنى أبوسلمة بن عبدالرحمن ، أن جابر بن عبدالله الانصارى قال - وهو يحدث عن فترة الوحي - فقال في حديثه : (بينا أنا أمشى إذ سمعت صوتا من السماء ، فرفعت بصرى فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والارض : فرعبت منه ، فجرعت فقلت : زملونى ، زملونى . فأنزل الله (يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر) فحمى الوحي وتتابع . ثم قال البخارى : تابعه عبدالله بن يوسف ، وأبوصالح ، يعنى عن الليث ، وتابعه هلال

ابن رداد * (هامش) * (1) الاصل والمطبوعة : داود .
وهو تحريف . (*)

عن الزهري . وقال يونس ومعمر : - بواره * (هامش) *
(2) أى ترجف بواره بدل رواية : يرجف فؤاده . (*)

وهذا الحديث قد رواه الامام البخارى رحمه الله في كتابه
في مواضع منه ، وتكلمنا

عليه مطولا في أول شرح البخارى في كتاب بدء الوحي
إسنادا وامتنا ولله الحمد والمنة .

وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث الليث به ، ومن
طريق يونس ومعمر عن

الزهري كما علقه البخارى عنهما ، وقد رمزنا في
الحواشى على زيادات مسلم ورواياته ، ولله

الحمد ، وانتهى سياقه إلى قول ورقة : أنصرك نصرا
مؤزرا .

فقول أم المؤمنين عائشة (أول ما بدئ به من الوحي
الرؤيا الصادقة فكان لا يرى

رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح) يقوى ما ذكره محمد بن
إسحاق بن يسار عن عبيد بن

عمير الليثي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(فجاءنى جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج

فيه كتاب . فقال : اقرأ ، فقلت : ما أقرأ ؟ فغتنى ، حتى
ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى)

وذكر نحو حديث عائشة سواء . فكان هذا كالتوطئة لما
يأتى بعده من اليقظة ، وقد جاء مصرحا بهذا في مغازى

موسى بن عقبة عن الزهري ، أنه رأى ذلك في المنام ،
ثم جاءه الملك في اليقظة .

وقد قال الحافظ أبونعيم الاصبهاني : في كتابه (دلائل النبوة) : حدثنا محمد بن أحمد

-388-

ابن الحسن حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جناب بن الحارث ، حدثنا

عبدالله بن الاجلح ، عن إبراهيم ، عن علقمة بن قيس ، قال : إن أول ما يؤتى به الانبياء

في المنام حتى تهدأ قلوبهم ، ثم ينزل الوحي بعد * (هامش) * (1) ليس في دلائل النبوة المطبوع . (*)

. وهذا من قبل علقمة بن قيس نفسه ،

وهو كلام حسن يؤيده ما قبله ويؤيده ما بعده .

ذكر عمره عليه الصلاة والسلام

وقت بعثته وتاريخها

قال الامام أحمد : حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن داود بن أبي هند ، عن عامر

الشعبي ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت عليه النبوة وهو أربعين سنة ،

فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلمه الكلمة والشئ ، ولم ينزل القرآن ،

فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل ، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة ، عشرا

بمكة وعشرا بالمدينة . فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة .

فهذا إسناد صحيح إلى الشعبي ، وهو يقتضى أن إسرافيل قرن معه بعد الاربعين ثلاث

سنين ، ثم جاءه جبريل .

وأما الشيخ شهاب الدين أبوشامة فإنه قد قال : وحديث عائشة لا ينافى هذا . فإنه

يجوز أن يكون أول أمره الرؤيا ، ثم وكل به إسرافيل في تلك المدة التي كان يخلو

فيها بحراء ، فكان يلقي إليه الكلمة بسرعة ولا يقيم معه تدريجا له وتمرينا ، إلى

أن جاءه جبريل فعلمه بعد ما غطه ثلاث مرات ، فحكّت عائشة ما جرى له مع

389

جبريل ولم نحك ما جرى له مع إسرافيل إختصارا للحديث ، أو لم تكن وقفت على

قصة إسرافيل .

وقال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن هشام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنزل على

النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين ، فمكث بمكة عشرا ، وبالمدينة عشرا ،

ومات وهو ابن ثلاث وستين .

وهكذا روى يحيى بن سعيد ، وسعيد بن المسيب .

ثم روى أحمد عن غندر ، ويزيد بن هارون ، وكلاهما عن هشام ، عن عكرمة ، عن

ابن عباس قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه القرآن وهو ابن أربعين سنة ، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة ، وبالمدينة عشر سنين . ومات وهو ابن

ثلاث وستين سنة .

وقال الامام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أنبأنا عمار بن أبي عمار ، عن

ابن عباس قال : أقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة
خمس عشرة سنة ، سبع سنين يرى

الضوء ويسمع الصوت ، وثمانى سنين يوحى إليه ، وأقام
بالمدينة عشر سنين .

قال أبو شامة : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرى عجائب قبل بعثته .

فمن ذلك ما في صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إنى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث ،
إنى لأعرفه الآن) .

انتهى كلامه .

وإنما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الخلاء
والانفراد عن قومه ، لما

يراهم عليه من الضلال المبين ، من عبادة الاوثان
والسجود للاصنام ، وقويت مجبته للخلوة

عند مقاربة إيجاء الله إليه ، صلوات الله وسلامه عليه .

-390-

وقد ذكر محمد بن إسحاق ، عن عبد الملك بن عبد الله بن
أبى سفيان بن العلاء بن

حارثة - قال : وكان واعية - عن بعض أهل العلم قال :

وكان رسول الله صلى الله عليه

وسلم يخرج إلى حراء في كل عام شهرا من السنة
يتنسك فيه ، وكان من نسك قريش في

الجاهلية ، يطعم من جاءه من المساكين ، حتى إذا
انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى

يطوف بالكعبة .

وهكذا روى عن وهب بن كيسان أنه سمع عبيد بن عمير يحدث عبدالله بن الزبير

مثل ذلك .

وهذا يدل على أن هذا كان عادة المتعبدين في قريش أنهم يجاورون في حراء للعبادة .

ولهذا قال أبوطالب في قصيدته المشهورة :

- وثور ومن أرسى ثيرا مكانه * وراق ليرقى في حراء
- ونازل -

- هكذا صوبه على رواية هذا البيت كما ذكره السهيلي وأبوشامة وشيخنا الحافظ

أبوالحجاج المزى رحمهم الله ، وقد تصحف على بعض الرواة فقال فيه : وراق ليرقى في

حر ونازل - وهذا ركيك ومخالف للصواب . والله أعلم .

وحراء يقصر ويمد ، ويصرف ويمنع ، وهو جبل بأعلى مكة على ثلاثة أميال منها

عن يسار المار إلى منى ، له قلة مشرفة على الكعبة منحنية ، والغار في تلك الحنية .

وما أحسن ما قال رؤبة بن العجاج :

- فلا ورب الآمات القطن * ورب ركن من حراء منحني -

وقوله في الحديث : (والتحنث : التعبد) تفسير بالمعنى ، وإلا فحقيقة التحنث من

حيث البنية * (هامش) * (1) الاصل المطبوعة : من حنث البنية وفى : من حنث الثنية وكله تحريف (*)

فيما قاله السهيلي : الدخول في الحنث . ولكن سمعت ألفاظ قليلة في

اللغة معناها الخروج من ذلك الشيء كتحنت أى خرج من الحنت . وتحوب وتحرج

.....
- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 391 سطر 1 الى ص 400 سطر 23

اللغة معناها الخروج من ذلك الشيء كتحنت أى خرج من الحنت . وتحوب وتحرج

وتأثم . وتهجد هو ترك الهجود وهو النوم للصلاة . وتنجس وتقذر . أوردها أبوشامة .

وقد سئل ابن الاعرابى عن قوله (يتحنت أى يتعبد) . فقال : لأعرف هذا ، إنما

هو يتحنف من الحنيفة دين إبراهيم عليه السلام .

قال ابن هشام : والعرب تقول : التحنت والتحنف . يبدلون الفاء من الثاء ، كما

قالوا جدف وجذف ، كما قال رؤبة :

* لو كان أحجارى مع الاجذاف *

يريد الاجداث .

قال : وحدثنى أبو عبيدة ، أن العرب تقول فم في موضع ثم .

قلت : ومن ذلك قول بعض المفسرين : (وفومها) أن المراد ثومها .

وقد اختلف العلماء في تعبه عليه السلام قبل البعثة هل كان على شرع أم لا ؟

وما ذلك الشرع ؟

ف قيل : شرع نوح .

وقيل : شرع إبراهيم . وهو الاشبه الاقوى .

وقيل موسى . وقيل عيسى .

وقيل : كل ما ثبت أنه شرع عنده اتبعه وعمل به .

ولبسط هذه الاقوال و مناسباتها مواضع آخر في أصول
الفقه والله أعلم .

وقوله (حتى فجأه الحق وهو بغار حراء) أى جاء بغتة
على غير موعد ، كما قال تعالى :

(وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك
(1)) الآية .

* (هامش) * (1) سورة النمل 86 . (*)

-392-

وقد كان نزول صدر هذه السورة الكريمة وهى اقرأ باسم
ربك الذى خلق ، خلق

الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم .
علم الانسان ما لم يعلم) ،

وهى أول ما نزل من القرآن كما قررنا ذلك في التفسير
وكما سيأتى ايضا ، في

يوم الاثنين .

كما ثبت في صحيح مسلم عن أبى قتادة أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم :

سئل عن صوم يوم الاثنين ؟ فقال : (ذاك يوم ولدت فيه
، ويوم أنزل

على فيه) .

وقال ابن عباس : ولد نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم
يوم الاثنين ، ونبى

يوم الاثنين .

وهكذا قال عبيد بن عمير وابوجعفر الباقر وغير واحد من العلماء أنه عليه الصلاة

والسلام أوحى إليه يوم الاثنين ، وهذا ما لا خلاف فيه بينهم .

ثم قيل : كان ذلك في شهر ربيع الاول ، كما تقدم عن ابن عباس وجابر أنه ولد

عليه السلام ، في الثانى عشر من ربيع الاول يوم الاثنين ، وفيه بعث ، وفيه عرج به

إلى السماء .

والمشهور أنه بعث عليه الصلاة والسلام في شهر رمضان ، كما نص على ذلك عبيد

ابن عمير ، ومحمد بن إسحاق وغيرهما .

وقال ابن إسحاق مستدلا على ذلك بما قال الله تعالى : (شهر رمضان الذى أنزل

فيه القرآن هدى للناس) ف قيل : في عشره .

وروى الواقدي بسنده عن أبى جعفر الباقر أنه قال : كان ابتداء الوحي إلى رسول

الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان ، وقيل في الرابع

والعشرين منه .

-393-

قال الامام أحمد : حدثنا أبوسعيد مولى بنى هاشم ، حدثنا عمران أبوالعوام ، عن

قتادة عن أبى المليح ، عن واثلة بن الاسقع ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين من

رمضان ، والانجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان ، وأنزل القرآن لاربع وعشرين

خلت من رمضان :

وروى ابن مردويه في تفسيره عن جابر بن عبدالله مرفوعا نحوه .

ولهذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين ، إلى أن ليلة القدر ليلة أربع وعشرين .

وأما قول جبريل (اقرأ) فقال : (ما أنا بقارئ) فالصحيح أن قوله (ما أنا بقارئ)

نفى ، أي لست ممن يحسن القراءة . وممن رجه النووى وقبله الشيخ أبوشامة .

ومن قال إنها استفهامية فقوله بعيد ، لان الباء لاتزاد في الاثبات .

ويؤيد الاول رواية أبى نعيم من حديث المعتمر بن سليمان عن أبيه : فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، وهو خائف يرعد : (ما قرأت كتابا قط ولا أحسنه ، وما أكتب

وما أقرأ) فأخذه جبريل فغته غتا شديدا . ثم تركه فقال له : اقرأ . فقال محمد صلى الله

عليه وسلم (ما أرى شيئا أقرأه ، وما أقرأ ، وما أكتب) .

يروى : (فغطني) كما في الصحيحين (وغتني) ويروى (قد غتني) أي : خنقني

(حتى بلغ منى الجهد) يروى بضم الجيم وفتحها وبالنصب وبالرفع . وفعل به

ذلك ثلاثا .

قال أبو سليمان الخطابي : وإنما فعل ذلك به ليلو صبره
ويحسن تأديبه ، فيرتاض

لاحتمال ما كلفه به من أعباء النبوة ، ولذلك كان يعتربه
مثل حال المحموم ، وتأخذه

الرحضاء أى : البهر والعرق .

وقال غيره : إنما فعل ذلك لامور : منها أن يستيقظ
لعظمة ما يلقي إليه بعد هذا

-394-

الصنيع المشق على النفوس . كما قال تعالى (إنا سنلقى
عليك قولا ثقيلا) (1) * (هامش) * (1) سورة المزمل
5 . (*)

ولهذا كان

عليه الصلاة والسلام إذا جاءه الوحي يحمر وجهه ، ويغط
كما يغط البكر من الابل ،

ويتفصد جبينه عرقا في اليوم الشديد البرد .

وقوله : (فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
خديجة يرجف فؤاده) . وفى

رواية : (بواده) جمع بادرة . قال أبو عبيدة : وهى لحمه
بين المنكب والعنق . وقال

غيره : هى عروق تضطرب عند الفرع .

وفى بعض الروايات ترجف بآدله ، واحدتها بادلة . وقيل
بادل ، وهو ما بين العنق

والترقوة . وقيل أصل الثدى . وقيل : لحم الثديين . وقيل
غير ذلك .

فقال : (زملوني زملوني) ، فلما ذهب عنه الروح قال
لخديجة : (مالي ؟ أي شيء
عرض لي ؟ !) وأخبرها ما كان من الامر . ثم قال : (لقد
خشيت على نفسي) وذلك
لانه شاهد أمرا لم يعهده قبل ذلك ، ولا كان في خلقه .
ولهذا قالت خديجة : أبشر ، كلا والله لا يخزيك الله أبدا .
قيل : من الخزي ،
وقيل : من الحزن .
وهذا لعلمها بما أجرى الله به جميل العوائد في خلقه ،
أن من كان متصفا بصفات
الخير لا يخزي في الدنيا ولا في الآخرة .
ثم ذكرت له من صفاته الجليلة ما كان من سجايه
الحسنة . فقالت : (إنك لتصل
الرحم وتصدق الحديث) وقد كان مشهورا بذلك صلوات
الله وسلامه عليه عند
الموافق والمفارق .
(وتحمل الكل) أي عن غيرك ، تعطى صاحب العيلة ما
يربحه من ثقل
مؤنة عياله .

395

(وتكسب المعدوم) أي تسبق إلى فعل الخير فتبادر إلى
إعطاء الفقير فتكسب
حسنته قبل غيرك . ويسمى الفقير معدوما لان حياته
ناقصة ، فوجوده وعدمه سواء
كما قال بعضهم :

- ليس من مات فاستراح بميت * إنما الميت ميت الأحياء -

وقال أبو الحسن التهامي ، فيما نقله عنه القاضي عياض
في شرح مسلم :

- عد ذا الفقر ميتا وكساه * كفنا باليا ومأواه قبرا -

وقال الخطابي : الصواب (وتكسب المعدم) أى تبذل إليه
أو يكون تكسب

المعدم بعطيته (1) مالا يعيش به .

واختار شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزني أن المراد بالمعدوم
ههنا المال المعطى ، أى

يعطى المال لمن هو عادمه .

ومن قال إن المراد أنك تكسب باتجارك المال المعدوم ،
أو النفيس القليل النظير ،

فقد أبعد النجعة ، وأغرق في النزاع ، وتكلف ما ليس له
علم ، فإن مثل هذا لا يمدح به

غالبا ، وقد ضعف هذا القول عياض والنووي وغيرهما والله
أعلم .

(وتقرى الضيف) أى تكرمه في تقديم قراه ، وإحسان
مأواه .

(وتعين على نوائب الحق) ويروى (الخير) ، أى إذا
وقعت نائبة لأحد في خير

أعنت فيها ، وقمت مع صاحبها حتى يجد سدادا من عيش
أو قواما من عيش .

وقوله : (ثم أخذته فانطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن
نوفل ، وكان شيخا كبيرا

قد عمى) .

وقد قدمنا طرفاً من خبره مع ذكر زيد بن عمرو بن نفيل
رحمه الله ، وأنه كان ممن

؟ ؟ في الجاهلية ، ففارقهم وارتحل إلى الشام ، هو وزيد
بن عمرو وعثمان بن الحويرث ،

* (هامش) * (1) محرفة بالاصل : أو يكون تلبس العدم
بعطية . (*)

-396-

وعبيد الله بن جحش ، فتنصر واكلهم ، لانهم وجدوه أقرب
الاديان إذ ذاك إلى الحق .

إلا زيد بن عمرو بن نفيل فإنه رأى فيه دخلاً وتخبيطاً
وتبديلاً وتحريفاً وتأويلاً ،

فأبت فطرته الدخول فيه أيضاً ، وبشره الاحبار والرهبان
بوجود نبي قد أزف زمانه

واقترب أوانه .

فرجع يتطلب ذلك ، واستمر على فطرته وتوحيده . لكن
اخترمته المنية قبل

البعثة المحمدية .

وأدركها ورقة بن نوفل وكان يتوسمها في رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، كما قدمنا ،

بما كانت خديجة تنعته له وتصفه له ، وما هو منطوق عليه
من الصفات الطاهرة الجميلة

وما ظهر عليه من الدلائل والآيات .

ولهذا لما وقع ما وقع أخذت بيد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وجاءت به إليه ، فوقفت

به عليه وقالت : ابن عم ، اسمع من ابن أخيك . فلما
قص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

خبر ما رأى ، قال ورقة : سبوح سبوح ، هذا الناموس
الذى أنزل على موسى .

ولم يذكر عيسى وإن كان متأخرا بعد موسى ، لانه كانت
شريعته متممة ومكمله

لشريعة موسى عليهما السلام ، ونسخت بعضها على
الصحيح من قول العلماء . كما قال

(ولا حل لكم بعض الذى حرم عليكم) (1)

وقول ورقة هذا كما قالت الجن : (يا قومنا إنا سمعنا
كتابا أنزل من بعد موسى

مصدقا لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم
(2))

ثم قال ورقة : (يا ليتنى فيها جذعا) أى يا ليتنى أون
اليوم شابا متمكنا من

الايمان والعلم النافو العمل الصالح .

* (هامش) * (1) سورة آل عمران 50 (2) سورة
الاحقاف 30 (*)

-397-

(ياليتنى أكون حيا حين يخرجك قومك) يعنى حتى أخرج
معك وأنصرك .

فعندها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أو
مخرجى هم ؟) قال السهيلي :

وإنما قال ذلك ، لان فراق الوطن شديد على النفوس ،
فقال : (نعم ! إنه لم يأت أحد

بمثل ما جئت به إلا عودى ، وإن يدركنى يومك أنصرك
نصرا موزرا) أى نصرك

نصرا عزيزا أبدا .

وقوله (ثم لم ينشب ورقة أن توفى) أى توفى بعد هذه القصة بقليل ، رحمه الله

ورضى عنه ، فإن مثل هذا الذى صدر عنه تصديق بما وجد ، وإيمان بما حصل من الوحي ، ونية صالحة للمستقبل .

وقد قال الامام أحمد : حدثنا حسن ، عن ابن لهيعة ، حدثنى أبوالاسود ، عن

عروة ، عن عائشة ، أن خديجة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ورقة بن نوفل

فقال : (قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض ، فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بياض) .

وهذا إسناد حسن ، لكن رواه الزهرى وهشام عن عروة مرسلا . فإله أعلم .

وروى الحافظ أبويعلى ، عن شريح بن يونس ، عن إسماعيل ، عن مجالد ، عن

الشعبى ، عن جابر بن عبدالله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ورقة بن نوفل

فقال : (قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض ، أبصرته في بطنان الجنة (1) وعليه السندس) .

وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال (يبعث يوم القيامة أمة وحده) .

وسئل عن أبى طالب فقال : (أخرجته من غمرة من جهنم إلى ضحضاح منها) .

وسئل عن خديجة ، لأنها ماتت قبل الفرائض وأحكام القرآن ، فقال : (أبصرتها

* (هامش) * (1) بطنان : كل شئ وسطه . (*)

-398-

على نهر في الجنة في بيت من قصب لا صعب فيه
ولانصب) .

إسناد حسن ، ولبعضه شواهد في الصحيح . والله أعلم .

وقال الحافظ أبوبكر البزار : حدثنا عبيد بن إسماعيل ،
حدثنا أبواسامة ، عن

هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لاتسبوا ورقة ، فإنى رأيت له جنة او جنتين) .

وكذا رواه ابن عساكر من حديث أبى سعيد الاشج ، عن
أبى معاوية ، عن هشام ،

عن أبيه ، عن عائشة ، وهذا إسناد جيد . وروى مرسلًا
وهو أشبه .

وروى الحافظان : البيهقى وأبونعيم في كتابيهما . (دلائل
النبوة) من حديث

يونس بن بكير ، عن يونس بن عمرو ، عن أبيه ، عن
عمرو بن شرحبيل ، أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة : (إنى إذا خلوت
وحدى سمعت نداء ، وقد خشيت

والله أن يكون لهذا أمر) .

قالت : معاذ الله ، ما كان ليفعل ذلك بك ، فوالله إنك
لتؤدى الامانة ، وتصل

الرحم ، وتصدق الحديث .

فلما دخل أبوبكر وليس رسول الله صلى الله عليه وسلم
، ثم ذكرت له خديجة فقالت :

يا عتيق اذهب مع محمد إلى ورقة .

فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده
أبوبكر . فقال : انطلق بنا إلى

ورقة . قال : (ومن أخبرك ؟) قال : خديجة . فانطلقا إليه
فقصا عليه . فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : (إني إذا خلوت وحدي سمعت
هداء خلفي : يا محمد يا محمد . فانطلق

هاربا في الارض) . فقال له : لاتفعل . إذا أتاك فاثبت
حتى تسمع ما يقول لك ، ثم

ائتنى فأخبرنى .

399

فلما خلا ناداه : يا محمد ، قل (بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين) حتى بلغ

(ولا الضالين) قل : لا إله إلا الله .

فأتى ورقة فذكر له ذلك ، فقال له ورقة : أبشر ثم أبشر
. فأنا أشهد أنك الذى

بشر بك ابن مريم ، وإنك على مثل ناموس موسى ،
وإنك نبي مرسل ، وإنك

ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ، ولئن أدركنى ذلك لجاهدن
معك .

فلما توفى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لقد
رأيت القس في الجنة عليه ثياب

الحرير ، لانه آمن بى وصدقنى) يعنى ورقة .

هذا لفظ البيهقى ، وهو مرسل ، وفيه غرابة وهو كون
الفاتحة أول ما نزل .

وقد قدمنا من شعره ما يدل على إظماره الايمان وعقده
عليه وتأكده عنده ، وذلك

حين أخبرته خديجة ما كان من أمره مع غلامها ميسرة ،
وكيف كانت الغمامة تظله في

هجير القيط ، فقال ورقة في ذلك أشعار قدمناها قبل هذا
، منها قوله :

- لجت وكنت في الذكرى لجوجا * لامر طالما بعث
النشيجا -

- ووصف من خديجة بعد وصف * فقد طال انتظاري يا
خديجا -

- بطن المكتين على رجائي * حديثك أن أرى منه خروجا -

- بما خبرتنا من قول قس * من الرهبان أكره أن يعوجا -

- بأن محمدا سيسود قوما * ويخصم من يكون له حجيجا -

- ويظهر في البلاد ضياء نور * يقيم به البرية أن تعوجا -

- فيلقى من يحاربه خسارا * ويلقى من يسالمه فلوجا -

- فياليتي إذا ما كان ذاكم * شهدت وكنت أولهم ولوجا -

-400-

- ولوجا في الذى (1)

كرهت قريش * ولو عجت بمكتها عجيجا -

- أرجى بالذى كرهوا جميعا * إلى ذى العرش إذ سفلوا
عروجا -

- فإن يبقوا وابق تكن (2) أمور * يضج الكافرون لها
ضحيجا -

وقال أيضا في قصيدته الاخرى :

- وأخبار صدق خبرت عن محمد * يخبرها عنه إذا غاب
- ناصح -
- بأن ابن عبدالله أحمد مرسل * إلى كل من ضمت عليه
- الاباطح -
- وطنى به أن سوف يبعث صادقاً * كما أرسل العبدان :
- هود وصالح -
- وموسى وإبراهيم حتى يرى له * بهاء ومنشور من الحق
- واضح -
- ويتبعه حيا لؤى بن غالب * شباهم والاشييون الجحاجح -
- فإن أبق حتى يدرك الناس دهره * فإنى به مستبشر الود
- فارح -
- وإلا فإنى يا خديجة فاعلمى * عن ارضك في الارض
- العريضة سائح -
- وقال يونس بن بكير عن ابن اسحاق : قال ورقة :
- فإن يك حقا يا خديجة فاعلمى * حديثك إيانا فأحمد
- مرسل -
- وجبريل يأتيه وميكال معهما * من الله وحى يشرح الصدر
- منزل -
- يفوز به من فاز فيها بتوبة * ويشقى به العانى الغرير
- المضلل -
- فريقان منهم فرقة في جنانه وأخرى بأحواز الجحيم تغلل
- -
- إذا ما دعوا بالويل فيها تتابعت * مقامع في هاماتهم ثم
- تشعل -
- فسبحان من تهوى الرياح بأمره * ومن هو في الايام ما
- شاء يفعل -

- ومن عرشه فوق السموات كلها * وأقضاؤه في خلقه
لاتبدل -

* (هامش) * (1) خ ط : ولو كان الذى . وما أثبتته هو
الرواية المتقدمة لابن كثير ، وهى الموافقة لابن هشام
والصحيحة أيضا . (2) المطبوعة : يكن أمورا ، وهو تحريف
(*) .

-401-

وقال ورقة أيضا :

.....

- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 401 سطر 1 الى ص
410 سطر 21

وقال ورقة أيضا :

- يا للرجال وصرف الدهر والقدر * وما لشيئ قضاءه الله
من غير -

- حتى خديجة تدعونى لآخبرها * أمرا أراه سيأتى الناس
من آخر -

- وخبرتنى بأمر قد سمعت به * فيما مضى من قديم
الدهر والعصر -

- بأن أحمد يأتية فيخبره * جبريل أنك مبعوث إلى البشر -

- فقلت عل الذى ترجين ينجزه * لك الاله فرجى الخير
وانتظرى -

- وأرسلية إلينا كى نسائله * عن أمره ما يرى في النوم
والسهر -

- فقال حين أتانا منطلقا عجا * يقف منه أعالى الجلد
والشعر -

- إني رأيت أمين الله واجهني * في صورة أكملت من أعظم الصور -
- ثم استمر فكاد الخوف يذعرنى * مما يسلم من حولي من الشجر -
- فقلت ظني وما أدري أصدقني * أن سوف يبعث يتلو منزل السور -
- وسوف يبليك إن أعلنت دعوتهم من الجهاد بلا من ولاكدر -

هكذا أورد ذلك الحافظ البيهقي في الدلائل وعندى في صحتها عن ورقة نظر والله أعلم .

وقال ابن إسحاق : حدثني عبدالملك بن عبدالله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفى - وكان واعية (1)

- عن بعض أهل العلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين

أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة ، كان إذا خرج لحاجته (2) أبعد حتى يحسر البيوت (3)

* (هامش) * (1) المطبوعة داعية . وهو تحريف . (2) المطبوعة : حاجة . وهو تحريف .

(3) خ ط : الثوب . وهو تحريف شنيع .

(26 - السيرة - 1)

-402-

عنه ويفضى إلى شعاب مكة وبطون أوديتها ، فلا يمر بحجر ولاشجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله .

قال : فيلتفت حوله عن يمينه وعن شماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة ،

فمكث كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث ، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاء

من كرامة الله وهو بحراء في رمضان .

قال ابن إسحاق : وحدثني وهب بن كيسان مولى آل الزبير ، قال سمعت عبدالله

ابن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي : حدثنا يا عبيد : كيف كان بدء

ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين جاءه جبريل . قال : فقال

عبيد وأنا حاضر ، يحدث عبدالله ابن الزبير ومن عنده من الناس :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في حراء في كل سنة شهرا يتحنث . قال :

وكان ذلك مما تحنث (1)

به قريش في الجاهلية ، والتحنث : التبرر .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه

من المساكين ، فإذا قضى حواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به إذا انصرف من

جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بهاسبعا أو ماشاء الله من ذلك ، ثم يرجع

إلى بيته .

حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله به فيه ما أراد من كرامته من السنة التي بعثه

فيها ، وذلك الشهر رمضان ، خرج إلى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله ، حتى

إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد به جاءه جبريل بأمر

الله تعالى .

* (هامش) * (1) خ ط : يحب . وهو تحريف . (*)

403

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فجاءنى وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب ،

فقال : اقرأ . قلت : ما أقرأ ؟ قال : فغتنى حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى فقال :

اقرأ . قلت : ما أقرأ ؟ قال : فغتنى حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلنى فقال : اقرأ . قلت :

ما أقرأ ؟ قال : فغتنى حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلنى فقال : اقرأ . قلت : ماذا أقرأ ؟

ما أقول ذلك إلا افتداء (1) منه أن يعود لى بمثل ما صنع بى .

فقال : (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك

الاکرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم) .

قال : فقرأتها ثم انتهى وانصرف عنى ، وهببت من نومى فكانما كتب

في قلبى كتابا .

قال : خرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول :

يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل .

قال : فرفعت رأسي إلى السماء ، فأنظر فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل . فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر ، وجعلت أصرف وجهي عنه في أفاق السماء فما أنظر في ناحية منها إلا رأيتَه كذلك . فما زلت واقفا ما أتقدم أمامي وما أرجع ورائي حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي ، فبلغوا مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك ، ثم انصرف عني . وانصرفت راجعا إلى أهلي حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفا إليها ، فقالت : يا أبا القاسم أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إلى .

* (هامش) * (1) ط : اقتدا وهو تحريف . (*)

404

ثم حدثتها بالذي رأيت فقالت : أبشر يا ابن العم واثبت ، فوالذي نفس خديجة بيده إنني لارجو أن تكون نبي هذه الأمة . ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل ، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ورقة : قدوس قدوس ، والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى ، وإنه لنبي

هذه الامة ، وقولى له فليثبت .

فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأخبرته بقول ورقة .

فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره
وانصرف صنع كما كان يصنع ، بدأ

بالكعبة فطاف بها ، فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف
بالكعبة فقال : يا ابن أخى ،

أخبرنى بما رأيت وسمعت .

فأخبره ، فقال له ورقة : والذى نفسى بيده إنك لنبى هذه
الامة ، ولقد جاءك

الناموس الاكبر الذى جاء موسى ، ولتكذبه ولتؤذينه
ولتخرجنه ولتقاتلنه (1) ،

ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لانصرن الله نصرا يعلمه . ثم
أدنى رأسه منه فقبل يا فوخه

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله .

وهذا الذى ذكره عبيد بن عمير كما ذكرناه كالتوطئة لما
جاء بعده من اليقظة ،

كما تقدم من قول عائشة رضى الله عنها : فكان لا يرى
رؤيا إلا جاءت مثل

فلق الصبح .

ويحتمل أن هذا المنام كان بعد ما رآه في اليقظة صبيحة
ليلتئذ . ويحتمل أنه كان بعده

بمدة . والله أعلم .

* (هامش) * (1) الهاء هنا للسكت .

وقال موسى بن عقبة : عن الزهري عن سعيد بن المسيب ، قال : وكان بلغنا أول

ما رأى ، يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن الله تعالى أراه رؤيا في المنام ، فشق ذلك

عليه ، فذكرها لامرأته خديجة ، فعصمها الله عن التكذيب وشرح صدرها للتصديق

فقالت : أبشر فإن الله لم يصنع بك إلا خيرا .

ثم إنه خرج من عندها ثم رجع إليها ، فأخبرها أنه رأى بطنه شق ثم غسل وطهر ثم

أعيد كما كان . قالت : هذا والله خير فأبشر .

ثم استعلن له جبريل وهو بأعلى مكة فأجلسه على مجلس كريم معجب ، كان النبي

صلى الله عليه وسلم يقول : أجلسنى على بساط كهيفة الدرنوك (1) فيه لياقوت واللؤلؤ ،

فبشره برسالة الله عزوجل ، حتى اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له جبريل

اقرأ . فقال : كيف أقرأ ؟ فقال : (اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق

اقرأ وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم) .

قال : ويزعم ناس أن (يا أيها المدثر) أول سورة نزلت عليه والله أعلم .

قال : فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم رسالة ربه واتبع ما جاءه به جبريل

من عند الله .

فلما انصرف منقلبا إلى بيته جعل لايمر على شجر ولا
حجر إلا سلم عليه ، فرجع إلى
أهله مسرورا موقنا أنه قد رأى أمرا عظيما ، فلما دخل
على خديجة قال : رأيته
التي كنت حدثتك أنى رأيته في المنام ؟ فإنه جبريل
استعلن إلى ، أرسله إلى ربي
عزوجل . وأخبرها بالذي جاءه من الله وما سمع منه ،
فقال : أبشر فوالله لايفعل
* (هامش) * (1) الدرناك : نوع من البسط له حمل .
(*)

-406-

الله بك إلا خيرا ، وأقبل الذي جاءك من أمر الله فإنه
حق ، وأبشر فإنك
رسول الله حقا .
ثم انطلقت من مكانها ، فأنت غلاما لعتبة بن ربيعة بن
عبد شمس ، نصرانيا من أهل
نينوى يقال له عداس فقالت له : يا عداس أذكرك بالله إلا
أخبرتني : هل عندك علم من
جبريل ؟ فقال : قدوس قدوس ، ما شأن جبريل يذكر
بهذه الارض التي أهلها أهل
الاوثنان . فقالت : أخبرني بعلمك فيه . قال : فإنه أمين الله
بينه وبين النبيين ، وهو صاحب
موسى وعيسى عليهما السلام .
فرجعت خديجة من عنده فجاءت ورقة بن نوفل ، فذكرت
له ما كان من أمر النبي صلى

الله عليه وسلم وما ألقاه إليه جبريل ، فقال لها ورقة : يا
بنية أختي ، ما أدري لعل صاحبك

النبي الذي ينتظر أهل الكتاب الذي يجدونه مكتوبا عندهم
في التوراة والانجيل ،

وأقسم بالله لئن كان إياه ثم أظهر دعواه وأنا حي لابلين
الله في طاعة رسوله وحسن

مؤازرته للصبر والنصر .

فمات ورقة رحمه الله .

قال الزهري : فكانت خديجة أول من آمن بالله وصدق
رسول الله صلى الله

عليه وسلم .

قال الحافظ البيهقي بعد إيراده ما ذكرناه : والذي ذكر فيه
من شق بطنه يحتمل

أن يكون حكاية منه لما صنع به في صباه ، يعنى شق
بطنه عنه حليلة ، ويحتمل أن يكون

شق مرة أخرى ، ثم ثالثة حين عرج به إلى السماء .
والله أعلم .

وقد (1) ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة ورقة
بإسناده إلى سليمان بن طرخان

التيمنى قال :

* (هامش) * (1) من هنا إلى وقال البيهقي حدثنا أ
بوعبدالله الحافظ ساقط من النسخة ا . (*)

-407-

بلغنا أن الله تعالى بعث محمدا رسولا على رأس خمسين
سنة من بناء الكعبة .

وكان أول شئ اختصه بن من النبوة والكرامة رؤيا كان يراها ، فقص

ذلك على زوجته خديجة بنت خويلد فقالت له : أبشر فوالله لايفعل الله بك

إلا خيرا .

فبينما هو ذات يوم في حراء ، وكان يفر إليه من قومه ، إذ نزل عليه جبريل ،

فدنا منه ، فخافه رسول الله صلى الله عليه وسلم مخافة شديدة ، فوضع جبريل يده

على صدره ومن خلفه بين كتفيه ، فقال : اللهم احطط وزره ، واشرح صدره ، وطهر

قلبه ، يا محمد أبشر ! فإنك نبي هذه الامة ، اقرا . فقال له نبي الله : وهو خائف يرعد :

ما قرأت كتابا قط ولا أحسنه ، وما أكتب وما أقرأ .

فأخذه جبريل فغته غتا شديدا ثم تركه ، ثم قال له : اقرا . فأعاد عليه مثله .

فأجلسه على بساط كهيئة الدرنوك فرأى فيه من صفائه وحسنه كهيئة اللؤلؤ والياقوت

وقال له : (اقرا باسم ربك الذى خلق) الآيات ، ثم قال له : لاتخف يا محمد ، إنك

رسول الله .

ثم انصرف ، وأقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم همه ، فقال : كيف أصنع

وكيف أقول لقومى ؟ !

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خائف ، فأتاه جبريل من أمامه وهو في

صعرته (1) ، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
أمرا عظيما ملا صدره ، فقال له جبريل :

لاتخف يا محمد ، جبريل رسول الله ، جبريل رسول الله
إلى أنبيائه ورسله ، فأيقن بكرامة
الله فإنك رسول الله .

فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم لايمر على شجر
ولا حجر إلا هو ساجد
* (هامش) * (1) أى عظمته . (*)

-408-

يقول : السلام عليك يا رسول الله . فاطمأنت نفسه
وعرف كرامة الله إياه . فلما انتهى

إلى زوجته خديجة أبصرت ما بوجهه من تغير لونه ،
فأفزعتها ذلك ، فقامت إليه ،

فلما دنت منه جعلت تمسح عن وجهه وتقول : لعلك لبعض
ما كنت ترى وتسمع

قبل اليوم .

فقال : يا خديجة أرايت الذى كنت أرى في المنام والصوت
الذى كنت أسمع في

اليقظة وأهال منه ؟ فإنه جبريل قد استعلن لى وكلمنى
وأقرأنى كلاما فزعت منه ، ثم عاد

إلى فأخبرنى أنى نبي هذه الامة ، فأقبت راجعا فأقبلت
على شجر وحجارة فقلن : السلام

عليك يا رسول الله .

فقال خديجة : أبشر فو الله لقد كنت أعلم أن الله لن
يفعل بك إلا خيرا ، وأشهد

أنك نبي هذه الامة الذى تنتظره اليهود ، قد أخبرنى به
ناصح غلامى وبحيرى الراهب ،

وأمرنى أن أتزوجك منذ أكثر من عشرين سنة . فلم تزل
برسول الله صلى الله عليه

وسلم حتى طعم وشرب وضحك .

ثم خرجت إلى الراهب وكان قريبا من مكة فلما دنت منه
وعرفها ، قال : مالك

يا سيدة نساء قريش ؟ فقالت : أقبلت إليك لتخبرنى عن
جبريل .

فقال : سبحان الله ربنا القدوس ! ما بال جبريل يذكر في
هذه البلاد

التي يعبد أهلها الاوثان ؟ ! جبريل أمين الله ورسوله إلى
أنبيائه ورسله وهو صاحب

موسى وعيسى .

فعرفت كرامة الله لمحمد .

ثم أتت عبدا لعتبة بن ربيعة يقال له عداس ، فسألته
فأخبرها بمثل ما أخبرها

به الراهب وأزيد ، قال : جبريل كان مع موسى حين أغرق
الله فرعون

-409-

وقومه ، وكان معه حين كلمه الله على الطور ، وهو
صاحب عيسى بن مريم الذى

أيده الله به .

ثم قامت من عنده فأتت ورقة بن نوفل فسألته عن
جبريل ، فقال لها مثل ذلك .

ثم سألها : ما الخبر ؟ فأحلفته أن يكتم ما تقول له ،
فحلف لها فقالت له : إن ابن عبدالله

ذكرلى ، وهو صادق أحلف بالله ما كذب ولا كذب ، أنه
نزل عليه جبريل بحراء ،

وأنه أخبره أنه نبي هذه الامة وأقرأه آيات أرسل بها .

قال : فذعر ورقة لذلك وقال : لئن كان جبريل قد
استقرت قدماه على الارض لقد

نزل على خير أهل الارض ، وما نزل إلا على نبي ، وهو
صاحب الانبياء والرسل يرسله

الله إليهم ، وقد صدقتك عنه ، فأرسلنى إلى ابن عبدالله
أسأله وأسمع من قوله وأحدثه ،

فإنى أخاف أن يكون غير جبريل ، فإن بعض الشياطين
يتشبه به ليضل به بعض بنى آدم

ويفسدهم ، حتى يصير الرجل بعد العقل الرضى مدلها
مجنونا .

فقامت من عنده وهى واثقة بالله أن يفعل بصاحبها إلا
خيرا ، فرجعت إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما قال ورقة ،
فأنزل الله تعالى : (ن . والقلم

وما يسطرون . ما أنت بنعمة ربك بمجنون) الآيات . فقال
لها : كلا والله إنه لجبريل .

فقالت له : أحب أن تأتيه فتخبره لعل الله أن يهيديه .

فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له ورقة
: هذا الذى جاءك فى نور

أو ظلمة ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
صفة جبريل وما رآه من عظمته

وما أوحاه إليه .

فقال ورقة : أشهد أن هذا جبريل ، وأن هذا كلام الله ،
فقد أمرك بشئ تبلغه

قومك ، وإنه لامر نبوة ، فإن أدرك زمانك أتبعك . ثم قال
: أبشر ابن ع بدالمطلب

بما بشرك الله به .

410

قال : وذاع قول ورقة وتصديقه لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فشق ذلك على

الملا من قومه .

قال : وفتّر الوحي ، فقالوا : لو كان من عند الله لتتابع
ولكن الله قلاه . فأنزل الله

(والضحى) و (ألم نشرح) بكمالهما .

وقال البيهقي : حدثنا أبو بوعبدالله الحافظ ، حدثنا أ
بوالعباس ، حدثنا أحمد بن

عبدالجبار ، حدثنا يونس ، عن ابن إسحاق ، حدثني
إسماعيل بن أبي حكيم مولى

آل الزبير ، أنه حدثه عن خديجة بنت خويلد أنها قالت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم

فيما بينه مما أكرمه الله به من نبوته : يا ابن عم تستطيع
أن تخبرني بصاحبك هذا الذي

يأتيك إذا جاءك ؟ فقال : نعم . فقالت : إذا جاءك فأخبرني
.

فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها إذ جاء
جبريل ، فرآه رسول الله صلى الله

عليه وسلم فقال : يا خديجة ، هذا جبريل . فقالت : أتراه الآن ؟ قال : نعم . قالت : فاجلس

إلى شقى اليمين . فتحول فجلس . فقالت : أتراه الآن ؟ قال : نعم . قالت : فتحول

فاجلس في حجرى . فتحول فجلس في حجرها ، فقالت : هل تراه الآن ؟ قال : نعم .

فتحسرت رأسها فشالت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها فقالت :

هل تراه الآن ؟ قال : لا . قالت : ما هذا بشيطان إن هذا لملك يا ابن عم ، فاثبت وأبشر .

ثم آمنت به وشهدت أن ما جاء به هو الحق .

قال ابن إسحاق : فحدثت عبدالله بن حسن هذا الحديث فقال : قد سمعت أُمى

فاطمة بنت الحسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة ، إلا أنى سمعتها تقول :

أدخلت رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وبين درعها فذهب عند ذلك

جبريل عليه السلام .

-411-

قال : البيهقي وهذا شئ كان من خديجة تصنعه تستثبت به الامر احتياطا

.....
- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 411 سطر 1 الى ص 420 سطر 21

قال : البيهقي وهذا شئ كان من خديجة تصنعه تستثبت به الامر احتياطا

لدينها وتصديقا .

فأما النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان وثق بما قال له جبريل وأراه من الآيات

التي ذكرناها مرة بعد أخرى ، وما كان من تسليم الشجر والحجر عليه صلى الله

عليه وسلم تسليما .

وقد قال مسلم في صحيحه : حدثنا أبوبكر بن أبي شيبة ، حدثنا يحيى بن بكير ،

حدثنا إبراهيم بن طهمان ، حدثني سماك بن حرب ، عن جابر بن سمرة ، رضى الله عنه

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن

أبعث إني لاعرفه الآن) .

وقال أبوداود الطيالسي : حدثنا سليمان بن معاذ ، عن سماك بن حرب ، عن جابر بن

سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن بمكة لحجرا كان يسلم على ليالي بعثت

إني لاعرفه إذا مررت عليه) .

وروى البيهقي من حديث إسماعيل بن عبدالرحمن السدي الكبير ، عن عباد بن

عبدالله ، عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه . قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه

وسلم بمكة فخرج في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال : السلام عليك

يا رسول الله .

وفى رواية : لقد رأيتنى أدخل معه الوادى فلا يمر بحجر ولاشجر إلا قال : السلام

عليكم يا رسول الله وأنا أسمع .

-412-

فصل

قال البخارى فى روايته المتقدمة : ثم فتر الوحى حتى حزن النبى صلى الله عليه وسلم

فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كى يتردى من رءوس شواهد الجبال ، فكلما أو فى بذروة

جبل لكى يلقى نفسه تبنى له جبريل فقال : يا محمد إنك رسول الله حقا .

فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع .

فإذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك ، فإذا أوفى بذروة جبل تبنى له جبريل

فقال له مثل ذلك .

وفى الصحيحين من حديث عبدالرزاق ، عن معمر ، عن الزهرى ، قال : سمعت

أبا سلمة عبدالرحمن يحدث عن جابر بن عبدالله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم يحدث عن فترة الوحى قال : فبينما أنا أمشى سمعت صوتا من السماء ، فرفعت بصرى

قبل السماء فإذا الملك الذى جاءنى بحراء قاعد على كرسى بين السماء ، فجثيت منه ، فرقا

حتى هويت إلى الارض ، فجئت أهلى فقلت زملونى زملونى . فأنزل الله : (يا أيها المدثر

قم فأندِر . وربك فكبِر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر) .

قال : ثم حمى الوحي وتتابع .

فهذا كان أول ما نزل من القرآن بعد فترة الوحي لامطلقا ،
ذاك قوله (1)

(اقرأ باسم

ربك الذي خلق) .

وقد ثبت عن جابر أن أول ما نزل (يا أيها المدثر)
واللائق حمل كلامه ما أمكن

على ما قلناه ، فإن في سياق كلامه ما يدل على تقدم
مجئ الملك الذي عرفه ثانيا بما عرفه

* (هامش) * (1) أي أن أول ما نزل مطلقا هو (اقرأ)
(*) .

413

به أولا إليه . ثم قوله : (يحدث عن فترة الوحي) دليل
على تقدم الوحي على هذا

الايحاء . والله أعلم .

وقد ثبت في الصحيحين من حديث علي بن المبارك وعند
مسلم والاوزاعي كلاهما

عن يحيى بن أبي كثير قال : سألت أبا سلمة بن
عبدالرحمن : أي القرآن أنزل قبل ؟

فقال : (يا أيها المدثر) .

فقلت : و (اقرأ باسم ربك) ؟

فقال : سألت جابر بن عبدالله : أي القرآن أنزل قبل ؟
فقال : (يا أيها المدثر)

فقلت : (واقراً باسم ربك) ؟ فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إني جاورت

بحراء شهرا ، فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت الوادى ، فنوديت ، فنظرت بين

يدى وخلفى وعن يمينى وعن شمالى فلم أر شيئا ، ثم نظرت إلى السماء فإذا هو على العرش

في الهواء ، فأخذتنى رعدة - أو قال وحشة - فأتيت خديجة فأمرتهم فدثرونى ، فأنزل

الله : (يا أيها المدثر) حتى بلغ (وثيابك فطهر) .

وقال في رواية : (فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والارض

فجثيت منه) .

وهذا صريح في تقدم إتيانه إليه وإنزاله الوحي من الله عليه كما ذكرناه .

والله أعلم .

ومنهم من زعم أن أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة (والضحي والليل إذا سجي

ما ودعك ربك وما قلى) إلى آخرها . قاله محمد بن إسحاق .

وقال بعض القراء : ولهذا كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في أولها فرحا .

وهو قول بعيد يردده ما تقدم من رواية صاحبى الصحيح ، من أن أول القرآن نزولا

-414-

بعد فترة الوحي : (يا أيها المدثر قم فأنذر) ولكن نزلت سورة (والضحي) بعد فترة

أخرى كانت ليالى يسيرة .

كما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث الاسود بن قيس ، عن جندب بن عبدالله

الجلبي . قال : اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين أو ثلاثا ، فقالت

امرأة : ما أرى شيطانك إلا تركك . فأنزل الله (والضحى والليل إذا سجى ما ودعك

ربك وما قلى) .

وبهذا الامر حصل الارسال إلى الناس وبالاول حصلت النبوة .

وقد قال بعضهم : كانت مدة الفترة قريبا من سنتين ، أو سنتين ونصفا .

والظاهر ، والله أعلم ، أنها المدة التي اقترن معه ميكائيل كما قال .

الشعبي وغيره .

ولاينفى هذا تقدم إحياء جبريل إليه أولا (اقرأ باسم ربك الذى خلق) .

ثم اقترن به جبريل بعد نزول (يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر

والرجز فاهجر) .

ثم حمى الوحى بعد هذا وتتابع ، أى تدارك شيئا بعد شئ .

وقام حينئذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرسالة أتم القيام ، وشمر عن ساق

العزم ، ودعا إلى الله القريب والبعيد ، والاحرار والعبيد ، فأمّن به حينئذ كل لبيب

نجيب سعيد ، واستمر على مخالفته وعصيانه كل جبار
عنيذ .

فكان أول من بادر إلى التصديق من الرجال الاحرار أبوبكر
الصديق .

ومن الغلمان على بن أبي طالب .

ومن النساء خديجة بنت خويلد زوجته عليه السلام .

-415-

ومن الموالى مولاة زيد بن حارثة الكلبى رضى الله عنهم
وأرضاهم .

وتقدم الكلام على إيمان ورقة بن نوفل بما وجد من
الوحي ومات في الفترة

رضى الله عنه .

فصل

في منع الجان ومردة الشياطين من استراق السمع حين
أنزل القرآن

لئلا يختطف أحدهم منه ولو حرفا واحدا فيلقيه على لسان
وليه

فيلتبس الامر ويختلط الحق

فكان من رحمة الله وفضله ولطفه بخلقه أن حجبهم عن
السماء ، كما قال الله تعالى

إخبارا عنهم في قوله : (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت
حرسا شديدا وسهبا . وأنا

كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجدله شهابا
رصدا ، وأنا لاندري أشر

أريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا) (1) .

وقال تعالى : (وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون . إنهم عن

السمع لمعزولون) (2) .

قال الحافظ أبونعيم : حدثنا سليمان بن أحمد ، وهو الطبراني ، حدثنا عبدالله بن

محمد بن سعيد بن أبي مریم ، حدثنا محمد بن يوسف الفريابي ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي

إسحاق ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس قال : كان الجن يصعدون إلى السماء

يستمعون الوحي ، فإذا حفظوا الكلمة زادوا فيها تسعا ، فأما الكلمة فتكون حقا ،

وأما ما زادوا فتكون باطلا .

* (هامش) * (1) سورة الجن . (2) سورة مریم . (*)

-416-

فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم ، فذكروا ذلك لابليس ،

ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك ، فقال لهم إبليس : هذا لامر قد حدث

في الارض .

فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلى بين جبلين ، فأتوه

فأخبروه فقال : هذا الامر الذى حدث في الارض .

وقال أبو عوانة : عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس . قال : انطلق

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين

وبين خبر السماء ارسلت عليهم الشهب ، فرجعت
الشياطين إلى قومهم فقالوا :

مالكم : قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا
الشهب . فقالو : ما ذاك إلا من

شئ حدث ، فاضربوا مشارق الارض ومغاريها .

فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة ، وهو بنخل عامدين إلى
سوق عكاظ ، وهو

يصلى بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا
له ، فقالوا : هذا الذى حال بيننا

وبين خبر السماء .

فرجعوا إلى قومهم فقالوا : (يا قومنا إنا سمعنا قرآنا
عجبا ، يهدى إلى الرشـد فأما

به ، ولن نشرك بربنا أحدا) فأوحى الله إلى نبيه صلى
الله عليه وسلم : (قل أوحى إلى

أنه استمع نفر من الجن فقالو إنا سمعنا قرآنا عجبا)

أخرجاه في الصحيحين .

وقال أبوبكر بن أبى شيبه : حدثنا محمد بن فضيل ، عن
عطاء بن السائب ، عن

سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس . قال : إنه لم تكن قبيلة
من الجن إلا ولهم مقاعد للسمع ،

فإذا نزل الوحي سمعت الملائكة صوتا كصوت الحديد
ألقيتها على الصفا .

-417-

قال : فإذا سمعت الملائكة خروا سجدا فلم يرفعوا
رءوسهم حتى ينزل ، فإذا نزل

قال بعضهم لبعض : ماذا قال ربكم ؟ فإن كان مما يكون في السماء قالوا : الحق وهو العلى

الكبير . وإن كان مما يكون في الارض من أمر الغيب أو موت أو شئ مما يكون

في الارض تكلموا به فقالوا : يكون كذا وكذا . فتسمعه الشياطين فينزلونه

على أوليائهم .

فلما بعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم دحروا بالنجوم ، فكان أول من علم بها

ثقيف . فكان ذو الغنم منهم ينطلق إلى غنمه فيذبح كل يوم شاة ، وذو الابل فينحر كل

يوم بعيرا ، فأسرع الناس في أموالهم . فقال بعضهم لبعض : لاتفعلوا ، فإن كانت النجوم

التي يهتدون بها ، وإلا فإنه لامر حدث . فنظروا فإذا النجوم التي يهتدى بها كما هي

لم يزل منها شئ ، فكفوا .

وَصرف الله الجن فسمعوا القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا .

وانطلقت الشياطين إلى إبليس فأخبروه . فقال : هذا حدث حدث في الارض ،

فأتونى من كل أرض بتربة فأتوه بتربة . تهامة فقال : هاهنا الحدث ورواه البيهقى والحاكم من طريق حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب .

وقال الواقدي : حدثنى أسامة بن زيد بن أسلم ، عن عمر بن عبدان العيسى ، عن

كعب قال : لم يرم بنجم منذ رفع عيسى حتى تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمى بها ،

فرأت قريش أمرا لم تكن تراه فجعلوا يسيبون أنعامهم
ويعتقون أرقاءهم يظنون أنه الفناء ،

فبلغ ذلك من فعلهم أهل الطائف ، ففعلت ثقيف مثل ذلك

فبلغ عبد ياليل بن عمرو ما صنعت ثقيف . قال : ولم
فعلتم ما أرى ؟ قالوا : رمى

بالنجوم فرأيناها تهافت من السماء . فقال : إن إفادة
المال بعد ذهابه شديد فلا تعجلوا

(27 - السيرة - 1)

-418-

وانظروا ، فإن تكن نجوما تعرف فهو عندنا من فناء
الناس (1) ، وإن كانت نجوما

لاتعرف فهو لامر قد حدث .

فنظروا فإذا هي لاتعرف ، فأخبروه ، فقال : الامر فيه
مهلة بعد ، هذا

عند ظهور نبي .

فما مكثوا إلا يسيرا حتى قدم عليهم أبوسفیان بن حرب
إلى أمواله ، فجاء عبد ياليل

فذاكره أمر النجوم ، فقال أبوسفیان : ظهر محمد بن
عبدالله يدعى أنه نبي مرسل . فقال

عبد ياليل : فعند ذلك رمى بها .

وقال سعيد بن منصور ، عن خالد بن حصين ، عن عامر
الشعبي قال : كانت النجوم

لايرمى بها حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فسيبوا أنعامهم وأعتقوا رقيقهم .

فقال عبد يا ليل : انظروا ، فإن كانت النجوم التى تعرف
فهو عند فناء الناس ، وإن

كانت لاتعرف فهو لامر قد حدث ، فنظروا فإذا هى
لاتعرف .

قال : فأمسكوا ، فلم يلبثوا إلا يسيرا حتى جاءهم خروج
النبي صلى الله عليه وسلم .

وروى البيهقى والحاكم من طريق العوفى عن ابن عباس
قال : لم تكن سماء الدنيا

تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما
وسلامه .

فلعل مراد من نفى ذلك أنها لم تكن تحرس حراسة
شديدة ، ويجب حمل ذلك

على هذا ، لما ثبت في الحديث من طريق عبدالرزاق ،
عن معمر ، عن الزهرى ، عن على

ابن الحسين ، عن ابن عباس رضى الله عنهما : بينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس

إذ رمى بنجم فاستنار فقال : (ما كنتم تقولون إذا رمى
بهذا ؟) قالوا : كنا نقول مات

* (هامش) * (1) الوفا : فهو عند فناء الناس . (*)

-419-

عظيم ، ولد عظيم . فقال : (لا ولكن .) فذكر الحديث
كما ذكرنا عند خلق

السماء وما فيها من الكواكب في أول بدء الخلق (1)
ولله الحمد .

وقد ذكر ابن إسحاق في السيرة قصة رمى النجوم ،
وذكر عن كبير ثقيف أنه

قال لهم في النظر في النجوم : إن كانت أعلام السماء أو غيرها . ولكن سماه عمرو بن أمية . فالله أعلم .

وقال السدي : لم تكن السماء تحرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو دين لله ظاهر ،

وكانت الشياطين قبل محمد صلى الله عليه وسلم قد اتخذت المقاعد في سماء الدنيا يستمعون

ما يحدث في السماء من أمر .

فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم نبيا رجموا ليلة من الليالي ، ففزع لذلك أهل

الطائف فقالوا : هلك أهل السماء ! لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب ،

فجعلوا يعتقدون أرقاءهم ، ويسبون مواشيهم . فقال لهم عبد يا ليل بن عمرو بن عمير :

ويحكم يا معشر أهل الطائف ! أمسكوا عن أموالكم وانظروا إلى معالم النجوم ، فإن

رأيتموها مستقرة في أمكنتها فلم يهلك أهل السماء ، وإنما هو من ابن أبي كبشة ، وإن

أنتم لم تروها فقد أهلك أهل السماء .

فنظروا فرأوها ، فكفوا عن أموالهم .

وفزعت الشياطين في تلك الليلة فأتوا إبليس فقال : ائتوبى من كل أرض بقبضة

من تراب . فأتوه فشم ، فقال : صاحبكم بمكة .

فبعث سبعة نفر من جن نصيبين فقدموا مكة فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

* (هامش) * (1) في الجزء الاول من البداية والنهاية .
(*

-420-

في المسجد الحرام يقرأ القرآن ، فدنوا منه حرصا على
القرآن حتى كادت كلا كلهم تصيبه

ثم أسلموا ، فأنزل الله أمرهم على نبيه صلى الله عليه
وسلم .

وقال الواقدي : حدثني محمد بن صالح عن ابن أبي حكيم
- يعنى إسحاق - عن عطاء

ابن يسار ، عن أبي هريرة قال : لما بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم أصبح كل صنم

منكسا ، فأتت الشياطين فقالوا له : ما على الارض من
صنم إلا وقد أصبح منكسا .

قال : هذا نبى قد بعث فالتمسوه في قرى الارياف .
فالتمسوه فقالوا : لم نجده . فقال :

أنا صاحبه . فخرج يلتمسه فنودى : عليك بجنبه الباب (1)
يعنى مكة - فالتمسه بها فوجد

بها عند قرن الثعالب ، فخرج إلى الشياطين فقال : إني
قد وجدته معه جبريل ، فما عندكم

قالوا : نزين الشهوات في عين أصحابه ونحببها إليهم . قال
: فلا أسى إذا .

وقال الواقدي : حدثني طلحة بن عمرو ، عن ابن أبي
ملكية ، عن عبدالله بن عمرو

قال : لما كان اليوم الذى تنبأ فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم منعت الشياطين من السماء

ورموا بالشهب ، فجاءوا إلى إبليس فذكروا ذلك له فقال :
أمر قد حدث ، هذا نبى قد

خرج عليكم بالارض المقدسة مخرج بنى إسرائيل .
قال : فذهبوا إلى الشام ثم رجعوا إليه فقالوا : ليس بها
أحد . فقال إبليس :
أنا صاحبه .

فخرج في طلبه بمكة ، فإذا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بحراء منحدرًا معه جبريل ،
فرجع إلى أصحابه فقال : قد بعث أحمد ومعه جبريل ،
فما عندكم ؟ قالوا : الدنيا نحبيها إلى
الناس . قال : فذاك إذا .

قال الواقدي : وحدثني طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، عن
ابن عباس قال : كانت

* (هامش) * (1) دلائل النبوة والوفا : عليك بحبة القلب
مكة . (*)

-421-

الشياطين يستمعون الوحي ، فلما بعث محمد صلى الله
عليه وسلم منعوا ، فشكوا ذلك إلى

.....

- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 421 سطر 1 الى ص
430 سطر 21

الشياطين يستمعون الوحي ، فلما بعث محمد صلى الله
عليه وسلم منعوا ، فشكوا ذلك إلى

إبليس فقال : لقد حدث أمر . فرق فوق أبي قبيس ، وهو
أول جبل وضع على وجه

الارض ، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى
خلف المقام . فقال : أذهب فأكسر

عنقه . فجاء يخطر وجبريل عنده ، فركضه جبريل ركضة
طرحه في كذا وكذا ، فولى

الشيطان هاربا .

ثم رواه الواقدي وأبو أحمد الزبيرى كلاهما عن رباح بن أبى
معروف ، عن قيس بن

سعد ، عن مجاهد . فذكر مثل هذا ، وقال : فركضه برجله
فرماه بعدن .

فصل

في كيفية إتيان الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم

قد تقدم كيفية ما جاءه جبريل في أول مرة ، وثانى مرة
أيضا .

وقال مالك : عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة
رضى الله عنها :

أن الحارث بن هشام سأل . رسول الله صلى الله عليه
وسلم . قال : يا رسول الله كيف

يأتيك الوحي ؟

فقال : (أحيانا يأتينى مثل صلصة الجرس ، وهو أشده
على ، فيفصم عنى وقد

وعيت ما قال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا يكلمنى
فأعى ما يقول) .

قالت عائشة رضى الله عنها : ولقد رأيتته صلى الله عليه
وسلم ينزل عليه الوحي في

اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا .

أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك به .

ورواه الامام أحمد عن عامر بن صالح ، عن هشام بن عروة به نحوه .

وكذا رواه عبدة بن سليمان وانس بن عياض عن هشام بن عروة .

وقد رواه أيوب السخيتاني عن هشام عن أبيه ، عن الحارث بن هشام أنه قال :

سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كيف يأتيك الوحي ؟ فذكره ،

ولم يذكر عائشة .

وفى حديث الافك قالت عائشة : فو الله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى

إنه كان يتحدر منه مثل الجمان من العرق ، وهو في يوم شات ، من ثقل الوحي الذي

نزل عليه .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبدالرزاق ، اخبرني يونس بن سليم ، قال أملى على

يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، عن عروة بن عبدالرحمن بن عبد القارى ، سمعت

عمر بن الخطاب يقول : كان إذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي يسمع عند

وجهه كدوى النحل ، وذكر تمام الحديث في نزول (قد أفلح المؤمنون) .

وكذا رواه الترمذى والنسائى من حديث عبدالرزاق .

ثم قال النسائي : منكر لانعرف أحدا رواه غير يونس بن سليم ، ولا نعرفه .

وفى صحيح مسلم وغيره من حديث الحسن ، عن حطان بن عبدالله الرقاشي ، عن

عبادة بن الصامت قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي كربه

ذلك وتريد وجهه . وفى رواية وغمض عينيه . وكنا نعرف ذلك منه .

وفى الصحيحين حديث زيد بن ثابت حين نزلت (لا يستوى القاعدون من

المؤمنين) فلما شكى ابن أم مكتوم ضرارته نزلت (غير أولى الضرر) .

-423-

قال : وكانت فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذى وأنا أكتب ، فلما نزل

الوحي كادت فخذة ترض فخذى .

وفى صحيح مسلم من حديث همام بن يحيى ، عن عطاء ، عن يعلى بن أمية . قال قال

لى عمر : أيسرك أن تنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوحى إليه ؟ فرفع

طرف الثوب عن وجهه وهو يوحى إليه بالجعرانة ، فإذا هو محمر الوجه . وهو يغط

كما يغط البكر (1) .

وثبت في الصحيحين من حديث عائشة لما نزل الحجاب ، وأن سودة خرجت بعد

ذلك إلى المناصع ليلا ، فقال عمر : قد عرفناك يا سودة .
فرجعت إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم فسألته وهو جالس يتعشى والعرق في يده ،
فأوحى الله إليه والعرق في يده ،

ثم رفع رأسه فقال : (إنه قد أذن لكن أن تخرجن
لحاجتك) .

فدل هذا على أنه لم يكن الوحي يغيب عنه إحساسه
بالكلية ، بدليل أنه جالس

ولم يسقط العرق أيضا من يده صلوات الله وسلامه دائما
عليه .

وقال أبوداود الطيالسي : حدثنا عباد بن منصور ، حدثنا
عكرمة ، عن ابن عباس

قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه
الوحي تبرد لذلك جسده ووجهه
وأمسك عن أصحابه ولم يكلمه أحد منهم .

وفى مسند أحمد وغيره من حديث ابن لهيعة حدثني يزيد
بن أبي حبيب ، عن

عمرو بن الوليد ، عن عبدالله بن عمرو قلت : يا رسول
الله هل تحس بالوحي ؟ قال :

(نعم أسمع صلاصل ثم أثبت عند ذلك ، وما من مرة
يوحي إلى إلا ظننت أن نفسى

تفيظ (2) منه) .

وقال أبويعلى الموصلى : حدثنا إبراهيم بن الحجاج ، حدثنا
عبدالواحد بن زياد ، حدثنا

* (هامش) * (1) البكر : ولد الناقة ، أو الفتى منها . (2)
(تفيظ : تقبض .) * ()

عاصم بن كليب ، حدثنا أبى ، عن خاله العليان بن عاصم
قال : كنا عند رسول الله

صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه ، وكان إذا أنزل عليه
دام بصره وعيناه مفتوحة وفرغ

سمعه وقلبه لما يأتيه من الله عزوجل .

وروى أبونعيم من حديث قتيبة ، حدثنا على بن غراب ،
عن الاحوص بن حكيم ،

عن أبى عوانة ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة
قال : كان رسول الله صلى الله عليه

وسلم إذا نزل عليه الوحي صدع وغلف رأسه بالحناء .

هذا حديث غريب جدا

وقال الامام أحمد : حدثنا أبوالنضر ، حدثنا أبو معاوية سنان
، عن ليث ، عن

عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد قالت : إنى
لأخذة بزمام العضباء ناقة

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ نزلت عليه المائدة
كلها ، وكادت من ثقلها تدق

عضد الناقة .

وقد رواه ابونعيم من حديث الثورى عن ليث بن أبى سليم
به .

وقال الامام أحمد أيضا : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ،
حدثنى جبر بن

عبدالله ، عن أبى عبدالرحمن الحبلى ، عن عبدالله بن
عمرو قال : أنزلت على رسول الله

صلى الله عليه وسلم سورة المائدة وهو راكب على راحلته ، فلم تستطع أن تحمله

فنزل عنها .

وروى ابن مردويه من حديث صباح بن سهل ، عن عاصم الاحول ، حدثنى

أم عمرو ، عن عمها أنه كان في مسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت عليه سورة

المائدة ، فاندق عنق الراحلة من ثقلها .

وهذا غريب من هذا الوجه .

ثم قد ثبت في الصحيحين نزول سورة الفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم

-425-

مرجعه من الحديدية ، وهو على راحلته . فكان يكون تارة وتارة بحسب الحال

والله أعلم .

وقد ذكرنا أنواع الوحي إليه صلى الله عليه وسلم أول شرح البخارى وما ذكره

الحليمى وغيره من الائمة رضى الله عنهم .

فصل

قال الله تعالى : (لا تحرك به لسانك لتعجل به ، إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا

قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم إن علينا بيانه (1)) .

وقال تعالى : (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه ، وقل رب

زدنى علما (2)) .

وكان هذا في الابتداء ، كان عليه السلام من شدحرصه
على أخذه من الملك ما يوحى

إليه عن الله عزوجل ليساوقه في التلاوة ، فأمره الله
تعالى أن ينصت لذلك حتى يفرغ

من الوحي ، وتكفل له أن يجمعه في صدره ، وأن ييسر
عليه تلاوته وتبليغه ، وأن

يبينه له ويفسر هو يوضحه ، وبوقفه على المراد منه .

ولهذا قال (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك
وحيه وقل رب

زدنى علما) .

وقال : (لاتحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه) أى
في صدرك (وقرآنه)

أى وأن تقرأه (فإذا قرأناه) أى تلاه عليك الملك (فاتبع
قرآنه) أى فاستمع له وتدبره

(ثم إن علينا بيانه) وهو نظير قوله : (وقل رب زدنى
علما) .

وفى الصحيحن من حديث موسى بن أبى عائشة ، عن
سعيد بن جبير ، عن ابن

عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج
من التنزيل شدة ، فكان يحرك

* (هامش) * (1) سورة القيامة 16 - 19 . (2) سورة
طه 114 (*)

-426-

شفتيه ، فأنزل الله (لاتحرك به لسانك لتعجل به إن علينا
جمعه وقرآنه) قال : جمعه

في صدرك ثم تقرأه (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) فاستمع له وأنصت (ثم إن علينا

بيانه) قال : فكان إذا أتاه جبريل أطرق ، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله عزوجل .

فصل

قال ابن إسحاق : ثم تتابع الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مصدق

بما جاءه منه ، وقد قبله بقبوله وتحمل منه ما حملة ، على رضا العباد وسخطهم .

وللنبوة أثقال ومؤنة لا يحملها ولا يستضع بها إلا أهل القوة والعزم من الرسل ،

بعون الله وتوفيقه لما يلقون من الناس ، وما يرد عليهم مما جاءوا به عن

الله عزوجل .

فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما أمر الله ، على ما يلقي من قومه من

الخلاف والاذى .

قال ابن إسحاق : وآمنت خديجة بنت خويلد وصدقت بما جاءه من الله ووازرته

على أمره .

وكانت أول من آمن بالله ورسوله ، وصدقت بما جاء منه .

فخفف الله بذلك عن رسوله ، لا يسمع شيئاً يكرهه من رد عليه ، ، وتكذيب

له فيحزنه ذلك ، إلا فرج الله عنه بها ، إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه ، وتصدقته

وتهون عليه أمر الناس ، رضى الله عنها وارضاهها .
قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عروة عن أبيه ، عن
عبدالله بن جعفر قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أمرت أن أبشر
خديجة بيت من قصب ، لاصخب
فيه ولا نصب) .

-427-

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث هشام .
قال ابن هشام : القصب هاهنا اللؤلؤ المجوف .
قال ابن إسحاق : وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يذكر جميع ما أنعم الله
به عليه وعلى العباد من النبوة سرا إلى من يطمئن إليه
من أهله .
وقال موسى بن عقبة عن الزهري : كانت خديجة أول من
آمن بالله وصدق رسوله ،
قبل أن تفرض الصلاة .
قلت : يعنى الصلوات الخمس ليلة الاسراء ، فأما أصل
الصلاة فقد وجب في حياة
خديجة رضى الله عنها كما سنبينه .
وقال ابن إسحاق : وكانت خديجة أول من آمن بالله
ورسوله ، وصدق
بما جاء به .

ثم إن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
افترضت عليه الصلاة فهمز

له بعقبه في ناحية الوادى فانفجرت له عين من ماء زمزم ، فتوضأ جبريل ومحمد

عليهما السلام ، ثم صلى ركعتين وسجد أربع سجعات ، ثم رجع النبي صلى الله عليه

وسلم وقد أقر الله عينه ، وطابت نفسه ، وجاءه ما يحب من الله ، فأخذ يد خديجة حتى

أتى بها إلى العين ، فتوضأ كما توضأ جبريل ، ثم ركع ركعتين وأربع سجعات ، ثم كان

هو وخديجة يصليان سرا .

قلت : صلاة جبريل هذه غير الصلاة التي صلاها به عند البيت مرتين

فبين له أوقات الصلوات الخمس ، أولها وآخرها ، فإن ذلك كان بعد فرضيتها

ليلة الاسراء .

وسياتى بيان ذلك إن شاء الله وبه الثقة ، وعليه التكلان .

-428-

فصل

في ذكر أول من أسلم ، ثم ذكر متقدمى الاسلام من الصحابة وغيرهم

قال ابن إسحاق : ثم إن على بن أبى طالب رضى الله عنه جاء بعد ذلك بيوم وهما

يصليان ، فقال على : يا محمد ما هذا ؟ قال : دين الله اصطفى لنفسه ، وبعث به

رسله فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، وإلى عبادته ، وأن تكفر

باللات والعزى .

فقال على : هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم ، فلست بقاض أمرا حتى أحدث

به أبا طالب .

فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفشى عليه سره قبل أن يستعلن أمره .

فقال له : يا على إذ لم تسلم (1) فإتكم . فمكث على تلك الليلة ، ثم إن الله أوقع في قلب

على الاسلام ، فأصبح غاديا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه فقال : ماذا

عرضت على يا محمد ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تشهد أن لا إله إلا

الله وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزى ، وتبرأ من الانداد) ففعل على

وأسلم ، ومكث يأتيه على خوف من أبي طالب ، وكنتم على إسلامه ولم يظهره . وأسلم ابن

حارثة ، يعنى زيدا ، فمكثا قريبا من شهر ، يختلف على إلى رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، وكان مما أنعم الله به على على أنه كان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم

قبل الاسلام .

* (هامش) * (1) في ا : إذ لم تسمع فإتكم . (*)

-429-

قال ابن اسحاق : حدثني ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : وكان مما أنعم الله به على

على أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبوطالب ذا عيال كثيرة ، فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم لعمة العباس ، وكان من أيسر بنى هاشم : (يا عباس إن أخاك أبا طالب

كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الازمة ، فانطلق حتى نخف عنه من عياله)

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فضمه إليه ، فلم يزل مع رسول الله صلى الله عليه

وسلم حتى بعثه الله نبيا ، فاتبعه على وآمن به وصدقه .

وقال يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني يحيى بن أبي الأشعث

الكندى من أهل الكوفة ، حدثني إسماعيل بن أبي إياس بن عفيف ، عن أبيه ، عن

جده عفيف ، وكان عفيف أخا الأشعث بن قيس لأمه ، أنه قال : كنت أمرا

تاجرا فقدمت منى أيام الحج ، وكان العباس بن ع بدالمطلب أمرا تاجرا ، فأتيته

أبتاع منه وأبيعه .

قال : فبينما نحن إذ خرج رجل من خباء فقام يصلى تجاه الكعبة ، ثم خرجت امرأة

فقامت تصلى وخرج غلام فقام يصلى معه . فقلت : يا عباس ما هذا الدين ؟ إن هذا

الدين ما ندرى ما هو !

فقال : هذا محمد بن عبدالله ، يزعم أن الله أرسله ، وأن كنوز كسرى وقيصر

ستفتح عليه ، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به ، وهذا الغلام ابن عمه على بن

أبي طالب آمن به .

قال عفيف : فليتني كنت آمنت بومئذ فكنت أكون ثانيا !

وتابعه إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق ، وقال في
الحديث : إذ خرج رجل

430

من خباء قريب منه ، فنظر إلى السماء فلما رآها قد
مالت قام يصلى . ثم ذكر قيام

خديجة وراءه .

وقال ابن جرير : حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، حدثنا
سعيد بن خثيم ، عن أسد

ابن عبدة البجلي ، عن يحيى بن عفيف قال : جئت زمن
الجاهلية إلى مكة ، فنزلت

على العباس بن ع بدالمطلب ، فلما طلعت الشمس
وحلقت في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة

أقبل شاب فرمى ببصره إلى السماء ، ثم استقبل الكعبة
فقام مستقبلا ، فلم يلبث حتى

جاء غلام فقام عن يمينه ، فلم يلبث حتى جاءت امرأة
فقامت خلفهما ، فركع

الشاب فركع الغلام والمرأة ، فرفع الشاب فرفع الغلام
والمرأة ، فخر الشاب ساجدا

فسجدا معه .

فقلت : يا عباس أمر عظيم !

فقال : أمر عظيم . فقال : أتدرى من هذا ؟ فقلت : لا .
فقال : هذا محمد بن

عبدالله بن ع بدالمطلب ابن أخي . أتدرى من الغلام ؟
قلت : لا . قال : هذا علي بن أبي

طالب - رضى الله عنه - أتدرى من هذه المرأة التى خلفهما ؟ قلت : لا . قال : هذه

خديجة بنت خويلد زوجة ابن أختى .

وهذا حدثنى أن ربك رب السماء والارض أمره بهذا الذى تراهم عليه ، وايم الله

ما أعلم على ظهر الارض كلها أحدا على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة .

وقال ابن جرير : حدثنى ابن حميد ، حدثنا عيسى بن سودة بن أبى الجعد ،

حدثنا محمد بن المنكدر وربيعة بن أبى عبدالرحمن وابوحازم والكلبى . قالوا : على

أول من أسلم .

قال الكلبى : أسلم وهو ابن تسع سنين .

-431-

وحدثنا ابن حميد ، حدثنا سلمة عن ابن اسحاق . قال : أول ذكر آمن برسول الله

.....
- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 431 سطر 1 الى ص 440 سطر 21

وحدثنا ابن حميد ، حدثنا سلمة عن ابن اسحاق . قال : أول ذكر آمن برسول الله

صلى الله عليه وسلم معه وصدقه على بن أبى طالب ، وهو ابن عشر سنين وكان فى

حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الاسلام .

قال الواقدى : أخبرنا إبراهيم ، عن نافع ، عن ابن أبى نجيع ، عن مجاهد قال : أسلم

على وهو ابن عشر سنين .

قال الواقدي : وأجمع أصحابنا على أن عليا أسلم بعد ما
تنبأ رسول الله بسنة .

وقال محمد بن كعب : أول من أسلم من هذه الامة
خديجة ، وأول رجلين أسلما ابوبكر

وعلى ، وأسلم على قبل أبي بكر ، وكان على يكتم
إيمانه خوفا من أبيه ، حتى لقيه أبوه

قال : أسلمت ؟ قال : نعم . قال : وازر ابن عمك وانصره

قال وكان ابوبكر الصديق أول من أظهر الاسلام .

وروى ابن جرير في تاريخه من حديث شعبة عن أبي بلج
، عن عمرو بن ميمون ،

عن ابن عباس . قال : أول من صلى على .

وحدثنا عبدالحميد بن يحيى ، حدثنا شريك ، عن عبدالله
بن محمد بن عقيل ، عن

جابر . قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين
وصلى على يوم الثلاثاء . وروى

سمعت زيد بن أرقم يقول : أول من أسلم مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم على بن

أبي طالب .

قال : فذكرته للنخعي فأنكره . وقال : أبوبكر أول من
أسلم .

ثم قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، حدثنا العلاء ، عن
المنهال بن عمرو ، عن عباد

ابن عبدالله ، سمعت عليا يقول : أنا عبدالله وأخو رسوله
، وأنا الصديق الاكبر ،

لا يقولها بعدى إلا كاذب مفتر ، صليت قبل الناس بسبع سنين .

وهكذا رواه ابن ماجه عن محمد بن إسماعيل الرازى ، عن عبيد الله بن موسى الفهمى

- وهو شيعى من رجال الصحيح - عن العلاء بن صالح الازدى الكوفى - وثقوه -

ولكن قال أبوحاتم : كان من عتق الشيعة - وقال على بن المدينى : روى أحاديث

مناكير ، والمنهال بن عمرو ثقة ، وأما شيخه عناد بن عبدالله - وهو الاسدى الكوفى -

فقد قال فيه على بن المدينى : هو ضعيف الحديث ، وقال البخارى : فيه نظر . وذكره ابن

حبان في الثقات .

وهذا الحديث منكر بكل حال ، ولايقوله على رضى الله عنه ، وكيف يمكن أن

يصلى قبل الناس بسبع سنين ؟ ! هذا لا يتصور أصلا . والله أعلم .

وقال آخرون : أول من أسلم من هذه الامة أبوبكر الصديق .

والجمع بين الاقوال كلها : أن خديجة أول من أسلم من النساء ، وظاهر السياقات

- وقبل الرجال أيضا -

وأول من أسلم من الموالى زيد بن حارثة .

وأول من أسلم من الغلمان على بن أبى طالب ، فإنه كان صغيرا دون البلوغ على

المشهور ، وهؤلاء كانوا إذا ذاك أهل البيت .
وأول من أسلم من الرجال الاحرار أبوبكر الصديق ،
وإسلامه كان أنفع من إسلام
من تقدم ذكرهم إذ كان صدرا معظما ، ورئيسا في قريش
مكرما ، وصاحب مال ،
وداعية إلى الاسلام ، وكان محبا متألفا يبذل المال في
طاعة الله رسوله . كما
سيأتى تفصيله .

قال يونس عن ابن اسحاق : ثم إن أبا بكر الصديق لقي
رسول الله صلى الله عليه وسلم
433

فقال : أحق ما تقول قريش يا محمد ؟ من تركك آلهتنا ،
وتسفيهاك عقولنا ،
وتكفيرك آباءنا ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بلى ، إني
رسول الله ونبيه ، بعثني لابلغ رسالته
وأدعوك إلى الله بالحق ، فوالله إنه للحق ، أدعوك يا
أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له ،
ولاتعبد غيره والموالاة على طاعته) .
وقرأ عليه القرآن ، فلم يقر ولم ينكر .
فأسلم وكفر بالاصنام ، وخلع الانداد وأقر بحق الاسلام ،
ورجع أبوبكر وهو
مؤمن مصدق .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن عبدالرحمن بن عبدالله
بن الحصين التميمي ، أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما دعوت أحدا
إلى الاسلام إلا كانت عنده كبوة

وتردد ونظر ، إلا أبا بكر ، ما عكم عنه حين ذكرته ، ولا
تردد فيه) .

عكم : أى تلبث .

وهذا الذى ذكره ابن اسحاق في قوله : (فلم يقر ولم
ينكر) منكر ، فإن

ابن إسحاق وغيره ذكروا أنه كان صاحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم قبل البعثة ،

وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سجيته وكرم أخلاقه
ما يمنعه من الكذب على

الخلق فكيف يكذب على الله ؟

ولهذا بمجرد ما ذكر له أن الله أرسله بادر إلى تصديقه
ولم يتلعثم ، ولا عكم .

وقد ذكرنا كيفية إسلامه في كتابنا الذى أفردناه في سيرته
، وأوردنا فضائله وشمائله

وأتبنا ذلك بسيرة الفاروق أيضا ، وأوردنا ما رواه كل
منهما عن النبى صلى الله عليه وسلم

(28 - السيرة - 1)

-434-

من الاحاديث ، وما روى عنه من الآثار والاحكام والتفاوى
، فبلغ ذلك ثلاث مجلدات

ولله الحمد والمنة .

وقد ثبت في صحيح البخارى عن أبى الدرداء في حديث
ما كان بين أبى بكر وعمر

رضى الله عنهما من الخصومة ، وفيه : فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : (إن الله بعثنى
إليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر : صدق . وواسانى بنفسه
وماله فهل أنتم تاركولى

صاحبى) مرتين . فما أودى بعدها .

وهذا كالنص على أنه أول من أسلم رضى الله عنه .

وقد روى الترمذى وابن حبان من حديث شعبة عن سعيد
الجريرى ، عن أبى نضرة

عن أبى سعيد . قال : قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه
: ألسن أحق الناس بها ،

ألسن أول من اسلم ، ألسن صاحب كذا ؟

وروى ابن عساكر من طريق بهلول بن عبيد ، حدثنا
أبو إسحاق السبيعى عن

الحارث ، سمعت عليا يقول : أول من أسلم من الرجال
أبو بكر الصديق ، وأول من صلى

مع النبى صلى الله عليه وسلم من الرجال على بن أبى
طالب .

وقال شعبة : عن عمرو بن مرة ، عن أبى حمزة ، عن
زيد بن أرقم قال : أول من

صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق .

رواه أحمد والترمذى والنسائى من حديث شعبة ، وقال
الترمذى : حسن صحيح .

وقد تقدم رواية ابن جرير لهذا الحديث من طريق شعبة ،
عن عمرو بن مرة ، عن

أبى حمزة ، عن زيد بن أرقم قال : أول من أسلم على بن أبى طالب .

قال عمرو بن مرة : فذكرته لابراهيم النخعي فأنكره ، وقال : أول من أسلم أبوبكر

الصديق رضى الله عنه

-435-

وروى الواقدي بأسانيده عن أبى أروى الدوسى وأبى مسلم بن عبدالرحمن في جماعة

من السلف : أول من أسلم أبوبكر الصديق .

وقال يعقوب بن سفيان حدثنا أبوبكر الحميدى ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن مالك

ابن مغول عن رجل قال : سئل ابن عباس : من أول من آمن ؟ فقال : أبوبكر الصديق ،

أما سمعت قول حسان :

- إذا تذكرت شجوا من أختى ثقة * فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا -

- خير البرية أوفاه وأعدلها * بعد النبى وأولاها بما حملا -

- والتالى الثانى المحمود مشهده * وأول الناس منهم صدق الرسلا -

- عاش حميدا لامر لله متبعا * بأمر صاحبه الماضى وما انتقلا -

وقد رواه أبوبكر بن أبى شيبه ، حدثنا شيخ لنا عن مجالد ، عن عامر قال : سألت

ابن عباس - أو سئل ابن عباس - أى الناس أول إسلاما ؟ قال : أما سمعت قول حسان

ابن ثابت فذكره .

وهكذا رواه الهيثم بن عدى ، عن مجالد عن عامر الشعبي ، سألت ابن

عباس فذكره .

وقال أبو القاسم البغوي : حدثني سريح بن يونس ، حدثنا يوسف بن الماجشون

قال : أدركت مشيختنا منهم محمد بن المنكدر ، وربيعة بن أبى عبدالرحمن ،

وصالح بن كيسان ، وعثمان بن محمد ، لايشكون أن أول القوم إسلاما أبوبكر الصديق

رضى الله عنه .

قلت : وهكذا قال إبراهيم النخعي ، ومحمد بن كعب ، ومحمد بن سيرين ، وسعد بن

إبراهيم ، وهو المشهور عن جمهور أهل السنة .

436

وروى ابن عساكر عن سعد بن أبى وقاص ومحمد بن الحنفية أنهما قالا : لم يكن

أولهم إسلاما ، ولكن كان أفضلهم إسلاما .

قال سعد : وقد آمن قبله خمسة .

وثبت في صحيح البخارى من حديث همام بن الحارث ، عن عمار بن ياسر قال : رأيت

رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه إلا خمسة أعبد ، وامرأتان ، وأبوبكر .

وروى الامام أحمد وابن ماجه من حديث عاصم بن أبى النجود ، عن زر ، عن ابن

مسعود قال : أول من أظهر الاسلام سبعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبوبكر ،

وعمار ، وأمه سمية ، وصهيب ، وبلا ، والمقداد .
فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه ،
وأما أبوبكر فمنعه الله بقومه ،
وأما سائرهم فأخذهم المشركون فلبسوهم أدرع الحديد
وصهروهم في الشمس ، فما منهم من
أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا ، إلا بلالا فإنه هانت
عليه نفسه في الله ، وهان

على قومه ، فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به
في شعاب مكة وهو يقول :
أحد أحد .

وهكذا رواه الثوري عن منصور عن مجاهد مرسلا .
فأما ما رواه ابن جرير قائلا : أخبرنا ابن حميد ، حدثنا
كنانة بن جبلة عن
إبراهيم بن طهمان ، عن حجاج ، عن قتادة ، عن سالم
بن أبي الجعد ، عن محمد بن
سعد بن أبي وقاص قال : قلت لابي : أكان أبوبكر أولكم
إسلاما ؟ قال : لا ،
ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين ، ولكن كان أفضلنا
إسلاما .

فإنه حديث منكر إسنادا ومتنا .
قال ابن جرير : وقال آخرون : كان أول من أسلم زيد بن
حارثة ، ثم روى من

-437-

طريق الواقدي عن ابن أبي ذئب ، سألت الزهري : من
أول من أسلم من النساء ؟ قال :

خديجة . قلت : فمن الرجال ؟ قال : زيد بن حارثة .
وكذا قال عروة وسليمان بن يسار وغير واحد : أول من
أسلم من الرجال زيد
ابن حارثة .

وقد أجاب أبوحنيفة رضى الله عنه بالجمع بين هذه الاقوال
بأن أول من أسلم من

الرجال الاحرار أبوبكر ، ومن النساء خديجة ، ومن الموالى
زيد بن حارثة ، ومن الغلمان

على بن أبى طالب . رضى الله عنهم أجمعين .

قال محمد بن إسحاق : فلما أسلم أبوبكر وأظهر إسلامه
دعا إلى الله عزوجل .

وكان أبوبكر رجلا مألفا لقومه محبا سهلا ، وكان أنسب
قريش لقريش ، وأعلم

قريش بما كان فيها من خير وشر . وكان رجلا تاجرا ذا
خلق ومعروف .

وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الامر ،
لعلمه وتجارته

وحسن مجالسته .

فجعل يدعو إلى الاسلام من وثق به من قومه ممن
يغشاه ويجلس إليه .

فأسلم على يديه فيما بلغنى : الزبير بن العوام ، وعثمان
بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ،

وسعد بن أبى وقاص ، و عبدالرحمن بن عوف رضى الله
عنهم .

فانطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم
أبوبكر ، فعرض عليهم الاسلام

وقرأ عليهم القرآن ، وأنبأهم بحق الاسلام فآمنوا .
وكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا في الاسلام ، -
فصلوا و (1) - صدقوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وآمنوا بما جاء من عند الله .
* (هامش) * (1) من ابن هشام . ويلاحظ أن لفظ ابن
هشام مختلف عما هنا كثيرا . (*)

-438-

وقال محمد بن عمر الواقدي : حدثني الضحاك بن عثمان ،
عن مخرمة بن سليمان الوالبي
عن إبراهيم بن محمد بن أبي طلحة قال : قال طلحة بن
عييد الله : حضرت سوق بصرى ،
فإذا راهب في صومعته يقول : سلوا أهل الموسم : أفيهم
رجل من أهل الحرم ؟
قال طلحة : قلت : نعم أنا . فقال : هل ظهر أحمد بعد ؟
قلت : ومن أحمد ؟ قال :
ابن عبدالله بن ع بدالمطلب ، هذا شهره الذى يخرج فيه
، وهو آخر الانبياء ، مخرجه
من الحرم ، ومهاجره إلى نخل وحره وسباخ ، فإياك أن
تسبق إليه .
قال طلحة : فوقع في قلبى ما قال ، فخرجت سريعا حتى
قدمت مكة ، فقلت :
هل كان من حديث ؟ قالوا : نعم ، محمد بن عبدالله
الامين قد تنبأ ، وقد اتبعه أبوبكر
ابن أبى قحافة .
قال : فخرجت حتى قدمت على أبى بكر ، فقلت : اتبعت
هذا الرجل ؟ قال : نعم ،

فانطلق إليه فادخل عليه فاتبعه ، فإنه يدعو إلى الحق .
فأخبره طلحة بما قال الراهب .

فخرج أبوبكر بطلحة فدخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم طلحة ،

وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال الراهب ،
فسر بذلك .

فلما أسلم أبوبكر وطلحة أخذهما نوفل بن خويلد بن
العدوية ، وكان يدعى أسد

قريش ، فشدهما في حبل واحد ، ولم يمنعهما بنو تيم ،
فلذلك سمى أبوبكر وطلحة

القرينين . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (اللهم اكفنا
شر ابن العدوية) . رواه البيهقي .

وقال الحافظ أبو الحسن خيثمة بن سليمان الاطرابلسي :
حدثنا عبيد الله بن محمد

ابن عبدالعزيز العمري قاضى المصيصة ، حدثنا أبوبكر
عبدالله بن عبيد الله بن إسحاق بن

محمد بن عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله ،
حدثنى أبى عبيد الله ، حدثنى عبدالله

-439-

- بن محمد - بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة ،
قال حدثنى أبى محمد بن عمران ،

عن القاسم بن محمد بن أبى بكر ، عن عائشة رضى الله
عنها قالت : خرج أبوبكر يريد

رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له صديقا في
الجاهلية ، فلقيه فقال : يا أبا القاسم

فقدت من مجالس قومك ، واتهموك بالغيب لآبائها وأمهاتها

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إني رسول الله
أدعوك إلى الله) فلما فرغ

كلامه أسلم أبوبكر ، فانطلق عنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما بنى الاخشبين أحد
أكثر سرورا منه بإسلام أبي بكر .

ومضى أبوبكر فراح لعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله
والزبير بن العوام وسعد
ابن أبي وقاص فأسلموا .

ثم جاء الغد بعثمان بن مظعون ، وأبى عبيدة بن الجراح ،
و عبدالرحمن بن عوف ،
وأبى سلمة بن عبدالاسد ، والارقم بن أبى الارقم ،
فأسلموا رضى الله عنهم .

قال عبدالله بن محمد : فحدثني أبى محمد بن عمران ،
عن القاسم بن محمد ، عن عائشة

شقاقت : لما اجتمع أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم
وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا ألح أبوبكر

على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهور ، فقال
: (يا أبا بكر إنا قليل) .

فلم يزل أبوبكر يلح حتى ظهر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وتفرق المسلمون في

نواحي المسجد كل رجل في عشيرته ، وقام أبوبكر في
الناس خطيبا ، ورسول الله صلى

الله عليه وسلم جالس ، فكان أول خطيب دعا إلى الله
وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ،

وثار المشركون على أبى بكر وعلى المسلمين فضربوا في
نواحي المسجد ضربا شديدا ، ووطئ

أبوبكر وضرب ضربا شديدا ، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين

مخصوفتين ويحرفهما لوجهه ، ونزا على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه

من أنفه .

440

وجاء بنو تيم يتعادون فأجلت المشركين عن أبي بكر ، وحملت بنو تيم أبا بكر في

ثوب حتى أدخلوه منزله ولايشكون في موته ، ثم رجعت بنو تيم فدخلو المسجد وقالوا :

والله لئن مات أبوبكر لنقتلن عتبة بن ربيعة .

فرجعوا إلى أبي بكر ، فجعل أبوقحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب ، فتكلم

آخر النهار فقال : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فمسوا منه بالسنتهم وعدلوه ،

ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير : انظري أن تطعميه شيئا أو تسقيه إياه ؟ . فلما خلت به ألحت

عليه وجعل يقول : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : والله مالى علم

بصاحبك . فقال : اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسألها عنه .

فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت : إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبدالله ؟

فقالت : ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبدالله ، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى

ابنك . قالت : نعم . فمضت معها حتى وجدت أبا بكر
صريعا دنفا ، فدنت أم جميل

وأعلنت بالصياح وقالت والله إن قوما نالوا هذا منك لاهل
فسق وكفر ، وإنى لارجو أن
ينتقم الله لك منهم .

قال : فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت
: هذه أمك تسمع .

قال : فلا شئ عليك منها . قالت : سالم صالح . قال : اين
هو ؟ قالت : في دار

ابن الارقم .

قال : فإن لله على أن لا أذوق طعاما ولا أشرب شرابا أو
أتى رسول الله صلى الله

عليه وسلم .

فأمهلتا حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس ، خرجتا به
يتكئ عليهما حتى أدخلتاه

على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال فأكب عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله

-441-

وأكب عليه المسلمون ، ورق له رسول الله صلى الله
عليه وسلم رقة شديدة .

.....

- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 441 سطر 1 الى ص
450 سطر 22

وأكب عليه المسلمون ، ورق له رسول الله صلى الله
عليه وسلم رقة شديدة .

فقال أبوبكر : بأبى وأمى يا رسول الله ، ليس بى بأس
إلا مانال الفاسق من وجهى ،

وهذه أمى برة بولدها ، وأنت مبارك فادعها إلى الله ،
وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها

بك من النار .

قال : فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاها
إلى الله فأسلمت .

وأقاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدار
شهرًا وهم تسعة

وثلاثون رجلا .

وقد كان حمزة بن ع بدالمطلب أسلم يوم ضرب أبوبكر .

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب
- أو لابی جهل بن هشام -

فأصبح عمرو كانت الدعوة يوم الاربعاء ، فأسلم عمر يوم
الخميس ، فكبر رسول الله صلى

الله عليه وسلم وأهل البيت تكبيرة سمعت بأعلى مكة .

وخرج أبوالارقم ، وهو أعمى كافر ، وهو يقول : اللهم
اغفر لبنى عبید الارقم

فإنه كفر .

فقام عمر فقال : يا رسول الله علام نخفى ديننا ونحن
على الحق ، ويظهر دينهم وهم

على الباطل ؟ قال : (يا عمر إنا قليل قد رأيت ما لقينا
). (

فقال عمر : فو الذى بعثك بالحق لايبقى مجلس جلست
فيه بالكفر إلا أظهرت

فيه الايمان .

ثم خرج فطاف بالبيت ، ثم مر بقريش وهى تنتظره ،
فقال أبو جهل بن هشام :

يزعم فلان أنك صبات ؟ فقال عمر : أشهد أن لا إله إلا
الله وحده لا شريك له وأن محمدا

عبده ورسوله .

-442-

فوثب المشركون إليه ، ووثب على عتبة فبرك عليه وجعل
يضره ، وأدخل إصبعه

في عينه ، فجعل عتبة يصيح ، فتنحى الناس ، فقام عمر
فجعل لا يدنو منه أحد إلا أخذ

بشريف ممن دنا منه ، حتى أعجز الناس . واتب المجالس
التي كان يجالس فيها

فيظهر الايمان .

ثم انصرف إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو ظاهر
عليهم ، قال : ما عليك ، بأبى

وأبى . والله ما بقى مجلس كنت أجلس فيه بالكفر إلا
أظهرت فيه الايمان غير

هائب ولا خائف .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج عمر أمامه
وحمزة بن ع بدالمطلب ، حتى

طاف بالبيت وصلى الظهر مؤمنا ، ثم انصرف إلى دار
الارقم ومعه عمر ، ثم انصرف

عمر وحده ، ثم انصرف النبي صلى الله عليه وسلم .

والصحيح أن عمر إنما أسلم بعد خروج المهاجرين إلى
أرض الحبشة ، وذلك في السنة

السادسة من البعثة . كما سيأتى في موضعه إن شاء الله

وقد استقصينا ؟ كيفية إسلام أبى بكر وعمر رضى الله
عنهما في كتاب سيرتهما على

انفرادها ، وبسطنا القول هنا لك ولله الحمد .

وثبت في صحيح مسلم (1) من حديث أبى أمامة عن
عمرو بن عبسة السلمى رضى الله عنه

قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول ما
بعث وهو بمكة ، وهو حينئذ مستخف

فقلت : ما أنت ؟ قال : أنا نبى . فقلت : وما النبى ؟ قال
: رسول الله . قلت : الله

أرسلك ؟ قال : نعم . قلت : بم أرسلك ؟ قال : بأن تعبد
الله وحده لا شريك له وتكسر

الاصنام ، وتوصل الارحام . قال : قلت : نعم ما أرسلك به
، فمن تبعك على هذا ؟ قال :

حر وعبد . يعنى أبا بكر وبلا .

* (هامش) * (1) إسلام عمرو بن عبسة ؟ في صحيح
مسلم 1 / 569 حديث رقم 832 ولفظه مطول مختلف .
(*)

-443-

قال فكان عمرو يقول : لقد رأيتنى وأنا ربع الاسلام .

قال : فأسلمت . قلت : فأتبعك يا رسول الله ؟ قال : لا
ولكن الحق بقومك ، فإذا

أخبرت أنى قد خرجت فاتبعنى .

ويقال إن معنى قوله عليه السلام (حر وعبد) اسم جنس
، وتفسير ذلك بأبى بكر

وبلال فقط فيه نظر ، فإنه قد كان جماعة قد أسلموا
قبل عمرو بن عبسة ، وقد كان زيد بن

حارثة أسلم قبل بلال أيضا ، فلعله أخبر انه ربع الاسلام
بحسب علمه ، فإن المؤمنين كانوا

إذ ذاك يستسرون بإسلامهم لا يطلع على أمرهم كثيرا أحد
من قراباتهم ، دع الاجانب ،

دع أهل البادية من الاعراب . والله أعلم .

وفى صحيح البخارى من طريق أبى أسامة عن هاشم بن
هاشم ، عن سعيد بن المسيب قال :

سمعت - أبا إسحاق (1) - سعد بن أبى وقاص يقول وما
أسلم أحد في اليوم الذى أسلمت فيه ،

ولقد مكثت سبعة أيام وإنى لثلث الاسلام .

أما قوله : (ما أسلم أحد في اليوم الذى أسلمت فيه)
فسهل ، ويروى : (إلا في

اليوم الذى أسلمت فيه) وهو مشكل ، إذا يقتضى أنه لم
يسبقه أحد بالاسلام .

وقد علم أن الصديق وعليا وخديجة وزيد بن حارثة أسلموا
قبله ، كما قد حكى

الاجماع على تقدم إسلام هؤلاء غير واحد ، منهم ابن الاثير .

ونص أبوحنيفة رضى الله عنه على أن كلا من هؤلاء أسلم
قبل أبناء جنسه .

والله أعلم .

وأما قوله : (ولقد مكثت سبعة أيام وإنى لثلث الاسلام)
فمشكل وما أدرى

على ماذا يوضع عليه ، إلا أن يكون أخبر بحسب ما علمه .
والله أعلم .

* (هامش) * (1) من صحيح البخارى 2 / 183 . والرواية فيه : (إلا في اليوم الذى أسلمت فيه) . (*)

-444-

وقال أبوداود الطيالسى : حدثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبدالله ،

وهو ابن مسعود ، قال : كنت غلاما يافعا أرعى غنما لعقبة بن أبى معيط بمكة . فأتى على

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوبكر ، وقد فرا من المشركين ، فقال - أو فقلا - :

عندك يا غلام لبن تسقينا ، قلت : إنى مؤتمن ، ولست بساقيكما . فقال : هل عندك من

جذعة لم ينز عليها الفحل بعد ؟ قلت : نعم .

فأتيتهما بها فاعتقلها أبوبكر وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الضرع ودعا ،

فحفل الضرع ، وأتاه أبوبكر بصخرة متقعرة فحلب فيها ، ثم شرب هو وأبوبكر ثم

سقيانى ثم قال للضرع : اقلص . فقلص .

فلما كان بعد أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : علمنى من هذا القول

الطيب ، يعنى القرآن ، فقال : (إنك غلام معلم) فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعنى

فيها أحد .

وهكذا رواه الامام أحمد ، عن عفان ، عن حماد بن سلمة به .

ورواه الحسن بن عرفة ، عن أبي بكر بن عياش ، عن
عاصم بن أبي النجود به .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبدالله الحافظ ، حدثنا أ
بوعبدالله بن بطة الاصبهاني ،

حدثنا الحسن بن الجهم ، حدثنا الحسين بن الفرغ ، حدثنا
محمد بن عمر ، حدثني جعفر

ابن محمد بن خالد بن الزبير ، عن أبيه - أو عن محمد
بن عبدالله بن عمرو بن عثمان -

قال : كان إسلام خالد بن سعيد بن العاص قديما وكان
أول إخوته أسلم .

وكان بدء إسلامه أن رأى في المنام أنه وقف به على
شفير النار ، فذكر من سعتها

ما الله أعلم به . ويرى في النوم كأن آت أتاه يدفعه فيها
، ويرى رسول الله صلى الله عليه

وسلم آخذا بحقويه (1) لايقع ، ففزع من نومه فقال :
أحلف بالله إن هذه لرؤيا حق .

* (هامش) * (1) الحقو : الكشح ، وهو ما بين الخاصرة
إلى الضلع الخلف . (*)

-445-

فلقى أبا بكر بن أبي قحافة فذكر ذلك له ، فقال أريد بك
خير ، هذا رسول الله

صلى الله عليه وسلم فاتبعه ، فإنك ستتبعه وتدخل معه
في الاسلام ، والاسلام يحجزك أن

تدخل فيها ، وأبوك واقع فيها .

فلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأجباد ، فقال
: يا رسول الله يا محمد إلام

تدعو ؟ قال : (أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، وتخلع ما أنت

عليه من عبادة حجر لا يسمع ، ولا يضر ، ولا يبصر : ولا ينفع ، ولا يدرى من عبده

ممن لا يعبده) .

قال خالد : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله . فسر رسول الله صلى

الله عليه وسلم بإسلامه .

وتغيب خالد وعلم أبوه بإسلامه ، فأرسل في طلبه فأتى به ، فأنبه وضربه بمقرعة في

يده حتى كسرهما على رأسه . وقال : والله لا منعنك القوت . فقال خالد : إن منعتني فإن الله

يرزقني ما أعيش به .

وانصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يكرمه ويكون معه .

ذكر إسلام حمزة بن ع بدالمطلب رضى الله عنه عم النبي

صلى الله عليه وسلم

قال يونس بن بكير : عن محمد بن إسحاق : حدثني رجل من أسلم (1) - وكان

واعية - أن أبا جهل اعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا فأذاه وشتمه ونال

منه ما يكره من العيب لدينه ، فذكر ذلك لحمزة بن ع بدالمطلب ، فأقبل نحوه ، حتى

إذا قام على رسه رفع القوس فضربه بها ضربة شجه منها شجة منكورة .

* (هامش) * (1) المطبوعة : ممن أسلم . وهو تحريف .
وأسلم : قبيلة . (*)

-446-

وقامت رجال من قريش من بنى مخزوم إلى حمزة
لينصروا أبا جهل منه . وقالوا ما

نراك يا حمزة إلا قد صبات

قال حمزة : ومن يمنعني وقد استبان لي منه ما أشهد أنه
رسول الله صلى الله عليه

وسلم وأن الذي يقول حق ، فوالله لا أنزع ، فامنعوني
إن كنتم صادقين .

فقال أبوجهل : دعوا أبا عمارة فإنني والله لقد سببت ابن
أخيه سبا قبيحا .

فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد عز وامتنع ،

فكفوا عما كانوا يتناولون منه . وقال حمزة في ذلك شعرا

قال ابن إسحاق : ثم رجع حمزة إلى بيته فأتاه الشيطان
فقال : أنت سيد قريش

اتبع هذا الصابئ وتركت دين آبائك للموت خير لك مما
صنعت .

فأقبل حمزة على نفسه وقال : ما صنعت اللهم إن كان
رشدا فاجعل تصديقه في قلبي ،

وإلا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجا .

فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان .

حتى أصبح فغدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فقال : يا ابن أخي إنى قد وقعت في

أمر ولا أعرف المخرج منه ، وإقامة مثلى على ما لا
أدرى ما هو أرشد أم هو غى شديد
فحدثنى حديثا ، فقد اشتبهت يا ابن أخى أن تحدثنى .
فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ووعظه ،
وخوفه وبشره . فألقى الله في
قلبه الايمان بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فقال : أشهد أنك الصادق شهادة الصدق ، فأظهر يا ابن
أخى دينك ، فوالله ما أحب
أن لى ما أظلمته السماء وأنى على دينى الاول .
فكان حمزة ممن أعز الله به الدين .
-447-

وهكذا رواه البيهقى عن الحاكم عن الاصم عن أحمد بن
عبدالجبار ، عن يونس
ابن بكير به .

ذكر إسلام أبى ذر رضى الله عنه
قال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو بوعبدالله الحافظ ، حدثنا أ
بوعبدالله محمد بن يعقوب
الحافظ ، حدثنا الحسين بن محمد بن زياد ، حدثنا عبدالله
بن الرومى ، عن مالك بن مرثد ،
عن أبيه ، عن أبى ذر ، قال : كنت ريع الاسلام ، أسلم
قبلى ثلاثة نفر وأنا الرابع ،
أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : السلام
عليك يا رسول الله أشهد أن لا إله إلا
الله وأن محمدا رسول الله . فرأيت الاستبشار في وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذا سياق مختصر .

وقال البخارى : إسلام أبى ذر : حدثنا (1) عمرو بن عباس ، حدثنا عبدالرحمن بن

مهدي ، عن المثني عن أبى جمرة (2) ، عن ابن عباس . قال لما بلغ أباذر مبعث رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال لآخيه : اركب إلى هذا الوادى فاعلم لى علم هذا الرجل الذى يزعم

أنه نبي يأتيه الخبر من السماء ، فاسمع من قوله ثم اتنى .

فانطلق الآخر (3) حتى قدمه وسمع من كلامه ، ثم رجع إلى أبى ذر فقال له : رأيت

يأمر بمكارم الاخلاق وكلاما ما هو بالشعر .

فقال : ماشفيتنى مما اردت

فتزود وحمل شنة - له - فيها ماء ، حتى قدم مكة ، فأتى المسجد فالتمس رسول الله

صلى الله عليه وسلم ولا يعرفه ، وكره أن يسأل عنه ، حتى أدركه بعض الليل - اضطجع - (4)

فرآه على فعر ف أنه غريب ، فلما رآه تبعه ولم يسأل واحد منهما صاحبه عن شئ حتى

* (هامش * (2) البخارى : حدثنى . (2) خ ط : حمزة . وهو تحريف وما أثبتته من صحيح البخارى 183 / 2 . (3) البخارى : الاخ . (4) ليست في البخارى . (*)

-448-

أصبح ، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد ، وظل ذلك اليوم ولا يراه النبي صلى الله عليه

وسلم حتى أمسى ، فعاد إلى مضجعه . فمر به على
فقال : أما أن (1) للرجل - أن (2) - يعلم منزله

فأقامه فذهب به معه لايصال واحد منهما صاحبه عن شيء .

حتى إذا كان يوم الثالث فعاد - على (2) - على مثل
ذلك ، فأقام معه فقال : ألا تحدثني بالذي أقدمك ؟ قال :
إن أعطيتني عهدا وميثاقا لترشدنني فعلت . ففعل فأخبره
قال :

فإنه حق ، وإنه (3) رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فإذا أصبحت فاتبعني ، فإنى إن رأيت شيئاً

أخاف عليك قمت كأنى أريق الماء ، وإن مضيت فاتبعني
حتى تدخل مدخلى .

ففعل ، فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي صلى الله
عليه وسلم ودخل معه ، فسمع

من قوله واسلم مكانه .

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (ارجع إلى قومك
فأخبرهم حتى يأتيك أمرى) .

فقال : والذي بعثك بالحق (4) لاصرخن بها بين ظهرانيهم .

فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا
إله إلا الله وأن محمداً

رسول الله ، ثم قام - القوم (2) - فضربوه حتى
أضجعوه .

فأتى العباس فأكب عليه فقال : ويلكم ! أستم تعلمون أنه
من غفار ، وأن

طريق تجارتكم إلى الشام ؟ ! فأنقذه منهم . ثم عاد من
الغد بمثلها (5) فضربوه وثاروا إليه

فأكب العباس عليه .

هذا لفظ البخارى .

وقد جاء إسلامه مبسوطا في صحيح مسلم وغيره .

فقال الامام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، حدثنا حميد

بن هلال عن عبدالله بن الصامت قال أبوذر : خرجنا من قومنا غفار ، وكانوا يحلون

الشهر الحرام ، أنا وأخى أنيس وأمنا .

* (هامش) * (1) البخارى : أما نال . (2) من البخارى .
(3) البخارى : وهو رسول الله . (4) البخارى : والذى
نفسى بيده . (5) البخارى : لمثلها . (*)

449

فانطلقنا حتى نزلنا على خال لنا ذى مال وذى هيئة ،
فأكرمنا خالنا وأحسن

إلينا ، فحسدنا قومه فقالوا له : إنك إذا خرجت عن أهلك
خلفك إليهم أنيس .

فجاء خالنا فنشى ما قيل له (1) فقلت له : أما ما مضى
من معروفك فقد كدرته ،

ولاجماع لنا فيما بعد .

قال : فقرينا صرمتنا (2) فاحتملنا عليها ، وتغطى خالنا
بثوبه وجعل يبكى .

قال : فانطلقنا حتى نزلنا حضرة مكة ، قال فنافر أنيس
عن صرمتنا وعن مثلها ،

فأتيا الكاهن فخير أنيسا . فأتانا بصرمتنا ومثلها .

وقد صليت يا بن أخى ، قبل أن ألقى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثلاث سنين .

قال : قلت لمن ؟ قال : لله . قلت : فأين توجه ؟ قال :
حيث وجهنى الله . قال :

وأصلى عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ألفت كأنى
خفاء (3) حتى تعلونى الشمس .

قال : فقال أنيس : إن لى حاجة بمكة فألقنى حتى آتيتك .
قال : فانطلق فرأث (4)

على ، ثم أتانى فقلت : ما حبسك قال : لقيت رجلا يزعم
أن الله أرسله على دينك ، قال :

فقلت : ما يقول الناس له ؟ قال : يقولون إنه شاعر
وساخر . وكان أنيس شاعرا .

قال : فقال : لقد سمعت الكهان فما يقول بقولهم ، وقد
وضعت قوله على إقراء الشعر

فو الله ما يلتئم لسان أحد أنه شعر ، ووالله إنه لصادق
وإنهم لكاذبون .

قال : فقلت له : هل أنت كافى حتى أنطلق ؟ قال : نعم
! وكن من أهل مكة على

حذر ، فإنهم قد شنعوا له وتجهموا له .

* (هامش) * (1) نثى ما قيل له : أظهره وحدث به . (2)
الصرمة : القطعة من الابل ما بين العشرين إلى
الثلاثين . (3) الخفاء : الكساء . (4) راث : أبطاً . (*)

(29 - السيرة - 1)

-450-

قال : فانطلقت حتى قدمت مكة فتضعفت رجلا منهم
فقلت : أين هذا الرجل الذى

يدعونه الصابئ ؟ قال : فأشار إلى . فمال أهل الوادى
على بكل مدرة وعظم حتى خررت

مغشياً على ، ثم ارتفعت حين ارتفعت كأنى نصب أحمر ،
فأتيت زمزم فشربت من مائها

وغمسلت عنى الدم ودخلت بين الكعبة وأستارها ، فلبثت به
يا بن أخى ثلاثين من يوم

وليلة مالى طعام إلا ماء زمزم ، فسمنت حتى تكسرت
عكن بطنى وما وجدت على

كبدى سخفه جوع .

قال فبينما أهل مكة في ليلة قمراء إضحيان (1) وضرب
الله على أشحمة (2) أهل مكة ،

فما يطوف بالبيت غير امرأتين ، فأتتا على وهما يدعوان
إساف ونائلة . فقلت : أنكحوا

أحدهما الآخر . فما ثناهما ذلك . فقلت : وهن مثل الخشبة
غير أنى لم أركن .

قال : فانطلقتا يولولان ويقولان : لو كان ههنا أحد من
أنفارنا .

قال : ف استقبلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأبو بكر وهما هابطان من الجبل

فقالا : مالكما ؟ فقالتا : الصابئ بين الكعبة وأستارها . قالا
: ما قال لكما ؟ قالتا : قال

لنا كلمة تملا الفم .

قال : وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وصاحبه
حتى استلم الحجر وطاف

بالبيت ، ثم صلى .

قال : فأتيته فكنت أول من حياه بتحية أهل الاسلام . فقال
: (عليك السلام

ورحمة الله . من أنت ؟) قال : قلت : من غفار ، قال :
فأهوى بيده فوضعها على جبهته ،

قال : فقلت في نفسي : كره أن انتميت إلى غفار .

قال : فأردت أن آخذ بيده فخذفني صاحبه ، وكان أعلم به
منى . قال : متى كنت هنا ؟

قال : قلت : كنت هنا منذ ثلاثين من بين ليلة ويوم .

* (هامش) * (1) إضحيان : مضيئة . (2) الاشحمة :
الآذان . (*)

-451-

قال : فمن كان يطعمك ؟ قلت : ما كان إلا ماء زمزم ،
فسمنت حتى تكسرت

.....

- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 451 سطر 1 الى ص
460 سطر 20

قال : فمن كان يطعمك ؟ قلت : ما كان إلا ماء زمزم ،
فسمنت حتى تكسرت

عكن بطنى ، وما وجدت على كبدى سخفة جوع .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنها
مباركة إنها طعام طعم) .

قال : فقال أبوبكر : ائذن لى يا رسول الله في طعامه
الليلة . قال : ففعل .

قال : فانطلق النبى صلى الله عليه وسلم وانطلقت معهما
، حتى فتح أبوبكر بابا فجعل يقبض

لنا من زبيب الطائف ، قال : فكان ذلك أول طعام أكلته
بها . فلبثت مالبت .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إني قد وجهت إلى أرض ذات نخل

ولا أحسبها إلا يثرب ، فهل أنت مبلغ عنى قومك ، لعل الله ينفعهم بك ويأجرك فيهم) ؟

قال : فانطلقت حتى أتيت أختي أنيسا ، قال : فقال لى : ما صنعت ؟ قال : قلت

صنعت أنى أسلمت وصدقت .

قال : فما بى رغبة عن دينك فإنى قد أسلمت وصدقت .

ثم أتينا أمنا فقالت : ما بى رغبة عن دينكما ، فإنى قد أسلمت وصدقت ، فتحملنا

حتى أتينا قومنا غفار ، قال فأسلم بعضهم قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم

المدينة ، وكان يؤمهم خفاف بن أيماء بن رخصة الغفارى وكان سيدهم يومئذ . وقال

بقيتهم : إذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمنا . قال : فقدم رسول الله صلى الله عليه

وسلم فأسلم بقيتهم . قال : وجاءت أسلم فقالوا : يا رسول الله إخواننا نسلم على الذى أسلموا

عليه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (غفار غفر الله لها ، وأسلم سالمها الله) . ورواه

مسلم عن هدية بن خالد عن سليمان بن المغيرة به نحوه . وقد روى قصة إسلامه على وجه

آخر وفيه زيادات غريبة فالله أعلم . وتقدم ذكر إسلام سلمان الفارسى في كتاب البشارات

بمبعثه عليه الصلاة والسلام .

ذكر إسلام ضماد

روى مسلم والبيهقي من حديث داود بن أبي هند ، عن عمرو بن سعيد ، عن سعيد

ابن جبير ، عن ابن عباس . قال : قدم ضماد مكة ، وهو رجل من أزد شنوءة ، وكان يرقى

من هذه الرياح ، فسمع سفهاء من سفه مكة يقولون : إن محمدا مجنون . فقال : أين

هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي ؟

فلقيت محمدا فقلت : إني أرقى من هذه الرياح ، وإن الله يشفي على يدي من

شاء ، فهلم .

فقال محمد : (إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ومن

يضل فلا هادي له ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . ثلاث مرات) .

فقال : والله لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة ، وقول الشعراء ، فما سمعت

مثل هؤلاء الكلمات ، فهلم يدك أبا يعك على الإسلام .

فبايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : وعلى قومك ؟ فقال :

وعلى قومي .

فبعث النبي صلى الله عليه وسلم جيشا فمروا بقوم ضماد . فقال صاحب الجيش للسرية :

هل أصبتم من هؤلاء القوم شيئا ؟ فقال رجل منهم : أصبت منهم مظهرة (1) . فقال ردها

عليهم فإنهم قوم ضماد .

وفى رواية فقال له ضماد : أعد على كلماتك هؤلاء فلقد
بلغن قاموس (2) البحر .

* (هامش) * (1) المظهر : البعير التى أتت عليه الظهيرة
وهو يرعى . (2) قاموس البحر : أبعد موضع فيه غورا .
هذا والرواية في الوفا : أعد على كلماتك هؤلاء ، فأعادهن

عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات . فقال
: لقد سمعت قول الكهنة والسحرة والشعراء

فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ولقد بلغت قاموس البحر .
(*)

-453-

وقد ذكر أبونعيم في دلائل النبوة إسلام من أسلم من
الاعيان فصلا طويلا ،

واستقصى ذلك استقصاء حسنا رحمه الله وأثابه .

وقد سرد ابن اسحاق أسماء من أسلم قديما من الصحابة
رضى الله عنهم .

قال : ثم أسلم أبو عبيدة ، وأبوسلمة ، والارقم بن أبى
الارقم ، وعثمان بن مظعون ،

وعبيدة بن الحارث ، وسعيد بن زيد ، وامرأته فاطمة بنت
الخطاب .

وأسماء بنت أبى بكر ، وعائشة بنت أبى بكر ، وهى
صغيرة .

وقدامة بن مظعون ، وعبدالله بن مظعون .

وخباب بن الارت ، وعمير بن أبى وقاص ، وعبدالله بن
مسعود ، ومسعود بن

القارى (1) ، وسليط بن عمرو وعياش بن أبى ربيعة ،
وامرأته أسماء بنت سلمة (2) بن

مخرية (3) التميمية ، وخنيس بن حذاقة ، وعامر بن ربيعة .

وعبدالله بن جحش ، وأبوأحمد بن جحش ، وجعفر بن أبي طالب ، وامراته أسماء بنت عميس .

وحاطب بن الحارث - وامراته فاطمة بنت المجلل .
وحطاب بن الحارث (4) -

وامراته فكيهه ابنة يسار .

ومعمر بن الحارث بن معمر الجمحي ، والسائب بن عثمان بن مظعون .

والمطلب بن أزهر بن عبد مناف (5) ، وامراته رملة بنت أبي عوف بن صبيرة بن

سعيد بن سهم . والنحام ، واسمه نعيم بن عبدالله بن أسيد ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ،

* (هامش) * (1) هو مسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبدالعزيز بن حمالة بن غالب بن محلم بن عائذة بن سبيع

ابن الهون بن خزيمة من القارة . والقارة لقب لهم . وهى قبيلة . ولهم يقال : قد أنصف القارة من رامها

(2) ابن هشام : سلامة . (3) الاصل والمطبوعة : مخرمة التيمى ، وهو تحريف وما أثبتته عن

ابن هشام . (4) سقطت من الاصل وأثبتها من ابن هشام . (5) ابن هشام : عبد عوف . (*)

-454-

وخالد بن سعيد ، وأمينة ابنة خلف بن أسعد (1) بن عامر بن بياضة من (2) خزاعة ،

وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وواقد بن عبدالله بن

عرين بن ثعلبة التميمي حليف بنى عدى .

وخالد بن البكير ، وعامر بن البكير ، وعاقل بن البكير ، وإياس بن البكير بن

عبد ياليل بن ناشب بن غيرة من بنى سعد بن ليث . وكان اسم عاقل غافلا فسماه

رسول الله صلى الله عليه وسلم عاقلا ، وهم حلفاء بنى عدى بن كعب .

وعمار بن ياسر ، وصهيب بن سنان .

ثم دخل الناس - في الاسلام (3) - أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا أمر

الاسلام بمكة وتحدث به .

قال ابن إسحاق : ثم أمر الله رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ثلاث سنين من البعثة

بأن يصدع بما أمر ، وأن يصبر على أذى المشركين .

قال : وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلوا ذهبوا في الشعاب

واستخفوا بصلاتهم من قومهم .

فبينما سعد بن أبى وقاص في نفر يصلون بشعاب مكة إذ ظهر عليهم بعض المشركين

فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم .

فضرب سعد رجلا من المشركين بلحى جمل فشجه ، فكان أول دم هريق في الاسلام

وروى الاموى في مغازيه من طريق الوقاصى عن الزهرى عن عامر بن سعد عن أبيه .

فذكر القصة بطولها ، وفيه أن المشجوج هو عبدالله بن
خطل لعنه الله .

* (هامش) * (1) ط ، خ : سعد وهو تحريف ، وما أثبتته
عن ابن هشام . (2) الاصل : ابن ، وهو تحريف (3) من
ابن هشام . (*)

-455-

باب

أمر الله رسوله عليه الصلاة والسلام بإبلاغ الرسالة
إلى الخاص والعام ، وأمره له بالصبر والاحتمال ،
والاعراض عن الجاهلين المعاندين

المكذبين بعد قيام الحجة عليهم ، وإرسال الرسول الاعظم
إليهم ، وذكر ما لقي من الاذية
منهم هو وأصحابه رضى الله عنهم .

قال الله تعالى : (وأنذر عشيرتك الاقربين ، واخفض
جناحك لمن اتبعك من

المؤمنين ، فإن عصوك فقل إني برئ مما تعملون ،
وتوكل على العزيز الرحيم ، الذي يراك

حين تقوم ، وتقلبك في الساجدين ، إنه هو السميع العليم
(1) .

وقال تعالى : (وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون)
(2) .

وقال تعالى : (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى
معاد (3) أي إن الذي

فرض عليك وأوجب عليك بتبليغ القرآن لرادك إلى دار
الآخرة وهى المعاد ، فيسألك عن

ذلك . كما قال تعالى : (فوريك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) .

والآيات والاحاديث في هذا كثيرة جدا ، وقد تقصينا الكلام على ذلك في كتابنا

التفسير ، وبسطنا من القول في ذلك عند قوله تعالى في سورة الشعراء (وأنذر عشيرتك

الاقربين) . وأوردنا أحاديث جملة في ذلك .

فمن ذلك : قال الامام أحمد : حدثنا عبدالله بن نمير ، عن الاعمش ، عن عمرو بن

* (هامش) * (1) الشعراء : 214 - 220 (2) الزخرف : 44

(3) القصص : 85 . (*)

-456-

مرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما أنزل الله (وأنذر عشيرتك

الاقربين) أتى النبي صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى : (يا صباحاه) .

فاجتمع الناس إليه بين رجل يجئ إليه وبين رجل يبعث رسوله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا بنى ع بدالمطلب ، يا بنى فهر ، يا بنى كعب ،

أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني ؟) قالوا :

نعم ! قال : (فإنى نذير لكم بين يدي عذاب شديد) .

فقال أبولهب ، لعنه الله : تبالك سائر اليوم ! أما دعوتنا إلا لهذا .

وأنزل الله عزوجل (تبت يدا أبي لهب وتب) .

وأخرجاه من حديث الاعمش به نحوه .

وقال أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا زائدة ، حدثنا
عبدالملك بن عمير ، عن

موسى بن طلحة ، عن أبي هريرة . قال : لما نزلت هذه
الآية (وأنذر عشيرتك الاقربين)

دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فعم وخص .
فقال : (يا معشر قريش أنقذوا

أنفسكم من النار ، يا معشر بنى كعب أنقذوا أنفسكم من
النار ، يا معشر بنى هاشم

أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بنى ع بدالمطلب
أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة

بنت محمد أنقذى نفسك من النار ، فإنى والله لأملك لكم
من الله شيئا إلا أن لكم

رحما سابها ببلالها (1) .

ورواه مسلم من حديث عبدالملك بن عمير ، وأخرجاه في
الصحيحين من حديث

الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، وأبى سلمة عن أبى
هريرة ، وله طرق آخر عن أبى هريرة

في مسند أحمد وغيره .

وقال أحمد أيضا : حدثنا وكيع بن هشام ، عن أبيه ، عن
عائشة رضى الله عنها . قالت :

* (هامش) * (1) البلال : جمع بلل ، وفى الاصل : ببلائها
. وفى البخارى 127 / 3 : قال أبو عبدالله : ببلائها كذا

ومع وبلالها أجود وأصح ، وبلالها لأعرف له وجها . (*)

لما نزل (وأنذر عشيرتك الاقربين) قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

(يا فاطمة بنت محمد ، يا صفية بنت ع بدالمطلب ، يا بنى ع بدالمطلب ، لأملك لكم من الله

شيئا ، سلونى من مالى ما شئتم) . ورواه مسلم أيضا .
وقال الحافظ أبوبكر البيهقى فى الدلائل : أخبرنا محمد بن عبد الحافظ ، حدثنا

أ بوالعباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أحمد بن عبدالجبار ، حدثنا يونس بن بكير ، عن

محمد بن إسحاق ، قال : فحدثنى من سمع عبدالله بن الحارث بن نوفل ، واستكتمنى اسمه ،

عن ابن عباس ، عن على بن أبى طالب . قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى

الله عليه وسلم (وأنذر عشيرتك الاقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (عرفت أنى إن بادأت بها قومى رأيت منهم

ما أكره ، فصمت . فجاءنى جبريل عليه السلام فقال : يا محمد إن لم تفعل ما أمرك به ربك

عذبك بالنار .

قال : فدعانى فقال (يا على إن الله قد أمرنى أن أنذر عشيرتى الاقربين ،

فاصنع لنا يا على شاة على صاع من طعام ، وأعد لنا عس (1) لبن ، ثم اجمع لى

بنى ع بدالمطلب) .

ففعلت ، فاجتمعوا له يومئذ ، وهم أربعون رجلا يزيدون
رجلا أو ينقصون ، فيهم

أعمامه : أبوطالب ، وحمزة ، والعباس ، وأبولهب الكافر
الخبيث .

فقدمت إليهم تلك الجفنة ، فأخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم منها حذية (2) فشققها

بأسنانه ثم رمى بها في نواحيها وقال : (كلوا بسم الله)
فأكل القوم حتى نهلوا عنه ،

ما نرى إلا آثار أصابعهم ، والله إن كان كان الرجل ليأكل
مثلها . ثم قال رسول الله صلى الله

* (هامش) * (1) العس : القدح الضخم . (2) الحذية :
القضعة . (*)

-458-

عليه وسلم : (اسقهم يا على) فجئت بذلك القعب فشربوا
مته حتى نهلوا جميعا ، وايم الله

إن كان الرجل ليشرب مثله .

فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم
بدره أبولهب لعنه الله فقال : لهد

ما سحركم صاحبكم . فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

فلما كان من الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
: (عدلنا مثل الذى كنت

صنعت لنا بالامس من الطعام والشراب ، فإن هذا الرجل
قد بدر إلى ما سمعت قبل أن

أكلم القوم) .

ففعلت ، ثم جمعتهم له وصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صنع بالامس ،

فأكلوا حتى نهلوا عنه وايم الله إن كان الرجل ليأكل مثلها . ثم قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : اسقهم يا على ، فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعا وايم الله إن

كان الرجل منهم ليشرب مثله .

فلما أراد رسول الله أن يكلمهم ، بدره أبولهب لعنه الله إلى الكلام فقال : لهد

ما سحركم صاحبكم ؟ فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما كان من الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا على عد لنا بمثل الذى

كنت صنعت بالامس من الطعام والشراب ، فإن هذا الرجل قد بدرنى إلى ما سمعت قبل

أن أكلم القوم) .

ففعلت ، ثم جمعتهم له فصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صنع بالامس ،

فأكلوا حتى نهلوا عنه ثم سقيتهم من ذلك القعب حتى نهلوا ، وايم الله إن كان الرجل

ليأكل مثلها ويشرب مثلها .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا بنى ع بدالمطلب إنى والله ما أعلم شابا من

العرب جاء قومه بأفضل مما جئتمكم به ، إني قد جئتمكم
بأمر الدنيا والآخرة) .

هكذا رواه البيهقي من طريق يونس بن بكير ، عن ابن
إسحاق عن شيخ أبهم اسمه
عن عبدالله بن الحارث به .

وقد رواه أبو جعفر بن جرير ، عن محمد بن حميد الرازي
، عن سلمة بن الفضل

الابرش ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبدالغفار أبو مریم
بن القاسم ، عن المنهال بن عمرو ،

عن عبدالله بن الحارث ، عن ابن عباس عن علي فذكر
مثله . وزاد بعد قوله : (وإني

قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله أن
أدعوكم إليه ، فأيكم يؤازرنى على هذا

الامر على أن يكون أخی) وكذا وكذا .

قال : فأحجم القوم عنها جميعا ، وقلت ولانى لاحدثهم سنا
وأرمصهم عينا ،

وأعظمهم بطنا ، وأخمشهم ساقا : أنا يا نبى الله أكون
وزيرك عليه . فأخذ برقبتي فقال :

(إن هذا أخی وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا) .

قال : فقام القوم يضحكون ويقولون لابی طالب : قد أمرك
أن تسمع

لابنك وتطيع !

تفرد به عبدالغفار ابن القاسم أبو مریم ، وهو كذاب شيعى
اتهمه على بن المدينى

وغيره بوضع الحديث ، وضعفه الباقون .

ولكن روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه : عن الحسين بن عيسى بن ميسرة

الحارثى عن عبدالله بن عبد القدوس ، عن الاعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبدالله

ابن الحارث . قال : قال على : لما نزلت هذه الآية (وأنذر عشيرتك الاقربين) . قال

لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : اصنع لى رجل شاة بصاع من طعام ، وإناء لبنا ، وادع

لى بنى هاشم . فدعوتهم وإنهم يومئذ لاربعون غير رجل ، أو أربعون ورجل .

-460-

فذكر القصة نحو ما تقدم إلى أن قال : وبدرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

الكلام . فقال : (أيكم يقضى عنى دينى ويكون خليفتى فى أهلى ؟) .

قال : فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بماله ، قال وسكت

أنا لسن العباس .

ثم قالها مرة أخرى ، فسكت العباس ، فلما رأيت ذلك قلت : أنا يا رسول الله . قال :

أنت ؟ ! قال : وإنى يومئذ لاسوأهم هيئة ، وإنى لاعمش العينين ، ضخم البطن ،

خمش الساقين .

وهذه الطريق فيها شاهد لما تقدم إلا أنه لم يذكر ابن عباس فيها فالله أعلم .

وقد روى الامام أحمد في مسنده من حديث عباد بن
عبدالله الاسدى وربيعة بن

ناجد عن على نحو ما تقدم - أو كالشاهد له - والله أعلم .

ومعنى قوله في هذا الحديث : (من يقضى عنى دينى
ويكون خليفتى في أهلى) ، يعنى

إذا مت ، وكأنه صلى الله عليه وسلم خشى إذا قام بإبلاغ
الرسالة إلى مشركى العرب (1)

أن يقتلوه ، فاستوثق من يقوم بعده بما يصلح أهله ،
ويقضى عنه ، وقد آمنه الله من ذلك

في قوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من
ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت

رسالته والله يعصمك من الناس) (2) الآية .

والمقصود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استمر
يدعو إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً ،

وسراً وجهاراً ، لا يصرفه عن ذلك صارف ولا يردده ح عن
ذلك راد ، ولا يصدده عن

ذلك صاد ، يتبع الناس في أنديتهم ومجامعهم ومحافلهم ،
وفى المواسم ، ومواقف الحج .

* (هامش) * (1) : بإبلاغ مشركى العرب رسالة الله .
(2) سورة المائدة . (*)

-461-

يدعو من لقيه حر وعبد ، وضعيف وقوى ، وغنى وفقير ،
جميع الخلق في ذلك عنده

.....

- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 461 سطر 1 الى ص
470 سطر 22

يدعو من لقيه حر وعبد ، وضعيف وقوى ، وغنى وفقير ،
جميع الخلق في ذلك عنده
شرع سواء .

وتسلط عليه وعلى من اتبعه من آحاد الناس من ضعفائهم
الاشداء الاقوياء من

مشركى قريش بالاذية القولية والفعلية .

وكان من أشد الناس عليه عمه أبولهب ، واسمه عبدالعزى
بن ع بدالمطلب ، وامراته

أم جميل أروى بنت حرب بن أمية ، أخت أبى سفيان .

وخالفه في ذلك عمه أبوطالب بن ع بدالمطلب ، وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم

أحب خلق الله إليه طبعاً ، وكان يحنو عليه ويحسن إليه ،
ويدافع عنه ويحامي ، ويخالف

قومه في ذلك مع أنه على دينهم وعلى خلتهم ، إلا أن
الله تعالى قد امتحن قلبه بحبه حبا

طبعياً لا شرعياً .

وكان استمراره على دين قومه من حكمة الله تعالى ،
ومما صنعه لرسوله من الحماية ،

إذ لو كان أسلم أبوطالب لما كان له عند مشركى قريش
وجاهة ولا كلمة ، ولا كانوا

يهاونونه ويحترمونه . ولا جترءوا عليه ، ولمدوا أيديهم
والسنتهم بالسوء إليه ، وربك يخلق

ما يشاء ويختار (1) . وقد قسم خلفه أنواعاً وأجناساً .

فهذان العمان كافران أبوطالب وأبولهب ، ولكن هذا يكون في القيامة في

ضحضاح من نار ، وذلك في الدرك الاسفل من النار ، وأنزل الله فيه سورة في كتابه

تتلى على المنابر ، وتقرأ في المواعظ والخطب ، تتضمن أنه سيصلى نارا ذات لهب ، وامراته

حمالة الحطب .

* (هامش) * (1) بل لو كان أبوطالب أسلم لكان ذلك داعيا إلى إسلام غيره من مشيخة قريش ، ويفهم من كلام

المؤلف أن الله سبحانه قضى على أبى طالب بالكفر حماية لرسوله !! وهو تعليل غير سائغ . (*)

-462-

قال الامام أحمد : حدثنا إبراهيم بن أبى العباس ، حدثنا عبدالرحمن بن أبى الزناد

عن أبيه ، قال أخبر رجل يقال له ربيعة بن عباد من بنى الديل ، وكان جاهليا فأسلم ،

قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية في سوق ذى المجاز وهو يقول :

(يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل وضئ

الوجه أحول ذو غديرتين يقول : إنه صابئ كاذب . يتبعه حيث ذهب . فسألت عنه

فقالوا : هذا عمه أبولهب .

ثم رواه هو والبيهقى من حديث عبدالرحمن بن أبى الزناد بنحوه .

وقال البيهقي أيضا : حدثنا أبوطاهر الفقيه ، حدثنا أبوبكر محمد بن الحسن القطان ،

حدثنا أبوالازهر ، حدثنا محمد بن عبدالله الانصارى ، حدثنا محمد بن عمر ، عن محمد بن

المنكدر عن ربيعة الديلى . قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى المجاز يتبع

الناس في منازلهم يدعوهم إلى الله ، ووراءه رجل أحول تقد وجنتاه وهو يقول : أيها

الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم .

قلت : من هذا ؟ قيل : هذا أبولهب .

ثم رواه من طريق شعبة عن الأشعث بن سليم ، عن رجل من كنانة قال : رأيت

رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذى المجاز وهو يقول : (يا أيها الناس قولوا

لا إله إلا الله تفلحوا) وإذا رجل خلفه يسفى عليه التراب ، وإذا هو أبوجهل ، وإذا

هو يقول : يا أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم وإنما يريد أن تتركوا عبادة

اللات والعزى .

كذا قال : (أبوجهل) ، والظاهر أنه أبولهب ، وسنذكر بقية ترجمته عند ذكر

وفاته وذلك بعد وقعة بدر ، إن شاء الله تعالى .

وأما أبوطالب فكان في غاية الشفقة والحنو الطبيعى كما سيظهر من صنائعه

وسجاياه ، واعتماده فيما يحامى به عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأصحابه

رضى الله عنهم .

قال يونس بن بكير : عن طلحة بن يحيى ، عن عبدالله
بن موسى بن طلحة ،

أخبرنى عقيل بن أبى طالب قال : جاءت قريش إلى أبى
طالب فقالوا : إن ابن أخيك هذا

قد آذانا في نادينا ومسجدنا فانهه عنا . فقال : يا عقيل
انطلق فأنتى بمحمد . فانطلقت

فاستخرجته من كنس ، أو قال خنس ، يقول : بيت صغير
، فجاء به في الظهيرة في شدة الحر .

فلما أتاهم قال : إن بنى عمك هؤلاء زغموا أنك تؤذيهم
في ناديهم ومسجدهم ، فانته

عن أذاهم .

فخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصره إلى
السماء . فقال : (ترون هذه

الشمس ؟) قالوا نعم ! قال : (فما أنا بأقدر أن أدع ذلك
منكم على أن تشتعلوا

منه بشعلة) .

فقال أبوطالب : والله ما كذب ابن أخى قط فارجعوا .

رواه البخارى في التاريخ ، عن محمد بن العلاء ، عن
يونس بن بكير . ورواه البيهقى ،

عن الحاكم ، عن الاصم ، عن أحمد بن عبدالجبار ، عنه
به - وهذا لفظه -

ثم روى البيهقى من طريق يونس ، عن ابن إسحاق :
حدثنى يعقوب بن عتبة بن

المغيرة بن الاخنس ، أنه حدث أن قريشا حين قالت لابی طالب هذه المقالة بعث إلى رسول

الله صلى الله عليه وسلم . فقال له : يا ابن أخى إن قومك قد جاءؤنى وقالوا كذا وكذا ، فأبق ،

على وعلى نفسك ولا تحملنى من الامر ما لا أطيق أنا ولا أنت ، فاكفف عن قومك

مايكرهون من قومك .

فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قد بدا لعمه فيه ، وأنه خاذله ومسلمه ،

وضعف عن القيام معه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا عم لو وضعت الشمس

-464-

في يمينى والقمر في يسارى ما تركت هذا الامر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه) ثم

استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى .

فلما ولى قال له حين رأى ما بلغ الامر برسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابن أخى .

فأقبل عليه ، فقال امض على أمرك وافعل ما أحببت ، فوالله لأأسلمك لشيء أبدا .

قال ابن إسحاق : ثم قال أبوطالب في ذلك :

- والله لن يصلوا إليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا

- فامضى لامرك ما عليك غضاضة * أبشر وقر بذاك منك عيونا -

ودعوتنى وعلمت أنك ناصحى * فلقد صدقت وكنت قدم أمينا -

وعرضت دينا قد عرفت بأنه * من خير أديان البرية دينا -
- لولا الملامة أو حذارى سبة
لوجدتني سمحا بذاك مبينا -

ثم قال البيهقي : وذكر ابن إسحاق لابي طالب في ذلك
أشعارا .

وفى ذلك دلالة على أن الله تعالى عصمه بعمه مع خلافه
إياه في دينه ، وقد كان
يعصمه حيث لا يكون عمه بما شاء ، لامعقب لحكمه .

وقال يونس بن بكير : حدثني محمد بن إسحاق ، حدثني
رجل من أهل مصر

قديما منذ بضع (1) وأربعين سنة ، عن عكرمة ، عن ابن
عباس في قصة طويلة جرت بين

مشركي مكة وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فلما قام رسول الله قال أبوجهل

ابن هشام : يا معشر قريش إن محمدا قد أبى إلا ما
ترون من عيب ديننا ، وشتم آبائنا

وتسفيه أحلامنا وسب آلهتنا ، وإنى أعاهد الله لاجلس له
غدا بحجر ، فإذا سجد

في صلاته فضخت به رأسه ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد
مناف ما بدالهم .

* (هامش) * (1) الاصل : بضعا . (*)

-465-

فلما أصبح أبوجهل ، لعنه الله ، أخذ حجرا ثم جلس
لرسول الله صلى الله عليه

وسلم ينتظره .

وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو ،
وكان قبلته الشام . فكان

إذا صلى صلى بين الركنين الاسود واليماني ، وجعل الكعبة
بينه وبين الشام . فقام

رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ، وقد غدت
قريش فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ،

فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل
أبوجهل الحجر ثم أقبل نحوه ، حتى إذا

دنا منه رجع منبهتا ممتقعا لونه مرعوبا ، قد يبست يداه
على حجره ، حتى قذف الحجر

من يده .

وقامت إليه رجال من قريش . فقالوا له : ما بك يا أبا
الحكم ؟ ! فقال : قمت إليه

لافعل ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه عرض لى
دونه فحل من الابل ، والله ما رأيت

مثل هامته ، ولا قصرته (1) ولا أنيابه لفحل قط ، فهم أن
يأكلنى .

قال ابن إسحاق : فذكر لى أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : (ذلك جبريل ،

ولو دنا منه لآخذه) .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنى
أبوالنظر الفقيه ، حدثنا عثمان

الدارمى ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث بن سعد
، عن إسحاق بن عبد الله بن

أبى فروة ، عن أبان بن صالح ، عن على بن عبد الله بن
عباس ، عن أبيه ، عن عباس بن ع بدالمطلب .

قال : كنت يوما في المسجد فأقبل أبوجهل - لعنه الله - فقال : إن لله على إن

رأيت محمدا ساجدا أن أطأ على رقبتة .

* (هامش) * (1) القصرة : أصل العنق . (30 - السيرة - (1) *)

-466-

فخرجت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخلت عليه فأخبرته بقول أبي جهل ،

فخرج غضبان حتى جاء المسجد ، فعجل أن يدخل من الباب فاقتحم الحائط . فقلت هذا

يوم شر ، فاتزرت ثم اتبعته ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ (اقرأ باسم ربك

الذي خلق ، خلق الانسان من علق) فلما بلغ شأن أبي جهل (كلا إن الانسان ليطغى

أن رآه استغني) فقال إنسان لابي جهل : يا أبا الحكم هذا محمد . فقال أبوجهل :

ألا ترون ما أرى ! والله لقد سد أفق السماء على . فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم

آخر السورة سجد .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبدالرزاق ، أخبرنا معمر ، عن عبدالكريم ، عن عكرمة ،

قال : قال ابن عباس : قال أبوجهل لئن رأيت محمدا يصلى عند الكعبة لاطأن على عنقه .

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (لو فعل لاخذته الملائكة عيانا) .

ورواه البخارى عن يحيى عن عبدالرزاق به .

قال داود بن أبي هند : عن عكرمة ، عن ابن عباس قال
مر أبوجهل بالنبي .

صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ، فقال : ألم أنك أن
تصلى يا محمد ؟ لقد علمت ما بها أحد
أكثر ناديا منى .

فانتهره النبي صلى الله عليه وسلم . فقال جبريل :
(فليدع نادية ، سندع الزبانية)

والله لو دعا نادية لآخذته زبانية العذاب .

رواه أحمد والترمذى ، وصححه النسائى من طريق داود به .

وقال الامام أحمد : حدثنا إسماعيل بن يزيد أبوزيد ، حدثنا
فرات ، عن عبدالكريم

عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال أبوجهل : لئن
رأيت محمدا عند الكعبة يصلى
لآتينه حتى أطأ عنقه .

قال : فقال : (لو فعل لآخذته الزبانية عيانا) .

-467-

وقال أبوجعفر بن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيى بن
واضح ، حدثنا يونس

ابن أبي إسحاق ، عن الوليد بن العيزار ، عن ابن عباس
قال : قال أبوجهل لئن عاد محمد

يصلى عند المقام لآقتلنه .

فأنزل الله تعالى : (اقرأ باسم ربك الذى خلق) حتى بلغ
من الآية (لنسفا بالناصية .

ناصية كاذبة خاطئة فليدع نادية سندع الزبانية) .

فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقيل ما يمنعك ؟ قال :
قد اسود ما بينى وبينه

من الكتائب .

قال ابن عباس : والله لو تحرك لاخذته الملائكة والناس
ينظرون إليه .

وقال ابن جرير حدثنا ابن عبدالاعلى ، حدثنا المعتمر ، عن
أبيه ، عن نعيم بن

أبى هند ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة . قال : قال
أبوجهل : هل يعفر محمد وجهه بين

أظهركم ؟ قالوا : نعم .

قال : فقال : واللات والعزى لئن رأيتَه يصلى كذلك لاطأن
على رقبته ، ولاعفرن وجهه

بالتراب . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يصلى ليظاً على رقبته ، قال : فما فجأهم

منه إلا وهو ينكص على عقبه ، ويتقى بيديه .

قال : فقيل له : مالك ؟ قال : إن بينى وبينه خندقاً من
نار وهولا وأجنحة .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لو دنا
منى لاختطفته الملائكة

عضوا عضوا) .

قال : وأنزل الله تعالى - لأدرى في حديث أبى هريرة أم
لا - (كلا إن الانسان

ليطغى أن رآه استغنى) إلى آخر السورة .

وقد رواه أحمد ومسلم والنسائي وابن أبى حاتم والبيهقى
من حديث معتمر بن سليمان

ابن طرخان التيمى ، به .

وقال الامام أحمد : حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا شعبة ،
عن أبى إسحاق ، عن عمرو
ابن ميمون ، عن عبدالله قال : ما رأيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم دعا على قريش
غير يوم واحد ، فإنه كان يصلى ورهط من قريش جلوس
، وسلا جزور قريب منه .
فقالوا : من يأخذنا هذا السلا فيلقيه على ظهره ؟ فقال
عقبة بن أبى معيط : أنا . فأخذه
فألقاه على ظهره . فلم يزل ساجدا حتى جاءت فاطمة
فأخذته عن ظهره . فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : (اللهم عليك بهذا الملا من قريش
، اللهم عليك بعقبة بن ربيعة ،
اللهم عليك بشيبة بن ربيعة ، اللهم عليك بأبى جهل بن
هشام ، اللهم عليك بعقبة
ابن أبى معيط ، اللهم عليك بأبى بن خلف - أو أمية بن
خلف -) شعبة الشاك .
قال عبدالله : فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعا ، ثم
سحبوا إلى القليب غير أبى ،
أو أمية بن خلف ، فإنه كان رجلا ضخما فتقطع .
وقد رواه البخارى في مواضع متعددة من صحيحه ،
ومسلم من طرق عن ابن
إسحاق به .
والصواب : أمية بن خلف ، فإنه الذى قتل يوم بدر ،
وأخوه أبى إنما قتل

يوم أحد كما سيأتى بيانه . والسلا : هو الذى يخرج مع ولد الناقة كالمشيمة لولد المرأة .

وفى بعض ألفاظ الصحيح أنهم لما فعلوا ذلك استضحكوا حتى جعل بعضهم يميل على

بعض ، أى يميل هذا على هذا من شدة الضحك . لعنهم الله .

وفيه : أن فاطمة لما ألقته عنه أقبلت عليهم فسبتهم ، وأنه صلى الله عليه وسلم لما

فرغ من صلاته رفع يديه يدعو عليهم ، فلما رأوا ذلك سكن عنهم الضحك ، وخافوا

دعوته ، وأنه صلى الله عليه وسلم دعا على الملا منهم جملة ، وعين في دعائه سبعة ،

وقع في أكثر الروايات تسمية ستة منهم : وهم عتبة ، وأخوه شيبه ، ابنا ربيعة

469

والوليد بن عتبة ، وأبوجهل بن هشام ، وعقبة بن أبى معيط ، وأميه بن خلف . قال ابن إسحاق : ونسيت السابع . قلت : وهو عمارة بن الوليد ، وقع تسميته فى

صحيح البخارى .

قصة الاراشى

قال يونس بن بكير : عن محمد بن إسحاق ، حدثنا عبدالملك بن أبى سفيان الثقفى

قال : قدم رجل من إراش بإبل له إلى مكة ، فابتاعها منه أبوجهل بن هشام ، فمطله بأثمانها ،

فأقبل الاراشى حتى وقف على نادى قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى ناحية

المسجد ، فقال : يا معشر قريش من رجل يعديني على
أبى الحكم بن هشام ، فأبى غريب

وابن سبيل ، وقد غلبنى على حقى .

فقال أهل المجلس : ترى ذلك - إلى رسول الله - يهزأون
به (1) صلى الله عليه وسلم ،

لما يعلمون ما بينه وبين أبى جهل من العداوة - اذهب إليه
فهو يؤدبك (2) عليه .

فأقبل الاراشى حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فذكر ذلك له ،

فقال معه ، فلما رأوه قام معه قالوا لرجل ممن معهم :
اتبعه فانظر ما يصنع .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه فضرب
عليه بابه . فقال : من هذا ؟

قال : محمد فاخرج ، فخرج إليه وما في وجهه قطرة دم
، وقد انتقع لونه . فقال : أعط هذا

الرجل حقه . قال : لاتبرح حتى أعطيه الذى له . قال :
فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه ،

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
للاراشى : الحق لشأنك . فأقبل الاراشى :

حتى وقف على ذلك المجلس فقال : جزاه الله خيرا ،
فقد أخذت الذى لى .

* (هامش) * (1) الاصل : يهزون . ولا معنى لها . (2)
كذا ، ولعلها يعديك . (*)

وجاء الرجل الذى بعثوا معه فقالوا : ويحك ماذا رأيت ؟
قال : عجبا من العجب !

والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج وما معه روحه
، فقال : أعط هذا الرجل حقه .

فقال : نعم لاتيح حتى أخرج إليه حقه . فدخل فأخرج إليه
حقه فأعطاه .

ثم لم يلبث أن جاء أبوجهل فقالوا له : ويلك مالك ! فو
الله ما رأينا

مثل ما صنعت .

فقال : ويحك : والله ما هو إلا أن ضرب على بابى
وسمعت صوته فملتت رعبا ، ثم

خرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلا من الابل ما رأيت مثل
هامته ، ولا قصرته ولا أنيابه

لفحل قط ، فو الله لو أبيت لاكلنى .

فصل

وقال البخارى : حدثنا عياش بن الوليد ، حدثنا الوليد بن
مسلم ، حدثنى الازاعى ،

عن يحيى بن أبى كثير ، عن محمد بن إبراهيم التيمى ،
حدثنى عروة بن الزبير ، سألت

ابن - عمرو بن - (1) العاص فقلت : أخبرنى بأشد شئ
صنعه المشركون برسول الله .

قال : بينما النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فى حجر
الكعبة ، إذ أقبل عليه عقبة بن

أبى معيط فوضع ثوبه على عنقه (2) فخنقه خنقا شديدا
.

فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن
النبي صلى الله عليه وسلم

وقال : (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم
بالبينات من ربكم) الآية .

تابعه ابن إسحاق قال : أخبرني يحيى بن عروة ، عن أبيه
، قال : قلت

لعبد الله بن عمرو .

وقال عبدة : عن هشام ، عن أبيه قال : قيل لعمرو بن
العاص . وقال محمد بن عمرو :

عن أبي سلمة ، حدثني عمرو بن العاص .

* (هامش) * (1) من البخارى 2 / 182 (2) البخارى :
في عنقه . (*)

-471-

قال البيهقي وكذلك رواه سليمان بن بلال عن هشام بن
عروة كما رواه عبدة .

.....

- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 471 سطر 1 الى ص
480 سطر 21

قال البيهقي وكذلك رواه سليمان بن بلال عن هشام بن
عروة كما رواه عبدة .

انفرد به البخارى . وقد رواه في أماكن من صحيحه ،
وصرح في بعضها بعبد الله بن

عمرو بن العاص ، وهو أشبه لرواية عروة عنه ، وكونه
عن عمرو أبه لتقدم

هذه القصة .

وقد روى البيهقي عن الحاكم ، عن الاصم ، عن أحمد بن عبدالجبار ، عن يونس ، عن

محمد بن إسحاق ، حدثني يحيى بن عروة ، عن أبيه عروة قال : قلت لعبد الله بن عمرو

ابن العاص : ما أكثر ما رأيت قريشا أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما

كانت تظهره من عداوته ؟ فقال : لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرفهم يوما في الحجر ،

فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل

قط ، سفه أحلامنا وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا ، وصرنا منه

على أمر عظيم . أو كما قالوا .

قال : فبينما هم في ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل يمشى حتى استلم

الركن ، ثم مريهم طائفا بالبيت فغمزوه ببعض القول ، فعرفت ذلك في وجهه . فمضى ، فمر بهم

الثالثة فغمزوه بمثلها .

فقال : (أتسمعون يا معشر قريش ؟ أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح) .

فأخذت القوم كلمته ، حتى ما منهم من رجل إلا وكأنما على رأسه طائر وقع ، حتى

إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفأه (1) حتى إنه ليقول : انصرف أبا القاسم راشدا فما

كنت بجهول . فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* (هامش) * (1) يرفأه : يترضاه . (*)

حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم

ما بلغ منكم وما بلغكم عنه . حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه !

فبينما هم على ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا إليه وثبة رجل واحد

فأحاطوا به يقولون : أنت الذى تقول كذا وكذا ؟ ! لما كان يبلغهم من عيب

آلهتهم ودينهم .

فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (نعم أنا الذى أقول ذلك) قال

ولقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجامع رداءه ، وقام أبوبكر يبكى دونه ويقول :

ويلكم (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله) ثم انصرفوا عنه .

فإن ذلك لاكبر ما رأيت قريشا بلغت منه قط .

فصل

في تأليب الملا من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه

واجتماعهم بعمة أبى طالب القائم في منعه ونصرته ، وحرصهم عليه أن يسلمه إليهم

فأبى عليهم ذلك بحول الله وقوته

قال الامام أحمد : حدثنا وكيع ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لقد أوذيت في
الله وما يؤذي أحد ، وأخفت في

الله وما يخاف أحد ، ولقد أتت على ثلاثون من بين يوم
وليلة وما لى ولبلال ما يأكله

ذو كبد إلا ما يوارى إبط بلال !) .

وأخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث حماد بن سلمة به
، وقال الترمذى :

حسن صحيح .

-473-

وقال محمد بن إسحاق : وحدث على رسول الله صلى
الله عليه وسلم عمه أبوطالب

ومنعه وقام دونه .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله
مظهرا لدينه لايرده

عنه شئ .

فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لايعتبهن من شئ أنكروه عليه

من فراقهم وعيب آلهتهم ، ورأوا أن عمه أبوطالب قد
حذب عليه وقام دونه فلم يسلمه

لهم ، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبى طالب :
عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس

ابن عبد مناف بن قصي ، وأبوسفيان صخر بن حرب بن
أمية بن عبد شمس ،

وأبوالبختري ، واسمه العاص بن هشام بن الحارث بن
أسد بن عبدالعزى بن قصي ،

والاسود بن المطلب بن أسد بن عبدالعزيز ، وأبوجهل ،
واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة

ابن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، والوليد بن المغيرة بن
عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة

بن مرة بن كعب بن لؤى ، ونيه ومنبه ، ابنا الحجاج بن
عامر بن حذيفة بن سعيد بن

سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى ، والعاص بن
وائل بن سعيد بن سهم . قال ابن إسحاق : أو من مشى
منهم .

فقالوا : يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا ، وعاب
ديننا وسفه أحلامنا ،

وضلل آباءنا ، فإما أن تكفه عنا ، وإما أن تخرى بيننا
وبينه ، فإنك على مثل ما نحن

عليه من خلافه ، فنكفيكه .

فقال لهم أبوطالب قولا رفيقا ، وردهم ردا جميلا ،
فانصرفوا عنه .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو عليه ،
يظهر دين الله

ويدعو إليه .

-474-

ثم شرى (1) الامر بينهم وبينه حتى تباعد الرجال
وتضاغنوا .

وأكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها
، فتذامروا فيه وحض

بعضهم بعضا عليه .

ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى ، فقالوا : يا أبا طالب إن لك سنا وشرفا

ومنزلة فينا ، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهنا ، وإنا والله لانصبر على هذا

من شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا حتى تكفهنا ، أو تنازله وإياك في ذلك

حتى يهلك أحد الفريقين . أو كما قالوا . ثم انصرفوا عنه .

فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفسا بإسلام رسول الله صلى

الله عليه وسلم ولا خذلانه .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس ، أنه حدث أن

قريشا حين قالوا لأبي طالب هذا المقالة بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له :

يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا كذا وكذا ، للذي قالوا له ، فأبق على وعلى نفسك

ولاتحملني من الامر ما لا أطيق .

قال : فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه فيه بدو (1) وأنه خاذله ومسلمه

وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه .

قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني ،

والقمر في يساري على أن أترك هذا الامر حتى يظهره الله ، أو أهلك فيه ما تركته) .

قال : ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ثم قام !

* (هامش) * (1) شرى : اشتد . (2) ابن هشام
والمراجع : بدء . (*)

-475-

فلما ولى ناداه أبوطالب فقال : أقبل يا ابن أختى . فأقبل
عليه رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، اذهب يا ابن أختى فقل ما أحببت فوالله لأسلمتك
لشئ أبدا .

قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب
قد أبى خذلان رسول الله

صلى الله عليه وسلم وإسلامه ، وإجماعه لفراقهم في
ذلك وعداوتهم (1) ، مشوا إليه بعمارة

ابن الوليد بن المغيرة ، فقالوا له ، فيما بلغنى : يا أبا
طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى

في قريش وأجمله ، فخذه فلك عقله ونصره ، واتخذه
ولدا فهو لك ، وأسلم إلينا ابن أختك

هذا الذى قد خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك
، وسفه أعلامنا فنقتله ،

فإنما هو رجل برجل !

قال : والله لبئس ما تسوموننى ! أتعطوننى ابنكم أغذوه
لكم ، وأعطيكم ابنى

فقتلونه ! هذا والله ما لا يكون أبدا .

قال : فقال المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن
قصي : والله يا أبا طالب

لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره ، فما
أراك تريد أن تقبل

منهم شيئا .

فقال أبوطالب للمطعم : والله ما أنصفوني ، ولكنك قد
أجمعت خذلاني ومظاهرة

القوم على ، فاصنع ما بدا لك . أو كما قال .

فحقب الامر ، وحميت الحرب ، وتنايذ القوم ، ونادى
بعضهم بعضا .

فقال أبوطالب عند ذلك يعرض بالمطعم بن عدى ويعم
من خذله من بنى عبد مناف

ومن عاداه من قبائل قريش ، ويذكر ما سألوه وما تباعد
من أمرهم :

* (هامش) * (1) الاصل : وعداوته . وهو تحريف وما أثبتته
عن ابن هشام . (*)

-476-

- ألا قل لعمرى والوليد ومطعم * ألا ليت حظى من
حياطتكم بكر (1) -

- من الخور حباب (2) كثير رغاؤه * يرش على الساقين
من بوله قطر -

- تخلف خلف الورد ليس بلا حق * إذ ما علا الفيفاء (3)
قيل له وبر -

- أرى أخوينا من أبينا وأمنا * إذا سئلا قالا إلى غيرنا الامر
-

- بلى لهما أمر ولكن تجرجما * كما جرجمت من رأس ذى
علق الصخر (4) -

- أخص خصوصا عبد شمس ونوفلا * هما نبذانا مثل ما نبذ
الجمر -

- هما أغمزا للقوم في أخويهما * فقد أصبحا منهم أكفهما
- صفر -

- هما أشركا في المجد من لا أبا له * من الناس إلا أن
يرس (5) له ذكر -

- وتيم ومخزوم وزهرة منهم * وكانوا لنا مولى إذا بغى
النصر -

- فو الله لاتنفك منا عداوة * ولا منكم ما دام من نسلنا
شفر (6) -

فصل

في مبالغتهم في الاذية لآحاد المسلمين ا لمستضعفين

قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا تذامروا بينهم على من
في القبائل من أصحاب رسول

الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا معه .

فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم
ويفتنونهم عن دينهم .

ومنع الله منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمه
أبى طالب .

* (هامش) * (1) أى أن بكرا من الابل أنفخ لى منكم ،
فليته لى بدلا من حياطتكم . (2) الخور : الضعاف ،

والحباب : الصغير . (3) الفيفاء : الصحراء . والوبر : دويبة
كالسنور .

(4) الاصل : تخرجما : محرفة ، وما أثبتته من ابن هشام .
وتجرجم : سقط وانحدر . وذو علق : جبل

في ديار بنى أسد . (5) يرس : يعرف . (6) شفر بفتح
الشين وضمها : أحد . (*)

وقد قام أبوطالب حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون
في بنى هاشم وبنى

ع بدالمطلب ، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول
الله صلى الله عليه وسلم والقيام

دونه ، فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم
إليه ، إلا ما كان من أبى

لهب عدو الله .

فقال في ذلك يمدحهم ويحرضهم على ما وافقوه عليه من
الحدب والنصرة لرسول

الله صلى الله عليه وسلم .

- إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر * فعبد مناف سرها
وصميمها -

- وإن حصلت أشراف عبد منافها * ففى هاشم أشرافها
وقديمها

- وإن فخرت يوما فإن محمدا * هو المصطفى من سرها
وكريمها -

- تداعت قريش عثها وسمينها * علينا فلم تظفر وطاشت
حلومها -

- وكنا قديما لانقر ظلامه * إذا ما ثنوا صعر الرقاب نقيمها
-

- ونحمى حماها كل يوم كريمة * ونضرب عن أحجارها من
يرومها -

- بنا انتعش العود الذواء وإنما * بأكنافنا تندى وتنمى أرومها
-

فصل

فيما اعترض به المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما تعنتوا له في أسئلتهم إياه أنواعا من الآيات وخرق العادات

على وجه العناد ، لاعلى وجه طلب الهدى والرشاد
فلهذا لم يجابوا إلى كثير مما طلبوا ولا ما إليه رغبوا ،
لعلم الحق سبحانه

أنهم لو عاينوا وشاهدوا ما أرادوا لاستمروا في طغيانهم
يعمهمون ، ولظلموا في غيهم

وضلالهم يتردون .

478

قال الله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم
آية ليؤمنن بها ، قل إنما

الآيات عند الله ، وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ،
ونقلب أفئدتهم وأبصارهم

كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ،
ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة

وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا
ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن

أكثرهم يجهلون (1) .

وقال تعالى : (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون
ولو جاءتهم كل آية

حتى يروا العذاب الاليم (2) .

وقال تعالى : (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب
بها الأولون ، وآتينا ثمود

الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا (3) .

وقال تعالى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ، أو تكون

لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفسجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت

علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبلا ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى

في السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه . قل : سبحان ربي هل

كنت إلا بشرا رسولا (4) .

وقد تكلمنا على هذه الآيات وما يشابهها في أماكنها في التفسير ولله الحمد .

وقد روى يونس وزباد (5) عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، وهو شيخ من

أهل مصر يقال له محمد بن أبي محمد ، عن سعيد بن جبير وعكرمة ، عن ابن عباس قال :

اجتمع عليّة من أشرف قريش ، وعدد أسماءهم ، بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة

فقال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلّموه ، وخاصّموه حتى تعذروا فيه .

* (هامش) * (1) سورة الانعام 109 - 111 . (2) سورة يونس 96 - 97 . (3) سورة الاسراء 59 . (4) سورة الاسراء 90 - 93 . (5) يونس بن بكير ، وزباد البكائي ، وهما راويا السيرة عن ابن إسحاق (*)

479

فبعثوا إليه : إن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلّموك .

فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا ، وهو
يظن أنه قد بدالهم في أمره بدو ،

وكان حريصا يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم ، حتى جلس
إليهم .

فقالوا : يا مجمد إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك ، وإنا والله
لانعلم رجلا من العرب

أدخل على قومه ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء
، وعبت الدين ، وسفهت

الاحلام ، وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة ، وما بقى من
قبيح إلا وقد جئته فيما

بيننا وبينك .

فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من
أموالنا ، حتى تكون

أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك
علينا ، وإن كنت تريد

ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك بما يأتيك
رئيا تراه قد غلب عليك ،

وكانوا يسمون التابع من الجن الرئى - فربما كان ذلك ،
بذلنا أموالنا في طلب الطب حتى

نبرئك منه أو نعذر فتك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مابى ما
تقولون ، ما جئكم بما جئكم

به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ،
ولكن الله بعثنى إليكم

رسولا ، وأنزل على كتابا ، وأمرنى أن أكون لكم بشيرا
ونذيرا ، فبلغتكم رسالة

ربى ونصحت لكم ، فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو
حظكم من الدنيا والآخرة ،

وإن تردوه على أصبر لامر الله حتى يحكم الله بينى
وبينكم) . أو كما قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم .

فقالوا : يا محمد فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليم
فقد علمت أنه ليس أحد

من الناس أضيّق بلادا ، ولأقلّ مالا ، ولا أشدّ عيشا منا ،
فسل لنا ربك الذى بعثك

480

بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا
، وليسط لنا بلادنا ، وليجر

فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى
من آبائنا ، وليكن فيما يبعث

لنا منهم قصي بن كلاب ، فإنه كان شيخا صدوقا فنسألهم
عما تقول : أحق

هو أم باطل ؟

فإن فعلت ما سألتك وصدقوك ، صدقناك وعرفنا به
منزلتك عند الله ، وأنه بعثك

رسولا كما تقول .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما بهذا
بعثت ، إنما جئتكم من عند الله

بما بعثنى به ، فقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم ، فإن
تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة ،

وإن تردوه على أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم) .

قالوا : فإن لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك ، فسل ربك أن يبعث لنا ملكا يصدقك

بما تقول ، ويراجعنا عنك ، وتسأله فيجعل لنا جنانا وكنوزا وقصورا من ذهب وفضة ،

ويغنيك عما نراك تبتغي ، فإنك تقوم في الاسواق وتلتمس المعاش (1) كما نلتمسه ، حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم .

فقال لهم : (ما أنا بفاعل ، ما أنا بالذي يسأل ربه هذا ، وما بعثت إليكم بهذا ،

ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا ، فإن تقبلوا ماجئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ،

وإن تردوه على أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم) .

قالوا : فأسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ، فإننا لن نؤمن لك إلا

أن تفعل .

فقال : (ذلك إلى الله إن شاء فعل بكم ذلك) .

فقالوا : يا محمد ما علم ربك أننا سنجلس معك ونسألك عما سألتناك عنه ، ونطلب

* (هامش) * (1) الاصل : المعاييش محرفة . وما أثبتته عن ابن هشام . (*)

-481-

منك ما نطلب ، فيتقدم إليك ويعلمك ما تراجعنا به ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا

.....
- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 481 سطر 1 الى ص
490 سطر 24

منك ما نطلب ، فيتقدم إليك ويعلمك ما تراجعنا به
ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا

إذا لم نقبل منك ما جئتنا به .

فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له
الرحمن ، وأنا والله لانؤمن بالرحمن

أبدا ، فقد أعذرنا إليك يا محمد ، أما والله لانتركك وما
فعلت بنا حتى نهلكك

أو تهلكنا .

وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة وهى بنات الله وقال
قائلهم : لن نؤمن لك حتى

تأتينا بالله والملائكة قبلا .

فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
عنهم وقام معه عبدالله بن أبى أمية

ابن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، وهو ابن
عمته عاتكة بنت ع بدالمطلب ، فقال :

يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله ، ثم
سألوك لانفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك

من الله فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به
من العذاب ، فوالله لا أومن لك أبدا

حتى تتخذ إلى السماء سلما ، ثم ترقى منه وأنا أنظر
حتى تأتيها ، وتأتى معك بنسخة

منشورة ، ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما
تقول . وايم الله لو فعلت
ذلك لظننت أنى لأصدقك .

ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وانصرف رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى أهله حزينا أسفا لما فاته مما (1) طمع فيه
من قومه حين دعوه ، ولما رأى من
مباعدتهم إياه .

وهذا المجلس الذى اجتمع عليه هؤلاء الملا مجلس ظلم
وعدوان وعناد ، ولهذا

* (هامش) * (1) الاصل : بما . محرفة ، والعبارة في
ابن هشام : مما كان يطمع به من قومه . (31 - السيرة -
(*) (1)

-482-

اقتضت الحكمة الالهية والرحمة الربانية ألا يجابوا إلى ما
سألوا ، لان الله علم أنهم لايؤمنون
بذلك فيعاجلهم بالعذاب .

كما قال الامام أحمد : حدثنا عثمان بن محمد ، حدثنا
جرير ، عن الاعمش ، عن

جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس
قال : سأل أهل مكة رسول الله

صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا ، وأن
ينحى عنهم الجبال فيزدرعوا ، ف قيل له :

إن شئت أن تستأنى بهم ، وإن شئت أن تؤتيهم الذى
سألوا فإن كفروا هلكوا كما

أهلكت من قبلهم الامم .

قال : (لا بل أستأني بهم) . فأنزل الله تعالى : (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الاولون ، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا (1)) .

وهكذا رواه النسائي من حديث جرير .

وقال أحمد : حدثنا عبدالرحمن ، حدثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن عمران

ابن حكيم ، عن ابن عباس ، قال : قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم : ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك . قال : وتفعلوا ؟ قالوا : نعم .

قال : فدعا ، فأتاه جبريل فقال : إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك : إن شئت أصبح الصفا لهم ذهباً ، فمن كفر منهم بعد ذلك أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ، وإن شئت فتحت لهم باب الرحمة والتوبة .

قال : (بل التوبة والرحمة) . * (هامش) * (1) سورة الاسراء 59 . (*)

-483-

وهذان إسنادان جيدان ، وقد ؟ ؟ مرسلاً عن جماعة من التابعين منهم سعيد بن جبير وقتادة وابن جريج ، وغير واحد .

وروى الامام أحمد والترمذي من حديث عبدالله بن المبارك ، حدثنا يحيى بن

أيوب ، عن عبيد الله بن زحر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن (1) أبي أمامة ، عن

النبي صلى الله عليه وسلم قال (عرض على ربي عزوجل
أن يجعل لى بطحاء مكة ذهباً ،

فقلت : لا يارب ، أشبع يوماً وأجوع يوماً ، أو تحو ذلك ،
فإذا جعت تضرعت إليك

وذكرتك ، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك) .

لفظ أحمد . وقال الترمذى : هذا حديث حسن ، وعلى بن
يزيد يضعف

في الحديث .

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى شيخ من أهل مصر ، قدم
علينا منذ بضع وأربعين

سنة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : بعثت قريش
النضر بن الحارث ، وعقبة

ابن أبى معيط ، إلى أخبار يهود بالمدينة ، فقالوا لهما :
سلوهم عن محمد وصفا

لهم صفته ، واخبراهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الاول ،
وعندهم علم ما ليس عندنا

من علم الانبياء .

فخرجا حتى قدما المدينة ، فسألا أخبار يهود عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم

ووصفا لهم أمره وبعض قوله ، وقالوا : إنكم أهل التوراة ،
وقد جئناكم لتخبرونا عن

صاحبنا هذا .

* (هامش) * (1) الاصل بن أبى أمامة . وهو تحريف .
وهو القاسم بن عبدالرحمن ، لم يرو إلا عن أبى أمامة

من الصحابة . (*)

قال : فقالت لهم أحبار يهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن ، فهو

نبي مرسل ، وإن لم يفعل فهو رجل متقول فروا فيه رأيكم .

سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان من أمرهم ؟ فإنه قد كان لهم

حديث عجيب .

وسلوه عن رجل طواف طاف مشارق الارض ومغاربها ما كان - نبؤه - (1) ؟

وسلوه عن الروح ما هي ؟

فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه ، وإن لم يخبركم فإنه رجل متقول ، فاصنعوا في

أمره ما بدالكم .

فأقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش فقالوا : يا معشر قريش قد جئناكم بفصل

ما بينكم وبين محمد ، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور . فأخبراهم بها .

فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد أخبرنا . فسألوه عما أمرهم به .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أخبركم غدا بما سألتهم عنه) .

ولم يستثن .

فانصرفوا عنه ، ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لا يحدث

له في ذلك وحيا ، ولا يأتيه جبريل حتى أرفج أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غدا ،

واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشئ
مما سألناه عنه . وحتى أحزن

رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحي عنه ،
وشق عليه ما يتلکم به

أهل مكة .

ثم جاءه جبريل عليه السلام من الله عزوجل بسورة
الكهف ، فيها معاتبته إياه على

* (هامش) * (1) من ابن هشام . (*)

-485-

حزنه عليهم - وخبر - (1) ما سألوه عنه من أمر الفتية
والرجل الطواف ، وقال الله تعالى :

(ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي ، وما
أوتيتم من العلم

إلا قليلا) .

وقد تكلمنا على ذلك كله في التفسير مطولا ، فمن أراد
فعلیه بکشفه

من هناك .

ونزل قوله : (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا
من

آياتنا عجا) .

ثم شرع في تفصيل أمرهم ، واعترض في الوسط بتعليمه
الاستثناء تحقيقا لاتعليقا

في قوله (ولا تقولن لشيئ إني فاعل ذلك غدا إلا أن
يشاء الله ، واذكر ربك

إذا نسيت) .

ثم ذكر قصة موسى لتعلقها بقصة الخضر ، ثم ذى
القرنين ، ثم قال : ويسألونك

عن ذى القرنين ، قل سأتلو عليكم منه ذكرا) ثم شرح
أمره وحكى خبره .

وقال في سورة سبحان : (ويسألونك عن الروح ، قل
الروح من أمر ربي) .

أى خلق عجيب من خلقه ، وأمر من أمره ، قال لها
كونى فكانت ، وليس لكم

الاطلاع على كل ما خلقه ، وتصوير حقيقته في نفس
الامر يصعب عليكم بالنسبة إلى

قدرة الله تعالى وحكمته ، ولهذا قال : (وما أوتيتم من
العلم إلا قليلا) .

وقد ثبت في الصحيحين أن اليهود سألوا عن ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم

بالمدينة ، فتلا عليهم هذه الآية .

* (هامش) * (1) من ابن هشام . (*)

-486-

فإما أنها نزلت مرة ثانية أو ذكرها جوابا ، وإن كان نزولها
متقدما . ومن قال إنها

إنما نزلت بالمدينة واستثناها من سورة سبحان ففى قوله
نظر . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : ولما خشى أبوطالب دهم (1) العرب
أن يركبوه مع قومه ، قال

قصيدته التى تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها ، وتودد
فيها أشراف قومه وهو على

ذلك يخبرهم وغيرهم في شعره أنه غير مسلم لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تاركه

لشئ أبدا حتى يهلك دونه . فقال :

- ولما رأيت القوم لاود فيهم * وقد قطعوا كل العرى
والوسائل -

- وقد صارحونا بالعدواة والاذى * وقد طاوعوا أمر العدو
المزائل -

- وقد حالفوا قوما علينا أظنة * يعضون غيظا خلفنا بالانامل
-

- صبرت لهم نفسى بسمراء سمحة * وأبيض غضب من
تراث المقاول (2)

- وأحضرت عند البيت رهطى وإخوتى * وأمسكت من أثوابه
بالوصلات -

- قياما معا مستقبليين رتاجه * لدى حيث يقضى حلفه كل
نافل (3)

- وحيث ينيخ الاشعرون ركابهم * بمفضى السيول من
إساف ونائل -

- موسمة الاعضاد أو قصراتها * مخيسة بين السديس وبازل
(4) -

- ترى الودع فيها والرخام وزينة * بأعناقها معقودة كالعثاكل
(5) -

* (هامش) * (1) ابن هشام : دهماء . (2) العضب :
القاطع . والمقاول : الملوك . (3) النافل : المتبرئ . (4)
الموسمة : المعلمة . والقصرات : جمع قصرة ، وهى أصل
العنق . والمخيسة : المذلة . والسديس

من الابل : الذى دخل في السنة الثامنة . والبازل : الذى
خرج نابه ، وذلك في السنة التاسعة .

(5) العثاكل : الاغصان التى ينبت عليها التمر . واحدها
عثكول ، وجمعها عثاكيل ، وحذفت الياء

للضرورة . (*)

-487-

- أعود برب الناس من كل طاعن * علينا بسوء أو ملح
بباطل -

- ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة * ومن ملحق في الدين ما
لم نحاول -

- وثور ومن أرسى ثيرا مكانه * وراق ليرقى في حراء
ونازل -

- وبالبيت حق البيت من بطن مكة * وبالله ، إن الله ليس
بغافل -

- وبالجر المسود إذ يمسحونه * إذا أكتنفوه بالضحى
والاصائل -

- وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة * على قدميه حافيا غير
ناعل -

- وأشواط بين المروتين إلى الصفا * وما فيهما من صورة
وتماثل -

- ومن حج بيت الله من كل راكب * ومن كل ذى نذر
ومن كل راجل -

- وبالمشعر الاقصى إذا عمدوا له * إلال إلى مفضى
الشراج القوابل (1) -

- وتوقفهم فوق الجبال عشية * يقيمون بالأيدي صدور
الرواحل -

- وليلة جمع والمنازل من منى * وهل فوقها من حرمة
ومنازل -

- وجمع إذا ما المقربات أجزنه * سراعاً كما يخرجن من
وقع وأبل -

- وبالجمرة الكبرى إذا صمدوا لها * يؤمون قذفا رأسها
بالجنادل -

- وكندة إذ هم بالحصاب عشية * تجيز بهم حجاج بكر بن
وائل -

- حليفان شدا عقد ما احتلفا له * وردا عليه عاطفات
الوسائل -

- وحطمهم سمر الرماح وسرحه * وشبرقه وخذ النعام
الجوافل (2)

* (هامش) * (1) إلال : جبل عرفة . قال النابغة :

* يزرن إلالاً مسيرهن التدافع *

وسمى إلالاً لان الجيج إذا رأوه ألوا في السير ، أى
اجتهدوا فيه ليدركوا الموقف . والشراج : جمع

شرح وهو مسبل الماء . والقوايل : المتقابلة .

(2) الشبرق : نبات يقال ليابسه الحلى والرطوبة الشبرق .
والوخذ : السير السريع . والجوافل . المسرعة

والرواية في الروض : سمر الصفاح ، وعليها يكون هناك
معنى لعطف (وسرحه) على سمر . والسمر :

من شجر الطلع . والصفاح : جمع صفح وهو عرض الجبل .
والسرح : شجر عظام . (*)

-488-

- فهل بعد هذا من معاذ لعائذ * وهل من معيذ يتقى الله
عادل -

- يطاع بنا أمر العداود أننا * يسد بنا أبواب ترك وكابل (1)
-

- كذبتم وبيت الله نترك مكة * ونظعن إلا أمركم في بلابل
-

- كذبتم وبيت الله نبزى محمدا * ولما نطاعن دونه وناضل
(2) -

- ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل -

- وينهض قوم بالحديد إليكم * نهوض الروايا تحت ذات
الصلاصل (3) -

- وحتى نرى ذا الضعفن يركب ردعه * من الطعن فعل
الانكب المتحامل -

- وإنا لعمر الله إن جد ما أرى * لتلتبسن أسيافنا بالامائل
-

- بكفى فتى مثل الشهاب سميدع * أخی ثقة حامى
الحقيقة باسل (5) -

- شهورا وأياما وحولا محرما * علينا وتأتى حجة بعد قابل -

- وما ترك قوم ، لا أبا لك ، سيدا * يحوط الذمار غير
ذرب مواكل (6) -

- وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة
للارامل (1) -

- يلوذ به الهلاك من آل هاشم * فهم عنده في رحمة
وفواضل -

- لعمرى لقد أجرى أسيد وبكره * إلى بغضنا وجز أنا لآكل
(8) -

* (هامش) * (1) الاكتفا : * يطاع بنا العدى وودوا لو اننا
*

وهى رواية بعض نسخ ابن هشام .

(2) نبزى : نسلب . وفى الروض نبذى . محرفة .

(3) الروايا : الابل تحمل الماء ، واحدتها روايا . والصلاصل
:المزادات لها صلصلة بالماء .

(4) الضغن : العداوة . ويركب درعه : يخر صريعا لوجهه .
والانكب : المائل إلى جهة .

(5) السמידع : السيد . (6) الذرب بالتسكين مخففة من
الذرب بكسر الراء ، وهو : اللسان

الفاحش النطق ، والمواكل : العاجز الذى يعتمد على غيره
(7) ثمال اليتامى : الذى يثملهم ويقوم بهم

(8) أسيد وبكره : عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية
بن عبد شمس بن عبد مناف . (*)

-489-

- وعثمان لم يربع علينا وقنفذ * ولكن أطاعا أمر تلك
القبائل (1) -

- أطاعا أبا وابن ؟ ؟ يغوثهم * ولم يرقبا فينا مقالة قائل
(2) -

- كما قد لقينا من سبيع ونوفل * وكل تولى معرضا لم
يجامل (3) -

- فإن يلفيا أو يمكن الله منهما * نكل لهما صاعا بصاع
المكايل -

- وذاك أبو عمرو أبى غير بغضنا * ليظعننا في أهل شاء
وجامل (4) -

- يناجى بنافى كل ممسى ومصبح * فجاج أبا عمرو بنا ثم
خاتل - (5)

- ويؤلى لنا بالله ما إن يغشنا * بلى قد نراه جهرة غير
خاتل (6) -

- أضاق عليه بغضنا كل تلة * من الارض بين أخشب
فمجادل (7) -

- وسائل أبا الوليد ماذا حبوتنا * بسعيك فينا معرضا
كالمخاتل -
- وكنت امرءا ممن يعاش برأيه * ورحمته فينا ولست
بجاهل -
- فعتبة لاتسمع بنا قول كاشح * حسود كذوب مبغض ذى
دغاؤل (8) -
- ومر أبوسفیان عنى معرضا * كما مر قيل من عظام
المقاؤل -
- يفر إلى نجد وبرد مياحه * ويزعم أنى لست عنكم بغافل
-
- ويخبرنا فعل المناصح أنه * شفيق ويخفى عارمات
الدواخل -
- أمطعم لم أخذك في يوم نجدة * ولامعظم عند الامور
الجلائل -
- ولا يوم خصم إذ أتوك ألة * أولى جدل من الخصوم
المساجل (9) -
- * (هامش) * (1) عثمان بن عبيد الله أخو طلحة ،
وقنفذ : ابن عمير بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد
بن تيم
- ابن مرة . (2) أبى : الاخنس بن شريق . (3) سبيع : ابن
خالد ، أخو بلحارث بن فهر .
- ونوفل : ابن خويلد بن أسد بن عبدالعزيز بن قصى . (4)
أبو عمرو : قرظة بن عبد عمرو بن
- نوفل بن عبد مناف . ويطعننا : يخرجنا . والشاء : اسم
جمع ، وكذلك الجامل . (5) خاتل : خادع .
- (6) يؤلى : يقسم . وفى ابن هشام : غير حائل . (7)
التلعة : المشرف من الارض .

(8) الدغول : الغوائل . (9) المساجل : جمع مسجل
بكسر الميم ، وهو الخصم المدافع .

أو جمع مساجل بضم الميم ، على تقدير حذف الالف
الزائدة من مفاعل ، وتروى بالحاء جمع مسجل وهو
اللسان . (*)

-490-

- أمطعم إن القوم ساموك خطة * وإنى متى أوكل فلسنت
بوائل -

- جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * عقوبة شر عاجلا غير
آجل -

- بميزان قسط لاخييس شعيرة * له شاهد من نفسه غير
عائل (1) -

- لقد سفهت أحرم قوم تبدلوا * بنى خلف قيضا بنا
والغياطل (2) -

- ونحن الصميم من ؟ ؟ وابة هاشم * وآل قصى في
الخطوب الاوائل -

- وسهم ومخزوم تمالوا وألبوا * علينا العدا من كل طمل
وخامل (3) -

- فعبد مناف أنتم خير قومكم * فلا تشركوا في أمركم كل
واغل (4) -

- لعمرى لقد وهنتم وعجزتم * وجئتم بأمر مخطئ للمفاصل
-

- وكنتم حديثا حطب قدر وأنتم * ألان حطاب أقدر ومراجل
(5) -

- ليهن بنى عبد مناف عقوقنا * وخذلاننا وتركنا في المعائل
-

- فإن نك قوما نتثر ما صنعتهم * وتحتلبوها لقحة غير باهل
(6) -

- فأبلغ قصيا أن سينشر أمرنا * وبشر قصيا بعدنا بالتخاذل
-

- لو طرقت ليلا قصيا عظيمة * إذا ما لجأنا دونهم في
المداخل -

- ولو صدقوا ضربا خلال بيوتهم * لكننا أسى عند النساء
المطافل -

- فكل صديق وابن أخت نعهده * لعمرى وجدنا غبه غير
طائل (7) -

- سوى أن رهطا من كلاب بن مرة * براء إلينا من معقة
خازل -

* (هامش) * (1) يخيس من خاس بالعهد إذا نقضه .
وتروى لا يخس ، أى لا ينقص . والعائل : الظالم

(2) الغياطل : بنو سبهم لان أهمهم الغيطلة . (3) الطمل :
اللص وهو الفاحش أيضا .

(4) الواغل : المتطفل . (5) الحطب : اسم للجمع مثل
ركب وليس بجمع . وقوله : حطاب أقدر

هو جمع حاطب . والمعنى : كنتم متفقين لاتحطبون إلا
لقدر واحدة فانتم الآن بخلاف ذلك .

(6) نتثر : ثأر . واللقحة : الناقة ذات اللبن . والباهل :
الناقة التي لاصرار على أخلافها فهي مباحة

الحلب ، يقال : ناقة مصرورة إذا كان على خلفها صرار
يمنع الفصيل من أن يرضع .

(7) غبه : عاقبته . (*)

- ونعم ابن أخت القوم غير مكذب * زهير حساما مفردا
من حمائل -

.....
- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 491 سطر 1 الى ص
500 سطر 22

- ونعم ابن أخت القوم غير مكذب * زهير حساما مفردا
من حمائل -

- أشم من الشم البهاليل ينتمى * إلى حسب في حومة
المجد فاضل -

- لعمرى لقد كلفت وجدا بأحمد * وإخوته دأب المحب
المواصل -

- فمن مثله في الناس أى مؤمل * إذا قاسه الحكام عند
التفاضل -

- حلیم رشید عادل غير طائش * يوالى إلهها ليس عنه
بغافل -

- كريم المساعى ماجد وابن ماجد * له إرث مجد ثابت غير
ناصل (1) -

- وأيده رب العباد بنصره * وأظهر دينا حقه غير زائل -

- فو الله لولا أن أجيئ بسبة * تجر على أشياخنا في
المحافل -

- لكننا تبعناه على كل حالة * من الدهر جدا غير قول
التهازل -

- لقد علموا أن ابننا لامكذب * لدينا ولا يعنى بقول الاباطل
-

- فأصبح فينا أحمد في أرومة * تقصر عنها (2) سورة
المتناول -

- حذبت بنفسى دونه وحميته * ودافعت عنه بالذرى
والكلاكل -

قال ابن هشام : هذا ما صح لى من هذه القصيدة ،
وبعض أهل العلم بالشعر
ينكر أكثرها .

قلت : هذه قصيدة عظيمة بليغة جدا لا يستطيع يقولها إلا
من نسبت إليه ،

وهى أفحل من المعلقات السبع ! وأبلغ فى تأديه المعنى
منها جميعها (3) .

وقد أوردتها الاموى فى مغازيه مطولة بزيادات آخر والله
أعلم .

* (هامش) * (1) هذا البيت وما بعده ليسا فى ابن
هشام . وناصل : زائل . (2) ابن هشام : تقصر عنه .

(3) أصدر ابن كثير رحمه الله هذا الحكم ، وفضل هذه
القصيدة المفككة الاوصال على المعلقات السبع

رغم ما فيها من ألفاظ متكلفة ومعانى ركيكة ، وعذره أنه
لم يكن ناقدًا أو خبيرًا فى الشعر . والقصيدة

تخلو من طابع ذلك العصر فى الالفاظ والمعانى والاساليب
(*) .

-492-

فصل

قال ابن إسحاق : ثم إنهم عدوا على من أسلم واتبع
رسول الله صلى الله عليه وسلم

من أصحابه .

فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا
يحبسونهم ويعذبونهم

بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر ،
من استضعفوه منهم ، يفتنونهم

عن دينهم .

فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذى يصيبهم ، ومنهم من
يصلب لهم ويعصمه

الله منهم .

فكان بلال مولى أبى بكر ، لبعض بنى جمح مولدا من
مولديهم ، وهو بلال بن رباح

واسم أمه حمامة ، وكان صادق الاسلام طاهر القلب ،
وكان أمية بن خلف يخرجها إذا

حميت الظهيرة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على
صدره ثم يقول له : لا والله لاتزال

هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى .

فيقول ، وهو في ذلك : أحد أحد .

قال ابن إسحاق : فحدثنى هشام بن عروة عن أبيه قال :
كان ورقة بن نوفل يمر به

وهو يعذب لذلك وهو يقول أحد أحد . فيقول : أحد أحد
والله يا بلال !

ثم يقبل على أمية بن خلف ومن يصنع ذلك به من بنى
جمح فيقول : أحلف بالله لئن

قتلتموه على هذا لاتخذنه حنانا (1) .

قلت : قد استشكل بعضهم هذا من جهة أن ورقة توفى
بعد البعثة في فترة الوحي ،

* (هامش) * (1) أى لاتخذن قبره منسكا ومسترحما .
(*)

وإسلام من أسلم إنما كان بعد نزول (يا أيها المدثر)
فكيف يمر ورقة ببلال ، وهو

يعذب ؟ وفيه نظر .

ثم ذكر ابن إسحاق مرور أبي بكر ببلال وهو يعذب ،
فاشتراه من أمية بعبد له

أسود فأعتقه وأراحه من العذاب

وذكر مشتراه لجماعة ممن أسلم من العبيد والاماء ، منهم
بلال ، وعامر بن فهيرة ،

وأم عميس (1) - وزنيرة (2) - التي أصيب بصرها ثم
رده الله تعالى لها .

والنهدية وابنتها ، اشتراهما من بنى عبد الدار ، بعثتهما
سيدتهما تطحنان لها فسمعها

وهي تقول لهما : والله لأعتقكما أبدا . فقال أبوبكر : حل
(3) يا أم فلان . فقالت :

حل ، أنت أفسدتهما فأعتقهما . قال : فبكم هما ؟ قالت :
بكذا وكذا . قال : قد أخذتهما

وهما حرتان ، أرجعا إليها طحينها . قالتا : أو نفرغ منه يا
أبا بكر ثم نرده إليها . قال :

- أو - ذلك إن شئتما .

واشترى جارية بنى مؤمل ، حى من بنى عدى ، كان عمر
يضرها على الاسلام .

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن عبدالله بن أبي عتيق
، عن عامر بن عبدالله

ابن الزبير ، عن بعض أهله . قال : قال أبو قحافة لابنه
أبي بكر : يا بنى إنى

أراك تعتق ضعافا ، فلو أنك إذا فعلت ما فعلت أعتقت
رجالا جلداً يمنعونك

ويقومون دونك .

قال : فقال أبوبكر : يا أبت إني إنما أريد ما أريد .

* (هامش) * (1) كذا بالأصل وابن هشام والروض الانف
. ولكن الزرقاني ضبطها بعين مهملة مضمومة فون

وقيل بموحدة فتحية . شرح المواهب 1 / 269 . (2)
سقطت من الاصل وأثبتها من ابن هشام والمراجع . (3)
حل : تحلى من يمينك ، وفى

الاكتفاء : حل . بالنصب وهو أفصح . (*)

494

قال : فيحدث أنه ما أنزل هؤلاء الايات إلا فيه وفيما قال
أبوه : (فأما من أعطى

واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) إلى آخر
السورة .

وقد تقدم ما رواه الامام أحمد وابن ماجه من حديث
عاصم بن بهدلة عن زر ، عن

ابن مسعود قال : أول من أظهر الاسلام سبعة : رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وأبوبكر

وعمار ، وأمه سمية ، وصهيب ، وبلال ، والمقداد .

فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه ،
وأبوبكر منعه الله بقومه ، وأما

سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد
وصهروهم في الشمس ، فما منهم من

أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا ، إلا بلالا فإنه هانت
عليه نفسه في الله تعالى ،

وهان على قومه فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون
به في شعاب مكة وهو

يقول : أحد أحد .

ورواه الثوري عن منصور عن مجاهد مرسلا .

قال ابن إسحاق : وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن
ياسر وبأبيه وأمه ، وكانوا

أهل بيت إسلام ، إذا حميت الظهرية يعذبونهم برمضاء
مكة .

فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول - فيما
بلغنى - : (صبرا آل ياسر

موعدكم الجنة) .

وقد روى البيهقي عن الحاكم ، عن إبراهيم بن عصمة
العدل ، حدثنا السري بن

خزيمة ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا هشام بن أبي
عبيد الله ، عن أبي الزبير ، عن جابر أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم مر بعمار وأهله وهم يعذبون فقال :
أبشروا

آل عمار وآل ياسر ، فإن موعدكم الجنة) فأما أمه
فيقتلونها فتأبى إلا لإسلام .

495

وقال الامام أحمد : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور
، عن مجاهد قال .

أول شهيد كان في أول الاسلام استشهد : أم عمار سمية
، طعنها أبوجهل بحربة في قلبها .

وهذا مرسل .

قال محمد بن إسحاق : وكان أبوجهل الفاسق الذى يغرى بهم في رجال من قريش ،

إن سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة أئبه وخزاه وقال : تركت دين أبيك وهو خير

منك ، لنسفهن حلمك ، ولنفيين (1) رأيك ، ولنضعن شرفك . وإن كان تاجرا قال :

والله لنكسدن تجارتك ، ولنهلكن مالك . وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به .

لعنه الله وقبحه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير قال : قلت لعبد الله

ابن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من

العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم ؟

قال : نعم والله ! إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن

يستوى جالسا من شدة الضر الذى به ، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة ، حتى يقولوا له :

اللات والعزى إلهان من دون الله ؟ فيقول : نعم ! إفتداء منهم بما يبلغون من جهدهم .

قلت : وفى مثل هذا أنزل الله تعالى (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره

وقلبه مطمئن بالإيمان ، ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم

عذاب عظيم) (2) .

فهؤلاء كانوا معذورين بما حصل لهم من الالهانة والعذاب
البليغ ، أجازنا الله من
ذلك بحوله وقوته .

* (هامش) * (1) لنقلين : نخطئن ، وفى ط : لنقلين
وهو تحريف . (2) سورة النحل 106 . (*)

496

وقال الامام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الاعمش ، عن
مسلم ، عن مسروق ،

عن خباب بن الارت قال : كنت رجلا قينا ، وكان لى على
العاص بن وائل دين ،

فأتيته أتقاضاه فقال : لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد
. فقلت : لا والله لا أكفر .

بمحمد حتى تموت ثم تبعث . قال فإنى إذا مت ثم بعثت
جئتنى ولى ثم مال وولد

فأعطيك ! فأنزل الله تعالى (أفرايت الذى كفر بآياتنا وقال
لاوتين مالا وولدا) إلى

قوله (ويأتينا فردا) (1) . أخرجاه في الصحيحين وغيرهما
من طرق عن الاعمش به .

وفى لفظ البخارى : (كنت قينا بمكة ، فعملت للعاص بن
وائل سيفا فجئت أتقاضاه) فذكر الحديث .

وقال البخارى حدثنا الحميدى ، حدثنا سفيان ، حدثنا بيان (2)
وإسماعيل ، قال :

سمعنا قيسا يقول : سمعت خبابا يقول : أتيت النبى صلى
الله عليه وسلم وهو متوسد ببردة (3)

وهو فى ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة ،
فقلت : ألا تدعو الله ؟

فقعد وهو محمر وجهه فقال : (4) كان من كان
قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد

ما دون عظامه من لحم أو عصب ، وما يصرفه ذلك عن
دينه ، ويوضع المنشار على مفرق

رأسه فيشق باثنين (5) ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمن
الله هذا الأمر حتى يسير

الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله عزوجل
(زاد بيان (6)) والذئب

على غنمه) .

وفى رواية (ولكنكم تستعجلون) .

انفرد به البخارى دون مسلم .

* (هامش) * (1) سورة مريم 77 - 80 (2) في ط ، خ
: بنان وهو تحريف ، وما أثبتته من البخارى 182 / 2

(3) البخارى : بردة . (4) البخارى : لقد . (5) البخارى :
اثنتين .

(6) خ ، ط : بنان وهو تحريف . (*)

- 497 -

وقد روى من وجه آخر عن خباب وهو مختصر من هذا
والله أعلم . وقال الامام

أحمد : حدثنا عبدالرحمن ، عن سفيان وابن جعفر ، حدثنا
شعبة ، عن أبى إسحاق ،

عن سعيد بن وهب ، عن خباب ، قال : شكونا إلى النبى
صلى الله عليه وسلم شدة الرمضاء

فما أشكنا . يعنى في الصلاة . وقال ابن جعفر : فلم
يشكنا .

وقال أيضا : حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا شعبة ، عن
أبي إسحاق قال : سمعت

سعيد بن وهب يقول : سمعت خبابا يقول : شكونا إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم

الرمضاء فلم يشكنا .

قال شعبة : يعنى في الظهيرة .

ورواه مسلم والنسائي والبيهقي من حديث أبي إسحاق
السبيعي ، عن سعيد بن

وهب ، عن خباب قال : شكونا إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم حر الرمضاء .

- زاد البيهقي : في وجوهنا وأكفنا - فلم يشكنا .

وفي رواية شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصلاة في الرمضاء

فلم يشكنا .

ورواه ابن ماجه ، عن علي بن محمد الطنافسي ، عن
وكيع ، عن الاعمش ، عن أبي

إسحاق ، عن حارثة بن مضرب العبدى ، عن خباب قال :
شكونا إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم ما يلقون من المشركين من
التعذيب بحر الرمضاء ، وأنهم

يسحبونهم على وجوههم فيتقون بأكفهم ، وغير ذلك من
أنواع العذاب كما تقدم عن

ابن إسحاق وغيره ، وسألوا منه صلى الله عليه وسلم أن
يدعو الله لهم على المشركين ، أو

(32 - السيرة - 1)

يستنصر عليهم ، فوعدهم ذلك وينجزه لهم في الحالة
الراهنة ، وأخبرهم عن كان قبلهم

أنهم كانوا يلقون من العذاب ما هو أشد مما أصابهم
ولا يصرفهم ذلك عن دينهم ،

ويبشرهم أن الله سيتم هذا الامر ويظهره ويعلنه ، وينشره
وينصره في الاقاليم والآفاق ، حتى

يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله
عزوجل والذئب على غنمه ،

ولكنكم تستعجلون .

ولهذا قال : (شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
حر الرمضاء في وجوهنا

وأكفنا فلم يشكنا) أى لم يدع لنا في الساعة الراهنة .

فمن استدل بهذا الحديث على عدم الابراد ، أو على
وجوب مباشرة المصلى

بالكف ، كما هو أحد قولى الشافعى ، ففيه نظر . والله
أعلم .

باب

مجادلة المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وإقامة الحجّة الدامغة عليهم

واعترافهم في أنفسهم بالحق ، وإن أظهروا المخالفة عنادا
وحسدا وبغيا وجحودا

قال إسحاق بن راهوية : حدثنا عبدالرزاق ، عن معمر ،
عن أيوب السختياني ،

عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن الوليد بن المغيرة جاء
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رق له ، فبلغ ذلك أبا جهل ،
فأتاه فقال : يا عم إن قومك

يريدون أن يجمعوا لك مالا . قال : لم ؟ قال : ليعطوكه ،
فإنك أتيت محمدا لتعرض

ما قبله !

قال : قد علمت قريش أنى من أكثرها مالا .

قال : فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له .

499

قال : وماذا أقول ؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالاشعار
منى ، ولا أعلم برجزه

ولابقصيده منى ، ولأبشعار الجن ، والله ما يشبه الذى
يقول شيئا من هذا ، ووالله إن

لقوله الذى يقوله حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر
أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو

ولايعلى ، وإنه ليحطم ما تحته .

قال : لايرضى عنك قومك حتى تقول فيه .

قال : قف عنى حتى أفكر فيه .

فلما فكر قال : إن هذا إلا سحر يؤثر يآثره عن غيره .
فنزلت (ذرني ومن

خلقت وحيدا وجعلت له ما لا ممدوا وبنين شهودا (1))
الآيات .

هكذا رواه البيهقى عن الحاكم ، عن عبدالله بن محمد
الصنعانى بمكة ، عن إسحاق

به . وقد رواه حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن عكرمة
مرسلا . فيه أنه قرأ عليه (إن الله

يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن
الفحشاء والمنكر والبغى

يعظكم لعلكم تذكرون (2) .

وقال البيهقي : عن الحاكم ، عن الاصم ، عن أحمد بن
عبدالجبار ، عن يونس بن

بكير ، عن محمد بن إسحاق حدثني محمد بن أبي محمد
، عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة عن

ابن عباس ، أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش
وكان ذا سن فيهم ، وقد

حضر الموسم (3) فقال : إن وفود العرب ستقدم عليكم
فيه ، وقد سمعوا بأمر

صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأيا واحدا ولاختلفوا فيكذب
بعضكم بعضا ، ويرد قول

بعضكم بعضا (4) .

ف قيل ياأبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا نقوم به (5) .

* (هامش) * (1) سورة المدثر 1 - 13 . (2) سورة
النحل 90 . (3) ط : المواسم . محرفة .

(4) ابن هشام : ويرد قولكم بعضه بعضا . (5) ابن هشام
والمراجع : نقول . (*)

-500-

فقال : بل أنتم فقولوا وأنا أسمع فقالوا : نقول كاهن .

فقال : ما هو بكاهن : رأيت الكهان ، فما هو بزمزمة
الكهان . فقالوا : نقول

مجنون . فقال : ما هو بمجنون ، ولقد رأينا الجنون
وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا

وسوسته . فقالوا : نقول شاعر . فقال : ما هو بشاعر ،
قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه

وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر . قالوا :
فنقول هو ساحر . قال : ما هو

بساحر ، قد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفته ولابعقده
.

قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟

قال : والله إن لقوله لجلاوة ، وإن أصله لعذق (1) ، وإن
فرعه لجنى (2) ، فماأنتم

بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل ، وإن أقرب
القول لان تقولوا : هذا ساحر ،

فتقولوا هو ساحر يفرق بين المرء ودينه ، وبين المرء
وأبيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين

المرء وأخيه ، وبين المرء وعشيرته .

فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون للناس حين (3) قدموا
الموسم لايمر بهم أحد إلا

حذروه إياه ، وذكروا لهم أمره .

وأنزل الله في الوليد (ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت له
مالا ممدودا وبنين

شهودا) (4) الآيات ، وفى أولئك النفر الذين جعلوا
القرآن عضيين : (فوربك لنسألنهم

أجمعين عما كانوا يعملون (5) .

قلت : وفى ذلك قال الله تعالى إخبارا عن جهلهم وقلة
عقلهم : (بل قالوا أضغاث

أحلام بل افتراه ، بل هو شاعر ، فليأتنا بآية كما أرسل
الاولون (6) فحاروا ماذا يقولون

* (هامش) * (1) خ ط : لمفدق ، وما أثبتته عن ابن
هشام والعدق : النخلة (2) ابن هشام : لجناة وهو ما
يجنى

من الثمر (3) الاصل : حتى ، وما أثبتته عن ابن هشام . (4)
سورة المدثر 11 - 13

(5) سورة الحجر 92 - 93 (6) سورة الانبياء 5 (*)

-501-

فيه ، فكل شيء يقولونه باطل . لان من خرج عن الحق
مهما قاله خطأ . قال الله تعالى :

.....

- السيرة النبوية مجلد: 1 من ص 501 سطر 1 الى ص
508 سطر 20

فيه ، فكل شيء يقولونه باطل . لان من خرج عن الحق
مهما قاله خطأ . قال الله تعالى :

(انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا
(1) .

وقال الامام عبد بن حميد في مسنده : حدثني أبوبكر بن
أبي شيبة ، حدثنا علي

ابن مسهر ، عن الاجلح ، هو ابن عبدالله الكندى ، عن
الذيال بن حرمة الاسدى ،

عن جابر بن عبدالله ، قال : اجتمع قريش يوما فقالوا :
انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة

والشعر ، فليات هذا الرجل الذى فرق جماعتنا وشتت
أمرنا وعاب ديننا ، فليكلمه

ولينظر ماذا يرد عليه .

فقالوا : ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة . فقالوا : أنت يا
أبا الوليد .

فأتاه عتبة فقال : يا محمد أنت خير ام عبدالله ؟ فسكت
رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

فقال : أنت خير أم ع بدالمطلب ؟ فسكت رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

قال : فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة
التي عبت ، وإن كنت

تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك ، إنا والله
ما رأينا سخلة (2) قط أشأم

على قومه منك ، فرقت جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وعبت
ديننا ، وفضحتنا في العرب ،

حتى لقد طارفيهم أن في قريش ساحرا ، وأن في قريش
كاهنا ، والله ما نتنظر إلا مثل

صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى
تتفانى ، أيها الرجل ! إن كان إنما

بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا ، وإن
كان إنما بك الباءة فاختر

أى نساء قريش شئت فلنزوجك عشرا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فرغت ؟) قال
: نعم . فقال رسول الله

* (هامش) * (1) سورة الاسراء 48 (2) السخلة : تطلق
على الذكر والانثى من أولاد الضأن . (*)

صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم حم
تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت

آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون (إلى أن بلغ (فإن أعرضوا
فقل أنذرتكم صاعقة مثل

صاعقة عاد و ثمود) .

فقال عتبة : حسبك ، ما عندك غير هذا ؟ قال : لا .

فرجع إلى قريش فقالوا : ما وارك ؟ قال : ما تركت
شيئا أرى أنكم

تكلمونه إلا كلمته .

قالوا : فهل أجابك ؟ فقال : نعم . ثم قال : لا والذي
نصبها بنية ما فهمت شيئا

مما قال ، غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد و ثمود
.

قالوا : ويلك ؟ يكلمك الرجل بالعربية لاتدرى ما قال ؟

قال : لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة .

وقد رواه البيهقي وغيره عن الحاكم ، عن الاصم عن
عباس الدوري ، عن يحيى بن

معين ، عن محمد بن فضيل ، : عن الاجلح به . وفيه كلام
.

وزاد : وإن كنت إنما بك الرياسة عقدنا ألويتنا لك فكنت
أسا ما بقيت .

وعنده أنه لما قال : (فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة
مثل صاعقة عاد و ثمود)

أمسك عتبة (1) على فيه وناشده الرحم أن يكف عنه ،
ولم يخرج إلى أهله

واحتبس عنهم .

فقال أبوجهل : والله يا معشر قريش ما نرى عتبة إلا صبا
إلى محمد وأعجبه طعامه ،

وما ذاك إلا من حاجة أصابته ، انطلقوا بنا إليه فأتوه .

فقال أبوجهل : والله يا عتبة ما جئنا إلا أنك صبوت إلى
محمد وأعجبك أمره ، فإن

كان بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام
محمد .

* (هامش) * (1) ط : عقبة . وهو تحريف . (*)

-503-

فغضب وأقسم بالله لا يكلم محمدا أبدا . وقال : لقد علمتم
أنى من أكثر قريش مالا ،

ولكنى أتيته ، وقص عليهم القصة ، فأجابنى بشئى والله ما
هو بسخر ولا بشعر ولا كهانة ،

قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحم
الرحيم) حتى بلغ (فإن أعرضوا

فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد و ثمود) فأمسكت
بفيه وناشدته الرحم أن

يكف ، وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب ،
فخفت أن ينزل عليكم العذاب .

ثم قال البيهقى : عن الحاكم ، عن الاصم ، عن أحمد بن
عبدالجبار ، عن يونس ،

عن محمد بن إسحاق ، حدثنى يزيد بن أبى زياد مولى
بنى هاشم ، عن محمد بن كعب قال :

حدثت أن عتبة بن ربيعة ، وكان سيذا حليما ، قال ذات
يوم وهو جالس في نادى قريش ،

ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده في المسجد : يا معشر قريش ألا أقوم إلى هذا

فأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها ويكف عنا .

قالوا : بلى يا أبا الوليد !

فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث فيما قال له

عتبة وفيما عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من المال والملك وغير ذلك .

وقال زياد بن إسحاق : فقال عتبة : يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض

عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه إياها ويكف عنا . وذلك حين أسلم حمزة ورأوا

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون .

فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، فقم إليه وكلمه .

فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابن أخي إنك منا

حيث قد علمت من السطة (1) في العشيرة والمكان في النسب ، وإنك فد أتيت قومك

* (هامش) * (1) الاصل الشطر . وهو تحريف وما أثبتته من الاكتفا للكلاعى . والسطة : الشرف . (*)

-504-

بأمر عظيم فرقت جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به الهتهم ودينهم وكفرت

به من مضى من آبائهم ، فاسمع منى حتى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل

منها بعضها .

قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا أبا الوليد أسمع) .

قال : يا بن أخى إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا لك من

أموالا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لانقطع

أمرا دونك ، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رثيا

تراه لاتستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ،

فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يتداوى منه . أو كما قال له .

حتى إذا فرغ عتبة قال له النبى صلى الله عليه وسلم : (أفرغت يا أبا الوليد ؟)

قال : نعم . قال : اسمع منى . قال : أفعل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب

فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون) فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها ،

فلما سمع بها عتبة أنصت لها ، وألقى بيديه خلفه أو خلف ظهره معتمدا عليهما

ليسمع منه .

حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة فسجدها ثم قال : (سمعت

يا أبا الوليد ؟) قال : سمعت . قال : (فأنت وذاك) .

ثم قام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلّف بالله
لقد جاءكم أبو الوليد بغير

الوجه الذى ذهب به .

فلما جلسوا إليه قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال :
ورائى أنى والله قد سمعت قولا

-505-

ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا الكهانة ، يا
معشر قريش اطيعونى واجعلوها بى ،

خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه ، فوالله
ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ ،

فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على
العرب فملكه ملككم ، وعزه

عزكم ، وكنت أسعد الناس به .

قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه .

قال : هذا رأى لكم ، فاصنعوا ما بدالكم .

ثم ذكر يونس عن ابن إسحاق شعرا قاله أبوطالب يمدح
فيه عتبة .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو محمد عبدالله بن يوسف
الاصبهانى ، أخبرنا أبو قتيبة سلمة

ابن الفضل الادمى بمكة ، حدثنا أبو أيوب احمد بن بشر
الطيالسى ، حدثنا داود بن عمرو

الضبى ، حدثنا المثنى بن زرعة ، عن محمد بن إسحاق ،
عن نافع ، عن ابن عمر . قال :

لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على عتبة بن
ربيعة (حم تنزيل من الرحم الرحيم)

أتى أصحابه فقال لهم : يا قوم أطيعوني في هذا الامر
اليوم ، واعصوني فيما بعده ،

فو الله لقد سمعت من هذا الرجل كلاما ما سمعت أذناى
كلاما مثله ، وما دريت

ما أرد عليه .

وهذا حديث غريب جدا من هذا الوجه .

ثم روى البيهقى ، عن الحاكم ، عن الاصم ، عن أحمد
بن عبدالجبار ، عن يونس ،

عن ابن إسحاق ، حدثنى الزهرى قال : حدثت أن أبا جهل
وأبا سفيان والخنس بن

شريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يصلى بالليل في بيته ،

فأخذ كل رجل منهم مجلسا ليستمع منه ، وكل لا يعلم
بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له

حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ،
فتلاوموا وقال بعضهم لبعض :

لاتعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لاوقعتم في نفسه شيئا
ثم انصرفوا .

-506-

حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه
، فباتوا يستمعون له ،

حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقال
بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة

ثم انصرفوا .

فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا
يستمعون له ، حتى إذا

طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقالوا : لانبج حتى تتعاهد ألا نعود . فتعاهدوا

على ذلك ثم تفرقوا .

فلما أصبح الاخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال :

أخبرنى يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟
فقال : يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت

أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها - وأشياء لأعرفها
ولأعرف ما يراد بها (1) - فقال

الاخنس : وأنا والذى حلفت به .

ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته
فقال : يا أبا الحكم ما رأيك

فيما سمعت من محمد ؟ فقال : ماذا سمعت ؟ ! تنازعنا
نحن وبنو عبد مناف الشرف ،

أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى
إذا تجاثنا (2) على الركب

وكنا كفرسى رهان قالوا : منا نبى يأتيه الوحي من السماء
! فمتى ندرك هذه ! والله

لانسمع به أبدا ولانصدقه . فقام عنه الاخنس به شريق .

ثم قال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو
بوالعباس ، حدثنا أحمد ،

حدثنا يونس ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ،
عن المغيرة بن شعبة . قال : إن

أول يوم عرفت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى
أمشى أنا وأبوجهل بن هشام في

بعض أزقة مكة ، إذ لقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله

* (هامش * (1) من الاكتفا . (2) الاكتفا : تحادينا . (*)

-507-

صلى الله عليه وسلم لابي جهل : (يا أبا الحكم ، هلم إلى الله وإلى رسوله ، أدعوك

إلى الله) .

فقال أبوجهل : يا محمد ، هل أنت منته عن سب آلهتنا ؟ هل تريد إلا أن نشهد أنك

قد بلغت ؟ فنحن نشهد أن قد بلغت ، فوالله لو أنى أعلم أن ما تقول حق لاتبعتك .

فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل على فقال : والله إنى لأعلم أن ما يقول

حق ، ولكن - يمنعنى - شئ ، إن بنى قصى قالوا : فينا الحجابة . فقلنا : نعم . ثم قالوا

فينا السقاية فقلنا : نعم . ثم قالوا فينا الندوة . فقلنا : نعم . ثم قالوا : فينا اللواء . فقلنا : نعم .

ثم أطعموا وأطعمنا ، حتى إذا تحاكت الركب قالوا : منا نبى ! والله لأفعل .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، قال أخبرنا أبو بالعباس محمد بن يعقوب

الاصم ، حدثنا محمد بن خالد ، حدثنا أحمد بن خلف ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق .

قال : مر النبى صلى الله عليه وسلم على أبى جهل وأبى سفيان ، وهما جالسان ، فقال

أبوجهل : هذا نبيكم يا بنى عبد شمس . قال أبوسفیان :
وتعجب أن يكون منا نبي !

فالنبي كيون فيمن أقل منا وأذل .

فقال أبوجهل : أعجب أن يخرج غلام من بين شيوخ نبي !
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ، فأتاهما فقال :
(أما أنت يا أبا سفيان ، فما لله

ورسوله غضبت ولكنك حميت للأصل . وأما أنت يا أبا
الحكم ، فوالله لتضحكن قليلا

ولتبكين كثيرا) فقال : بئسما تعدنى يا بن أخى من نبوتك

هذا مرسل من هذا الوجه ، وفيه غرابة . وقول أبى جهل ،
لعنه الله ، كما قال الله تعالى

مخبرا عنه وعن أضرابه (وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا
، أهذا الذى بعث الله

رسولا ؟ إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها ،
وسوف يعلمون حين يرون

العذاب من أضل سبيلا (1) .

* (هامش) * (1) سورة الفرقان 41 ، 42 . (*)

-508-

وقال الامام أحمد : حدثنا هشيم ، حدثنا أبوبشر ، عن
سعيد بن جبير ، عن ابن

عباس قال : نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه
وسلم متوار بمكة (ولاتجهر

بصلاتك ولاتخافت بها (1) .

قال : كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فلما
سمع ذلك المشركون سبوا

القرآن ، وسبوا من أنزله ومن جاء به ، قال : فقال الله تعالى لنبه محمد صلى الله عليه وسلم

(ولا تجهر بصلاتك) أى بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن (ولا تخافت بها)

عن أصحابك ، فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذه عنك (وابتغ بين ذلك سبيلا) .

وهكذا رواه صاحبنا الصحيح من حديث أبى بشر جعفر بن أبى حية به .

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جهر بالقرآن وهو يصلى تفرقوا عنه وأبوا أن

يستمعوا منه ، وكان الرجل إذا أراد أن يسمع من رسول الله بعض ما يتلوا وهو يصلى ،

استرق السمع دونهم فرقا منهم ، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم

فلم يستمع ، فإن خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسمع الذين يستمعون من قراءته

شيئا ، فأنزل الله تعالى (ولا تجهر بصلاتك) فيتفرقوا عنك (ولا تخافت بها) فلا

يسمع من أراد أن يسمعها ممن يسترق ذلك ، لعله يرعوى إلى بعض ما يسمع ، فينتفع به

(وابتغ بين ذلك سبيلا) .

إلى هنا ينتهى الجزء الاول من السيرة النبوية لابن كثير

ويليه الجزء الثانى وأوله باب الهجرة إلى الحبشة

* (هامش) * (1) سورة الاسراء 110)

